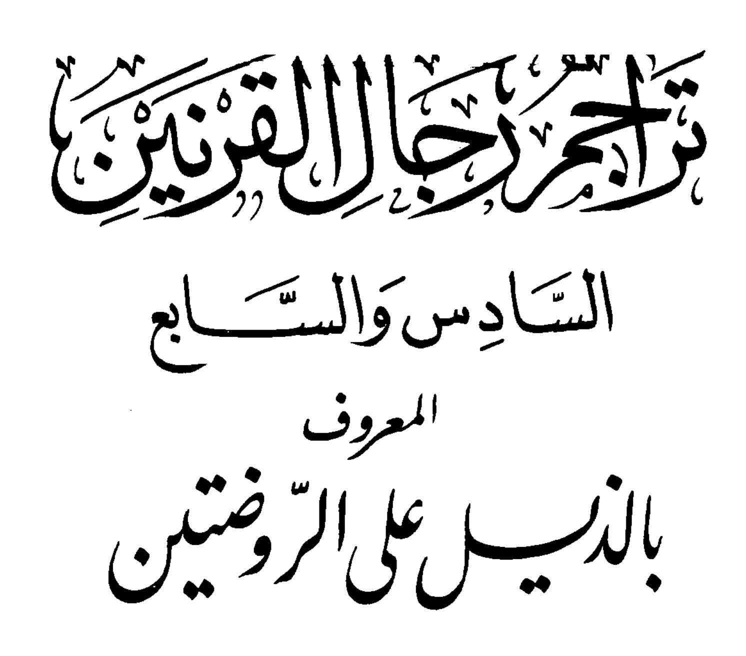


تأليف

شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان
المقدسي الدمشقي الشافعي
المعروف بأبي شامة
المتوفى سنة ٦٦٥ هـ

وضع حواشيه وعلق عليه

إبراهيم شمس الدين

٥

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

رمل الظريف، شـارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنـــان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3329-2



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الحمد لله الذي انفرد بالبقاء وكتب على غيره الزوال، وجعل الدنيا متنقلة لا تدوم على حال، وقضى على أهلها بالإدبار والإقبال. فكم ممن يؤمل الآمال فتحرمه دونها الآجال. وكم ممن يفجأه النوال ولم يكن يخطر له ببال. وصلّى الله على خير خلقه من الملائكة والنبيين، وآلهم الطاهرين، وكرم نبينا خاتم الأنبياء وصحبه وآله سادة الأولياء. نعم الصحب وحبذا الآل.

أما بعد فإن في مطالعة كتب التواريخ معتبراً، وفي ذكرها عن الغرور مزدجراً. لا سيما إذا ذكر بعض من مات في كل عام من المعارف والإخوان، والأقارب والجيران، وذوي الثروة والسلطان، فإن ذلك مما يزهد ذوي البصائر في الدنيا. ويرغبهم في العمل للحياة العليا، والاستعداد لما هم ملاقوه، والإقلاع عما هم عن قليل مفارقوه.

وكان قد سهل الله تعالى علي، وحبب إلي إلى أن أجمعت في كتاب الروضتين، كثيراً من الحوادث الواقعة في زمن الدولتين النورية والصلاحية سقى الله عهدهما وأصلح ما بعدهما وانتهى ذلك إلى السنة التي توفي فيها صلاح الدين رحمه الله تعالى وهي سنة تسع وثمانين وخمسمائة وذكرت تبعاً لذلك أشياء مفرقة فيما يتعلق بأحوال أولاده ومن يتعلق بهم.

ثم خطر لي أن أجمع كتاباً يتضمن كثيراً من الحوادث بعد ذلك إلى آخر ما تدركه حياتي ختمها الله بالعمل الصالح والفعل الرابح، وكان فيما حملني على ذلك كثرة موت المعارف فأردت إثباتهم لعلي بمطالعتهم أجد قلباً على الآخرة يساعف.

ولقد بلغني أن بعض الوعاظ ببلاد العرب وعظ فقال كلاماً معناه: أيها الناس كيف حالكم لو أن السلطان نادى فيكم أنه عازم على أن يقتل كل يوم منكم جماعة أما كانت الأرض عليكم تضيق؟ وحسب كل أحد أنه في غد من ذلك الفريق، فكيف لا تعقلون. وهذا الموت يأخذ منكم كل يوم ما تشاهدون وأنتم في غفلة أفلا تعقلون.

قال: فأكثر الناس من البكاء. ثم ما أغنى ذلك شيئاً. فيا لها موعظة لو صادفت قلباً حياً، فاستخرت الله وابتدأت من سنة تسعين التي تتلو سنة وفاة صلاح الدين فذكرت فيها وفيما بعدها ما فاتني ذكره في كتاب الروضتين سنة بعد سنة.

ونسأل الله الكريم بفضله محو السيئة وتضعيف الحسنة وسميته (الذيل على الروضتين) من أول سنة تسعين على ترتيب السنين.

دخلت سنة تسعين وخمسمائة[١]

[استعادة الفرنج حصن جبيل]

استعادت الفرنج خذلهم الله حصن جبيل بمعاملة من كردي فقيه كان فيه في مستهل صفر. وفيها وصل العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر في صفر لأخذ الشام وأقام يحاصرها عشرة أشهر وقطع الماء عنها.

ووصل العادل من الشرق فاجتاز بحلب وصعد إلى قلعتها وبات بها واستخلص ولديه وبني عمه كبراء الياروقية من اعتقال الظاهر صاحبها. ثم سار إلى دمشق معيناً لأخيه الأفضل فأصلح بينهما على أن للعزيز من بيسان إلى أسوان. وقدم الظاهر من حلب أيضاً ثم عاد كل إلى بلاده. وتزوج العزيز بابنة عمه العادل.

[أخذ الأفضل من الفرنج جبلة واللاذقية ومحنة أبي الفرج ابن الجوزي]

وأخذ الملك الأفضل من الفرنج في هذه السنة جبلة واللاذقية وفيها كانت محنة الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ. وشى به إلى الخليفة الناصر أحمد بن المستضيء بأمر الله اختلفوا فيه وكان الزمان صيفاً. فبينا هو جالس في السرداب يكتب جاءه من أسمعه غليظ الكلام وختم على كتبه وداره وشتت عياله. فلما كان أول الليل حملوه في سفينة وحدروه إلى واسط خمسة أيام ما أكل طعاماً إلى واسط، وكان قد قارب ثمانين سنة فأقام في دار درب الديوان وعلى بابه بواب فكان يخدم نفسه ويغسل ثوبه، ويطبخ ويستقي الماء من البئر ولم يدخل الحمام مدة خمس سنين مقامه بواسط. ولما عاد إلى بغداد كان يقول قرأت بواسط مدة مقامي كل يوم ختمة ما قرأت فيها سورة يوسف من حزني على ولدي يوسف. وكان يكتب إلى بغداد أشعاراً كثيرة.

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ١٣/٨ ـ ٩، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٣١ ـ ٢٣٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٨.

[وفاة القزويني الواعظ]

وفيها: توفي القزويني الواعظ واسمه أحمد بن إسماعيل بن يوسف وكنيته أبو الخير الشافعي[١]. تفقه بنيسابور على محمد بن يحيى صاحب الغزالي وسمع بها وبغيرها الحديث من أبي عبد الله الفراوي، وأبي القاسم الشّحامي، وأبي محمد البيهقي وغيرهم[٢]، وكان عالماً بالتفسير والفقه متعبداً وكان يختم القرآن كل يوم مرة. ولد بقزوين سنة اثنتي عشرة وخمسمائة. وقدم بغداد حاجاً سنة خمس وخمسين وخمسمائة فوعظ بالنظامية ومال إلى مذهب الأشعري رحمه الله وجلس يوم عاشوراء فقيل له العن يزيد بن معاوية. فقال ذاك إمام مجتهد ففجأه أحدهم فكاد يقتل. فسقط عن المنبر فأدخل بيتاً من النظامية. ثم أخرجوه إلى قزوين فمات بها في المحرم[٣].

[قتل السلطان طغريل شاه بن أرسلان شاه]

وفيها: قتل السلطان طغريل شاه بن أرسلان شاه بن طغريل شاه بن محمد بن ملكشاه[٤] وهو آخر الملوك السلجوقية سوى صاحب الروم وهو الذي كان عسكر الخليفة على همذان وكان طغريل قد بعث إلى الخليفة يطلب السلطنة فأرسل إليه جيشاً مقدمه وزيره ابن يونس فكسرهم طغريل ومزقهم كل ممزق، وأخذ ابن يونس وكان محلوق الرأس فأحضروه بين يدي السلطان وألبسوه طرطوراً أحمر فيه جلاجل وجعل يضحك عليه وذلك سنة أربع وثمانين وخمسمائة فهابه الملوك ثم إن خوارزم شاه سار إليه في عساكره والتقيا على الري فقتل وقطع رأسه وبعث إلى بغداد فدخلوا به في جمادى الأولى على خشبة وكوساته[٥] مشققة

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠١، والبداية والنهاية ١٣/ ٩، وكشف الظنون ٥/ ٨٨.

(٢) في شذرات الذهب: تفقه على الفقيه ملكدار القزويني وقرأ بالروايات على إبراهيم بن عبد الملك القزويني، وسمع من الفراوي وزاهر وخلق.

(٣) في كشف الظنون ٥/ ٨٨: ولد سنة ٥١١هـ، وتوفي سنة ٥٨٩هـ. وله من التصانيف: «التبيان في مسائل القرآن» في الرد على الحلولية والجهمية والقائلين بخلق القرآن، «حظائر القدس» عدّ فيه لشهر رمضان ٦٤ اسماً، «خصائص السواك»، «مفاتيح العطيات ومغاليق البليات» في الأذكار والدعوات، فارسي.

(٤) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٨ ـ ٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٥) الكوسات: هي صنوج من نحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ويتولى ذلك «الكوسي» (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٢٩٠).

وسنجقه[١] وراءه مكسور منكس وكان من أحسن الناس صورة ثم رد إلى خزانة الرؤوس فجاءت فأرة فأكلت أنفه وأذنيه وبقي الرأس إلى سنة إحدى وستمائة فوقع حريق في خزانة الرؤوس فاحترق الجميع وكان عدة الملوك السلجوقية نيفاً وعشرين ملكاً أولهم طغريل الذي أعاد الغنائم إلى بغداد وآخرهم هذا. ومدة ملكهم مائة وستون سنة.

[وفاة الشيخ الشاطبي]

وفيها: في جمادى الآخرة توفي بالقاهرة الشيخ الشاطبي[٢] العالم الزاهد ناظم القصيدة في القراءات السبع رحمه الله ودفن بالقرافة بالقرب من التربة الفاضلية بسارية. وقد زرت قبره. وشاطبة المنسوب هو إليها مدينة بالمغرب شرق الأندلس. أخبرني شيخنا أبو الحسن علي بن محمد[٣] رحمه الله أن سبب انتقاله

---

(١) السنجق: باللغة التركية معناه الطعن، والمراد به عند استعماله الراية، وقد يعبر عنها بالسناجق جمع سنجق، سميت الراية بذلك لأنها تكون في أعلى الرمح، والرمح هو آلة الطعن يسمى بذلك مجازاً (انظر صبح الأعشى ٢/ ١٤٢). وقال القلقشندي في صبح الأعشى ١/ ٤٧٤: أول من حمل السنجق على رأسه من الملوك غازي بن زنكي صاحب الموصل، وهو أول من اختار الأجناد أن يركبوا بالسيوف في أوساطهم والدبابيس تحت ركبهم.

(٢) الشاطبي: هو القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الحافظ، أبو محمد الرعيني الأندلسي، المعروف بالشاطبي المالكي المقرئ النحوي، ولد سنة ٥٢٨هـ، من مصنفاته: «تتمة الحرز من قراء الأئمة الكنز»، «حرز الأماني ووجه التهاني» القصيدة المشهورة بالشاطبية في القراءات «عقيلة أرباب القصائد في أسنى المقاصد»، «ناظمة الزهر في أعداد آيات السور» (انظر ترجمته الوافية في: كشف الظنون ٥/ ٨٢٨، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠١ ـ ٣٠٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٩).

(٣) هو علم الدين السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس الهمداني، علم الدين، أبو الحسن السخاوي المصري المقرئ الشافعي ولد سنة ٥٥٨هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٤٣هـ، من تصانيفه: «إفصاح الموجز في إيضاح المعجز»، «الإفصاح وغاية الإشراح في القراءات السبع»، «أقوى العدد في معرفة العدد»، «تحفة الفراض وطرفة المرتاض»، «تفسير القرآن إلى سورة الكهف»، «تنوير الظلم في الجود والكرم»، «جمال القراء وكمال الإقراء»، «الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة» «ذات الأصول في مدح الرسول ﷺ»، «ذات الأصول والقبول في مفاخر الرسول ﷺ»، «ذات الحلل» قصيدة على طريق اللغز، «ذات الدرر في معجزات سيد البشر»، «سفر السعادة وسفير الإفادة» في شرح المفصل، «شرح المحاجاة في الأحاجي والأغلوطات» للزمخشري «شرح مصابيح السنة للبغوي»، «شكوى الاشتياق إلى النبي الطاهر الأخلاق»، «الطود الراسخ في القراءة»، «عروس السمر في منازل القمر»، «عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة لفظ التجويد»، «فتح الوصيد في شرح القصيد» أي حرز الأماني، «القصائد السبع في مدائح =

من بلاده إلى الديار المصرية أنه أريد على أن يتولى الخطابة بها فاحتج بأنه قد وجب عليه الحج وأنه عازم عليه فتركها ولم يرجع إليها تورعاً مما كان يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعاً. وصبر على فقر شديد وسمع بالاسكندرية على الحافظ أبي طاهر السلفي، ثم قدم القاهرة فطلبه القاضي الفاضل للإقراء بمدرسته فأجاب بعد شروط اشترطها عليه على ما كان فيه من الفقر. وقدم بيت المقدس زائراً قبل موته بثلاث سنين فصام به شهر رمضان واعتكف. قال لي الشيخ أبو الحسن: سمعته وقد جاءه رجل يودعه والرجل عازم على المسير إلى القدس فقال: ذكر الله عنا ذلك الموضع بخير. وقال لا أعلم موضعاً أقرب إلى السماء منه بعد مكة والمدينة قال الشيخ؛ فعلمت أنه رزق ثم قبولاً وقال: اقطع بأنه كان مكاشفاً وأنه سأل الله تعالى كتمان حاله ما كان أحد يعلم أي شيء هو قلت: وقد ذكرت طرفاً صالحاً من أخباره وأوصافه في أول شرحي الكبير لقصيدته الكبرى وأخبرني عنه جماعة من أصحابه رحمهم الله تعالى.

[دخول العزيز بن صلاح الدين إلى الشام]

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين[1]

وفيها: قدم العزيز بن صلاح الدين إلى الشام مرة ثانية فنزل على الفوار في شهر رمضان ثم رحل إلى مصر لما سمع بقدوم العساكر مع عمه العادل وأخيه الأفضل فرحل عائداً إلى مصر وتبعاه إلى القاهرة وخرج الفاضل فأصلح الحال فدخل العادل مصر مع العزيز ورجع الأفضل إلى الشام. وفيها: حج بالناس من بغداد سنجر الناصري، ومن الشام سراسنقر، وايبك فطيس الصلاحيان، ومن مصر الشريف إسماعيل بن تغلب الجعفري من ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

= نبوية»، «القصيدة الناصرة لمذهب الأشاعرة»، «الكوكب الوقاد في تصحيح الاعتقاد»، «لواقح الفكر في أخبار من غبر»، «متشابهات الكتاب»، «مراتب الأصول وغرائب الفصول» في القراءات، «المفضل في شرح المفصل» للزمخشري، «منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم»، «مناسك الحج»، «منير الدياجي في شرح الأحاجي»، «منهاج التوفيق في معرفة التجويد والتحقيق»، «نثر الدرر في ذكر الآيات والسور»، «الوسيلة في كشف العقيلة»، «هدية المرتاب وغاية الحفظ والطلاب» منظومة في القراءات. (كشف الظنون ٥/ ٧٠٨ ـ ٧٠٩).

(١) وخمسمائة، وانظر البداية والنهاية ١٣/ ٩ ـ ١١، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٣٥ ـ ٢٤١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥٨ ـ ١٦٠.

[وقعة الزلاقة]

وفيها: كانت بالمغرب وقعة الزلاقة وكانت وقعة عظيمة بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفنس[١] ملك طليطلة «وكان الفنس قد استولى على جزيرة الأندلس وقهر ولاتها، وكان يعقوب ببئر العدوة مشغولاً عن نصرتهم بالخوارج الخارجين عليه وبينه وبين الأندلس زقاق سبتة وعرضه ثلاثة فراسخ ويحتاج في عبوره إلى مشقة عظيمة، وطمع الفنس في المسلمين بهذا السبب وكتب إلى يعقوب ينحيه عن العبور إليه فسار إلى زقاق سبتة فنزل عليه، وجمع الشواني، والمراكب وعرض جيشه فكانوا مائتي ألف مقاتل: مائة ألف يأكلون من الديوان، ومائة ألف مطوعة وعبر الزقاق إلى مكان يقال له الزلاقة وجاءه الفنس في مائتي ألف وأربعين ألفاً من أعيان الفرنج والمقاتلة والتقوا فنصر الله المسلمين وهرب الفنس في نفر يسير إلى طليطلة، وغنم المسلمون ما كان في عسكره فكان عدة من قتل من الفرنج مائة ألف وستة وأربعون ألفاً، وعدة الأسارى ثلاثين ألفاً، ومن الخيام مائة ألف خيمة وخمسون ألفاً، ومن الخيل ثمانون ألفاً، ومن البغال مائة ألف، ومن الحمير أربعمائة ألف حمار يحمل أثقالهم لأنهم لا جمال عندهم، ومن الأموال والجواهر والثياب ما لا يحد ولا يحصى، وبيع الأسير بدرهم، والسيف بنصف درهم، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم. وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين على مقتضى الشريعة فاستغنوا إلى الأبد. ووصل الفنس إلى طليطلة على أقبح حال وحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وآلى أن لا ينام على فراش، ولا يقرب النساء، ولا يركب فرساً ولا دابة حتى يأخذ بالثأر وأقام يجمع من الجزائر والبلاد ويستعد. وقيل إنها كانت هذه الواقعة في سنة تسعين وخمسمائة والله أعلم.

[نقل تابوت صلاح الدين]

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين[٢]

وفيها: نقل تابوت صلاح الدين رحمه الله من القلعة إلى التربة المستجدة له شمالي الجامع. وفيها: قدم العزيز إلى الشام مرة ثالثة مع العادل ونزلا على جسر الخشب وانفصل الحال على أن خرج الأفضل منها إلى صرخد وتسلمها العزيز

---

(١) في البداية والنهاية «القيس»، وفي شذرات الذهب «الفيش» وفي الكامل في التاريخ «الفنش».

(٢) وخمسمائة، وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١١ ـ ١٢، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠٧ ـ ٣١١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٤٢ ـ ٢٤٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

وسلمها إلى عمه العادل وأسقط مكوسها والخطبة والسكة باسم العزيز، وأخذت قلعة بصرى من الظافر خضر بن صلاح الدين. ورجع العزيز إلى مصر. وفيها: حج من مصر الشريف بن تغلب في جماعة من الأعيان وأنفق أموالاً كثيرة.

وفيها: بعد خروج الحاج من مكة هبت ريح سوداء عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر ووقع من الركن اليماني قطعة وتجرد البيت الحرام مراراً.

[كسر عسكر خوارزم شاه لعسكر الخليفة]

وفيها: في غرة شعبان كسر عسكر الخوارزم شاه الأحول والد علاء الدين بن محمد وكان مقدمه مملوكاً له عسكر الخليفة في عشرين ألفاً مقدمه ابن القصاب وزير الخليفة فكسروا أشنع من كسرة ابن يونس وعادوا إلى بغداد عرايا جياعاً، وقطع رأس الوزير وبعث به وبأعلام الخليفة والخزائن وكانت الكسرة على باب همذان وكان خوارزم شاه قد قطع جيحون في خمسين ألفاً ثم وصل همذان وشحن على البلاد إلى باب بغداد وبعث إلى الخليفة يطلب السلطنة وإعادة دار السلطنة إلى ما كانت ويجيء إلى بغداد ويكون الخليفة من تحت يده كما كانت السلجوقية فانزعج الخليفة وأهله، وغلب الأمصار وقيل إن خوارزم شاه توفي في هذه السنة. وقيل في سنة ست وتسعين كما سيأتي.

[الحرب بين يعقوب بن يوسف ملك المغرب والفونس ملك طليطلة]

وفيها: كانت وقعة أخرى ليعقوب بن يوسف مع الفنس، وكان الفنس قد جند وجمع جمعاً أكثر من الأول والتقوا فهزمه يعقوب وساق خلفه إلى طليطلة وضربها بالمجانيق وضيق عليها ولم يبق إلا فتحها فخرجت إليه والدة الفنس وبناته ونساؤه وأهله وبكين بين يديه وسألنه إبقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن به ووهب لهن المال والجواهر وردهن مكرمات بعد القدرة، ولو فتح طليطلة لفتح إلى مدينة النجاش. وعاد إلى قرطبة فأقام شهراً يقسم الغنائم وجاءته رسل الفنس تسأله الصلح فصالحه مدة وأمن أهل الأندلس. وقيل إن هذه الوقعة كانت سنة إحدى وتسعين.

[وفاة عبيد الله بن المظفر]

وفيها: توفي عبيد الله بن المظفر بن هبة الله بن رئيس الرؤساء ويلقب بالأثير هبة الله[1] هو: الوزير الذي قتلته الباطنية وهو خارج إلى الحج في أيام

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

المستضيء، وكان عبيد الله فاضلاً عاقلاً ومن شعره: [البسيط]

إن حاول الدهر إخفائي فإن له ... في حبسي الآن سراً سوف يبديه

أعدني للعلا ذخراً ومن ذخرت ... يداه في الدهر شيئاً فهو يخفيه

[وفاة ابن باقة]

وفيها: توفي محمد بن أحمد بن يحيى أبو منصور ويعرف بابن باقة(١) ولد بالكوفة سنة ثلاثين وخمسمائة، واشتغل بالأدب. ومات ببغداد وحمل إلى الكوفة، وكان أبوه فاضلاً أيضاً فمن شعره: [الطويل]

وكم شامتٍ بي إن هلكْتُ بزعمه ... وجاذب سيف عند ذكر وفاتي

ولو علم المسكين ماذا يصيبه ... من الذل بعدي مات قبل مماتي

[قتل الوزير ابن القصاب]

وفيها: قتل الوزير ابن القصاب المقدم ذكره وهو: أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد ولقبه مؤيد الدين(٢) أصله من شيراز وقدم بغداد سنة أربع وثمانين واستخدم في ديوان الإنشاء ثم ترقى إلى الوزارة وقرأ الأدب على أبي السعادات بن الشجري، وكان داهية له خبرة بأمور الحرب وفتح البلاد، وكان الناصر الخليفة يثني عليه ويقول: لو قبلوا من رأيه ما جرى ما جرى. ولقد اتعب الوزراء بعده وكان الخليفة قد سلم إليه ابن يونس أستاذ الدار لما قبض عليه فسلمه ابن القصاب إلى ولده أحمد. ولما خرج عن بغداد كتب الوزير إلى ابنه أحمد وهي له: [المنسرح]

يا خازن النار خذ إليك أبا (م) السائب حلف الفضول والحمق

ولا تكله إلى زبانية ... يأخذهم بالخداع والملق

فلست تدري أي ابن زانية ... عندك ملقى في القد والحلق

وقيل إن رأس المؤيد بن القصاب دفن بالري بعد أن طافوا به البلاد. ومن العجائب أنه وصل خبره مع الركابية يوم الجمعة رابع عشر شعبان وقد اجتمع على باب ولده شمس الدين أحمد أرباب الدولة ليعبروا في خدمته إلى تربة الخلاطية نيابة عن أبيه فجاء خادم من عند الخليفة فرد بابه وصرف أرباب الدولة عن بابه ونقل ابنه من دار الوزارة التي تقابل باب المتولي واسكنها ناصر بن مهدي.

---

(١) لم أجد ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١١، وشذرات الذهب ٤/ ٣١١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

[وفاة ابن الدهان]

وفيها: توفي أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان الفرضي الحاسب البغدادي[١]، وكان فاضلاً وصنف تاريخاً من سنة عشر وخمسمائة إلى هذه السنة، وكانت وفاته بالحلة السيفية، وكان قدم الشام ومدح الشيخ تاج الدين الكندي واسمه زيد بن الحسن رحمهما الله تعالى بأبيات حسنة فقال[٢]: [البسيط]

لا بدل الله حالاً قد حباك بها … ما دار بين النحاة الحال والبدل

النحو أنت أحق العالمين به … أليس باسمك فيه يضرب المثل

[وفاة ابن المعلم الشاعر]

وفيها: في رجب توفي ابن المعلم الشاعر واسمه أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس الهرثي[٣] (والهرث بضم الهاء وسكون الراء وآخره ثاء مثلثة قرية تحت واسط في نهر جعفر بينها وبين واسط عشرة فراسخ) توفي ابن المعلم بها وأصله منها وكان رقيق الشعر، مليح المعاني أكثر في الغزل ووصف المحبة والشوق والصبابة فمالت القلوب إليه. ومولده سنة إحدى وخمسمائة، ومدح الأمراء والرؤساء والأعيان وديوانه مشهور ومن شعره: [البسيط]

يا نازلين الحمى رفقاً بقلب فتى … إن صاح للبين داع باح مضمره

لا تحسبوا الصد عن عهدي يغيرني … غيري ملازمة البلوى تغيره

وما ذكرتكم إلا وهمت جوى … وآفة المبتلى فيكم تذكره

يزداد في مسمعي تكرار ذكركم … طيباً ويحسن في عيني تفكره

---

(١) في البداية والنهاية ١٣/ ١٢: هو أبو شجاع محمد بن علي بن مغيث بن الدهان الفرضي الحاسب المؤرخ البغدادي والصحيح هو: محمد بن علي بن شعيب المعروف بابن الدهان، فخر الدين أبو شجاع الحاسب الفرضي البغدادي، أقام مدة بالموصل ثم بدمشق، فأكرمه صلاح الدين، توفي راجعاً عن الحج بالحلة له من الكتب: «تاريخ»، «تفسير المجرد»، «تقويم النظر في الخلاف»، «مجدول على وضع تقويم الصحة» «الزيج المشهور»، «غريب الحديث»، «المائدة والفائدة في النوادر والفرائد»، «المنير في الفرائض»، وغير ذلك (كشف الظنون ٦/ ١٠٣).

(٢) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ١٢، ومعهما بيت ثالث وهو:

يا زيد زادك ربي من مواهبه … نعماً يقصر عن إدراكها الأملُ

(٣) انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٢، وشذرات الذهب ٤/ ٣١٠ ـ ٣١١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٤٤، وكشف الظنون ٦/ ١٠٤.

وقال ابن المعلم: اجتزت ببغداد بباب بدر تحت منظرة الخليفة وقد ازدحم الناس فقلت ما هذا؟ قالوا: الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي جالس فزاحمت الناس حتى شاهدته وهو يعظ فاستشهد بهذا البيت: [البسيط]

يـزداد فـي مـسـمـعـي تـكـرار ذكـركـم

ثم قال: لقد أحسن ابن المعلم حيث يقول هذا البيت قال فتعجبت حيث اتفق حضوري وإنشاد الشيخ هذا الشعر ولم يعرفني هو ولا أحد من الحاضرين.

[وفاة الفخر النوقاني]

وفيها: في ثالث صفر توفي الفخر النوقاني الشافعي واسمه محمد بن أبي علي[1] ولد سنة عشر وخمسمائة، وتفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي، وقدم بغداد فاستوطنها وولي التدريس بمدرسة أم الخليفة المجاورة لتربتها عند قبر معروف، وكان فاضلاً مناظراً، وله تصانيف وجدل، خرج حاجاً وعاد إلى الكوفة وهو مريض فتوفي بها ودفن بمشهد أمير المؤمنين.

[وفاة الصدر ابن الخجندي]

وفيها: توفي الصدر ابن الخجندي واسمه محمد بن عبد اللطيف بن محمد أبو بكر[2] رئيس أصبهان وابن رئيسها وبيته مشهور بالرئاسة والتقدم والجاه العظيم. قدم بغداد في سنة ثمان وثمانين فأنعم عليه الخليفة إنعاماً كثيراً وقربه وخلع عليه واحترمه وولاه تدريس النظامية وأوقافها. فلما خرج الوزير ابن القصاب إلى همذان خرج معه ودخل معهم إلى أصبهان، وولى ابن القصاب سنقر الطويل أصبهان. وكان ابن الخجندي ليس على يده يد فحسده سنقر الطويل على مكانته فجرت بينهما منافرة. وقيل اتهموه بمكاتبة خوارزم شاه فذبحوه.

[وفاة المجير مدرس النظامية]

وفيها: توفي المجير مدرس النظامية واسمه محمود بن المبارك بن علي بن

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١١، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٤٤. واسمه في البداية والنهاية «محمود بن علي التوقاني» وفي الكامل في التاريخ «محمود بن علي القوفاني».

(٢) في كشف الظنون ٦/ ٩٢: الخجندي محمد بن عبد اللطيف، وقيل: عبد الله، الخجندي، فخر الدين الطبيب المتوفى بأصبهان سنة ٥٥٢هـ، صنف: «التلويح إلى أسرار التنقيح»، «تنقيح المكنون من مباحث القانون لابن سينا» في الطب.

المبارك أبو القاسم[١] ولد في رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة واشتغل بالأصولين والمذهب وعلم النظر، والحساب وبرع فيها وقرأ على أبي الفتوح الإسفراييني وغيره وسمع الحديث وكان تفقه أولاً على مذهب أحمد بن حنبل ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وأعطى تدريس النظامية وخرج إلى همذان فتوفي بها في ذي القعدة سمع قاضي المارستان، وأبا القاسم بن السمرقندي، والأنماطي وغيرهم وكان صالحاً ديناً ثقة.

[وفاة زعيم الدين ابن الناقد]

وفيها: توفي زعيم الدين ابن الناقد واسمه نصر بن علي بن محمد أبو طالب[٢] ولي حجبة الباب ثم ولي صاحب ديوان، ثم ولي المخزن وهو الملقب بقنبر وإنما لقب بقنبر لأنه صاد ولده قنبراً وخبأه إلى جانب مسنده فخرج القنبر فصاح قنبر قنبر فلقب به، وكان إذا بلغه أن أحداً لقب قنبر يسعى في هلاكه وقيل إنه كان يميل إلى التشيع، وكانت عمامته طويلة فلقبه أهل باب الأزج قنبر (وهو ذكر العصافير) وكان إذا ركب صاحوا: قنبر قنبر. وقرب العيد فأمره الخليفة بالركوب في صدر الموكب فجمع العوام قنابر كثيرة وعزموا على أن يرسلوها حوله في الموكب وقيل للخليفة إن وقع هذا بقي الموكب هتكة فعزله وولى أبا سعيد بن المعوج.

[وفاة سابق الدين صاحب شيزر]

وفيها: في جمادى الآخرة من نقل الخبر بوفاة سابق الدين عثمان صاحب شيزر بها إلى دمشق، وعمل عزاه بالكلاسة وهو أحد أولاد الداية الأربعة وأمهم داية نور الدين بن زنكي رحمه الله تعالى.

[فتح الملك العادل يافا]

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين[٣]

فيها: فتح الملك العادل يافا في شوال بالسيف واستولى على من فيها قتلاً

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣١١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٤٤. وفي كشف الظنون ٦/ ٤٠٤: أبو القاسم محمود بن المبارك بن الحسين البقيرة البغدادي المحدث المعروف بالمحبر البغدادي المتوفى سنة ٥٩٢هـ، له من المصنفات: «مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما» هو أجزاء في الحديث. ولعله هو نفسه.

(٢) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) وخمسمائة. انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٢ ـ ١٤، وشذرات الذهب ٤/ ٣١١ ـ ٣١٥، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٤٥ ـ ٢٤٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٠ ـ ١٦١.

ونهباً وسلباً ثم أمر بهدمها فرميت حجارتها في البحر في ميناها. ومن عجيب ما بلغني أنه كان في قلعتها من الخيالة أربعون فارساً من الفرنج العزب البحرية، فلما تحققوا نقب القلعة وأخذها دخلوا إلى كنيستها وأغلقوا عليهم بابها وتجالدوا بسيوفهم بعضهم لبعض إلى أن هلكوا جميعاً وكسر المسلمون الباب وهم يرون الفرنج ممتنعين فألفوهم قتلى عن آخرهم فتعجبوا من حالهم.

[عودة الأسطول المصري إلى القاهرة]

وفيها: عاد الأسطول المصري إلى القاهرة غانماً سبعين فارساً بذل أحدهم في فدائه ثمانين ألف دينار.

[استعادة الفرنج قلعة بيروت]

وفيها: استعادت الفرنج خذلهم الله قلعة بيروت من نواب أسامة.

[وصول السمين إلى بغداد]

وفيها: قدم حسام الدين أبو الهيجاء السمين بغداد وخرج الموكب للقائه في زي عظيم رتب الاطلاب[١] على ترتيب الشام، وكان في خدمته عدة من الأمراء وكان معه ولد أخيه عز الدين كوز الفرس. وكان رأسه صغيراً وبطنه كبيراً جداً بحيث كان على رقبة البغلة وكان قد رآه عند الخريبة رجل كواز فعمل في ساعته كوزاً على شكله وسبقه فعلقه في السوق فلما اجتاز به ضحك، وعمل بعد ذلك أهل بغداد كيزاناً وسموها أبا الهيجاء السمين على صورته، وأنزله الخليفة بدار العميد غربي بغداد بعد أن عبر إلى الجانب الشرقي وقبل عتبة باب النوبى وأكرمه الخليفة وقام له بالضيافات ثم أمره أن يجرد جماعة من أصحابه مع عسكر الخليفة إلى همذان فجرد جماعة، فلما بعدوا عن بغداد نهبوا خزانة الخليفة وقتلوا جماعة من عسكره ومضوا إلى الموصل والجزيرة وعاد عسكر الخليفة إلى بغداد وقد خرجوا فنقله الخليفة إلى الجانب الشرقي إلى دار عند النظامية كانت لسلطان دمشق قبل نور الدين بن زنكي. وهو: مجير الدين أبق ووكل به ثم خلع عليه بعد ذلك الجبة والفرجية والعمامة السوداء والقباء الأسود وبين يديه الخيل بمراكب الذهب وسار إلى همذان.

---

(١) الأطلاب: جمع طُلْب ـ بضم أوله ـ وهي وحدات صغيرة قد تبلغ أربعمائة يرأسها أمراء يعملون في وظائف البلاط أو الدولة، وكان للسلطان نفسه أطلاب من الفرسان في عدد صغير، ويقول ابن إياس: إن هذا اللفظ ظهر في أيام صلاح الدين الأيوبي، ويذكر المقريزي أن الطلب في لغة الغزّ هو أمير له لواء وبوق ومائتا فارس إلى مائة وسبعين (مصطلحات صبح الأعشى ص٣٦).

[وفاة الست عذراء بنت شاهنشاه]

وفي عاشر محرم: توفيت الست عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب[١] أخت عز الدين فرخشاه وهي التي تنسب إليها المدرسة العذراوية بدمشق بحضرة باب النصر وفيها دفنت.

[وفاة طغتكين بن أيوب]

وفي تاسع عشر شوال: توفي عمها سيف الإسلام طغتكين بن أيوب[٢] بموضع يعرف بالحمراء باليمن وولي اليمن بعده ابنه إسماعيل[٣] فسفك الدماء ثم ادعى الخلافة وانتسب إلى بني أمية فقتل. وفي ثاني عشر ذي الحجة: توفيت والدة الملك العادل بدارها من دمشق المجاورة لدار أسد الدين شيركوه.

وفيها: حج عز الدين سامة من الشام وله آثار بمدينة النبي ﷺ من القناة وعمارة القبة على قبر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

[وفاة ابن الغريق]

وفيها: توفي أحمد بن عيسى الهاشمي والد الواثق بالله ويعرف بابن الغريق[٤] من أهل الحريم الظاهري وكان شاعراً فاضلاً فمن شعره ما اعتذر به الاكتحال يوم عاشوراء: [مخلع البسيط]

لم اكتحل في صباح يوم ... أريق فيه دم الحسين

إلا لحزني وذاك أني ... سودت حتى بياض عيني

وكانت وفاته في ذي القعدة عن ثمانين سنة ودفن بباب حرب.

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٤.

(٢) هو طغتكين بن أيوب بن شاذي، الملك العزيز، سيف الإسلام، ظهير الدين، صاحب اليمن، أخو صلاح الدين، سيّره أخوه إلى اليمن سنة ٥٧٨هـ، ليملكها ويقطع الفتن، وكان شديد السيرة، مضيّقاً على الرعية، يشتري أموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء، وجمع من الأموال الآلاف، وكان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدخره، ولما بلغه وفاة أخيه الناصر خرج يريد مصر، فأشار عليه رجل شريف: إنك تخرج لبلاد لا يُعلم تحصل لك أم لا؟ وتترك بلاداً بفتن فرجع إلى رأيه، كانت ولايته اليمن ست عشرة سنة. (شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص١٩٨ ـ ٢٠٠، وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٨/ ٤٥٣، وفيات الأعيان ٢/ ٢٠٦، مفرج القلوب ٣/ ٧٢، تاريخ أبي الفداء ٣/ ٩٣، النجوم الزاهرة ٦/ ١٤١، البداية والنهاية ١٣/ ١٥، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٤٨، السلوك ١/ ١٤٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٠، شذرات الذهب ٤/ ٣١١).

(٣) ستأتي ترجمته الوافية في وفيات سنة ٥٩٩هـ.

(٤) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

[وفاة ابن الأقساسي]

وفيها: توفي الحسن بن علي بن حمزة أبو محمد بن الأقساسي[١] النقيب الطاهر نقيب العلويين ببغداد كان فاضلاً أديباً وقال نمت ليلة عن صلاتي فرأيت أمير المؤمنين علياً عليه السلام في جامع الكوفة وحوله جماعة فسلمت عليه فلم يرد علي ودفعني بيده فخطر لي أنه بسبب نومي عن الصلاة.

[وفاة صندل بن عبد الله الخادم]

وفيها: توفي صندل بن عبد الله الخادم المقتفوي ويلقب عماد الدين[٢] كان أكبر الخدم وأعقلهم أرسله الخليفة الناصر إلى صلاح الدين مراراً. وكان كثير الصدقات والخير وولي ناظراً بواسط ومدحه ابن المعلم الشاعر بقصائد ودفن بالتربة التي أنشأها عند الجامع غربي بغداد.

[وفاة ابن الباقلاني]

وفيها: توفي ابن الباقلاني واسمه عبد الله بن منصور بن عمر بن أبي بكر[٣] ولد سنة خمسمائة وقرأ بواسط على أبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي وغيره وانفرد بالرواية في القراءات العشر عن القلانسي، وقدم بغداد فقرأ على أبي محمد عبد الله بن علي سبط أبي منصور الخياط وغيره. وكان حسن التلاوة، وكان قدومه إلى بغداد في سنة عشرين وخمسمائة وبعدها، وآخر ما قدمها سنة ست وسبعين وخمسمائة وكانت وفاته بواسط سلخ ربيع الآخر ودفن عند أبيه بمقبرة المصلى، وكان يوماً مشهوداً ورآه بعض الأعيان في المنام فقال له ما فعل الله بك؟ فقال: قد صلى عليَّ سبعون ألفاً من الأبدال. سمع أبا القاسم بن الحصين، وابن السمرقندي، وقاضي المارستان وغيرهم.

[وفاة عبد الوهاب الجيلي]

وفيها: توفي عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلي[٤] ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتفقه، ووعظ. وكان ذكياً ولاه الخليفة المظالم وتربة

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٤.

(٢) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣١٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٤٨، وفي شذرات الذهب والكامل اسمه: عبد الله بن منصور بن عمران.

(٤) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣١٤، واسمه: أبو محمد عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي الأزجي الفقيه الحنبلي الواعظ.

الخلاطية. وكانت مجالس وعظه تمضي في الهزل والمجون قيل له يوماً ما تقول في أهل البيت؟ فقال: أعموني. وكان أعمش والسائل إنما سأل عن أهل بيت رسول الله ﷺ فأجاب عن أهل بيت نفسه، وقيل له بأي شيء تفرق بين المحق والمبطل؟ قال: بليمونة. أراد من تخضب يزول خضابه بليمونة، وكانت وفاته في شوال ودفن في الحلة، سمع أباه، وأبا القاسم بن الحصين، وابن السمرقندي وأبا الوقت وغيرهم.

[وفاة الوزير أبي المظفر الجيلي]

وفيها: توفي الوزير أبو المظفر عبد الله بن يونس بن أحمد الجيلي ولقبه جلال الدين[1] كان في بدء أمره أحد العدول ببغداد، ثم خدم في ديوان الأبنية. ولما مات أبوه يونس توكل لأم الخليفة، ثم ولى صاحب ديوان ثم استوزره الخليفة وبعثه إلى طغريل فكسر على ما ذكر وعاد إلى بغداد فولاه الخليفة الديوان والمخزن، ثم ولاه أستاذ دار ثم عزله. وكان قد قرأ القرآن على صدقة بن الحداد وغيره، وتفقه على أبي حكيم النهرواني، وسمع أبا الوقت وغيره. ولما سافر إلى همذان سمع من أبي العلا الحافظ الهمذاني وكان فاضلاً في الأصولين، والحساب، والهندسة. وله تصنيف في الأصول غير أنه شان فضله بمقاصده السيئة، ورأيه الفاسد، وحقده وحسده، ولجاجه وكسر عسكر الخليفة بلجاجه ومخالفته للأمراء وكونه استعجل على لقاء طغريل، وأخرب بيت الشيخ عبد القادر وشتت أولاده ويقال إنه بعث في الليل من نبش الشيخ عبد القادر ورمى عظامه في اللجة، وقال هذا وقف ما يحل أن يدفن فيه أحد. ولما اعتقله الخليفة كتب فتوى بأنه كان سبب هزيمة عسكر الخليفة. وذكروا أشياء أخر فأفتوا بإباحة دمه. فسلم إلى أحمد ابن الوزير ابن القصاب فبقي في داره. فلما مات ابن القصاب اعتقل في التاج وأخرج في سابع عشر صفر ميتاً ودفن بالسرداب.

وأما صدقة بن الحداد الذي قرأ عليه ابن يونس القرآن فهو صدقة بن الحسين بن الحسن أبو الفتح الناسخ الحنبلي يعرف بابن الحداد حفظ القرآن، وتفقه، وأفتى وناظر لكنه قرأ الشفاء لابن سينا، وكتب الفلاسفة فغير اعتقاده. وكان يبدر من فلتات لسانه ما يدل على سوء عقيدته، وتارة يشفق من حبس ابن

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣١٣ ـ ٣١٤، واسمه في الشذرات: جلال الدين عبد الله بن يونس بن مسعود بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله البغدادي الأزجي الفقيه الحنبلي الفرضي الأصولي المتكلم، وزير الخليفة الناصر.

الراوندي، وتارة يشير إلى عدم بعث الأجساد، وتارة يعترض على القضاء والقدر. وله أشعار تتضمن شيئاً من ذلك. توفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

[وفاة يحيى بن أسعد الخباز]

وفيها: توفي يحيى بن أسعد بن يحيى بن بوش أبو القاسم الخباز البغدادي[١] سمع الكثير وكان قد افتقر في آخر عمره فكان يأخذ على التسميع أجرة. جلس ليلة الأربعاء ثالث ذي القعدة يأكل خبزاً فغص به بلقمة فمات فجأة. سمع قاضي المارستان، وأبا العز بن كادش، وابن الطيوري، وأبا طالب بن يوسف وهو آخر من روى عن أبي طالب. وكان ثقة.

[نزول الفرنج على تبنين]

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة[٢].

ففيها: نزل الفرنج على تبنين وأنفذ العادل محيي الدين بن الزكي إلى العزيز بمصر مستصرخاً فأرسل العساكر وقدم بنفسه فرحل الفرنج خائبين لما تحققوا من قوة العسكر الإسلامي بعد أن أقاموا عليها شهرين وسبعة أيام وأطمعتهم أنفسهم بأخذها ورجع العزيز إلى مصر والعادل إلى دمشق بعد أن تقررت الهدنة مع الفرنج لمدة خمس سنين وثمانية أشهر أولها رابع عشر شعبان سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

وفيها: عاد الأسطول المصري من الغزو بعد أن اجتاز ببلاد لاون ووصل معه إلى مصر من السبي أربعمائة وخمسون أسيراً.

وفيها: حج بالناس من الشام تقي الدين قراجا مملوك صلاح الدين.

[وفاة جرديك النوري]

وفيها: توفي جرديك النوري[٣]. وكان من أكابر أمراء نور الدين. وخدم صلاح الدين في جميع غزواته وهو الذي قتل شاور بمصر وابن الخشاب بحلب وكان شجاعاً جواداً وولاه صلاح الدين القدس.

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣١٥.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٤ ـ ١٦، وشذرات الذهب ٤/٣١٦ ـ ٣١٨، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٥٠ ـ ٢٥٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٦، وفيه «حرديل» وهو تصحيف، وشذرات الذهب ٤/٣١٦، وفيه «جرد بك» وهو تصحيف أيضاً.

[وفاة الحسن بن مسلم الزاهد]

وفيها: توفي الشيخ أبو علي الحسن بن مسلم الزاهد القادسي[1] من قرية بنهر عيسى يقال لها القادسية، كان من الأبدال لازماً لطريق السلف أقام أربعين سنة لم يكلم أحداً من الناس وكان صائم الدهر قائم الليل يقرأ كل يوم وليلة ختمة ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في صفوة الصفوة. وكان زاهد زمانه. وكانت السباع تأوي إلى زاويته. وكان الخليفة وأرباب الدولة يمشون إلى زيارته. وكانت وفاته يوم عاشوراء ودفن في رباطه بالقادسية.

وحكى عنه جماعة من مشايخ القرية أن السباع كانت تنام طول الليل حول زاويته وإذا خرج أحد من القرية في الليل إلى نهر عيسى لم يتعرض له. وأن فقيراً نام في الزاوية في ليلة باردة فاحتلم فنزل ليغتسل فجاء السبع فنام على جبته فكاد الفقير يموت من البرد والخوف فخرج الشيخ حسن وجاء إلى السبع وضربه بكمه وقال: يا مبارك قد قلنا لك لا تتعرض أضيافنا فقام السبع يهرول. سمع قاضي المارستان، وابن الحصين، وابن الطيوري وغيرهم.

[وفاة عماد الدين زنكي بن مودود]

وفيها: توفي في المحرم بسنجار صاحبها عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي[2] ابن أخي نور الدين وختنه على ابنته وكان عاقلاً جواداً ولم يزل مع صلاح الدين في غزواته مجاهداً وكان ميموناً. وكان صلاح الدين يحترمه مثل ما كان يحترم نور الدين ويعطيه الأموال والهدايا والتحف الكثيرة. ولما توفي صلاح الدين خرج مع أخيه عز الدين إلى لقاء العادل. فلما عاد عز الدين إلى الموصل صالح عماد الدين العادل ولما احتضر أوصى إلى أكبر أولاده وهو قطب الدين محمد ويلقب بالمنصور.

[وفاة علي بن زهير]

وفيها: توفي أبو الحسن علي بن زهير[3] قاضي البطايح ولد سنة تسع

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٣١٦/٤، والكامل في التاريخ ٢٥٤/١٠، وفي شذرات الذهب: أبو علي الفارسي الزاهد واسمه الحسن بن مسلم الحنبلي الفارسي من قرية بنهر عيسى يقال لها: الفارسية.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٣١٦/٤، والكامل في التاريخ ٢٥٠/١٠.

(٣) علي بن زهير: كذا بالأصل، وفي البداية والنهاية ١٦/١٣: علي بن رجاء بن زهير بن علي البطائحي.

وعشرين وخمسمائة. وقدم بغداد فسمع بها الحديث من أبي الوقت وابن ناصر وابن الجواليقي وغيرهم وخرج إلى رحبة مالك بن طوق فقرأ الفقه والأدب على أبي عبدالله ابن المتقنة وعاد إلى البطايح فولي القضاء بالعراق ثم عاد إلى بغداد فأقام بها ثم انحدر إلى البطايح فتوفي بطريق واسط وكان ثقة صالحاً. وقال أنشدني القاسم بن علي[١] صاحب المقامات لنفسه: [البسيط]

لا تخطون إلى خط ولا خطأ — من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا
فأي عذر لمن شابت ذوائبه — إذا سعى في ميادين الصبا وخطا

[وفاة علي بن علي بن ناصر]

وفيها: توفي أبو المجد علي بن علي بن ناصر السيد العلوي[٢] مدرس الحنفية ببغداد ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة وتفقه وأفتى وناظر وكان المستنجد الخليفة قد حبسه وطالبه بمال فرأى النبي ﷺ في المنام فقال له: يا يوسف استوص بولدي خيراً فهو وديعتي عندك. فانتبه الخليفة مرعوباً وأحضره وخاطبه وقال: اجعلني في حل فقد شفع فيك من لا يمكنني رده وأحسن إليه وكانت وفاته في ربيع الأول ودفن عند مشهد عبيد الله شرقي بغداد وكان صالحاً شريفاً على الحقيقة. سمع ابن الحصين وقاضي المارستان، وابن السمرقندي وغيرهم.

[وفاة مجاهد الدين قايماز]

وفيها: توفي مجاهد الدين قايماز الخادم الرومي[٣] الحاكم على الموصل الذي بنى الجامع المجاهدي والمدرسة والرباط والمارستان بظاهر الموصل على دجلة ووقف عليها الأوقاف وكانت رواتب كثيرة بحيث لم يدع في الموصل بيتاً فقيراً إلا وأغنى أهله. وكان ديناً صالحاً عادلاً كريماً يتصدق كل يوم خارجاً عن الرواتب بمائة دينار وله حكايات مشهورة. ولما مات عز الدين مسعود وولي ابنه أرسلان شاه حبسه وضيق عليه وآذاه فتوفي في الحبس فأخرج ملفوفاً في كساء فلما وصل إلى باب البلد قال البوابون: قفوا حتى نستأذن له فألقي على قارعة الطريق

---

(١) هو الحريري القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، جمال الدين أبو محمد الحريري، البصري الحرامي، ولد سنة ٤٤٦هـ، وتوفي سنة ٥١٦هـ، من تصانيفه: «توشيح البيان»، «درة الغواص في أوهام الخواص»، «ديوان الرسائل»، «شرح الملحة» له، «المقامات» مشهورة، «ملحة الأعراب وسخنة الآداب» منظومة في النحو (كشف الظنون ٥/ ٨٢٧ ـ ٨٢٨).

(٢) انظر ترجمته في الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٥٤.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣١٧ ـ ٣١٨.

حتى أذن له. وكان لعز الدين مسعود جارية يقال لها اقصرا أولدها الجهة الأتابكية التي تزوجها الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب. وبنت في جبل قاسيون التربة، والمدرسة والمأذنة المنسوبات إليها. وكان عز الدين قد زوج مجاهد الدين هذا أم الأتابكية اقصرا المذكورة.

[وفاة يحيى بن سعيد الواسطي]

وفيها: توفي أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن زيادة الواسطي(١). ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وقدم بغداد واشتغل بالأدب فبرع في الإنشاء، والكتابة وانتهت إليه الرياسة فيهما مع تخصصه بفنون كالفقه، وعلم الكلام، والأصول، والحساب، والشعر جالس أبا منصور الجواليقي وقرأ عليه، وسمع أبا القاسم الصباغ وغيره، وولي للخليفة عدة خدم: حجبة الباب ثم أستاذية الدار، ثم كتابة الإنشاء في آخر أمره. وكانت وفاته في ذي الحجة. ودفن في مقابر قريش.
ومن شعره(٢): [الخفيف]

قد سلوت الدنيا ولم يسلها من ... علقت في آماله والأراجي
وإذا ما صرفت وجهي عنها ... قذفوني في بحرها العجاج(٣)
يستضيئون بي وأهلك وحدي ... فكأني ذبالة في سراج(٤)

[وفاة أبي الهيجاء السمين الكردي]

وفيها: توفي أبو الهيجاء السمين الكردي ولقبه حسام الدين(٥) وقد تقدم أنه قدم بغداد وبعثه الخليفة إلى همذان فلم يتم له أمر، واختلف الأمر عليه، وتفرق عنه أصحابه فخاف من الخوارزمي واستحيا أن يعود إلى بغداد فسار يطلب الشام على دقوقا فلما وصل إليها مرض وأقام بها أياماً فتوفي. وبلغني أنه كان نازلاً على تل فقال: ادفنوني فيه فحفروا له قبراً على رأس التل فظهرت بلاطة عليها اسم أبيه فدفنوه عليه. وقيل كانت وفاته في آخر السنة الثالثة والتسعين.

---

(١) انظر ترجمته في الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٥٤. وشذرات الذهب ٤/ ٣١٨. والبداية والنهاية ١٣/ ١٥ ـ ١٦.
(٢) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ١٥.
(٣) بحرها العجاج: المتلاطم الأمواج.
(٤) ذبالة: فتيلة السراج، وجمعها ذبال.
(٥) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣١٧.

[تولية ابن الشهرزوري القضاء ببغداد]

ثم دخلت سنة خمس وتسعين[1]

ففيها: استدعى الخليفة ضياء الدين بن الشهرزوري إلى بغداد وولاه القضاء بها، وحج بالناس مظفر الدين وجه السبع.

[الإفراج عن أبي الفرج ابن الجوزي]

وفيها: أفرج عن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي فقدم بغداد في شعبان. وخلع عليه. وجلس عند تربة أم الخليفة وكانت تتعصب له، وساعدت في خلاصه. وأنشد بيت الرضي الموسوي[2]: [السريع]

إن كان لي ذنب ولم آته — فاستأنف العفو وهب ما مضى

وأنشد أيضاً: [الوافر]

شقينا بالنوى زمناً فلما — تلاقينا كأنا ما شقينا
سخطنا بعد ما جنت الليالي — فما زالت بنا حتى رضينا
سعدنا بالوصال وكم سقينا — بكاسات الصدود وكم ضنينا
فمن لم يحيى بعد الموت يوماً — فإنا بعد ما متنا حيينا

[وفاة القاضي العباسي]

وفيها: توفي القاضي العباسي وهو: أبو جعفر محمد بن جعفر بن أحمد وقيل أبو الحسين. ويلقب فخر الدين وعماد الدين[3]. وولد سنة أربع وعشرين

---

(١) وخمسمائة، انظر البداية والنهاية ١٣/١٦ ـ ١٩، وشذرات الذهب ٤/٣١٨ ـ ٣٢٣، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٥٥ ـ ٢٦٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٢ ـ ١٦٥.

(٢) الرضي الموسوي: هو الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم الموسوي، نقيب العلوية ببغداد، ولد سنة ٣٥٩هـ، وتوفي سنة ٤٠٦هـ، له من التصانيف: «أخبار قضاة بغداد»، «تلخيص البيان في مجازات القرآن»، «حقائق التنزيل في تفسير القرآن»، «خصائص الأئمة»، «ديوان شعره»، «الرسائل»، «الزيادات في شعر أبي إسحاق الصابي وشعر أبي تمام»، «طيف الخيال»، «كتاب الحسن من شعر الحسين»، انتخبه من شعر ابن الحجاج، «كتاب المتشابه في القرآن»، «مجازات الآثار النبوية»، «نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه»، وغير ذلك (كشف الظنون ٦/ ٦٠).

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/١٩، وفيه: أبو الحسن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي الهاشمي، قاضي القضاة ببغداد.

وخمسمائة. تفقه على أبي الحسن ابن الخل، وسمع الحديث الكبير، وولي قضاء بغداد سنة أربع وثمانين وخمسمائة، وولي قضاء مكة والخطابة. ثم عزل في جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين بحضرة الوزير عبد الله بن يونس بسبب أنه حكم بكتاب مزور. وكانت وفاته في جمادى الآخرة. ودفن بمقبرة العطافية عند جده النقيب أبي جعفر العباسي. سمع أبا الوقت وغيره. وابنه جعفر بن محمد العباسي قدم دمشق وسمع بها كثيراً وببغداد من مشايخهما، ومولده سنة سبعين وخمسمائة وتوفي بحماة في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

[وفاة طرخان بن ماضي]

وفيها: في ذي الحجة توفي تقي الدين طرخان بن ماضي بن جوشن بن علي بن معافى الضرير الشاغوري الشافعي[١]، وكان إماماً للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمهما الله مدة طويلة. ودفن خارج باب الصغير، ومولده بدمشق سنة ثماني عشرة وخمسمائة.

[وفاة ابن فضلان مدرس النظامية]

وفيها: توفي ابن فضلان مدرس النظامية، وهو: أبو القاسم يحيى بن علي بن الفضل[٢]. ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة. وتفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي بنيسابور، وقدم بغداد فناظر وأفتى ودرس وكان مقطوع اليد وقع من الجمل فاعتلت يده فخيف عليه فقطعت وانتفع به خلق كثير ببغداد وغيرها وكانت وفاته في شعبان. وحمل الفقهاء جنازته إلى الوردية. سمع بنيسابور من محمد بن يحيى، وببغداد من محمد بن ناصر، وأبا الوقت وغيرهما وسمع منه ينشد[٣]: [الكامل]

وإذا أردت منازل الأشراف ... فعليك بالإسعاف والإنصاف

وإذا بغى باغ[٤] عليك فخله ... للدهر فهو له مكاف كاف

[وفاة يعقوب بن يوسف خليفة المغرب]

وفيها: توفي خليفة المغرب أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٩، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٦٤.

(٣) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ١٩.

(٤) بغا: ظلم.

عبد المؤمن[١] الذي كسر الفنس عام الزلاقة. وكان قام بالملك بعد أبيه أحسن قيام. نشر كلمة التوحيد. ورفع راية الجهاد. وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأقام الحدود على عشيرته وغيرهم. وكان جواداً، سمحاً، عادلاً، يكرم العلماء، متمسكاً بالشرع، يصلي بالناس الصلوات الخمس، ويلبس الصوف، ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق، حافظاً للسانه. وأوصى في مرض موته إلى ولده أبي عبد الله محمد. وأن يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به. وتوفي في ربيع الأول. فكانت مدة أيامه خمس عشرة سنة. وهو الذي كتب إليه سلطان بلادنا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة سبع وثمانين يستنجده على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين. فلم يجبه إلى ما طلب وقد ذكرنا من أخباره في كتاب الروضتين في سنة سبع وثمانين. وبايع الناس بعده ولده محمداً واستمر على سيرة أبيه، ثم اختلفت الأهواء وحصل النقض على البيت بموت يعقوب رحمه الله.

[فتنة الحنابلة بدمشق]

وفيها: كانت فتنة عبد الغني الحافظ الحنبلي وذلك يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي القعدة. ذكر العز تاج الأمناء أنه اجتمع الشافعية. والحنفية، والمالكية عند المعظم عيسى، والصارم بزغش والي القلعة وكانا يجلسان بدار العدل للنظر في المظالم فكان ما اشتهر من إحضار اعتقاد الحنابلة، وموافقة أولاد الفقيه النجم بن الحنبلي الجماعة، وإصرار عبد الغني المقدسي على لزوم ما ظهر من اعتقاده وهو الجهة، والاستواء؛ والحرف، وإجماع العلماء على الفتيا بكفره، وأنه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين، ولا يحل لولي الأمر أن يمكنه من المقام معهم. فسأل أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد فأجيب. ورفعت جميع الخزائن والصناديق من الجامع، وبطلت صلاة الحنابلة من الجامع الظهر ومنعوا منها، ثم أذن لهم فصلوا العصر من ذلك اليوم قلت: وسيأتي ذكر هذه الفتنة أيضاً في أخبار سنة ستمائة إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٧ ـ ١٨، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٢، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٣.

[وفاة الملك العزيز]

ثم دخلت سنة ست وتسعين[١]

وفيها: توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب الديار المصرية[٢] وعمره سبع وعشرون سنة وثمانية أشهر وأيام، وتوجه أخوه الأفضل من صرخد إلى مصر فدخل القاهرة، ثم استصحب ولد العزيز على أنه أتابكه وخرجا إلى الشام بالعساكر فحصر دمشق وأحرق جميع ما هو خارج باب الجابية من الفنادق، والحوانيت، وأحرق النيرب وأبواب الطواحين وقطعت الأنهار، وانحرقت غلة «حرستا» في بيادرها.

[ظهور العجمي الداعي]

وفيها: ظهر العجمي الداعي بدمشق المدعي أنه عيسى ابن مريم وأفسد جمعاً من العوام فقبض عليه صارم الدين بزغش العادلي، وصلب بعد استفتاء الفقهاء في أمره ظاهر باب الفرج على الصفصاف المجاور لحمام العماد الكاتب، وقد خرب الحمام وما يجاوره من العمران في هذا الزمان. وكان غربي جسر الصيفي مقابل الطاحونة المستجدة خارج باب الفرج من البابين.

[قيام العامة على الشيعة]

وفيها: كان قيام العامة على الشيعة وخروجهم إلى باب الصغير ونبشهم وثاباً المرحل من قبره وتعليقهم رأسه مع كلبين ميتين ثالث عشر ربيع الآخر بعد صلب العجمي بيومين[٣].

---

(١) وخمسمائة، وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٩ ـ ٢٣، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٨، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٥ ـ ١٦٧.

(٢) في البداية والنهاية ١٣/ ١٦، وشذرات الذهب ٤/ ٣١٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٥٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٢. توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين سنة ٥٩٥هـ. في العشرين من المحرم، وكان سبب وفاته أنه خرج إلى الصيد فوصل إلى الفيوم متصيداً فرأى ذئباً فركض فرسه في طلبه فعثر الفرس، فسقط عنه في الأرض ولحقته حمّى، فعاد إلى القاهرة مريضاً فبقي كذلك إلى أن توفي (وانظر ترجمته أيضاً في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٣٥ ـ ٢٥١، ومرآة الزمان ٨/ ٤٦٠، ومفرج الكروب ٣/ ٨٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٤١٤، ومختصر أبي الفداء ٣/ ٩٥، والعبر ٤/ ٢٨٧، والدارس في تاريخ المدارس ١/ ٣٧٨، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٢٠).

(٣) وفي بعض التواريخ أنه لم يزد نيل مصر واشتد الغلاء عليهم والوباء حتى مات أكثر الناس بها جوعاً، وأكل بعضهم بعضاً، وذلك في سنة ست وتسعين، وفيها: ولي ضياء الدين الشهرزوري =

[وفاة ابن حيوس الشاعر]

وفيها: توفي الأمير أبو الحسين أحمد بن حيوس الشاعر[١] ثامن عشر ذي القعدة.

[وفاة خوارزم شاه]

وفيها: توفي خوارزم شاه واسمه تكش بن أرسلان شاه بن آتسز من ولد طاهر بن الحسن[٢]. كان شجاعاً جواداً ملك الدنيا من الصين، والهند، وما وراء النهر إلى خراسان إلى باب بغداد، وكان نوابه في حلوان. وكان في ديوانه مائة ألف مقاتل؛ وهو الذي كسر مملوكه عسكر الخليفة وأزال دولة بني سلجوق، وكان حاذقاً بعلم الموسيقى يقال: لم يكن في زمانه ألعب منه بالعود. وحكى أن الباطنية جهزوا رجلاً ليقتله وكان يحترس كثيراً فجلس ليلة يلعب بالعود، وشرع الخيمة فاتفق أنه غنى بيتاً بالعجمية وفيه ما معناه: قد أبصرتك، وفهم الباطني فخاف منه وارتعد فهرب فأخذ وحمل إليه فقرره فأقر فقتله.

وكان يباشر الحروب بنفسه حتى ذهبت إحدى عينيه في الحروب؛ وكان يقول: الملك إذا لم يباشر الحرب بنفسه لا يصلح للملك لأنه يكون مثل المرأة. وكان قد عزم على قصد بغداد وجمع وحشد فوصل إلى دهستان فتوفي بها في رمضان؛ فحمل في تابوت إلى خوارزم فدفن عند أهله. وقام ولده محمد مقامه. وهو الذي خرج عليه التاتار وعلى ولده جلال الدين وماتا في محاربتهم كما سيأتي ذكره.

[وفاة عبد اللطيف بن إسماعيل]

وفيها: توفي عبد اللطيف بن إسماعيل ابن شيخ الشيوخ أبي سعد وكنيته أبو الحسن ولقبه ضياء الدين[٣] وهو أخو شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل[٤] الذي قدم رسولاً على صلاح الدين من بغداد مراراً وتوفي بالرحبة سنة

= قضاء القضاة ببغداد، وفيها ورد القاضي زين الدين أبو الفضل ابن القاضي مجد الدين بن هندي الحاكم بمدينة حمص إلى مدينة حماة مفارقاً حمص وقضاءها فتلقاه الملك المنصور صاحب حماة بالإعزاز والإكرام. والمصنف ذكر ذلك في سنة سبع وتسعين. والله أعلم. اهـ من هامش الأصل.

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٠، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٦٦، ٢٦٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣٢٧.

(٤) هو صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعد أحمد بن محمد النيسابوري، توفي في رجب سنة ٥٨٠هـ، برحبة مالك بن طوق. وكان مولده في ذي الحجة سنة ٥٠٨هـ. تقدّمت ترجمته الوافية في الجزء الثالث من كتاب الروضتين.

ثمانين. وأما عبد اللطيف فولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وسمع الحديث من والده أبي البركات إسماعيل، ومن قاضي المارستان؛ وابن السمرقندي وغيرهم وكان صالحاً ثقة وكان شيخ الرباط الذي بالمشرعة شرقي بغداد، وحج ثم ركب البحر إلى مصر وراء الشافعي والقدس؛ والخليل وقدم دمشق فتوفي بها في ذي القعدة ودفن بمقابر الصوفية عند المنيبع رحمه الله.

[وفاة أحمد بن علي القرطبي]

وفيها: توفي الشيخ أبو جعفر أحمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل القرطبي(١) إمام الكلاسة الزاهد العابد يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان. قرأ بالموصل القرآن بالروايات على يحيى بن سعدون القرطبي.

[عدد من الوفيات]

وفيها: توفي القاضي الفاضل(٢): وقايماز النجمي(٣). والشهاب الطوسي(٤)؛ وابن العفارة بدر الدين عسكر(٥).

---

(١) ولد سنة ٥٢٨هـ بقرطبة وسمع بها من أبي الوليد بن الدباغ وقرأ القراءات على أبي بكر بن صيف ثم حج وقرأ القراءات على ابن سعدون القرطبي، ثم قدم دمشق فأكثر عن الحافظ ابن عساكر (شذرات الذهب ٤/ ٣٢٣).

(٢) القاضي الفاضل: هو عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف علي بن الحسين بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي البيساني مجير الدين أبو علي العسقلاني، الشهير بالقاضي الفاضل، من وزراء صلاح الدين الأيوبي، ولد بعسقلان سنة ٥٢٩هـ. من تصانيفه: «تاريخ مرتب على الأيام»، «سيرة الملك المنصور»، وغير ذلك من المنظوم والمنثور (انظر ترجمته الوافية في: كشف الظنون ٥/ ٥٦٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢٢ ـ ٢٣، شذرات الذهب ٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٧، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٦٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦، وفيات الأعيان ٣/ ١٥٨ ـ ١٦٣ ـ خريد القصر، قسم مصر ١/ ٣٥، خطط المقريزي ٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧، النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٦، نهاية الأرب للنويري ٨/ ١ ـ ٥١، طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٢٥٣).

(٣) هو الأمير صارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي، كان من أكابر الدولة الصلاحية، وكان عند صلاح الدين بمنزلة الأستاذ، وهو الذي تسلم القصر حين مات العاضد. (البداية والنهاية ١٣/ ٢١).

(٤) هو أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد شهاب الدين الطوسي نزيل مصر وشيخ الشافعية، توفي بمصر عن ٧٤ سنة بنى له الملك عمر بن شاهنشاه المدرسة المعروفة بمنازل العز (انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢١، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨).

(٥) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢١، وفيه: الشيخ العلامة بدر الدين بن عسكر، رئيس الحنفية بدمشق، قال أبو شامة: ويعرف بابن العقادة. وهو تصحيف.

وفيها: توفي الرئيس مؤيد الدين بن العساكر بن الصوفي[١] رابع عشر ذي الحجة.

[وفاة ابن جهبل الكلابي]

وفيها: في رجب توفي بالقدس الفقيه مجد الدين أبو محمد طاهر بن نصر الله بن جهبل الكلابي الحلبي الشافعي[٢]، وكان فاضلاً في علم الوصايا والفرائض، ودرس بالقدس الشريف ومولده بحلب في نيف وثلاثين وخمسمائة، وهو والد الفقهاء بني جهبل الذين كانوا عندنا بدمشق بالمدرسة الجاروخية. بهاء الدين نصر الله، وتاج الدين إسماعيل، وقطب الدين.

[وفاة عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة]

وفيها: توفي أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة بن كليب الحراني[٣] راوي جزء ابن عرفة عن أبي علي بن نبهان، وهو آخر من حدث عنه، وعن أبي القاسم بن بيان، وأحمد بن علي الحلواني. وكانت وفاته في ربيع الأول، ودفن بباب حرب وله خمس وتسعون سنة. وكان ثقة صحيح السماع، وكان يأخذ على سماعه جزء ابن عرفة ديناراً.

[وفاة الظهير النحوي]

وفيها: توفي كامل بن الفتح أبو تمام بن سابور الضرير ويلقب الظهير النحوي[٤] بغدادي اشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما. ومن شعره: [البسيط]

وفي الأوانس من نعمان آنسة ... لها من القلب ما تهوى وتختار

ساومتها نفثة من ريقها بدمي ... وليس إلا خفي الطرف سمسار

عند العزول اعتراضات ولائمة ... وعند قلبي جوابات وأعذار

وكانت وفاته في جمادى الآخرة ودفن بباب حرب.

[وفاة البلخي الواعظ]

وفيها: توفي البلخي الواعظ واسمه محمد بن عبد الله ويلقب بالنظام وبابن

---

(١) هو مؤيد الدين المسيب، وردت أخباره في الجزء الأول من الروضتين، وانظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣٢٤. والبداية والنهاية ١٣/ ٢١.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٠، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٧، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٤) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

الظريف، ولد ببلخ سنة ست وعشرين وخمسمائة، وقدم بغداد فوعظ بها في النظامية، وباب بدر، وجامع القصر، ومدرسة ابن النجيب، ودار ابن حديدة الوزير وكان فصيحاً مليح الصوت، وكان متشيعاً. وأنشد يوماً في النظامية: [البسيط]

سقاهم الليل كاسات السرى فغدوا منه سكارى كأن الليل خمار
وصير الشوق أطواقاً عمائمهم لا يعقلون أقام الحي أم ساروا
ونسمة الفجر إذ مرت بهم سحراً تمايلوا وبدا للسكر آثار

فلم يبق في المجلس إلّا من قام وصاح وتواجد. وأنشد أيضاً: [الطويل]

مددت يدي في الحب نحوك سائلاً وقلت لجفني أذر دمعك سائلا
تفقهت في علم الصبابة والهوى فمن شاء فليلق علي المسائلا

وحكي أنه نقل إلى الخليفة عنه أنه يعاشر النساء، ويرتكب المحرمات، فأرسل إليه الوزير وهو على المنبر فقال: قد رسم أن تخرج من البلد فأنشد: [الطويل]

أبابل لا واديك بالجود منعم لدي ولا واديك بالرفد آهل
لئن ضقت عني فالبلاد فسيحة وحسبك عاراً أنني عنك راحل
وإن كنت بالسحر الحرام مبدله فعندي من السحر الحلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل حسنها فأي مكان فيه خيمت بابل

وأخرج إلى الجانب الغربي من بغداد فمات ودفن في مقابر قريش في صفر.

[وفاة شهاب الدين الطوسي]

وفيها: توفي بمصر الفقيه شهاب الدين محمد الطوسي[1] مدرس منازل العز وقد ذكرته في آخر كتاب الروضتين.

قيل لما كان قدم بغداد ركب بالسنجق والسيوف المسللة والغاشية المرفوعة والطوق في عنق البغلة فمنع من ذلك فسافر إلى مصر ووعظ وأظهر مذهب الأشعري وثارت الحنابلة فكان يجري بينه وبين الزين ابن نجية العجائب من السباب والتكفير. وبلغني أنه سئل: أيما أفضل دم الحسين، أم دم الحلاج فاستعظم ذلك وقال: كيف يجوز أن يقال هذا؟ قطرة من دم الحسين أفضل من مائة ألف دم مثل دم الحلاج فقال السائل: فدم الحلاج كتب على الأرض الله ولا كذلك دم الحسين. فقال الطوسي: المتهم يحتاج إلى تزكية. قلت: وهذا جواب في غاية الحسن في هذا الموضع على أنه لم يصح ما ذكر عن دم الحلاج والله أعلم.

---

(١) تقدّمت ترجمته قبل قليل انظر صفحة ٢٧.

وكانت وفاته في الحادي والعشرين من ذي القعدة وكان يومه مشهوداً ركب فيه الملك العادل وكبراء الدولة وخرج أهل مصر والقاهرة جميعاً مشيعين نعشه إلى حيث دفن من القرافة.

[وفاة الهمام العبدي الشاعر]

وفيها: توفي الهمام العبدي الشاعر واسمه الحسن بن علي العبقسي البغدادي[1]. وذكر القوصي في معجمه أنه وفد على قاضي القضاة محيي الدين محمد بن علي القرشي وهو على رسالته المحتوية على التعزية فأنشد: [الطويل]

ألا قل لناعي الفضل أقصر فإنني تيقنت حقاً أن نعيك باطل
إذا كان محيي الدين في الدست جالساً فما مات في الدنيا من الناس فاضل

[وفاة محمد بن عبد المنعم الصوفي]

وفيها: توفي محمد بن عبد المنعم بن أبي الفضائل الصوفي الميهي شيخ رباط البسطامي ويلقب بالركن[2]، كان جواداً سمحاً لم يكن في أبناء جنسه من يضاهيه في الكرم ما طلب منه أحد شيئاً فمنعه حتى كان يخرج وفي رجليه مداس فيرجع حافياً؛ ويخرج وعليه ثوبان فيرجع عرياناً، وكانت له خلوات ومحاضرات. سمع من شهدة وغيرها. وتوفي في ذي الحجة ودفن في الشونيزية عند والده أبي الفضائل. وفي هذه السنة كان الأفضل والظاهر ومن تابعهما على حصر دمشق والعسكر جاثمة بمنزلتهم وقد حفروا عليها خندقاً من أرض اللوات إلى أرض يلدا مشرقاً احترازاً من مهاجمة من بدمشق لهم فيها. ثم رحل الأفضل والظاهر إلى رأس الماء وافترقا. فسار الأفضل إلى مصر، والظاهر إلى حلب تاسع ربيع الأول. وخرج العادل تابعاً للأفضل فكسر عسكره بموضع يعرف بالقصرين بين الغرابي والسانح ودخل العادل القاهرة ورجع الأفضل إلى صرخد.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن نصر بن عقيل بن أحمد بن علي بن عبد القيس البغدادي الشاعر المعروف بالهمام العبدي قدم دمشق وتوفي بها في شعبان من سنة ٥٩٦هـ، له ديوان شعره. (انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢١، وكشف الظنون ٥/ ٧٠٣).

(٢) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

[وفاة بهاء الدين قراقوش]

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة[١]

ففيها: توفي بهاء الدين قراقوش الأسدي[٢]. وقيل إنه لم يكن مملوكاً لأسد الدين وإنما كان لابن الطقطقي فصحب أسد الدين وتقدم عنده بعد وفاة سيده.

[هبوط نيل مصر]

وفيها: كانت حوادث كثيرة عظيمة منها هبوط نيل مصر فهرب الناس إلى المغرب؛ والحجاز، واليمن والشام تفرق أيدي سبا ومزقوا كل ممزق أعظم من سنة اثنين وستين وأربعمائة في أيام الملقب بالمستنصر بن الظاهر بن الحاكم أحد الخلفاء المصريين. فإن الناس في هذه السنة كان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعده أمه على طبخه وشيه؛ وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا. وكان الرجل يدعو صديقه وأحب الناس إليه إلى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله، وفعلوا كذلك بالأطباء كانوا يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم، وفقدت الميتات والجيف من كثرة ما أكلوها. وكانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم، وكفن السلطان في مدة يسيرة مائتي ألف وعشرين ألفاً، وامتلأت طرقات المغرب والحجاز والشام برمم الناس وصلى إمام جامع الإسكندرية في يوم على سبعمائة جنازة.

[حدوث زلزال عظيم بمصر والشام والساحل]

قال العز بن تاج الأمناء: وجاءت في شعبان زلزلة هائلة من الصعيد فعمت الدنيا في ساعة واحدة هدمت بنيان مصر فمات تحت الهدم خلق كثير، ثم امتدت إلى الشام والساحل فهدمت مدينة نابلس فلم يبق فيها جدار قائم إلا حارة السمرة وكان اشتداد الغلاء والوباء بالديار المصرية من شهر رمضان بحيث بلغ ثمن الإردب ستة دنانير مصرية وخلا أهل الأعمال وصار إلى بلاد الفرنج منهم جمع حملوا إلى الجزائر البحرية. وأقر كثير ممن تفرق في البلاد الإسلامية بالعبودية لمن يؤويه ويطعمه وأشرفت الأعمال المصرية على الخراب الكلي لولا تدارك لطف الله تعالى بإجراء نيلها والإسعاد بما كان للملك العادل فيها من الغلال التي صرفها في تقاوي البلاد ومؤن إعانة، وبيعاً، وصدقة فتماسك من كان مقيماً بها وتراجع إليها

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٣ ـ ٢٨، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٨ ـ ٣٣٣، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٦٩ ـ ٢٧٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٧ ـ ١٧٠.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٧، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣١ ـ ٣٣٢، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٧٥.

من قدر على الرجوع من أهلها. قال أبو المظفر. ومات تحت الهدم ثلاثون ألفاً وهدمت عكا، وصور وجميع قلاع الساحل وامتدت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق، وأكثر الكلاسة، والبيمارستان النوري وعامة دور دمشق إلا القليل وهرب الناس إلى الميادين وسقط من الجامع ست عشرة شرفة وتشققت قبة النسر وتهدمت بالناس وهو بين بين. وخرج قوم من بعلبك يجنون الريباس من جبل لبنان فالتقى عليهم الجبلان فماتوا بأسرهم، وتهدمت قلعة بعلبك مع عظم حجارتها ووثيق عمارتها وامتدت إلى حمص، وحماة، وحلب، والعواصم وقطعت البحر إلى قبرص وانفرق البحر فصار أطواداً وقذف بالمراكب إلى الساحل فتكسرت، ثم امتدت إلى أخلاط، وأرمينية، وأذربيجان، والجزيرة وأحصى من هلك في هذه السنة على سبيل التقريب فكان ألف ألف إنسان ومائة ألف إنسان وكان قوة الزلزلة في مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الإنسان سورة الكهف ثم دامت بعد ذلك أياماً. نقلت جميع ذلك من تاريخ أبي المظفر سبط الجوزي رحمه الله.

[حصار دمشق من قبل الأفضل والظاهر]

قال: وفي مستهل ذي القعدة حوصرت دمشق، جاء الأفضل، والظاهر وكان العادل بمصر. وجاء حسام الدين بشارة من بانياس نجدة لهما فقاتلوا دمشق أياماً، وكان بها المعظم عيسى بن العادل. وبلغ العادل فجاء ونزل نابلس وبعث فأصلح الأمراء، وزحف الأفضل، والظاهر فوصلوا إلى باب الفراديس وأحرقوا فندق تقي الدين فقاتلهم المعظم وحفظ البلد فأقاموا نحو شهرين، وبعث العادل فأوقع الخلف بين الأخوين فرحلوا سلخ ذي الحجة، وجاء العادل فدخل دمشق ومضى المعظم، وشركس، وقراجا فحاصروا بانياس وبها حسام الدين بشارة فقاتلهم فقتل ولده وأخرجوه من البلاد وتسلمها شركس، وتسلم قراجا صرخد. وحج بالناس طاشتكين وكان الخليفة قد أفرج عنه ورد إليه قطاعه وماله.

[وفاة إبراهيم بن المقدم]

وفيها: توفي عز الدين إبراهيم بن المقدم[١] وكان شجاعاً عاقلاً وله قلعة بارين، وفامية، ومنبج؛ والروندان ودفن بدمشق بمقبرة باب الفراديس. وكان له بنات وابن وهو المقتول بعرفات.

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٧، وقال ابن الوردي: بعد وفاة عز الدين إبراهيم بن المقدم، صارت منبج وقلعة نجم وفامية وكفرطاب بعده، لأخيه شمس الدين عبد الملك، فحصر الظاهر منبج وملكها وأنزل عبد الملك من قلعتها بالأمان واعتقله، ثم حصر قلعة نجم وملكها في آخر رجب منها.

[وفاة ناظر نهر الملك ببغداد]

وفيها: توفي ناظر نهر الملك ببغداد واسمه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم وكان متزهداً يلبس القطن الفوط ويعدل في الرعية ويحسن إليهم. أمر الخليفة الناصر بصلبه فصلب على كرسي جسر بغداد وعليه القميص الفوط على جانب نهر عيسى، فمر به الخليفة وهو مصلوب في وسط الجذع. فقال: يتنمس علينا ارفعوه إلى رأس الجذع. وكان شجاعاً مهيباً وحزن الناس عليه.

[صلب الخليفة ببغداد لعبد الرشيد بن عبد الرزاق الكرجي]

وقبل ذلك في سنة ست وثمانين واقعة أبشع من هذه كان ببغداد عبد الرشيد بن عبد الرزاق الكرجي (بالجيم) الصوفي يتفقه بدار الذهب. وكان ورعاً عاقلاً عابداً، وكان ببغداد صوفي يقال له النفيس يضحك منه ويسخر به، وكان يدخل على الخليفة فدخل يوماً مدرسة دار الذهب فجعل يتمسخر. فقال له الكرجي: اتق الله نحن نبحث العلم وأنت تهزل ما هذا موضعه. فدخل على الخليفة وبكى بين يديه وقال: ضربني الكرجي وعيرني. فغضب الخليفة وأمر بصلبه. فأخرج وعليه ثوب أزرق من ثياب الصوفية إلى الرحبة ونصبوا له خشبة ليصلبوه. فقال: دعوني أصلي ركعتين فصلى وصلبوه فجاء خادم من عند الخليفة فقال: لا تصلبوه وقد فات فلعن الناس النفيس الصوفي وبقي أياماً لا يتجاسر يظهر ببغداد ورأى الكرجي بعض الصالحين في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: وقفني الحق بين يديه فقلت: يا إلهي رضيت ما جرى علي؟ فقال: أو ما سمعت ما قلت في كتابي: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]. أي إني أردت أن تصل إلى مرتبة الشهداء.

[وفاة أبي الفرج ابن الجوزي]

وفيها: توفي الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي الواعظ واسمه عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي ابن عبد الله بن القاسم بن النصر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أبو الفرج بن أبي الحسن القرشي التيمي(١). وجعفر الجوزي منسوب إلى فرضة من فرض البصرة

---

(١) ولد سنة ٥١٠هـ، له أكثر من ٢٥٠ كتاباً ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون ٥/ ٥٢٠ ـ ٥٢٣. انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٥ ـ ٢٦، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٩ ـ ٣٣١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٧٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠، وكشف الظنون ٥/ ٥٢٠ ـ ٥٢٣.

يقال لها جوزة، وفرضة النهر ثلمته التي يستقي منها. قال سبطه أبو المظفر. ولد جدي ببغداد بدرب حبيب. في سنة عشر وخمسمائة تقريباً. وتوفي أبوه وله ثلاث سنين، وكانت له عمة صالحة، وكان أهله تجاراً في النحاس ولهذا رأيت في بعض سماعاته وكتب عبد الرحمن الصفار، فلما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر فاعتنى به وأسمعه الحديث، وقرأ القرآن؛ وتفقه. وقد ذكر من مشايخه في المشيخة نيفاً وثمانين شيخاً، وعنى بأمره شيخه ابن الزاغوني وعلمه الوعظ واشتغل بفنون العلم وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي، وصنف الكتب في فنون قيل بلغت مصنفاته نحو ثلاثمائة مصنف، وحضر مجالسه الخلفاء، والوزراء، والأمراء والعلماء، والأعيان وأقل ما كان يحضر مجالسه عشرة آلاف. وربما حضر عنده مائة ألف وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة. وكان زاهداً في الدنيا متقللاً عنها وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره. كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرة آلاف يهودي ونصراني، وكان يجلس بجامع القصر الرصافة، وجامع المنصور وباب بدر، وتربة أم الخليفة وغيرها وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة وللمجلس وما مازح أحداً قط، ولا لعب مع صبي ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها. وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى.

وقد ذكرنا محنته التي زاحم بها الأنبياء، والعلماء، والفضلاء، والأولياء وتلقى ذلك بالصبر والحمد والشكر وقد أثنى عليه العلماء فذكره أبو عبد الله محمد بن الدبيثي في الذيل الذي ذيله على تاريخ السمعاني فقال:

شيخنا الإمام جمال الدين ابن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم من التفاسير، والفقه، والحديث، والتواريخ وغير ذلك، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه والوقوف على صحيحه من سقيمه وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال ومعرفة الأحاديث الواهية، والموضوعة، والانقطاع، والاتصال، وكان من أحسن الناس كلاماً وأتمهم نظاماً وأعذبهم لساناً وأجودهم بناناً.

تفقه على أبي بكر الدينوري، وقرأ الوعظ على الشريف أبي القاسم العلوي وأبي الحسن بن الزاغواني. وبورك له في عمره وعمله فروى الكثير وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة. وحدث بمصنفاته مراراً.

قال وأنشدني بواسط لنفسه: [مجزوء الكامل]

يا ساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق

وأعـــد زاداً لـــلـــرحـــيـــل فـسـوف تـحـدي بـالـرفـاق
وابـــك الـــذنـــوب بـــأدمـــع تـنـهـل مـن سـحـب الـمـآق
يـــا مـــن أضـــاع زمـــانـــه أرضـيـت مـا يـفـنـى بـبـاق

فـصـل

في نتف من كلامه

قال له قائل ما نمت البارحة من شوقي إلى المجلس. فقال نعم. لأنك تريد أن تنفرج، وإنما ينبغي أن لا تنام الليلة لأجل ما سمعت.

وقيل له: إن فلاناً أوصى عند الموت. فقال: طين سطوحه في كانون.

وقال له قائل: أيما أفضل أسبح. أم أستغفر؟ فقال: الثياب الوسخة أحوج إلى الصابون من البخور.

وقال في قوله عليه السلام: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين»[1] إنما طالت أعمار القدماء لطول البادية، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل جثوا المطي.

ووعظ الخليفة يوماً فقال: يا أمير المؤمنين، إن تكلمت خفت منك، وإن سكت خفت عليك، فأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك لمحبتي لدوام أيامك. إن قول القائل اتق الله خير من قول القائل إنكم أهل بيت مغفور لكم، وقد قال الحسن البصري[2]: لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تبلغ المأمن خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف؛ وكان عمر بن الخطاب يقول: إذا بلغني عن عامل أنه ظلم الرعية ولم أغيره فأنا الظالم.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب ١٠١، حديث ٣٥٥٠، وابن ماجه حديث ٤٢٣٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٧٠، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٧، والهيثمي في موارد الظمآن ٢٤٦٧، ومجمع الزوائد ١٠/ ٢٠٦، وابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٥٧، ٦/ ٥٤١، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٣٥، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٥٢٨٠، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ١٦٣، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦/ ٣٩٧، والشجري في الأمالي ٢/ ٢٤٩، والألباني في السلسلة الصحيحة ٧٥٧، والشوكاني في الفوائد المجموعة ٢٦٨، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٥٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٦٩٧، وابن كثير في البداية والنهاية ١٣/ ٢٩.

(٢) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، وقيل: مولى جابر بن عبد الله، الإمام الفقيه المشهور، أحد التابعين الكبار، وإمام أهل البصرة، توفي سنة ١١٠هـ. (البداية والنهاية ٩/ ٢٢٤، ٢٣٠).

يا أمير المؤمنين، كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمان القحط لئلا ينسى الجياع. وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول: قرقر إن شئت أو لا تقرقر فوالله لا شبعت والمسلمون جياع. فتصدق الخليفة المستضيء بصدقات كثيرة وأشبع الجياع وأطلق الحبوس.

وقال في فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١] يفتخر فرعون بنهر ماء أجراه ما أجراه. وقال في قصة الذين عبدوا العجل، لو أن الله خار لهم ما خار لهم.

وذكر قصة معاذ بن جبل في القراءة فقال: طاب له ارتضاع ثدي التلاوة فمر على وجهه فقيل له أفتان أنت؟ ليس الكل على طريقتك الولد لا تعد عليه الرضعات إنما تعد على الأجانب لإثبات نسب الرضاع.

وقال يوماً وقد طرب أهل المجلس: فهمتم، فهمتم.

وسئل عن قوله عليه السلام: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»[1] فأعطاها علياً. فأين كان أبو بكر. فقال: لما كان يوم بدر قام أبو بكر ليقاتل فقال له رسول الله ﷺ: «متعنا بنفسك»[2] ولما كان يوم خيبر سلم الراية إلى علي فقال له: «أخرج فقعود من قعد بالأمر كخروج من خرج بالأمر»ولكن في قوله متعنا بنفسك. فضيلة.

وسئل لم لم ينص النبي ﷺ على خلافة أبي بكر؟ فأجاب: أنه قد جرت أشياء تجري مجرى النص منها قوله: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»[3] و«اقتدوا باللذين من بعدي»[4] و«هلموا أكتب لأبي بكر كتاباً لئلا يختلف عليه المسلمون»[5] فهذه أحاديث تجري مجرى النص فهمها الخصوص غير أن الرافضة في إخفائها كاللصوص.

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٠٢، ١٢١، ١٤٣، وفضائل الصحابة باب ٩، والترمذي في المناقب باب ٢٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٧٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٨٦، والقرطبي في تفسيره ١٠/ ١٩، ١٧/ ٣٠٧.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ٩٤، ٩٥، ١٠١، والترمذي حديث ٣٦٧٢، والنسائي ٢/ ٩٩، وابن ماجه حديث ١٢٣٢، ١٢٣٤، ١٢٣٥، وأحمد في المسند ٤/ ٤١٢، ٤١٣، ٦/ ٣٤٥، ٩٦، ٢١٠، ٢٢٩، ٢٧٠.

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب باب ١٦، ٣٧، وابن ماجه في المقدمة باب ١١، وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠٢.

(٥) أخرجه بنحوه البخاري في العلم باب ٣٩، والجهاد باب ١٧٦، والاعتصام باب ٢٦، ومسلم في الوصية حديث ٢٠ ـ ٢٣، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٢، ٢٩٣، ٣٢٤، ٣٥٥.

قال السائل: لما قال أقيلوني ما سمعنا مثل جواب علي. والله لا أقلناك. فقال: لما غاب علي عن البيعة في الأول أخلف ما فات بالمدح في المستقبل ليعلم السامع والرائي أن بيعة أبي بكر وإن كانت من ورائي فهي رأيي، ومثل ذلك الصدر لا يرائي. وما أحسن استدلاله حين قال رضيك رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاك لدنيانا.

وسأل سائل: ما الذي وقر في صدر أبي بكر؟ فقال: قوله ليلة المعراج إن كان قال فقد صدق فله السبق.

وسأل آخر: سيف علي نزل من السماء فسعفة أبي بكر من أين؟ فقال: إن سعفة أبي بكر هزت يوم الردة فأثمرت سبياً جاء منه مثل ابن الحنفية لأمضى من سيوف الهند.

ثم قال: يا عجبا الرافضة إذا مات لهم ميت تركوا معه سعفة من أين ذا الصلح؟!

سأل سائل: ما معنى قوله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر»[1]، فقال: الميت يقسم ماله، ويلبس الكفن، وأبو بكر أخرج المال كله وتجلل بالعباء.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣] قال علي: والله إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان، وطلحة، والزبير منهم.

ثم قال أبو الفرج: إذا اصطلح الخصوم فما بال النظارة.

وقال: قال جبريل للرسول عليه السلام: سلم على عائشة ولم يواجهها بالخطاب احتراماً لزوجها، وواجهه لمريم لأنه ما كان لها زوج فمن يحترمها جبريل كيف يجوز في حقها الأباطيل.

وسئل عن لعنة يزيد بن معاوية. فقال: قد أجاز أحمد بن حنبل لعنته ونحن نقول، ما نحبه لما فعل بابن بنت نبينا، وحمله آل رسول الله ﷺ سبايا إلى الشام على أقتاب الجمال. وتجرئه على الله ورسوله فإن رضيتم بهذه المصالحة في قولنا. ما نحبه وإلا رجعنا إلى أصل الدعوى يعني جواز لعنته. ثم قال أما أبوه ففي خفارة الصبحة فدعوه من أيديكم وأنتم في حل من الابن قال: وقال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[2]، وما رآها يزيد قط ودخلها.

---

(١) روي الحديث بلفظ: «من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله، أخرجه بهذا اللفظ: ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٢٤٩، والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٧٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٤٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٣٣٧١.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٨٤، ٨٦، وأبو داود في الإمارة ـ باب ٢٥، وأحمد في =

ثم قال: لا تدنسوا وقتنا بذكر من ضرب بالقضيب ثنايا كان رسول الله ﷺ يقبلها فجعلها يزيد غرضاً لبلوغ غرضه.

قلت: كان أبو الفرج رحمه الله مبتلى بالكلام في مثل هذه الأشياء لكثرة الرافضة ببغداد وتعنتهم له في السؤالات فيها. وكان بصيراً بالخروج منها بحسن إشاراته، وذكر يوماً حديث داود وهبة آدم له من عمره ستين سنة. وأن الله تعالى أتم لداود مائة ولآدم ألفاً. ثم قال: المتوسط بين اثنين إذا كان كريماً غرم.

[أشعار لابن الجوزي]

ولأبي الفرج أشعار كثيرة. قيل إنها نحو عشر مجلدات، وقد ذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه فمن الأشعار المنسوبة إليه: [السريع]

يا صاحبي إن كنت لي أو معي ... فعج على وادي الحمى نرتع
وسل عن الوادي وسكانه ... وأنشد فؤادي في ربا المجمع
حي كثب الرمل رمل الحمى ... وقف وسلم لي على لعلع
واسمع حديثاً قد روته الصبا ... تسنده عن بانة الأجرع
وابك فما في العين من فضلة ... ونب فدتك النفس عن مدمعي
وانزل على الشيخ بواديهم ... وقل ديار الظاعنين اسمعي
رفقاً بنضو قد براه الأسى ... يا عاذلي لو كان قلبي معي
لهفي على طيب ليال خلت ... عودي تعودي مدنفاً قد نعي
إذا تذكرت زماناً مضى ... فويح أجفاني من مدمعي
يا نفس كم أتلو حديث المنى ... ضاع زماني بالمنى فاقطعي

ومنها: [الرجز]

في شغل من الرقاد شاغل ... من هاجه البرق بسفح عاقل
يا صاحبي هذي ديار ربعهم ... قد أخبرت شمائل الشمائل
واطربي إذا رأيت أرضهم ... هذا وفيها رميت مقاتلي
ما للصبا مولعة بذي الصبا ... أصبا فوق الغرام القاتل
ما للهوى العذري في بلادنا ... أين العذيب من قصور بابل
يا بانة الشيح سقيت أدمعي ... ولا ابتليت بالهوى تمايلي

= المسند ٢/ ٢٩٢، ٥٣٨، ٤/ ٣٣١، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٣٤، ٩/ ١١٧، ١١٨، ١٧١، والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٩.

ميلك عن زهو وميلي أسى ما طرب المخمور مثل الثاكل
لله در العيش في ظلالهم ولي وكم أسار في المفاصل

ومنها: [مجزوء الرجز]

تملكوا واحتكموا وصار قلبي لهم
تصرفوا في ملكهم فلا يقال ظلموا
إن وصلوا محبهم أو قطعوا فهم هم
اصبر على ما شاؤوا شاء الذي قد حكموا
يا ليت شعري إذ غدوا أأنجدوا أم أتهموا
تشتاقهم أرض منى ومكة وزمزم

فصل

في وفاة أبي الفرج رحمه الله

جلس يوم السبت سابع شهر رمضان تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي. قال سبطه أبو المظفر: وكنت حاضراً فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس وهي: [الكامل]

الله أسأل أن تطول مدتي وأنال بالإنعام ما في نيتي
لي همة في العلم ما من مثلها وهي التي جنت النحول هي التي
خلقت من العلق العظيم إلى المنى دعيت إلى نيل الكمال فلبت
كم كان لي من مجلس لو شبهت حالاته لتشبهت بالجنة
اشتاقه لما مضت أيامه عطلا وتعذر ناقة إن حنت
يا هل لليلات تقضت عودة أم هل إلى وادي منى من نظرة
قد كان أحلى من تصاريف الصبا ومن الحمام مغنياً في الأيكة
فيه البديهات التي ما نالها خلق بغير تصبر ومبيت
برجاحة وفصاحة وملاحة يقضي لها عدنان بالعربية
وبلاغة وبراعة ويراعة ظن النباتي أنها لم تنبت
وإشارة تبلى الأديب وصحبة في رقة ما قالها ذو الرمة

قلت: أظن هذه الأبيات نظمها في أيام محنته إذ كان محبوساً بواسط فمعانيها

دالة على ذلك والله أعلم ثم قال أبو المظفر: ونزل من المنبر فمرض خمسة أيام وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في داره ببغداد. قال: وحكت لي والدتي رحمها الله أنها سمعته يقول قبيل موته: ايش أعمل بطواويس (يرددها) قد جبتم لي هذه الطواويس. وحضر غسله شيخنا ضياء الدين بن الجبير وقت السحر، واجتمع أهل بغداد وغلقت الأسواق، وجاء أهل المحال وشددنا التابوت بالحبال وسلمناه إليهم فذهبوا به إلى تحت التربة مكان جلوسه فصلى عليه ابنه أبو القاسم علي اتفاقاً لأن الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور فصلوا عليه وضاق بالناس. وكان يوماً مشهوداً لم نصل إلى حفرته عند قبر أحمد بن حنبل إلى وقت صلاة الجمعة، وكان في تموز وأفطر خلق كثير ممن صحبه ورموا نفوسهم في خندق الظاهرية في الماء وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا قليل وأنزل في الحفرة والمؤذن يقول: الله أكبر، وحزن الناس عليه حزناً شديداً، وبكوا بكاء كثيراً، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشموع والجماعات. ورآه تلك الليلة رجل صالح في منامه وهو على منبر من ياقوت مرصع بالجواهر وهو جالس في مقعد صدق والملائكة جلوس بين يديه والحق سبحانه حاضر يسمع كلامه. قال: وأصبحنا يوم السبت عملنا عزاءه وتكلمت فيه وحضر خلق عظيم.

قال: ومن العجائب أنا كنا جلوساً عند قبره عند انفضاض العزاء وإذا بخالي محيي الدين يوسف قد صعد من الشط وخلفه تابوت فعجبنا وقلنا ترى من مات في الدار؟ وإذا بها خاتون أم ولد جدي والدة محيي الدين وعهدي بها في ليلة الجمعة التي مات فيها جدي في عافية قائمة ليس بها مرض فكان بين موتها وموته يوم وليلة، وعد الناس ذلك من كراماته لأنه كان مغرى بها في حال حياته، وأوصى جدي أن يكتب على قبره: [مجزوء الرمل]

يا كثير العفو عمن كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو الـ صفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء الضـ يف إحسان إليه

وهذا البيت تضمين.

فصل

في ذكر أولاده

قال أبو المظفر: وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة عبد العزيز وهو أول أولاده، وأبو القاسم علي، وأبو محمد يوسف. فأما عبد العزيز وكنيته أبو بكر: تفقه على

مذهب أحمد وسمع أبا الوقت، وابن ناصر والأرموي، وجماعة من مشايخ والده، وسافر إلى الموصل ووعظ وحصل له القبول التام فيقال إن بني السهروردي حسدوه فدسوا إليه من سقاه السم فمات بالموصل سنة أربع وخمسين في حياة والده.

وأما أبو القاسم: فكتب الكثير وسمع الحديث من ابن البطي وغيره، وهو الذي أظهر مصنفات والده وباعها مع العسر فيمن يزيد، ولما مضى والده إلى واسط كانت كتبه في داره بدرب دينار فتحيل عليها بالليل والنهار حتى أخذ منها ما أراد وباعها ولا بثمن المداد،وكان أبوه قد هجره منذ سنين فلما امتحن أبوه صار إلباً عليه للمعادين، وتوفي سنة ثلاثين وستمائة وله ثمانون سنة.

وأما أبو محمد يوسف ولقبه محيي الدين[1]، فولد في سنة ثمانين وخمسمائة وسمع الحديث الكثير وتفقه وناظر ونشأ على الطريق الرشيدة والخلائق الحميدة، وهو كان السبب في خلاص والده من واسط. ووعظ بعد وفاة أبيه تحت تربة والدة الخليفة، وقامت بأمره أحسن قيام، ثم ولي الحسبة جانبي بغداد في سنة أربع وستمائة إلى تسع وستمائة. ثم وليها من سنة خمس عشرة وستمائة إلى. . .[2] وسلك طريق العقل والسداد وترسل عن الخلفاء إلى الملوك. وأول ترسله عن الإمام الظاهر بن الناصر في سنة ثلاث وعشرين وستمائة إلى أولاده العادل الأشرف والمعظم والكامل وآخر ما انفصل عن الشام في سنة خمس وثلاثين وستمائة إلى بغداد وفي تلك السنة توفي صاحب الروم والأشرف والكامل ثم ولي أستاذية الدار في سنة أربعين للإمام المستعصم بن المستنصر بن الظاهر. قلت: ولقي على ذلك إلى أن قتله التاتار لعنهم الله. استولوا على بغداد وهي سنة خمس وخمسين وستمائة مع من قتلوه من الأكابر الذين خرجوا مع الخليفة إليهم على ما سنذكره إن شاء الله.

قال أبو المظفر: كان لجدي عدة بنات منهن والدتي رابعة، وشرف النساء، وزينب، وجوهرة وست العلماء الكبرى، وست العلماء الصغرى، وكلهن سمعن الحديث من جدي وغيره.

وقال الشيخ أبو الفرج في كتاب المنتظم في أخبار سنة إحدى وسبعين وخمسمائة: وفي هذه السنة عقد عقد ابنتي رابعة بباب حجرة الخليفة وحضر قاضي القضاة والعدول والخدم والأكابر على أبي الفتح بن رشيد الطبري، قال: وزوجت ابني أبا القاسم بابنة الوزير يحيى بن هبيرة في ذلك اليوم وكان الخاطب ابن المهتدي.

---

(١) ومحيي الدين ابن الجوزي هذا هو الذي بنى المدرسة الجوزية بالبزورية (سوق القمح) بدمشق أيام كان به. اهـ. من هامش الأصل.

(٢) بياض بالأصل.

قال أبو المظفر: هذه رابعة والدتي هي تزوجها ابن رشيد الطبري وهو أول أزواجها ولم يطل عمره معها ثم زوجها جدي بوالدي بعد موت ابن رشيد. وقد سمعت الحديث على ابن البطي، وثابت بن بندار، ومعظم مشايخ جدي. قال أبو الفرج: وزفت إلى ابن رشيد في المحرم سنة اثنتين وسبعين في دار الجهة بنفشا جهة الخليفة وجهزتها بمال عظيم.

قال أبو المظفر: ما قصد جدي بهذا الكلام إلا إعلام بمكانته وعلو منزلته عند الخليفة. وإن أحداً من أبناء جنسه لم يصل إلى مرتبته.

فصل

[وفاة العماد الكاتب الأصفهاني]

وفي هذه السنة أيضاً وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة توفي في مستهل شهر رمضان العماد الكاتب الأصفهاني(١) وكان كاتب الإنشاء في الدولتين النورية، والصلاحية، وكان مبرزاً في النظم والنثر عارفاً بالأدب، حافظاً لدواوين العرب. وقد ذكرت له ترجمة حسنة في تاريخ دمشق في حرف الميم، وأخباره مفرقة في كتابي الذي سميته بالروضتين وقد ذكر هو نفسه أيضاً في كتابه الذي سماه بالخريدة، ومن شعره: [الكامل]

بالله يا ريح الشمال تحملي ... مني التحية نحو ذاك المنزل
خفي على حمل السلام وخففي ... عن قلب صب بالصبابة مثقل
قولي لمن شغل الفؤاد بحبه ... ويخال أن فؤاده منه خلي
حلت عقود دموعه وعقوده ... وعهوده معقودة لم تحلل
سقيا لأحباب تبدل ودهم ... بعدي ولم أنقض ولم أتبدل
الظاعنين وودهم مستوطن ... والراحلين وذكرهم لم يرحل
لي بعدهم حال المعنى المبتلى ... حزناً وعين الساهر التململ
يا راكباً يطوي الفلا مستعجلاً ... هيجت أحزاني فلا تستعجل
أقفلت باب مسرتي وفتحت من ... دمعي وحزني كل باب مقفل
عرج وعج نحو الحمى سقي الحمى ... اعدل فليس عن الحمى من معدل

(١) تقدّمت ترجمته في الجزء الأول والجزء الرابع من كتاب الروضتين، وانظر ترجمته أيضاً في: البداية والنهاية ١٣/ ٢٦ ـ ٢٧، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٧٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٨.

ومنه: [الطويل]

أيا ساكني مصر عفا الله عنكم وعفاكم مما ألاقيه منكم
أبيت على هجرانكم متندماً ومن ينأ عنكم كيف لا يتندم
فإن كنتم لم تعلموا ما لقيته من الوجد والأشواق فالله يعلم
بقيتم وعشتم سالمين من الأذى ومنية قلبي أن تعيشوا وتسلموا

[وفاة مكلبة المستنجدي]

وفيها: توفي مكلبة بن عبد الله المستنجدي(١). وكان صالحاً يقوم الليل سمع المؤذن يقول وقت السحر في المئذنة(٢): [مجزوء الرمل]

يا رجال الليل جدوا رب صوت لا يرد
ما يقوم الليل إلا من له عزم وجد

فبكى مكلبة بكاء شديداً وصاح يا مؤذن زدني. فقال المؤذن(٣): [مجزوء الرمل]

قد مضى الليل وولى وحبيبي قد تجلى

فصاح مكلبة ومات. فأصبح جمع من بغداد على باب داره وكان يوماً عظيماً لم ير ببغداد مثله فالسعيد من وصل إلى كفنه، وقطع الكفن. ودفن بالوردية.

[وفاة أبي منصور بن نقطة]

وفيها: توفي أبو منصور بن نقطة المزكلش(٤). كان يقول:

كان. وكان. ولا يعرف الخط. وهو: أخو عبد الغني بن نقطة الزاهد. وهو: عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع. كان له زاوية ببغداد يأوي إليها الفقراء، وكان ديناً جواداً سمحاً لم يكن ببغداد في عصره من يقاومه في التجريد. كان يفتح عليه قبل غروب الشمس بألف دينار فيفرقها والفقراء صيام لا يدخر لهم منها شيئاً ويقول: نحن لا نعمل بأجرة (يعني لا نصوم ونذكر ما نفطر عليه). وكانت والدة الخليفة الناصر تحسن الظن به، زوجته بجارية من خواصها، ونقلت معها جهازاً يساوي عشرة آلاف دينار فما حال الحول وعنده منه سوى هاون. فجاء فقير فوقف على الباب وقال: لي

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٧.
(٢) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ٢٧.
(٣) البيت في البداية والنهاية ١٣/ ٢٧.
(٤) هو أبو منصور بن أبي بكر بن شجاع ويعرف بابن نقطة. وسماه ابن كثير في البداية والنهاية «المركلسي» بدل «المزكلش». (البداية والنهاية ١٣/ ٢٧ ـ ٢٨).

ثلاثة أيام ما أكلت شيئاً. فأخرج الهاون وقال: لا تشنع على الله كل بهذا ثلاثين يوماً.
وتوفي عبد الغني رابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ودفن بزاويته.

وأخوه أبو منصور بن نقطة المزكلش كان ينشد كان. وكان في الأسواق، ويسحر الناس في رمضان فقيل له ما تستحي أخوك زاهد العراق وأنت تزكلش في الأسواق فقال مواليا[١]:

قد خاب من شبه الجزعة[٢] إلى الدرة وشابه قحبة إلى مستجنة حرة
أنا مغني وأخي زاهد إلى مرة في الدار بئرين ذي حلوة وذي مرة

وأجرى حديث قتل عثمان وأن علياً كان بالمدينة ولم يقدر على الوصول إليه. فقال ابن نقطة:

«ومن قتل في جواره مثل ابن عفان واعتذر»
«يجب عليه أن يقبل في الشام عذر يزيد»

فأراد الشيعة قتله فوثب عليه ليلة وكان يسحر الناس في شهر رمضان. وكان الإمام الناصر تلك الليلة في المنظرة وهو واقف يسحر، ويقول: أي نياما: قوما. قوما السحور. قوما. فعطس الخليفة. فقال ابن نقطة: يا من عطس في الروزنة، يرحمك الله قوما. فبعث الخليفة إليه مائة دينار وحماه من الشيعة فمات بعد قليل.

[وفاة بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي]

وفيها: توفي مسند الشام في وقته أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي[٣]. شارك الحافظ أبا القاسم في كثير من شيوخه الدمشقيين سماعاً والغرباء إجازة وعمر حتى ألحق الصغار بالكبار. أخبرنا عنه جماعة رحمه الله.

[تناقص الغلاء بمصر]

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين[٤]

والغلاء بمصر مستمر ثم تناقص لاستقبال جمادى الآخرة لما ظهر من زيادة نيلها وأقلع في أواخرها ولله الحمد.

---

(١) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ٢٨.
(٢) الجزعة: خرز يماني فيه بياض وسواد تشبه به الأعين.
(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٨.
(٤) وخمسمائة. وانظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٨ ـ ٣٠، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣٣ ـ ٣٣٨، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٧٧ ـ ٢٨٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٠ ـ ١٧١.

[التقاء الملك الأفضل بعمه العادل عند ثنية العقاب]

قال أبو المظفر: كان الملك الأفضل بحمص عند شيركوه وهو أخو زوجته سعدى ابنة ناصر الدين محمد بن شيركوه الكبير فجاء إلى عمه العادل فالتقاه عند ثنية العقاب فأكرمه وعوضه عن ميافارقين سميساط وسروج، وقلعة نجيم وقرايا في المرج ومصر وتسلم الظاهر فامية من ابن المقدم، ونزل العادل على حماة فصالحه الظاهر ورجع العادل إلى حمص.

[حدوث زلزلة عظيمة]

وجاءت في شعبان زلزلة عظيمة فشققت قلعة حمص، ورمت المنظرة التي على القلعة، وأخربت حصن الأكراد، وتعدت إلى جزيرة قبرص، وامتدت إلى نابلس فأخربت ما بقي.

وقال العز بن تاج الأمناء: هذه الزلزلة العظمى التي هدمت بلاد الساحل صور، وطرابلس، وعرقة، وشعثت كثيراً من البلاد الإسلامية الشمالية. ورمت بدمشق رؤوس منائر الجامع وبعض شراريفه من شماله فقتلت رجلاً مغربياً بالكلاسة، ومملوكاً تركيا لرجل صيرفي ساكن في درب السميساطي عند تنفس الصبح من يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان الموافق العشرين من آب وأعقبها زلزلة خفيفة في ضحوة الغد.

[بناء الجامع بجبل قاسيون]

قال أبو المظفر: وفيها شرع الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة شيخ المقادسة رحمه الله تعالى في بناء الجامع بالجبل، وكان بقاسيون رجل فامي يقال له أبو داود محاسن فوضع أساسه وبلغ قامة، وأنفق عليه ما كان يملكه. وبلغ ابن زين الدين مظفر الدين صاحب إربل فبعث إلى الشيخ أبي عمر مالاً فتممه ووقف عليه وقفاً. وبعد ذلك أراد ابن زين الدين أن يسوق الماء إليه من برزة وبعث ألف دينار لذلك. فقال الملك المعظم عيسى بن العادل: طريق الماء كلها قبور. وكيف يجوز أن تنبش عظام المسلمين اشتروا بغلاً واعملوا مداراً وبالباقي مكاناً أوقفوه عليه ولا تؤذوا أحداً. ففعلوا. وحج بالناس من العراق وجه السبع. ومن الشام خشتر بن الهكاري.

[وفاة بنفشا جارية المستضيء]

وفيها: توفيت بنفشا ابنة عبد الله جارية المستضيء[١]. وكانت كريمة صالحة؛ كثيرة الصلاة والصدقات عمرت الربط والمساجد والجسر ببغداد وتصدقت بأموال كثيرة على العلماء والفقراء والمساكين. وهي التي اشترت دار الوزير ابن جهير بباب الأزج ووقفتها على الحنابلة وفوضت نظرها إلى الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي. وهي التي أشارت على المستضيء بولاية الإمام الناصر وكان في عزمه أن يولي الخلافة ولده الأمير أبا منصور فرأى الناصر لها ذلك. فلما ولي الخلافة أنزلها في الدار التي كانت بها والدته وأحسن إليها. ولما توفيت تولى أمرها والدة الخليفة وجهزتها أحسن جهاز. ودفنتها في تربتها المجاورة لمعروف الكرخي وذلك في ربيع الأول.

[وفاة حماد بن هبة الله الباخرزي]

وفيها: توفي أبو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد الباخرزي[٢]. ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة. وهي السنة التي ولد فيها نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى. وسمع الحديث ببغداد، ومصر، والإسكندرية. سمع بمصر أبا محمد بن رفاعة السعدي، وبالإسكندرية الحافظ أبا طاهر السلفي وببغداد ابن السمرقندي وغيرهم. وحدّثنا عنه جماعة. ومات بحران في ذي الحجة وأنشد لنفسه[٣]: [البسيط]

تنقل المرء في الآفاق يكسبه ... محاسناً لم يكن فيها ببلدته
أما ترى بيدق الشطرنج أكسبه ... حسن التنقل فيها فوق رتبته

[وفاة هبة الله بن الحسن أبي القاسم الهمذاني]

وفيها: توفي هبة الله بن الحسن بن المظفر أبو القاسم الهمذاني[٤]. ويقال له ابن السبط والسبط هو جده المظفر. كان سبطاً لأحمد بن علي بن لال الفقيه الهمذاني. ولد هبة الله في سنة عشر وخمسمائة وهو محدّث، ابن محدّث ابن

---

(١) انظر ترجمتها في البداية والنهاية ١٣/ ٢٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٨٠، وفي الكامل: بنفشة جارية الخليفة المستنصر بأمر الله.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٩، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣٥.

(٣) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ٢٩.

(٤) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣٣٨، وفي الشذرات: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن أبي سعيد الهمذاني سبط ابن لال. روى عن أبيه وابن الحصين وخلق توفي في المحرم.

محدّث، وكانت وفاته في باب المراتب ببغداد في المحرم، ودفن بالريان سمع أبا القاسم بن الحصين، وقاضي المارستان، وابن السمرقندي وأنشد لغيره: [البسيط]

إذا الفتى ذم عيشاً في شبيبته ... فما يقول إذا عصر الشباب مضى
وقد تعوضت عن كل بمشبهه ... فما وجدت لأيام الصبا عوضا

[وفاة علي بن محمد بن غليس اليمني الزاهد]

وفيها: توفي الشيخ علي بن محمد بن غليس اليمني الزاهد(١). كان مقيماً بكلاسة جامع دمشق في شرقيها وتوفي يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الصغير قبلي الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره بغرب. وحكي عنه كرامات جليلة حكى عنه جماعات من المشايخ السادة مثل شيخنا أبي الحسن السخاوي، وأبي القاسم الصقلي، وأبي البركات ميمون الضرير. وأبي الحسن بن أبي جعفر وغيرهم. أخبرني أبو علي حسن بن عبد الله بن صدقة الصقلي الشيخ الصالح وفقه الله قال: سمعت شيخنا السخاوي يقول: سمعت ابن غليس يقول: كنت مسافراً مع قافلة فرأيت في المنام كأن سبعاً اعترضهم فقطع الطريق عليهم فوقفوا حائرين فتقدمت إليه وقلت يا كلب الله أنت كلب وأنا عبد الله فاخضع وارجع لمن سكن له ما في السموات والأرض وهو السميع العليم. فذهب وانفتحت الطريق للقافلة. ثم انتهت فسرنا قليلاً وإذا بالقافلة قد وقفت فسألت ما الخبر؟ فقيل السبع على الطريق فتقدمت إليه وهو مقع على ذنبه فقلت ذلك الكلام وتقدمت إليه فأدخلت يدي في فمه وقلبت أسنانه وشممت من فيه رائحة كريهة.

قال الشيخ السخاوي فقلت له: إنه يأكل اللحم وما يتحلل. قال: وأدخلت يدي فقلبت خصييه وإذا هما مثل خصيي القط. قال: وأخبرني الشيخ ميمون الضرير عن صاحب لابن غليس قال: أمرني بإيقاد السراج ولم يكن به زيت فأوقدت الفتيلة فوقدت، ثم أمرني في الليلة الثانية فأوقدتها فوقدت، ثم أمرني في الليلة الثالثة بإيقادها فقلت: أفلا زيت في السراج. قال: وإيش فضولك في هذا لو سكت لكانت تقد أبداً. أو كما أخبرني الشيخ أبو القاسم الفضل قال: مات مهر لابن غليس فحزن عليه كثيراً فقيل له لم تحزن عليه؟ غيره يقوم مقامه. فقال إنه فرس صالح كان معي في سفري بالعراق فآواني الليل مع جماعة إلى قرية وكانت

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٩، وفيها: الشيخ علي بن علي بن عليش اليمني العابد الزاهد، كان مقيماً شرقي الكلاسة، وكانت له أحوال وكرامات.

ليلة باردة ذات ريح ومطر فلم يقدر لنا مكان نأوي إليه إلا موضع صغير فقلت لأصحابي: إن تركنا الفرس خارج البيت هلك بالبرد وخفنا عليه وإن أدخلناه معنا خفنا من بوله وتلويثه الجماعة لصغر المكان فتقدمت إليه وقلت له: نحن ندخلك معنا بشرط أن لا تفعل ما يتأذى به الجماعة من بول وغيره، ثم أدخلناه فبات ليلته لم يتحرك بحركة يتأذى منها، ولم يبل. فلما أصبحنا أخرجناه معنا فلما صار خارج الباب بال نحو قربة ماء، أو كما قال: قال وحدّثني محمد بن أبي جعفر قال: ابن غليس يقول عن نفسه ابن غليس ما يسوى فليس رحمه الله.

[وفاة ضياء الدين الدولعي]

وفيها: توفي بدمشق خطيبها الدولعي الكبير الملقب بضياء الدين واسمه: أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين التغلبي[1]. والدولعية قرية من قرى الموصل ولد سنة ثماني عشرة وخمسمائة قبل جمال الدين بن الحرستاني بسنتين وقدم بغداد فتفقه بها على مذهب الشافعي وسمع الحديث، ثم قدم دمشق فاستوطنها وصار خطيبها ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق المنسوبة إلى الشيخ نصر المقدسي رحمه الله تعالى. وكان متزهداً، حسن الأثر، حميد الطريقة، مهيباً صارماً في قول الحق سمع جامع الترمذي من أبي الفتح الكروخي، وكتاب السنن للنسائي من أبي الحسن علي بن أحمد اليزدي، وسمع من الحافظ أبي القاسم بن عساكر، والقاضي أبي سعد بن أبي عصرون وقرأ عليه الفقه وغيرهم. وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول ودفن بباب الصغير في قبور الصحابة وقبره ثم مشهور يزار. وكانت جنازته مشهودة امتلأ بها جامع دمشق مثل صلاة يوم الجمعة المسقف، والصحن، والرواقات وخارج الأبواب. حدّثنا عنه والدي رحمه الله. وابن أخيه جمال الدين محمد الذي تولى الخطابة بعده وغيرهما، وطلبه شرف الدين بن عصرون أن ينوب عنه في القضاء فأبى. فاستناب جمال الدين بن الحرستاني. وأخبرني القاضي الخطيب عماد الدين بن الحرستاني أن قاضي القضاة محيي الدين يوم مات الخطيب حضر إلى الجامع وقدم ولده الزكي الطاهر فصلى بالناس صلاة واحدة وأراد أن يأخذ المنصب له فمضى جمال الدين الدولعي إلى علم الدين أخي السلطان فأخذ أمر أخيه توقيعاً بمنصب الخطابة مكان عمه فبقي فيه سبعاً وثلاثين سنة على ما سنذكره في سنة وفاته وهي سنة خمس وثلاثين وستمائة.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٩ وفيه «الثعلبي» بدل «التغلبي»، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٨٠.

[وفاة أسعد بن القلانسي]

فيها: توفي المؤيد أسعد بن القلانسي[١] بدمشق فجأة رابع عشر ربيع الآخر.

[وفاة حسام الدين بشارة]

وفيها: توفي حسام الدين بشارة الذي كان صاحب بانياس قبل شركس في السادس والعشرين من ربيع الآخر.

[وفاة محمد بن علي القرشي]

وفيها: توفي قاضي دمشق محيي الدين أبو المعالي محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي[٢]. وجميع من ذكرنا من أجداده ولوا القضاء بدمشق. وجده الأعلى يحيى بن علي بن عبد العزيز هو جد الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه ويعرف بابن الصائغ. ذكر الحافظ في ترجمته وترجمة والده في تاريخ دمشق. وذكر أيضاً ترجمة ولديه محمد بن يحيى، وسلطان بن يحيى وهما خالا الحافظ أبي القاسم ولم يرفع نسب أحد منهم بما يتصل بأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كما تدعيه ذريته في زماننا ولو كان ذلك الاتصال صحيحاً لما خفي على الحافظ أبي القاسم ولو كان يعرفه لما أغفل ذكر هذه المنقبة لأجداده وأمه وأخواله.

تولى أبو المعالي قضاء دمشق أولاً نيابة عن الشيخ شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن عصرون ثم تولى قاضي القضاة في أيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله وبأمره في سنة (ثمان وثمانين) وخمسمائة وبقي على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة في سابع شعبان ودفن بتربته في الجبل. ولما فتح صلاح الدين مدينة حلب أضاف إليه أيضاً قضاءها، وكان عالماً صارماً، كاتباً حسن الخط واللفظ. وهو أول من خطب بالبيت المقدس شرفه الله تعالى لما فتحه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بخطبة فائقة من إنشائه قد ذكرتها في كتاب الروضتين، وكان بيده الأوقاف التي للجامع وغيره، ثم عزل عنها في جمادى الأولى سنة وفاته. وتولاها شمس الدين بن التيتي ضماناً، ثم في صفر من سنة

---

(١) هو المؤيد أبو المعالي أسعد بن العميد بن أبي يعلى بن القلانسي التميمي الدمشقي الوزير، روى عن نصر الله المصيصي وغيره مات في ربيع الأول وكان صدر البلد (شذرات الذهب ٤/ ٣٣٤).

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٨ ـ ٢٩، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨، وسماه في شذرات الذهب: ابن الزكي قاضي الشام محيي الدين أبو المعالي محمد ابن قاضي القضاة منتخب الدين محمد بن يحيى القرشي، من ذرية عثمان بن عفان.

أربع وستمائة عزل الشمس ابن التيتي عنها وتولاها الرشيد ابن أخته ضماناً بزيادة ثلاثة آلاف دينار، ثم في تاسع شعبان من هذه السنة سنة أربع وستمائة أبطل ضمانها وتولاها المعتمد والي دمشق، وكان محيي الدين قد اختل في آخر عمره وجرت له قصة مع الإسماعيلية بسبب قتل شخص منهم يعرف بالفافا ولذلك فتح له باباً سراً إلى الجامع لصلاة الجمعة. ودرس عنه عماد الدين بن الحرستاني وأثنى عليه في فصاحته وحفظه لما يلقيه في درسه. قال: وتوفي وله ثمان وأربعون سنة. وكذا ولده الزكي الطاهر. وكان رحمه الله يحرص على كتابة عقيدة الغزالي الملقبة بالمصباح ويأمر بتحفظ الصغار لها وكذا أخيه من بعده، وكان ينهى عن الاشتغال بكتب المنطق والجدل ولقد استدعى بكتب من كانت عنده من سكان مدرسته التقوية فقطعها بحضور الجمع في مدرسته بالكلاسة قبالة الشباك الصلاحي وثم كان يذكر الدرس العام للتفسير فقطعها ومالكها حاضر. قال: وكان قد تنزل ذكر نيابته عن ابن عصرون فأرسل السلطان صلاح الدين مجد الدين بن النحاس والد العماد إليه وأمره أن يضرب على علامته في مجلسه ففعل به ذلك فلزم بيته حياء من الناس فطلب ابن عصرون من يستنيبه فأشير عليه بالخطيب ضياء الدين الدولعي فأرسل إليه خلعة مع البدر ابن يونس الفارقي فرده وشتمه ورمى بالخلعة فأرسل إلى جمال الدين بن الحرستاني فناب عنه وعن ابنه إلى أن عزل. قال: وكان قد اختلط عقله في آخر عمره فبينا هو في داره يوماً وعنده جماعة من أكابر دمشق ثار به الخلط فخرج من ساعته على الهيئة التي كان عليها في داره فوجد بغلة لبعض من كان عنده فركبها فخيف عليه فارتدفه غلام صاحب البغلة فخرج على وجهه إلى الميدان فلحقه الجماعة وأمر له بضرب خيمة وبات والناس عنده تلك الليلة ثم أدخل من الغد فبقي أياماً ومات.

[اضطراب النجوم في السماء]

ثم دخلت سنة تسع وتسعين[1]

وهي سنة مولدي ففي سلخ المحرم ليلة السبت ماجت النجوم في السماء شرقاً وغرباً، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً، ولم ير هذا إلا في مبعث النبي ﷺ، وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين، وكانت هذه السنة أعظم. قاله أبو المظفر سبط ابن الجوزي.

وقال العز بن تاج الأمناء. في سلخ المحرم رؤي في السماء نجوم

(١) وخمسمائة. وانظر البداية والنهاية ١٣/ ٣٠ ـ ٣٢، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣٨ـ ٣٤٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٨١ ـ ٢٨٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧١ ـ ١٧٤.

متكاثفة متطايرة شديدة الاضطراب إلى غاية. قال وشرع في عمارة سور قلعة دمشق في الشهور الأواخر من هذه السنة وابتدئ ببرج الزاوية الغربي القبلي منها المجاور لباب النصر.

[عمارة رباط المرزبانية]

قال أبو المظفر: وتمت عمارة رباط المرزبانية الذي بناه الخليفة على نهر عيسى ورتب فيه الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي وعنده جماعة من الصوفية.

[إرسال الخليفة الخلع إلى الملك العادل وأولاده]

وفيها: بعث الخليفة الخلع وسراويلات الفتوة إلى العادل وأولاده فلبسوها في شهر رمضان وأخذ الظاهر قلعة نجم من أخيه الأفضل بأمر العادل. وابتدئ بعمارة قلعة دمشق، وحج بالناس من العراق طاشتكين.

[وفاة زمرد خاتون]

قال وفيها: توفيت والدة الإمام الناصر واسمها زمرد خاتون أم ولده المستضيء[1]، كانت صالحة كثيرة المعروف والصدقات، دائمة البر والصلات، متفقدة لأرباب البيوت، وحجت فأنفقت مالاً عظيماً نحو ثلاثمائة ألف دينار كان معها نحو ألفي حمل. وتصدقت على أهل الحرمين وأصلحت البرك والمصانع، وعمرت التربة عند قبر معروف والمدرسة إلى جانبها، ووقفت عليها الأوقاف وتوفيت في جمادى الأولى وحزن الخليفة عليها حزناً لم يحزنه ولد على والده، وفعل في حقها ما لم يفعله أحد من أمثاله صلى عليها في صحن السلم ومشى بين يدي تابوتها إلى دجلة من ناحية التاج، ثم حملت في الشبارة نهاراً والوزير ناصر بن مهدي قائم مشدود الوسط وأرباب الدولة في السفن، وصعدوا بتابوتها إلى التربة وأمر الخليفة أن يمشي الناس من دجلة إلى تربتها المجاورة لمعروف والمسافة بعيدة. وكان الوزير سميناً فكاد يهلك وقعد في الطريق نحو من ثلاثين مرة وعمل لها العزاء شهراً كاملاً وأنشدت المراثي. وختمت الختمات طول الشهر، وفرق الخليفة بعد الشهر أموالاً كثيرة في الزوايا، والربط، والمدارس، وخلع على الأعيان ومن لم يخلع عليه أعطاه مالاً؛ وأمر بأن يفرق جميع ما خلفته من ذهب، وفضة، وحلي، وجواهر، وثياب في جواريها ومماليكها فقسم بينهم، وحمل ما كان في خزانتها من الأشربة، والمعاجين، والعقاقير

---

(١) انظر ترجمتها في البداية والنهاية ١٣/ ٣١ ـ ٣٢، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٨٤. وفي البداية والنهاية: الست الجليلة زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله زوجة المستضيء، وهو تحريف.

إلى المارستان العضدي وكان يساوي ألوفاً. وحزن عليها أهل بغداد حزناً عظيماً لأنها كانت محسنة إلى الناس.

[وفاة أحمد بن علي بن هبة الله]

قال وفيها: توفي القاضي أبو الفضل أحمد ابن قاضي القضاة أبي طالب علي بن هبة الله بن محمد بن البخاري[1] استنابه أبوه في القضاء بحريم دار الخلافة فلم يزل على ذلك حتى توفي والده فانعزل، ثم ولي سنة أربع وتسعين فأقام حتى ولي ضياء الدين بن الشهرزوري في رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة فأقره على حاله، ثم عزله في ذي الحجة من السنة المذكورة فلزم بيته إلى أن توفي في ذي الحجة من هذه السنة وصلى عليه بالنظامية ودفن عند أبيه بمشهد موسى بن جعفر وكان نزيهاً عفيفاً.

[وفاة أبي محمد الكندي]

وفيها: توفي عبد الله بن الحسن بن زيد أبو محمد الكندي أخو الشيخ تاج الدين زيد بن الحسن الكندي العلامة. وكان عبد الله أصغر من الشيخ وكان جواداً. سمع ببغداد أبا الفضل بن ناصر وغيره واستوطن دمشق إلى أن توفي بها في ذي القعدة وصلى عليه أخوه تاج الدين بجامع دمشق ودفن بجبل قاسيون. قلت: وهو والد أمين الدين أبي العباس أحمد الذي ورث عمه تاج الدين وكان آدم اللون رحمهم الله.

[وفاة سليمان بن شيرويه]

وفيها: توفي علم الدين سليمان بن شيرويه بن جندر[2] أخو العادل لأمه في التاسع والعشرين من المحرم ودفن بداره بدمشق، وهي التي وقفها مدرسة للشافعية المعروفة بالفلكية بحارة باب الفراديس وقف عليها قرية الخمان.

[وفاة سيف الدين أيازكوج الأسدي]

وفيها: توفي الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي بمصر سابع عشر ربيع الآخر.

[وفاة مسعود بن شجاع]

وفيها: توفي الفقيه برهان الدين مسعود بن شجاع الحنفي[3] مدرس

---

(١) لم أجد له ترجمه في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣٠.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٣٤٣، وفيه: البرهان الحنفي أبو الموفق مسعود بن =

المدرسة النورية بدمشق في خامس عشر جمادى الآخرة ودفن بالمقبرة التي بجبل قاسيون غربي دار ابن سمندار. وكان هو وابن العقادية ممن يشتغل على الشيخ علي البلخي رحمه الله.

[وفاة ابن المارستانية]

قال أبو المظفر وفيها: توفي عبيد الله بن علي بن نصر أبو بكر البغدادي. يعرف بابن المارستانية[1] أحد الفضلاء المعروفين بجمع الحديث؛ والطب، والنجوم، وعلوم الأوائل وأيام الناس؛ وصنف كتاباً سماه ديوان الإسلام في تاريخ دار السلام قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً إلا أنه لم يشتهر. وهو الذي صنف سيرة ابن هبيرة، وهو الذي قرأ كتب عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر يوم أحرقت كان يقرأ الكتاب ويقول: يا عامة هذا عبد السلام يقول في هذا الكتاب من بخر زحل بكذا وكذا وقال: يا إلهي يا علة العلل نال ما أراد. وكان ابن المارستانية محمولاً على ابن عبد القادر وكان الخليفة قد أمر الوزير أن يخلع عليه ويبعثه رسولاً إلى الكرج بتفليس فخلع عليه خلعته سوداء سنية وخرج من دار الوزير بين يديه الحجاب وأرباب الدولة فوقف له عبد السلام بن عبد الوهاب الذي أحرق كتبه وتقدم إليه وقال له سراً بينهما: الساعة من بخر زحل أنا أم أنت؟ فقال: أنا. ولما قضى الرسالة وعاد من تفليس توفي بمكان يقال له جرخ بند في ذي الحجة وقد تكلموا فذكره ابن الدبيثي في الذيل فقال عبيد الله بن علي بن نصر بن حمرة (بحاء مهملة وراء مهملة) أبو بكر بن أبي الفرج ويعرف بابن المارستانية جمع الكتب، وادعى الحفظ وسعة الرواية عمن لم يلقه ولم يأخذ عنه، وكان ينتسب إلى أبي بكر الصديق وكان أبوه ينكر ذلك وكان أبوه وأمه يخدمان المارستان، ولهذا نسبت أمه إليه وأطلق الناس القول في جرحه بهذه الأسباب حتى قال أبو جعفر الواثقي[2]: [الوافر]

دع الأنساب لا تعرض لتيم ... فأين الهجن من ولد الصميم
لقد أصبحت من تيم دعياً ... كدعوى حيص بيص إلى تميم

= شجاع الأموي الدمشقي مدرس النورية والخاتونية وقاضي العسكر، كان صدراً عظيماً مفتياً رأساً في المذهب، توفي في جمادى الآخرة وله تسع وثمانون سنة، وكانت لا تغسل له فرجية بل يهبها ويلبس جديدة.

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣١، وفيه: أبو بكر البغدادي عبد الله بن علي بن نصر بن حمزة المعروف بابن المارستانية. وانظر أيضاً شذرات الذهب ٤/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠. وكشف الظنون ٥/ ٦٤٩. ومن تصانيفه: «ديوان الإسلام الأعظم» في تاريخ بغداد لم يكمل.

(٢) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ٣١.

فطعن فيه ابن الدبيثي طعناً كثيراً. وقال في كتابه أخبرنا: والدي. أنبأنا: قاضي المارستان وهذه قحة عظيمة وأبوه عامي لا يعرف الحديث ولا سمعه وكان قصده أن يقال عنه محدث ابن محدث.

قلت: هذا غلو من قائله لا يلزم من كونه عامياً أن لا يكون له سماع في صغره يوماً فلا يسمع قوله: «ولا سمعه» فإنها شهادة على نفي. قال: وما تم كتابه المسمى بديوان الإسلام ولو تم لظهرت فضائحه سمع الكاتبة شهدة، وشيوخ ذلك العصر.

[وفاة ابن نجية الواعظ]

وفيها: توفي زين الدين بن نجية الواعظ. واسمه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الحنبلي(١) ولد بدمشق سنة ثمان وخمسمائة ونشأ بها وهو سبط الشيخ أبي الفرج الحنبلي جد بني الحنبلي الدمشقيين فهو ابن عمة نجم بن عبد الوهاب بن أبي الفرج، ونجم هذا والد الناصح بن الحنبلي وإخوته. اشتغل ابن نجية المذكور بالتفسير، والوعظ وبعثه نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله رسولاً إلى بغداد في سنة أربع وستين وخمسمائة. فسمع بها عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وغيره، وصاهر سعد الخير الأنصاري على ابنته ثم سكن مصر قبل دولة صلاح الدين وفي أيامه وكان له منه منزلة جليلة، وهو الذي نم على عمارة اليمني الشاعر(٢) وأصحابه بما كانوا عزموا عليه من قلب الدولة فشنقهم صلاح الدين على ما ذكرناه في كتاب الروضتين. وقد ذكرنا من أحوال زين الدين هذا في كتاب الروضتين أشياء. منها: ما كاتب به صلاح الدين في تفضيل مصر على الشام وغير ذلك. وكان صلاح الدين يكاتبه ويحضره مجلسه هو وأولاده العزيز وغيره، وكان له جاه عظيم وحرمة زائدة وكان يجري بينه وبين الطوسي العجائب لأن الطوسي أشعري، وابن نجية حنبلي وكلاهما واعظ. جلس يوماً ابن نجية في القرافة بالجامع فوقع عليه وعلى جماعة ممن عنده السقف فعمل الطوسي خطبة وذكر فيها قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] وعايوا كلباً يشق الصفوف فقال ابن نجية: هذا من هناك وأشار إلى مكان الطوسي، وكان ابن نجية ينشد على

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣١، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) هو عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي المذحجي الفقيه، نجم الدين أبو محمد الشاعر اليمني الشافعي المتوفى مصلوباً بمصر سنة ٥٩٦هـ، من تصانيفه: «ديوان شعره»، «شكاية المتظلم ونكاية المتألم»، «المفيد في أخبار زبيد»، «النكت العصرية في أخبار وزراء المصرية» وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٧٧٩).

المنبر شعر الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير خليفة مصر فمنه[١]: [الوافر]

مشيبك قد نضا صبغ الشباب وحل الباز في وكر الغراب
تنام ومقلة الحدثان تعطى وما ناب النوائب عنك ناب
وكيف[٢] بقاء عمري وهو كنز وقد أنفقت منه بلا حساب

قال أبو الظفر: وكان ابن نجية قد اقتنى أموالاً عظيمة وتنعم تنعماً زائداً بحيث إنه كان في داره عشرون جارية للفراش تساوي كل جارية ألف دينار. وأما الأطعمة فقد كان يعمل في داره ما لا يعمل في دور الملوك، وتعطيه الخلفاء والملوك أموالاً عظيمة كثيرة. ومع هذا مات فقيراً كفنه بعض أصحابه وتمزقت الأموال وحالت الأحوال وكانت وفاته بمصر ودفن بالقرافة.

[وفاة علي بن الحسن بن إسماعيل]

وفيها: توفي أبو الحسن علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي[٣] من عبد القيس ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة بالبصرة وبرع في علم الأدب والترسل، وسمع الحديث ببغداد من ابن ناصر وطبقته ثم عاد إلى البصرة فتوفي بها في شعبان.

وأنشد لنفسه: [السريع]

لا تسلك الطرق إذا اخطرت لو أنها تفضي إلى المملكه
قد أنزل الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكه

[وفاة سبط حامد البناء]

وفيها: توفي أبو القاسم علي بن يحيى بن أحمد الصوفي البغدادي ويعرف بسبط حامد البناء سمع قاضي المارستان وطبقته، وتوفي ببغداد ودفن بباب الأزج وكان أنشد لنفسه: [الخفيف]

أي شيء يكون أعجب من ذا إن تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزناً والبلايا تكال بالقفزان

[وفاة ضياء الدين الشهرزوري]

وفيها: توفي القاضي ضياء الدين الشهرزوري وهو: أبو الفضائل القاسم بن

---

(١) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٣١.
(٢) في البداية والنهاية: «فكيف» بدل «وكيف».
(٣) انظر شذرات الذهب ٤/ ٣٤٢، وفيه: علي بن حمزة أبو الحسن البغدادي الكاتب حاجب باب النوبى، حدّث بمصر عن ابن الحصين وتوفي بشعبان.

يحيى بن عبد الله بن القاسم[١] وهو ابن أخي القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم قاضي قضاة الشام في الأيام النورية وبعض الصلاحية إلى أن توفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وأوصى بالقضاة لابن أخيه ضياء الدين المذكور فأقام قليلاً ثم استقال من القضاء لما فهم من غرض صلاح الدين تولية أبي سعد بن عصرون فأقاله ورتبه للرسالة بينه وبين الخليفة فيرسل عنه إلى بغداد مراراً. ولد ضياء الدين في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وتفقه ببغداد على يوسف الدمشقي بالنظامية، وسمع الحديث وعاد إلى الشام وبيته مشهور بالرئاسة والتقدم والقضاء، والفضل وآخر قدومه رسولاً عن صلاح الدين في سنة ثمان وثمانين، ثم قدمها رسولاً عن الأفضل عقيب موت صلاح الدين ولما أخذ العادل دمشق أخرجه منها بسبب الأفضل فاستدعي إلى بغداد في سنة خمس وسبعين فولاه الخليفة قضاء القضاة، ورد إليه أمور المدارس والأوقاف الشافعية والحنفية وغيرها. وكانت مطالعات الخليفة تصدر إليه دائماً وحظي عنده وحصلت له منه منزلة لم تحصل لغيره من الغرباء، وكانت زوجته ست الملوك تدخل على أم الخليفة الناصر وتحسن إليها. وأقام ببغداد فلم تطب له واشتاق إلى الشام فطلب الانفصال فلم يجبه الخليفة فدخلت ست الملوك على أم الخليفة وسألتها في مخاطبة الخليفة في الإذن له في العود إلى الشام فسألته فأذن له.

قال أبو المظفر: وسمعت بعض عوام بغداد يقولون كان سبب عزله أن مسح يوماً القلم في شرابة الدواة ولم يمسحه في الخرقة الزرقاء التي عند الدواة وبلغ الخليفة فعزله. قال: وهذا ليس بشيء، ولم يعزله الخليفة إنما هو اشتاق إلى الشام ولم يعتد قواعد العراق، وخاف على نفسه أن يبدو منه ما لا يليق فطلب الخروج إلى الشام وكان قد حسده أرباب الدولة على قربه ومنزلته من الخليفة وميله إليه فخاف من التحريف عليه، فكانت مدة ولايته بها سنتين وأربعة أشهر. ولما سافر عن العراق جاء إلى حماة فأقام بها وولي القضاء فعتب عليه ذلك بعد قضاء بغداد فقال: ما عزلت من قضاء بغداد، وحماة، والشام، والشرق، والغرب، في ولايتي فإذا نظرت في بعض ولا يأتي فليس ذلك بعيب. وكانت وفاته بحماة منتصف رجب ودفن بها. ولقد حكي لي أنه لما احتضر جعل يسبح ويذكر الله وتتفرقع أصابعه حتى قضى. وكان فاضلاً جواداً؛ سخياً؛ لم يكن في أبناء جنسه أكرم منه. وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه ومن شعره: [البسيط]

في كل يوم ترى للبين آثار ... وما له في التئام الشمل ايثار

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣٠، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٢.

يسطو علينا بتفريق فواعجبا هل كان للبين فيما بيننا ثار
يهزني أبداً من بعد بعدهم إلى لقائهم وجد وتذكار
ما ضرهم في الهوى لو واصلوا دنفا وما عليهم من الأوزار لو زاروا
يا نازلين حمى قلبي وإن بعدوا ومنصفين وإن صدوا وإن جاروا
ما في فؤادي سواكم فاعطفوا وصلوا وما لكم فيه إلا حبكم جار

[وفاة محمد بن أحمد بن سعيد البكري]

وفيها: توفي أبو البركات محمد بن أحمد بن سعيد البكري، ويعرف بالمؤيد[(١)] وكان أديباً؛ فاضلاً: شاعراً ومن شعره أبيات حسنة شائعة قالها في الوجيه النحوي. وكان الوجيه قديماً على مذهب أحمد فآذاه الحنابلة فتحنف؛ فآذاه الحنفية فانتقل إلى مذهب الشافعي. فجعلوه يدرس النحو في النظامية فقال المؤيد[(٢)]: [الطويل]

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة وإن كان لا تجدي لديه الرسائل
تذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تديناً ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر إلى مالك فافطن لما أنا قائل

[وفاة ابن النجار البغدادي]

وفيها: توفي أبو زكريا يحيى بن طاهر بن محمد الواعظ. ويعرف بابن النجار البغدادي[(٣)]. ولد يوم عرفة سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وسمع الحديث الكثير من أبي الفضل الأرموي وطبقته، وتوفي في ذي الحجة ودفن بالمختارة شرقي بغداد وأنشد في مجلسه: [البسيط]

عاشر من الناس من تبقى مودته فأكثر الناس جمع غير مؤتلف
منهم صديق بلا قاف ومعرفة بغير هاء وأخوان بلا ألف

[ولادة مصنف هذا الكتاب أبي شامة]

وفيها: ولد مصنف هذا الكتاب الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن بن

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣١، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٢.
(٢) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٣١.
(٣) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد المقدسي الشافعي ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عفا الله عنه عرف بأبي شامة لأنه كان به شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر يكنى أبا القاسم محمد. وكانت ولادته من هذه السنة برأس درب الفواخير بدمشق داخل الباب الشرقي. وأصل جده أبي بكر من بيت المقدس كان أبوه أحد الأعيان بها ولعل محمداً الذي انتهى إليه النسب هو أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي القاسم علي الطوسي المقرئ الصوفي إمام صخرة بيت المقدس ذكره الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق.

قال ابن الأكفاني: قتلته الفرنج خذلهم الله عند دخولهم بيت المقدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة. وهو أحد الشهداء الذين رؤوسهم بالمغارة المقصودة بالزيارة في مقبرة ماملة بالقدس الشريف فانتقل ولده أبو بكر إلى دمشق فأقام بها فولد له ولدان عثمان بن أبي بكر، وعبد الرحمن بن أبي بكر الذي كان معلماً بباب الجامع الشامي وسيأتي ذكره. وكثر الله نسلهم بدمشق ومسكنهم بنواحي الباب الشرقي فأولد عثمان بن إبراهيم بن عثمان جد مصنف الكتاب توفي في شعبان سنة خمس وسبعين وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الفراديس فأولد إبراهيم بن عثمان ولدين أبا القاسم بن إبراهيم توفي في يوم الجمعة تاسع شهر رمضان سنة أربع وستمائة ودفن بمقبرة بين الباب الشرقي وباب توما وإسماعيل بن إبراهيم توفي ثالث عشر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة فأولد إسماعيل ولدين إبراهيم بن إسماعيل ومولده ليلة الاثنين الخامس والعشرين من محرم سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ومصنّف الكتاب عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم وحبب الله تعالى إليه من صغره حفظ الكتاب العزيز وطلب العلم فجعل ذلك همته فلم يشعر والده به إلا وهو يقول له قد ختمت القرآن حفظاً، ثم أخذ في معرفة القراءات السبع والفقه، والعربية، والحديث، وأيام الناس ومعرفة الرجال وغيرها من العلوم وصنف في ذلك مصنفات كثيرة سيأتي ذكرها وحج مع والده سنة إحدى وعشرين وستمائة، ثم حج في التي بعدها أيضاً ثم سافر إلى البيت المقدس زائراً سنة أربع وعشرين وسافر إلى الديار المصرية سنة ثمان وعشرين، واجتمع بشيوخ هذه البلاد في ذلك الوقت بمصر والقاهرة ودمياط والإسكندرية ثم لزم الإقامة بدمشق عاكفاً على ما هو بصدده من الاشتغال بالعلم وجمعه في مؤلفاته والقيام بفتاوى الأحكام وغيرها وكان في صغره يقرأ القرآن في جامع دمشق ينظر إلى مشايخ العلم كالشيخ فخر الدين أبي منصور ابن عساكر ويروي طريقه في فتاوى المسلمين وحاجة الناس إليه وسماع الحديث النبوي عليه وهو يمر من مقصورة

الصحابة رضي الله عنهم إلى تحت قبة النسر لسماع الحديث إلى المدرسة التقوية لإلقاء دروس الفقه ويرى إقبال الناس عليه وترددهم إليه مع حسن سمته واقتصاده في لباسه فيستحسن طريقته ويتمنى رتبته في العلم ونشره له وانتفاع الناس بفتاويه فبلغه الله من ذلك فوق ما تمناه وظهر الشيب في لحيته ورأسه وله خمس وعشرون سنة عجل الله تعالى له الشيخوخة صورة ومعنى فنظم في ذلك بعض الفضلاء: [الخفيف]

إن يشب إذا بلغ خمساً وعشرين فما كان المشيب فيه بعاب
جهل الناس قدر شيخوخة العلـ ـم فجلت أنواره في الشباب
نور الله الوجه والقلب منه إن فيه هداية المرتاب
هو شيخ معنى فعاجله الشيـ ـب وقاراً له على الأتراب
فجوى الفضل يافعاً ومسنا ان زلفى له وحسن مآب

ورويت له منامات حسنة كانت مبشرات له بما وصل إليه من العلم وما يرجوه من الخير منها: أن والدته رحمها الله أخبرته وهو إذ ذاك صغير يتردد إلى المكتب وأبوه رحمه الله يعجب من حبه المكتب وحرصه على القراءة على خلاف المعروف من عادة الصبيان فقالت الوالدة: لا تعجب فإني لما كنت حاملاً به رأيت في المنام كأني في أعلى مكان من المئذنة عند هلالها وأنا أؤذن فقصصتها على عابر فقال: تلدين ذكراً ينتشر ذكره في الأرض بالعلم والخير. ورأى هو في صفر سنة أربع وعشرين وستمائة كأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أقبل إلى الشام منجداً لأهله على الفرنج خذلهم الله؛ وكان له به خصوصية من إفضاء أمره إليه والتحدث معه في أمور المسلمين وهو يمشي إلى جانبه ملاصقاً منكبه حتى كان الناس يسألونه عنه وعما يريد أن يفعل وهو يخبرهم وكأنه واسطة بينه وبين الناس، وفي هذه السنة رأى أيضاً كأنه والفقيه عبد العزيز بن عبد السلام سلمه الله داخل باب الرحمة بالبيت المقدس وقد أراد فتحه وثم من يمنع من فتحه ويدفعونه لينغلق فما زالا يعالجان الأمر حتى فتحا مصراعيه فتحاً تاماً بحيث أسند كل مصراع إلى الحائط الذي خلفه. ورأى أيضاً في جمادى الآخرة من هذه السنة كأن المسلمين في صلاة الجمعة في حر شديد وهو خائف عليهم من العطش ولا ماء ثم يعرف فنظر إلى قليب ماء قريباً منه وحوض فخطر له أن يسقي من ذلك القليب ويسكب في الحوض حتى يشرب منه الناس إذا انصرفوا من الصلاة فاستقى شخص قبله لا يعرفه دلواً أو دلوين ثم أخذ الدلو منه فاستقى دلاء كثيرة لم يعرف عددها وسكب في الحوض. ورآه المهتار هلال بن مازن الحرابي متقلداً هيكلاً وهو يقول: انظروا فلاناً كيف تقلد كلام الله. ورأت امرأة كبيرة كأن جماعة صالحين اجتمعوا بمسجد

قرية بيت سوا وهي قرية من قرى غوطة دمشق وكأنهم سئلوا ما شأنهم قالوا ننتظر النبي ﷺ يصلي بنا قالت فحضر يعني مصنف هذا الكتاب فصلى بهم. وجاءه رجل يستفتيه وهو بالمجلس الكبير الذي للكتب في صدر الإيوان بالمدرسة العادلية وهو الموضع الذي يجلس فيه غالباً للفتوى وغيرها ومنه يخرج إلى الصلاة بالمدرسة فتعجب فقيل له مم تتعجب؟ قال: هذا مكان ما رأيته قط. قال: ورأيت في المنام كأني كنت بهذه المدرسة العادلية وفيها خلق كثير وكأن قائلاً يقول للناس تنحوا فالنبي ﷺ يمر. قال: فنظرت فخرج علينا من المجلس الذي للكتب ومر كما هو إلى المحراب. ورأى الصلاح الصوفي أول ليلة من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وستمائة كأن مصنف الكتاب متوجه إلى الحج ومعه من الزاد جميع ما يحتاج إليه تزوداً تاماً يعجب منه الرائي. ورأى حسن الحجازي في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة كأن قائلاً في عالم الغيب لا يراه بل يسمع صوته يقول: الشيخ أبو شامة نبي هذا الوقت أو كما قال: ورآه مرة أخرى فوق قنطرة عالية وتحت القنطرة حيطة كثيرة. ومن ذلك منامات حسنة رآها له أخوه الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل وهو أسن منه بنحو تسع سنين وكان من الصالحين رأى والدهما رحمه الله يقول له: عليك بالعلم انظر إلى منزلة أخيك فنظر فإذا هو في رأس جبل والوالد والرائي يمشيان في أسفله. ورأى في صفر سنة سبع وخمسين وستمائة كأن مصنف الكتاب متمسك بحبل قد دلي من السماء وهو مرتفع فيه فسأل إنساناً عن ذلك في المنام فانكشف لهما البيت المقدس والمسجد الأقصى فقال له ذلك الإنسان من بنى هذا المسجد؟ فقال: سليمان بن داود. فقال: أعطي أخوك مثل ما أعطي سليمان فقال له: كيف ذلك؟ فقال: أليس سليمان أوتي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده أليس أعطي كذا وكذا وعدد أنواع ما أوتي فقال: بلى. قال: وكذا أخوك أوتي أنواعاً من العلم كثيرة أو كما قال. قال: ورآه الشرف الصرخدي فوق سطح بيت منعزل وهو يؤذن ثم بعد الأذان قرأ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [قٓ: ٤١]. ورأى أيضاً كأن القيامة قد قامت ومصنف الكتاب راكب على حمار وهو مسرع فقيل له في ذلك فقال: اطلب النبي ﷺ على الحوض. ورأى الشرف ابن الرئيس أيضاً القيامة ووصف من أهوالها. قال: ورأيت فلاناً يعني صاحب هذا الكتاب فسألته عن حاله فقلت له. ماذا ما لقيت؟ قال: لقيت خيراً.

وإنما سطرت هذه المنامات وغيرها تحدثاً بنعم الله تعالى كما أمر سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١] وقد قال النبي ﷺ: «لم يبق

من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له»[1] اللهم أوزعنا شكر هذه النعم واختم بخير واسترنا في الدنيا والآخرة وآمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك[2].

سمع المذكور جماعة من المشايخ والعلماء من أصحاب أبي الوقت، والحافظ أبي طاهر السلفي، وأبي الفرج الثقفي، وأبي طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي وغيرهم وجمع وألف وهذب وصنف في فنون العلوم النافعة كتباً كثيرة ومصنفات جليلة مختصرة ومطولة ثم أكثرها وسمعها ووقفها وكثرت النسخ بها. فأول ما أظهر من مصنفاته شرح القصائد النبوية مجلد. ومنها: شرح قصيدة الشيخ الشاطبي رحمه الله الذي سماه إبراز المعاني من حرز الأماني وهما شرحان أصغر وأكبر والأكبر إلى الآن لم يتم والأصغر مجلدان.

ومنها: اختصاره لتاريخ دمشق وهما أيضاً أكبر وأصغر وكلاهما تام فالأكبر بخطه في خمسة عشر مجلداً والأصغر في خمس مجلدات، ومنها: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين في مجلدين ومختصره في مجلدة صغيرة. ومنها: الكتاب المرقوم في جملة من العلوم يجمع عدة مصنفات في مجلدين الأول فيه خطبة العلم الكبرى التي سماها خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول. وكتاب نور المسرى في تفسير آية الإسراء. وشرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى. وضوء الساري إلى رؤية معرفة الباري. والمحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول. وكتاب البسملة.

والباعث على إنكار البدع والحوادث. وكتاب السواك. وما أشبه ذلك. ومختصر كتاب البسملة وغير ذلك.

ومنها: كشف حال بني عبيد. والواضح الجلي في الرد على الحنبلي. وإقامة الدليل الناسخ لجزء الفاسخ والأصول من الأصول. ومفردات القراءة. وشيوخ الحافظ البيهقي. ومقدمة في النحو. والألفاظ المعربة. والقصيدة الدامغة. وقصيدتان في منازل طريق الحج. ونظم مفصل الزمخشري. ونظم العروض

---

(١) روي الحديث بلفظ: «لم يبق من مبشرات النبوّة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له»، وقد روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في التعبير باب ٥، ومسلم في الصلاة حديث ٢٠٧، ٢٠٨، وأبو داود في الصلاة باب ١٤٣، والترمذي في الرؤيا باب ٢، والنسائي في التطبيق باب ٩، ٦٢، وابن ماجه في الرؤيا باب ١، ومالك في الرؤيا حديث ٣، والدارمي في الصلاة باب ٧٧، والرؤيا باب ٣، وأحمد في المسند ١/ ٢١٩، ٣/ ٢٦٧، ٥/ ٤٥٤، ٦/ ١٢٩، ٣٨١.

(٢) زاد بعض تلاميذ المؤلف ما بعد هذا إلى آخر الترجمة. اهـ. من هامش الأصل.

والقوافي. ونظم شيء من متشابه القرآن. وشرح عروس السمر وابتدأ كتباً كثيرة لم يتفق إلى الآن إتمامها ونجز في سنة تسع وخمسين وستمائة التي تعقبها سنة ستين فيها. كتاب جامع أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس شرفهن الله تعالى. ومختصر تاريخ بغداد، وتقييد الأسماء المشكلة. ورفع النزاع بالرد إلى الأتباع والمذهب في علم المذهب. ونية الصيام وما في يوم الشك من الكلام. وشرح نظم المفصل. والأعلام بمعنى الكلمة والكلام. وشرح لباب التهذيب. والأرجوزة في الفقه. وذكر من ركب الحمار، ومشكلات الآيات، ومشكلات الأخبار، وكتاب القيامة، وشرح أحاديث الوسيط، وتعاليق كثيرة في فنون مختلفة من غير ترتيب على طريقة التذكرة لأبي علي الفارسي. وأمالي ثعلب. وأمالي الزجاجي، ونحو كتاب المجالسة. واختصار جملة من الدواوين.

وقد نظم أحد الفضلاء بعض هذه المصنفات في أبيات كتبها له فقال: [الكامل]

هذا الشهاب الثاقب الفهم الذي ... قد فاق في بحر العلوم وشطه
أكرم بتحقيق واتقان وتصـ ... ـنيف له وبراعة في ضبطه
وعناية من ربه فيما يحاو ... له به فأحله في وسطه
فكلامه في الفقه يشبه ما تقد ... م من كلام الشافعي وسبطه
يبني على نص الكتاب وسنة ... للمصطفى في رفعه أو حطه
ومذاهب العلماء يلحظها فيفـ ... ـتي بالمرجح عنده من قسطه
ويفسر القرآن والأخبار عن ... حذق بمفهوم الكلام وربطه
وبنص أسماء الورى وحديثهم ... ووفاتهم فكأنهم من رهطه
شرح الصدور بشرحه لقصائد ... نبوية في قبضه أو بسطه
والشاطبية جولوا أفكاركم ... في شرحها إن كنتم من شرطه
وله كتاب الروضتين وهذب التـ ... ـاريخ مختصراً له من شحطه
وكتابه المرقوم فيه مصنفا ... ت في علوم حازها في مرطه
منها المحقق والسواك وباعث ... مع مبعث أحسن به وبقمطه
والضوء والإسرا وبسملة ومر ... شدها الذي أحيا بحسن محطه
ولنظمه في النحو والأوزان والـ ... أحكام لم يك ما مضى من سمطه
وقد ابتدا كتباً فإن أبقاه من ... قواه أكملها بجودة سفطه
رفع النزاع ومشكل الـ ... آيات والأخبار مما شده في قمطه
أرجو له عفو الإله فإنه ... ما زال يطلب عفوه في خطه

كان المذكور لا يكاد يكتب في فتوى، أو شهادة، أو طبقة سماع، أو نسخ كتاب إلا أردف اسمه بكتابة عفا الله عنه، وكان حريصاً على الاجتهاد في الأحكام المختلف فيها فيقتفي بما يراه أقرب إلى الحق وإن كان خلاف مذهبه تبعاً للأدلة ونظم بعض الأدباء فيه: [الخفيف]

أيها الحاسدون فضل شهاب الد ... ين عبد الرحمن رب المعالي
لا تطيقون ما أطاق دعو التعـ ... ـني فلن تدركوه غير خيال
متعب نفسه صبياً وكهلاً ... ثم شيخاً مواظب الأشغال
ومحب مجالس العلم والديـ ... ـن جميعاً مجانب الأنذال
جد حرصاً على الفوائد منها ... وسؤالاً عن مشكل الأقوال
لا يرى غير قارئ لكتاب ... أو مجيباً بالحق للسؤال
كم كتاب أنهاه حفظاً وشرحاً ... واطلاعاً علا رؤوس الرجال
لا يماري ولا يباري ولا ينفـ ... ـك عن نشره علمه للموالي
ولهذا يحب ديناً فمن ... أبغضه نال لعنة المتعالي
إن عبد الرحمن فيه فنون ... من علوم معها كريم خلال
حاز مذ كان بالقناعة عزا ... مع بهاء وهيبة وجلال
واعتلاء على الأماثل في بتـ ... ـت جواب له وحسن سؤال
ناشر العلم قائل الحق كم ... نصر الشرع عن صحيح الجدال
صائن نفسه وما فيه من ... علم ودين عن مهنة وابتذالي
وسواه في الذل إن خاب أو ... أنجح يسعى أيامه والليالي
فارساً راجلاً يمر ويأتي ... نحو قاض وتارة نحو والي
ذو التصانيف المغنيات بعون الله ... عن مصنفات قيل وقال
من يرد قدر فضله فليطالع ... كتبه فهي عين عين الكمال
ليرى ما آتاه خالقه جل ... مع العلم من جليل الفعال
فمواليه في الهدى ومعاديـ ... ـه وحساده معاً في ضلال
وهو من نفسه الأبية في عز ... ز ومن علمه رخي البال
وهو من قنعه غني وراض ... لا يدانيه في الغنى ذو المال

وكتب إليه بعض الأدباء وأنشده إياها بجامع دمشق بحلقته عند رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام في زمن كان يسمع فيه تاريخ دمشق الذي اختصره

وغيره وذلك ثامن ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وستمائة قصيدة منها: [الطويل]

هو الشيخ شيخ العلم والحلم والهدى ... وناهيك من علم القراءة من فحل
هناء له منا بصحة جسمه ... فصحته في جسمه صحة العقل
ولما اعتراه ما اعتراه تألموا ... جميع الورى كالنفس والصحب الأهل
وعوفي بحمد الله والحمد لم يزل ... دواء له هذا شعار ذوي الفضل
ووالده كالسيد السلمي خذ ... بكنيته والشيخ في ورع الشبلي
وفي العلم بحر قد تدفق موجه ... ويملا منه بالجواهر ما يملي
فهذب تاريخ الشآم دراية ... وتهذيبه قد صح عند ذوي العقل
كما أنه علامة الوقت مفرد ... بعلم حديث المصطفى سيد الرسل
فحاشا حياة العلم من فقد مثله ... وحاشا أحاديث النبي من الجهل
ومسألة في شرح بسملة لها ... سمو وشرح الشاطبية يستعلي
بنظم عروض والمفصل قبله ... رويته تروي الورى ديمة الهطل
فحاشا يدي التصنيف أن لا تنج من ... عزيز وحاشا الروضتين من المحل
وحاشا الفتاوى أن تعطل بعده ... وحاشا جمال البحث يخلو من الحفل
كثير المعالي والمعاني مفنن ... تقي زكي طيب الفرع والأصل
يقول لنا ما لا سمعناه قبله ... وقال لنا ما سدت إلا بمن قبلي

وكتب إليه أيضاً قصيدة منها: [الخفيف]

يقصد المجلس الأجل جنابا ... عالم الأرض كيف قال أصابا
وسماء فيها شموس علوم ... وبدور تهدي وتدعى الشهابا
ملك الفضل بل خليفة على الديـ ... ـن وازداد من الفنون عجابا
وفى وهو في المعالم مفت ... فهو يهمي صبا ويهمي صوابا
سله واسأله تلق جواباً ... وجواداً فهو شيخ في الفضل ينمي شبابا
وهو بحر قد ساغ عذب فرات ... وسواه لم يلق إلا سرابا

وكتب إليه قصيدة منها: [مجزوء الرمل]

شرعت امتداحا ... لإمام مستقيم
ركن دين الله في الدنيـ ... ـا بأنواع العلوم
كهف تصنيف تحلى ... حلة الطرز الرقيم
وإذا ألف في تأليفـ ... ـه ألف الحميم

ولـه فـي الـشـرح شـرح الـنـفـس والـصـدر الـكـظـيـم
هـذب الـتـاريـخ حـتـى راق فـي حـسـن وسـيـم
فـتـعـجـب مـنـه إذا أنـقـص أنـمـى فـي الـجـسـيـم
ولـه الـشـامـة فـي تـرجـمـة فـي حـرف مـيـم
تـلـك أسـمـاء ابـن إدريـس يـا شـهـاب عـمـيـم
رم شـمـل الـدهـر حـتـى خـلـف الـمـيـت الـرمـيـم
فـهـو بـالـكـل اعـتـيـاض مـن حـديـث وقـديـم
بـربـر فـيـه بـحـر بـحـر عـرفـان عـظـيـم
زاخـر كـل غـريـب وعـجـيـب ويـتـيـم
فـهـو يـنـدي وهـو يـبـدي أنـفـس الـدر الـنـظـيـم
مـلـك الـفـضـل انـفـراداً فـيـه مـن غـيـر قـسـيـم
ولـمـفـت وفـتـى فـضـل عـلـيـم كـريـم

وكان يحضر عنده بالجامع والتربة الأشرفية جماعة من الأكابر والفضلاء لسماع التاريخ والروضتين وغيرهما من تصانيفه فنظم الرئيس الأصيل الفاضل محيي الدين يحيى بن علي بن محمد التميمي من بني القلانسي: [الخفيف]

أنـا والله والـجـمـاعـة طـرا مـن سـمـاع الـتـاريـخ فـي بـسـتـان
وريـاض أنـيـقـة أطـلـقـتـهـا بـأزاهـيـرهـا لـنـا الـروضـتـان
أيّـد الله شـيـخـنـا فـلـقـد أبـدع فـي الاخـتـصـار والـتـبـيـان
فـهو قطب الحجى وبدر المعالي وشـهـاب الـفـتـيـا وشـمـس الـبـيـان
دام فـي نـعـمـة ورفـعـة قـدر سـالـمـاً مـن نـوائـب الـحـدثـان
مـا تـغـنـى ورق عـلـى غـصـن بـانْ وتـسـنـى بـرق عـلـى نـعـمـان

وكان المصنف عفا الله عنه محباً للعزلة والانفراد؛ غير مؤثر للتردد إلى أبواب أهل الدنيا متجنباً المزاحمة على المناصب لا يؤثر على العافية والكفاية شيئاً ومن شعره: [السريع]

الـثـوب والـلـقـمـة والـعـافـيـه لـقـانـع مـن عـيـشـه كـافـيـه
ومـا يـزد فـالـنـفـس لـيـسـت بـه وإن تـكـن مـمـلـكـة راضـيـه

وله أيضاً: [مجزوء الرمل]

أنـا فـي عـز الـقـنـاعـه رافـل فـي كـل سـاعـه

رب أتممها بخير ... في معافاة وطاعه

وله أيضاً: [المجتث]

أردت راحة سري ... مما يضيق صدري
لما ألاقي من الخلق ... من جفاء وغدر
وحسد واغتياب ... فيا ضياعاً لعمري
فاخترت أن أتنحى ... وأستقل بأمري
فلست أمشي إلى من ... يرى خطيراً لقدري
لأجل دنيا فَمَشْيي إليه بالعلم يزري
لكن إلى عالم أو شيخ نبيه الذكر
في الدين يقصد للعلم والتقى لا الفخر
أما إذا أحوجتني ... ضرورة من فقر
فلا يكون فربي ... يمن فيها بصبر
يا رب فاشرح صدري ... للخير واشدد أزري
ولا تكلني إلى الخلق أنت حسبي وذخري
هب لي مدى الدهر ستراً حتى أوسد قبري
واختم بخير وأعظم ... من جنة الخلد أجري

وله أيضاً: [المجتث]

نزهت نفسي وعرضي ... وصنت هذي البقيه
لما انعزلت ببيتي ... قولاً وفعلاً ونيه
وبقيت علقتي بالمدارس الفقهيه
وسوف أخلص منها ... حقاً ورب البريه
إني عبد ضعيف ... أخاف نعت المنيه
ولست أرضى لنفسي ... دوام هذي البليه
إلى الممات فربي ... (له هبات) عليه
وكان معرفة الله النعمة الأخرويه
أنا لها بانشراح ... راضية مرضيه

وقال فيما ينبغي أن يكون عليه المصلي: [الخفيف]

الق سمعاً واحضر بقلب وعقل ... بالمصلى ورتل القرآنا

وتـدبـر آيـاتـه وتـفـكـر واجـمـع الـهـم مـقـبـلاً يـقـظـانـا

أي مقبلاً عليه متيقظاً.

وكتب إلى من كان عنده أصل المصنف بكتاب الوسيلة إلى كشف العقيلة بخط مصنفه شيخنا السخاوي رحمه الله يستعيره منه: [المجتث]

يـا مـن تـراه وسـيـلـة يـحـوز كـل فـضـيـلـه
ومـن مـدى الـدهـر يـسـعـى فـيـمـا يـسـر خـلـيـلـه
مـا زال يـتـعـب صـب يـهـوى وصـال الـعـقـيـلـه
وطـالـب الـعـلـم يـهـو ى كـثـيـره وقـلـيـلـه
فـابـعـث إلـيـه مـعـيـنـاً لـه كـتـاب الـوسـيـلـه

وقال أيضاً: [الخفيف]

بـدمـشـق سـقـى الإلـه ربـاهـا وحـمـاهـا ذكـرى أولـي الألـبـاب
وعـجـيـب أشـجـارهـا حـيـن تـبـدو مـزهـرات تـشـيـب قـبـل الـشـبـاب

وله أيضاً أبيات في حصر السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله على ما صح في الحديث عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. إمام عادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه؛ ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفق يمينه»[(١)] فقال في حصرهم: [الطويل]

إمـام مـحـب نـاشـئ مـتـصـدق وبـاك مـصـل خـائـف سـطـوة الـبـاس
يـظـلـهـم الله الـجـلـيـل بـظـلـه إذا كـان يـوم الـعـرض لا ظـل لـلـنـاس
أشـرت بـألـفـاظ تـدل عـلـيـهـم فـيذكـرهـم بـالـنـظـم من بـعـضـهـم نـاس

أي من هو ناس بعضهم.

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب ٣٦، والزكاة باب ١٦، والرقاق باب ٢٤، والحدود باب ١٩، ومسلم في الزكاة حديث ٩١، والترمذي في الزهد باب ٥٣، والنسائي في القضاة باب ٢، ومالك في الشعر حديث ٤، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٩، وابن عبد البر في التمهيد ٢/ ٢٨٠، ٢٨١، وابن خزيمة في صحيحه ٣٥٨، والبغوي في شرح السنة ٢/ ٣٥٤، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٢١٧، وابن حجر في فتح الباري ٢/ ١٤٣، وابن المبارك في الزهد ٤٧٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ١١٢، والبغوي في شرح السنة ١/ ٢٩٣، وابن كثير في تفسيره ١/ ٤٧٧، ٤/ ٣١٣.

وله في هذا المعنى: [الطويل]

وقال النبي المصطفى إن سبعة ... يظلهم الله العظيم بظله
محب عفيف ناشئ متصدق ... وباك مصل والإمام بعدله

وله أيضاً: [الخفيف]

لا تقم في مدينة ليس فيها ... خمسة إن أردت دار قرار
قهر ملك وعدل قاض ... وطب حاذق مع سوق ونهر جار

وله أيضاً: [البسيط]

قول ابن أدهم قول الناصحين لنا ... العجب والحرص ثم السخط فاجتنبوا
ثلاثة حجبت عن اليقين قلو ... بنا فلا بد من أن ترفع الحجب
نسر بالمدح والموجود يفرحنا ... والقلب سخطاً من المفقود يضطرب

وله في حصر السبع الموبقات الوارد في الحديث الصحيح: [الخفيف]

أكل مال اليتيم والشرك والسحـ ... ـر أكل الربا وقذف المبرا
والتولي يوم زحف وقتل نفس ... سبع قد أوبقت من تجرا

وله أيضاً: [الوافر]

فلا تحفل بمن يغتاب شخصاً ... ويحسده فيذكر من هناته
فمن حسناته تهدي إليه ... فإن نفدت تحمل سيئاته

[استيلاء نور الدين بن عز الدين على تل عفر (أعفر)]

ثم دخلت سنة ستمائة(١)

ففيها: سار نور الدين بن عز الدين صاحب الموصل إلى تل عفر (أعفر) فأخذها وكانت لابن عمه قطب الدين بن عماد الدين صاحب سنجار فاستنجد القطب بالملك الأشرف بن العادل فجمع جمعاً كثيراً والتقى مع نور الدين فكسره وأسر جماعة من أمرائه منهم المبارز سنقر الحلبي وولده الظهير غازي وذلك في شوال ثم اصطلحا في ذي الحجة، وتزوج الأشرف أخت نور الدين وهي الأتابكية بنت عز الدين مسعود صاحب التربة بجبل قاسيون.

وفيها: تمكن ناصر الدين بن أرتق بقلعة ماردين وقتل زوج أمه نظام الدين الذي كان قد قهره واستولى عليه. وفيها: حج بالناس من العراق طاشتكين.

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٣٢ ـ ٣٥، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٤ ـ ٣٤٨، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٨٥ ـ ٢٩٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

[وفاة عبد الغني المقدسي]

وفيها: توفي الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي(١) ولد بجماعيل قرية من أعمال نابلس في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة في ربيع الآخر وكان أكبر من الموفق عبد الله بن أحمد بأربعة أشهر لأن مولد الموفق في شعبان من سنة إحدى وأربعين وخمسمائة والموفق ابن عمة الحافظ. قرأ عبد الغني القرآن وسمع الحديث الكثير وسافر إلى الأمصار وكتب كثيراً وصنف وقدم بغداد هو والموفق في سنة ستين أو إحدى وستين في السنة التي توفي فيها الشيخ عبد القادر فنزلا في مدرسته وما كان يمكن أحداً من النزول بها ولكنه لما رآهما تفرس فيهما الخير والصلاح فأكرمهما وسمعا عليه. ثم توفي الشيخ عبد القادر بعد قدومهما بخمسين ليلة. وكان ميل عبد الغني إلى الحديث والموفق إلى الفقه فاشتغلا في الفقه على أبي الفتح بن المني ثم قدما دمشق بعد أربع سنين وسافر عبد الغني إلى مصر والإسكندرية ثم عاد إلى دمشق ونزل إلى الجزيرة وسمع بها وعاد إلى بغداد ثم رحل إلى أصبهان فسمع بها ثم عاد إلى دمشق وكان لما دخل أصبهان وقف على كتاب أبي نعيم الحافظ في معرفة الصحابة فأخذ عليه في مائة وتسعين موضعاً فطلبه بنو الخجندي ليقتلوه فاختفى وخرج من أصبهان في إزار. ولما دخل الموصل قرأ كتاب الجرح والتعديل للعقيلي وفيه جرح أبي حنيفة فثار عليه الحنفية وحبسوه ولولا البرهان البرلي الواعظ خلصه لقتلوه فإنه قطع الكراسة التي فيها ذكر أبي حنيفة ففتشوا على اسم أبي حنيفة فلم يجدوه فأطلقوه فخرج منها خائفاً يترقب فلما قدم دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بحلقة الحنابلة ويجتمع الناس إليه فحصل له قبول. وكان رقيق القلب سريع الدمعة فحسده الدماشقة ودخلوا عليه بطريق الناسخ بن الحنبلي فحسنوا له أن يعظ بعد الصلاة تحت قبة النسر. ففعل فشوش على عبد الغني فصار يقعد بعد العصر وذكر عقيدته على الكرسي فاتفق القاضي محيي الدين بن الزكي، والخطيب ضياء الدين الدولعي وجماعة من الدماشقة وصعدوا إلى القلعة وواليها صارم الدين بزغش فقالوا: هذا قد أضل الناس ويقول بالتشبيه(٢) فعقدوا له مجلساً وأحضروه

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣٣ ـ ٣٤، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦، وكشف الظنون ٥/ ٥٨٩.

(٢) المشبهة: فرقة من كبار الفرق الإسلامية شبّهوا الله بالمخلوقات ومثّلوه بالحادث، ولأجل ذلك جُعلت فرقة واحدة قائلة بالتشبيه وإن اختلفوا في طريقه، فمنهم مشبّهة غلاة الشيعة كالسبائية (نسبة إلى عبد الله بن سبأ)، والبنانية (نسبة إلى بنان بن سمعان التميمي)، =

فناظرهم فأخذوا عليه مواضع. منها: «ولا نزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول».

ومنها قوله: «كان الله ولا مكان وليس هو اليوم على ما كان» ومنها؛ مسألة «الصوت والحرف» فقالوا له إذا لم يكن على ما كان فقد أثبت له المكان وإذا لم تنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول فقد أجزت عليه الانتقال. وأما الحرف والصوت فإنه لم يصح عن إمامك الذي تنتمي إليه فيه شيء. وإنما المنقول عنه أنه كلام الله لا غير وارتفعت الأصوات. فقال له صارم الدين: كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق؟ قال: نعم فأمر الأمراء فنزلوا إلى جامع دمشق فكسروا منبر عبد الغني وما كان في حلقة الحنابلة من الدرابزينات ومنعوهم من الصلاة ففاتهم صلاة الظهر فجمع الناصح ابن الحنبلي السوقة وقال لئن لم نرجع إلى مكاننا فعلنا وصنعنا فأذن لهم القاضي في ذلك وخرج عبد الغني إلى بعلبك ثم سافر إلى مصر فنزل عند الطحانين وصار يقرأ الحديث فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه وكتب أهل مصر إلى الصفي بن شكر وزير العادل يقولون قد أفسد عقائد الناس ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد فكتب إلى والي مصر بنفيه إلى المغرب فمات قبل وصول الكتاب وكانت وفاته بمسجد المصنع يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول ودفن بالقرافة عند الشيخ أبي عمر بن مرزوق وكان إذا اجتاز بذلك المكان يقول روحي ترتاح إلى ههنا فدفن فيه.

قال أبو المظفر سبط الجوزي: وكان زاهداً عابداً ورعاً يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ـ ورد أحمد بن حنبل ـ ويقوم الليل وعامة دهره صائم وما ادخر شيئاً قط. وكان جواداً سمحاً إذا فتح بشيء من الدنيا حمله بالليل إلى أبواب الأرامل واليتامى فألقاه إليهم ومضى لئلا يعرفوه. وكان يرقع ثوبه بيمينه.

وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء وكان أوحد زمانه في علم

= والمغيرية (نسبة إلى المغيرة بن سعيد البجلي)، والهشامية (نسبة إلى هشام بن سالم الجواليقي)، وغيرهم القائلين بالتجسم والحركة والانتقال والحلول في الأجسام ونحو ذلك (كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٥٤٥ ـ ١٥٤٦). والمجسمة: هم فرقة يقولون إن الله جسم حقيقة وأن الفعل لا يصح إلا من جسم، فقيل: هو مركب من لحم ودم كمقاتل بن سليمان وغيره. وقيل هو نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء وطوله سبعة أشبار من شبر نفسه، ومنهم من يبالغ ويقول: إنه على صورة إنسان، فقيل: شاب أمرد جعد قطط، وقيل: هو شيخ أشمط الرأس واللحية، تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً، وهم قد خرجوا عن دين الإسلام بكفرهم وغلوهم (كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٤٧٣، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ص٣٤٠، معجم الفرق الإسلامية ص٢١٣).

الحديث سمع بأصبهان الحافظ أبا موسى محمد بن عمر المديني وغيره وببغداد عبد الله بن النقور، ويحيى بن ثابت بن بندار وغيرهما. وبدمشق أبا المكارم عبد الواحد بن المسلم بن هلال وغيره. وبمصر عبد الله بن بري النحوي وغيره بالإسكندرية أبا طاهر السلفي الحافظ وغيره وسأله السلفي يوماً من هو محمد بن عبد الرحمن الذهبي فقال له: المخلص. وكان له ثلاثة أولاد محمد، وعبد الله، وعبد الرحمن سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى. وله مصنفات كثيرة منها الكمال في معرفة رجال الصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في نحو عشر مجلدات[١].

[وفاة الحافظ ابن عساكر]

قلت وفيها: توفي الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ الأكبر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر[٢] ودفن على أبيه بمقبرة باب الصغير خارج الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره من الصحابة رضي الله عنهم من جهة الشرق وكان قد شارك أباه في أكثر شيوخه سماعاً فأجازه. صنف عدة مصنفات[٣] وخلف أباه في القيام بهذا الشأن بدمشق وإظهار كتب أبيه وإسماعها بالجامع ودار الحديث النورية، وبيض تاريخ دمشق بخطه في ثمانين مجلداً ورحل إلى مصر واسمع بها وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر ودفن بعد العصر ولي منه إجازة رحمه الله تعالى.

---

(١) ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ٥/ ٥٨٩، من مؤلفاته: «فضائل خير البرية»، «الأربعين بالأربعين»، «الأربعين من كلام رب العالمين»، «اعتقاد الإمام الشافعي»، «الاقتصاد في الاعتقاد»، «الأقسام التي قسم بها النبي عليه السلام»، «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، «تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة»، «تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين»، «الجامع الصغير لأحكام البشير النذير»، «الدرّة المضية في سير النبوية»، «درر الأثر»، «الصلات من الأحياء للأموات»، «كتاب الأسرى»، «كتاب التهجد»، «كتاب الجهاد»، «كتاب الحكايات»، «كتاب الذكر»، «كتاب الروضية»، «كتاب الصفات»، «كتاب الفرج»، «كتاب المواقيت»، «فضائل الحج»، «فضائل ذي الحجة»، «فضائل الصدقة»، «فضائل مكة»، «المصباح في عيون الأحاديث الصحاح»، «عدّة الحكام في شرح عمدة الأحكام» له، «العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام»، «عمدة المحدثين»، «الكمال في معرفة الرجال»، «كتاب المحنة على إمام أهل السنة وقائدهم إلى الجنة» في مناقب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، «النصيحة في الأدعية الصحيحة»، «نهاية المراد من كلام خير العباد»، «اليواقيت في المواقيت» وغير ذلك.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣٣، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٧، وكشف الظنون ٥/ ٨٢٨.

(٣) من تصانيفه: «الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى»، «ذيل تاريخ دمشق لوالده»، «فضائل الجهاد»، «فضائل الحرم»، «فضائل المدينة المنورة» (كشف الظنون ٥/ ٨٢٨).

[وفاة ضياء الدين محمد بن يوسف]

وفيها: يوم الجمعة العشرين من ربيع الآخر توفي إمام الملك الناصر ضياء الدين أبو بكر محمد بن يوسف بن أبي بكر الآملي الطبري المقرئ المعروف بخواجا إمام سمع الحافظ أبا العلاء الهمذاني وغيره واعتنى بكتب القراءات سماعاً ونسخاً وفي خطه خطأ كثير من تصحيف وتحريف، ودفن بعد الصلاة في الجبل رحمه الله.

[قدوم أبي الفتوح بن أبي نصر الغزنوي رسولاً من صاحب غرنة]

وفيها: قدم بغداد أبو الفتوح بن أبي نصر الغزنوي رسولاً من صاحب غزنة وجلس بباب بدر وقال يا أهل بغداد هنيئاً لكم أنتم تحظون بأمير المؤمنين ونحن محرومون وتشاهدون سدة سيادته ونحن محجوبون وأنشد متمثلاً: [المتقارب]

ألا قل لسكان وادي العقيق   هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضاً   فنحن عطاش وأنتم ورود

وكان يمكنه أن يصرح بمراده فيقول:

ألا قل لسكان دار السلام

ولكنه أتى به على لفظه ليعلم أنه تمثل به.

[رحلة سبط ابن الجوزي من بغداد إلى الشام]

وأول هذه السنة سافر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف سبط الجوزي الواعظ رحمه الله من بغداد إلى الشام وقد ذكر صفة تنقله في البلاد في تاريخه الذي سماه «مرآة الزمان» فقال: في أول هذه السنة سافرت عن بغداد إلى الشام وهي أول رحلتي فاجتزت بدقوقا فجلست بها يعني عقد مجلس الوعظ قال: وبها خطيبها الحجة وكان يعظ بها ثم قدمت إربل فاجتمعت بشيخ فاضل كيس ظريف يقال له محيي الدين الشاتاني فأنشدني مقطعات لغيره وهذه الأبيات منها: [البسيط]

رحمت أسود هذا الخال حين بدا   في حمرة الخد مرمياً بأبصار
كأنه بعض عباد المجوس وقد   ألقى بمهجته في لجة النار

وجلست بإربل ثم قدمت الموصل وجلست بها وحصل إلى القبول التام بحيث إن الناس كانوا ينامون ليلة المجلس في الجامع من كثرة الزحام وأدركت بها جماعة من العلماء فسمعت النقورية على أبي طاهر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي الخطيب وغيره. ثم قدمت حران فجلست بها وسمعت الخطيب

فخر الدين ابن تيمية وابن الطباخ وعبد القادر الرهاوي وغيرهم ثم قدمت منها إلى حلب وجلست بها وسمعت شمائل النبي ﷺ من الافتخار وأسباب النزول من عبد الرحمن ابن الأستاذ وغيرهما. ثم قدمت دمشق فنزلت بقاسيون عند المقادسة وجلست به وبجامع دمشق فكانت مجالسي ولله الحمد والله مثل غدوات الجنة ثم زرت بيت المقدس وجلست به وقبر الخليل عليه السلام وعدت إلى قاسيون فأقمت به إلى سنة ثلاث وستمائة ورجعت إلى حلب. قال: وصحبت الشيخ أبا عمر شيخ المقادسة وشاهدت منه الزهد في الدنيا والورع والفضل والتواضع ومن أخيه الموفق ونسيبه العماد وهو أخو الحافظ عبد الغني ما يرويه عن الصحابة والأولياء الأفراد فأنساني حالهم أهلي وأوطاني ثم عدت إليهم بعد ذلك على نية الإقامة عسى أن أكون معهم في دار المقامة. قال: وحضر مجلسي بجامع دمشق في سنة عشر وستمائة القضاة والأشراف والأعيان والملك المعظم عيسى بن العادل رحمه الله وشيوخنا جمال الدين الحصيري وتاج الدين الكندي والقاضي شمس الدين بن الشيرازي والقاضي شمس الدين بن سني الدولة وكان مجلساً عظيماً احتوى على عشرة آلاف وزيادة على باب مشهد علي وكان بدمشق قارئان أحدهما يقال له النجيب البغدادي والآخر يقال له الشرف بن ميي صوته مزعج وكان النجيب إذا قرأ أطربنا وابن ميي إذا قرأ ينغصنا فحكيت للجماعة أن جدي رحمه الله قرأ بين يديه قارئان فأطربا الجمع فأنشد: [الطويل]

ألا يا حمامي بطن نعمان هجتما ... عليّ الهوى لما تغنيتما ليا
ألا أيها القمريتان تحاوبا ... بلحنيكما ثم اسجعا لي علانيا

قال: وقرأ بين يديه قارئ حسن الصوت فأطرب الجماعة، ثم قرأ بعده آخر مزعج الصوت فنغص الجماعة فقال جدي: كان لبعضهم جاريتان مغنيتان إحداهما تغني طيباً، والأخرى مزعجاً فكان إذا غنت الطيبة الصوت يمزق ثيابه، وإذا غنت القبيحة الصوت يقعد يخيط ما مزق فحكيت للجماعة حكاية الجاريتين المغنيتين وكان الشيخ الكندي قاعداً في القبة التي في وسط المجلس فقال: يا ابني كلنا اليوم نخيط.

قلت: كانت مجالس الوعظ التي للمذكور من محاسن الدنيا ولذاتها فكأن الله قد جمع له حسن الصورة وطيب الصوت؛ وظرافة الشمائل في الإيراد والجوابات واللباس وسائر الحركات، فكان يزدحم في مجلسه ما لا يحصى من الخلق رجالاً ونساءً والنّساء بمعزل عن الرجال في جامع دمشق وجامع الجبل حضرت مجالسه في صغرى وكبرى في الموضعين مراراً وكان لا يفارق أحد مجلسه إذا انفض إلا وشوقه مستمر إلى عودته في الأسبوع الآخر فإنه كان يجلس كل سبت وتبسط

السجادات والحصر والبسط في كل المواضع القريبة من المنبر ما بينه وبين القبة في يوم الجمعة ويبيت الناس ليلة كل سبت حلقاً يقرؤون القرآن بالشموع كل ذلك فرحاً بالمجلس مسابقة إلى الأماكن وعادة الدمشقيين التفرج في أيام السبت ويبطلون عن أشغالهم بالمدينة وينقطعون في بساتينهم وكانوا لا يفوتون حضور المجلس ثم ينصرفون منه إلى فرحهم فلا ينقضي يومهم إلا بالتذاكر لما وقع فيه من المحاسن وإنشاد الأشعار والتحدث بمن أسلم فيه أو تاب وإيراد ما كان فيه من سؤال وجواب ولم يزل على ذلك مدة سنين ثم اقتصر على المجلس في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان كل سبت فانقطع بمنزله عند تربته بالجبل إلى أن توفي سنة أربع وخمسين وستمائة وسنعود لذكره في سنة وفاته إن شاء الله تعالى.

قال أبو المظفر: ولما أردت فراق دمشق في سنة ثلاث وستمائة قاصداً حلب جلست بقاسيون وودعت الناس فلم يتخلف بدمشق إلا القليل وامتلأ جامع الجبل بالناس فصاحوا علينا من الشبابيك والأبواب لا، لا، لا، يعنون قوموا فاخرجوا فخرجنا إلى المصلى وكان شيخنا تاج الدين الكندي حاضراً فلما خرج من الباب زحموه فانكشف رأسه ووقعت عمامته فعز علي وسألته أن يمضي إلى دمشق ولا يحضر في المصلى فامتنع وقال: لا والله حتى يتم المجلس وتاب في ذلك اليوم زيادة على خمسمائة شاب وقطعوا شعورهم وكان سيف الدين بن تميرك حاضراً وجرى الكلام في المغناطيس وأنه يعشق الحديد قلت والخبازى[1] تعشق الشمس ولهذا كلما مالت الشمس إلى جهة مال الخبازى إليها فصاح سيف الدين بن تميرك يا مولاي شمس كلنا اليوم خبازى.

قال العز ابن تاج الأمناء[2]:

[احتراق خزانة سلاح حامية دمشق]

وفيها: احترقت خزانة السلاح لحامية دمشق التي تعمل النشاب وذهب جميع ما فيها ليلة الاثنين خامس جمادى الآخرة. وفي سابع عشري رمضان توجه أسطول الفرنج من عكا عشرون قطعة ودخل يوم العيد من فم رشيد إلى قرية فوة من عمل الديار المصرية ونهبها وأقام بنواحيها يومين ثم خرج من حيث دخل غانماً سالماً ولم يسمع أن أحداً أقدم على هذا الفعل منذ فتوح الديار المصرية. ثم في سنة تسع

---

(١) الخبازى: نبت معروف.

(٢) العز ابن تاج الأمناء: هو عز الدين النشابة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن عساكر المتوفى سنة ٦٤٣هـ، من رجال بيت ابن عساكر المذكورين في ذخائر القصر لابن طولون، وأبوه تاج الأمناء توفي سنة ٦١٠هـ. (هامش الأصل).

وستمائة دخلوا من فم دمياط إلى قرية بورة ففعلوا نحو ذلك وسيأتي ذكره. وفي هذه السنة أخذت العملة المشهورة من مخزن أيتام سيف الدولة بن السلار بن بختيار من قيسارية الفرش بدمشق ومبلغها ستة عشر ألف دينار مصرية ومصاغ وبقيت سنين إلى أن ظهرت واعتقل بسببها خلق كثير ومات منهم جماعة ثم ظهرت على المعروف بابن الدخنية.

[قتل الفقيه القزويني]

وفيها: قتل الفقيه القزويني الزاهد[1] بباب الكلاسة من جامع دمشق حالة خروجه إلى زيارة القدس بيد إسماعيلي واجهه يظهر أنه يصافحه وضربه بسكين في خاصرته وانحرف عنه منهزماً فوقع القزويني إلى الأرض وحمله أصحابه إلى داخل الكلاسة فمات في وقته ودفن بمقابر الصوفية على الشرف القبلي. وأما القاتل فإن بعض أصحاب القزويني لحقه إلى الزيادة فتناول عصا أعمى وأدخلها بين رجليه فوقع وركبه وأخذ السكين من يده واجتمع الناس يضربون العجمي ظناً أنه الإسماعيلي وكادوا يفلتون الإسماعيلي منه ثم عرفوا القصة فأوثقوا أكتاف القاتل وحملوه إلى المعتمد فحمل إلى السجن فأقام به. إلى أن عرض له مرض وحمل إلى البيمارستان فهلك.

[عزل الخليفة الناصر لولده أبي نصر محمد من ولاية العهد]

ثم دخلت سنة إحدى وستمائة[2]

ففي جمادى الآخرة وقيل الأولى عزل الخليفة الناصر ولده أبا نصر محمداً عدة الدنيا والدين عن ولاية العهد بعد أن دعى له بذلك على المنابر سبعة عشر عاماً ومال إلى ولده علي ورشحه للخلافة فاخترم في إبان شبابه فألجأت الضرورة إلى أن رجع الحق إلى نصابه فعهد إلى أبي نصر فتولى بعهده ولقب بالظاهر كما سيأتي وأما صورة العزل فإنه ألجئ إلى أن كتب خطه مما سنذكره.

قال أبو المظفر: اجتمع أرباب الدولة في دار الوزير ابن مهدي والقضاة والعلماء والفقهاء والأمراء وأخرج الوزير رقعة خط ولي العهد إلى والده مضمونها

---

(١) لعله ركن الدين أبو الفضل القزويني الشافعي، المعروف بالطاوسي، واسمه عزيز بن محمد بن العراقي (وفي شذرات الذهب: «الحراق») (انظر البداية والنهاية ١٣/ ٣٥، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٣٥ ـ ٣٧، وشذرات الذهب ٥/ ٢ ـ ٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٩٥ ـ ٢٩٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦.

أنه حين ولاه العهد لم يكن يعلم ما يجب عليه فيه ولا قدر ذلك وأنه يسأل أباه إقالته وعزله وأنه لا يصلح لذلك وشهد عليه أبو منصور بن سعيد بن الرزاز، وأبو أحمد بن زهير العدلان بذلك وأن الخليفة أقاله وأنشأ محمد بن محمد القمي الذي ناب في الوزارة وعزل في أيام المستنصر وكتب المكين كتاباً يقول فيه:

أما بعد: فإن أمير المؤمنين كان قد قلد ولده أبا نصر محمداً ولاية العهد في المسلمين، ورشحه بعده لإمرة المؤمنين، وألقى عليه هذا القول الثقيل، ونهج له من مراشد الدنيا والدين أوضح سبيل، مؤملاً فيه الاستقلال بأعبائه، والإتيان بما يبين عن اضطلاعه وغنائه، والتخلق بأخلاقه التي هي من أخلاق الباري مكتسبة، وعلى التقوى مؤسسة فلما آن أوان تكامل رشده وبلغ المبلغ الذي أمل فيه سداد رأيه وقصده، رأى من نفسه القصور عن التزام شروط الخلافة وما يجب عليه من الرحمة للأمة والرأفة فأقر بالعجز عن تأدية حق الأمة في أمره، وأشهد عليه أنه لا يصلح لها فيما مضى ولا فيما بقي من عمره وخلع نفسه مما كان أمير المؤمنين فوضه إليه، واعتمد فيه عليه. ولم يسع الخليفة إلا استخارة الله تعالى في إقالته وطلب رضاه في حل عقدة ولايته فأسقط اسمه من السكك والمنابر والأقلام والمحابر. ولما خلعه لم ير أن يعين أحداً ليلقى الله بذمته يوماً من الأيام غير متعلقة بوزر يخص الخاص ويعم العام، وقد وافق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث جعلها شورى في الستة المذكورين من أعيان المهاجرين، ولما قال له عبد الله ابنه: ما يمنعك أن تعين من تراه أهلاً؟ فقال: لا والله لا أتحملها حياً وميتاً، وذكر القمي كلاماً طويلاً وكتب نسخاً إلى الأطراف وحج خالي أبو محمد يوسف في هذا العام وقرأ الكتاب بمكة عند البيت المحرم والمدينة عند قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

[وقوع حريق هائل في دار الخلافة]

قال: وفي جمادى الآخرة عقيب هذه الوقعة وقع حريق بدار الخلافة لم يجر في الدنيا مثله فتحت أبواب الدار بالليل وركب الوزير ابن مهدي وأرباب الدولة إلى خزانة السلاح فرأوا النار قد لعبت فيها، واجتمع جميع من ببغداد من السقايين، والفراشين، بالقرب، والروايا، والصناع والفعلة وأقاموا يوماً وليلة يقلبون الماء على النار وهي تزداد فاحترق جميع ما كان في الخزانة من السلاح، والأمتعة، والقسي، والنشاب، والرماح، والجروخ، والسيوف، والجواشن، والزرديات، وقدور النفط والخوذ المرصعة بالجواهر واليواقيت، وعملت النار وساعدها الهواء ودبت إلى الدور والتاج والدار البيضاء فخرج الخليفة منها إلى

دجلة واحترقت خزانة فيها رأس البساسيري، وطغريل وغيرهما ويقال إن قيمة ما ذهب ثلاثة آلاف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وكان في ذلك عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن افتكر.

[هجوم الفرنج على حماة]

قال وفيها: جاءت الفرنج إلى حماة بغتة وأخذوا النساء الغسالات من باب البلد على العاصي وخرج إليهم الملك المنصور بن تقي الدين وثبت وأبلى بلاء حسناً وكسر الفرنج عسكره ووقف في الساقة من الرقيطا إلى باب حماة وامتلأت أيديهم بالمكاسب وأسروا من حماة شهاب الدين أحمد بن شداد البلاعي من قرية بلاعة وكان فقيهاً شجاعاً تولى حماة مرة، وسلمية أخرى وحمل إلى طرابلس فهرب وتعلق بجبال بعلبك ووصل إلى حماة سالماً ولولا وقوفه ما أبقوا من المسلمين أحداً. وحج بالناس من العراق وجه السبع، ومن الشام صارم الدين بزغش العادلي والي قلعة دمشق، وزين الدين قراجا صاحب صرخد وغيرهم.

[وفاة عبد المنعم بن علي الصقلي]

قال وفيها: توفي عبد المنعم بن علي بن الصقلي أبو محمد الحراني ولقبه: نجم الدين[(١)] قدم بغداد أول مرة في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وتفقه على أبي الفتح بن المني، وسمع الحديث الكثير من أبي الفتح ابن شاتيل وأبي السعادات بن رزيق؛ وجدي رحمه الله وغيرهم. وعاد إلى حران ووعظ بها وحصل له القبول التام فاستشعر منه الفخر محمد ابن تيمية خطيب حران وخاف أن يتقدم فلما رأى النجم ذلك عاد إلى بغداد فاستوطنها ووعظ بها وحضرت مجالسه بمسجد باب المشرعة وكان يقصد التجانس في كلامه وسمعته ينشد[(٢)]: [الطويل]

واشتاقكم يا أهل ودي وبيننا ... كما حكم البين المشت فراسخ
فأما الكرى عن ناظري فمشرد ... وأما هواكم في فؤادي فراسخ

وكان صالحاً ديناً نزهاً عفيفاً كيساً لطيفاً متواضعاً كثير الحياء، وكان يزور جدي بالنظامية ويسمع معنا الحديث، وكانت وفاته يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول وصلى عليه بالنظامية ودفن بباب حرب وخلف ولدين: النجيب عبد الله، والعز عبد العزيز صارا تاجرين لديوان الخلافة.

---

(١) هو نجم الدين أبو محمد عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله النهري الحرّاني، الفقيه الحنبلي الواعظ، من أهل حران (انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣ ـ ٤).

(٢) البيتان في شذرات الذهب ٥/ ٤.

[وفاة أبي نصر بن الدجاجي]

وفيها: توفي محمد بن سعد الله بن نصر أبو نصر بن الدجاجي الواعظ الحنبلي[١] في ربيع الأول ودفن بباب حرب ومولده سنة أربع وخمسمائة سمع أبا منصور القزاز وغيره وأنشد لنفسه[٢]: [الرجز]

نفس الفتى إن أصلحت أحوالها   كانت إلى نيل التقى أحوى لها
وإن تراها سددت أقوالها   كان على حمل العلى أقوى لها
فلو تبدت حال من لها لها   في قبره عند البلى لهالها

[تغلب البنادقة على القسطنطينية]

قال العز بن تاج الأمناء: وفي شهور هذه السنة الأواخر تغلبت طائفة من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادقة على قسطنطينية وأخرجوا الروم منها بعد حصر وقتال وحازوا مملكتها وانتهبوا ذخائرها وما حوته كنائسها من آلات ورخام وحملوه إلى الديار المصرية والشامية فبيع ووصل منه إلى دمشق رخام كثير وكان أسامة يعمر داره فحصل له منه شيء لم يكن قبله مثله وزخرفها. قلت: هي الدار التي جعلها البازرائي رسول الخليفة مدرسة للشافعية:

[عدد من الوفيات في هذه السنة]

قال وفيها: توفي العدل أبو محمد المعروف بعدل الزبداني سابع عشر المحرم بدمشق.

وفيها: توفي القاضي محيي الدين بن عصرون في أول ربيع الأول بدمشق.

وفيها: توفي الأمير علم الدين كرجي الأسدي بدمشق ثالث عشر ربيع الآخر وصلى العادل عليه بمرج باب الحديد ودفن بالجبل ووصل الخبر بموت بوريا التقوى غريقاً ببلاد المغرب في خدمة ابن عبد المؤمن.

وفيها: قتل قاضي دارا ظاهر حلب بالمنزلة المعروفة في السعدى في أواخر ذي القعدة.

وفيها: في ربيع الآخر توفي الشاعر الحلي علي بن الحسن الملقب بشميم[٣]

---

(١) في البداية والنهاية ١٣/ ٣٦: أبو نصر محمد بن سعد الله بن نصر بن سعيد الأرتاسي.

(٢) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٣٦.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤، وسماه في البداية والنهاية: أبو الحسن علي بن عنتر بن ثابت الحلي، المعروف بشميم، وسماه في شذرات الذهب: شميم الحلي، أبو الحسن علي بن الحسن بن عنبر النحوي اللغوي.

وكان قليل الدين ذا حماقة ورقاعة وله حماسة ورسائل وقال أقمت مدة آكل في يوم شيئاً من الطين فإذا وضعته أشتمه فلا أجد له رائحة فسميت لذلك شميماً. ذكره ابن المشرقي في تاريخ إربل.

[تولية الخليفة لنصير الدين بن مهدي الوزارة]

ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة(١)

ففيها: استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي، الحسني، وخلع عليه خلعة الوزارة القميص والدرعة والعمامة، والسيف وخرج من باب الحجرة فقدم له فرس من خيل الخليفة وبين يديه دواة عليها ألف مثقال، ووراءه المهد الأصغر، وألوية الحمد، وطبول النوبة والكوسات(٢) تخفق، والعهد منشور بين يديه وجميع أرباب الدولة مشاة بين يديه، وضرب الطبول والبوقات له بالرحبة في أوقات الصلاة الثلاث المغرب. والعشاء الآخرة، والفجر.

[فرار الوزير محمد ابن حديدة الأنصاري من دار ابن مهدي]

وفيها: هرب أبو جعفر محمد بن حديدة الوزير الأنصاري من دار الوزير ابن مهدي وكان محبوساً بدرب المطبخ عند ابن مهدي ليعذبه فحلق ابن حديدة رأسه ولحيته وخرج فلم يظهر خبره إلا من فراغه بعد مدة وعاد إلى بغداد.

[توجه صاحب ماردين إلى خلاط]

وفيها: توجه ناصر الدين صاحب ماردين إلى خلاط بمكاتبة أهلها فجاء الملك الأشرف فنزل على دنيسر واقطع بلد ماردين فعاد ناصر الدين إلى بلده بعد أن غرم مائة ألف دينار ولم يسلموا إليه خلاط.

[هجوم ابن لاون على حلب]

وفيها: أغار ابن لاون على بلد حلب وأخذ الجشار من نواحي حارم فبعث الملك الظاهر ابن صلاح الدين ميمون القصر، وأيبك فطيس، وحسام الدين بن أمير تركمان فنزلوا على حارم فقالوا لميمون: نحن على حذر فتهاون فكبسهم ابن

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٣٨ ـ ٣٩، وشذرات الذهب ٥/ ٦ ـ ٨، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٠٠ ـ ٣٢٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) الكوسات: هي صنوج من نحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ويتولى ذلك «الكوسي» (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٢٩٠).

لاون فقتل جماعة من المسلمين وثبت أيبك فطيس، وابن أمير تركمان فقاتلا قتالاً شديداً ولولاهما لأخذ ميمون، وبلغ الظاهر فخرج من حلب فنزل مرج دابق وجاء إلى حارم فهرب ابن لاون إلى بلاده وكان قد بنى قلعة فوق دربساك فأخربها الظاهر وعاد إلى حلب.

وفيها: حج بالناس من العراق وجه السبع؛ ومن الشام الشجاع علي بن السلار. قلت: كذا قال أبو المظفر سبط بن الجوزي فيما نقلته من خطه وقد نقلت من خط محمد بن تاج الأمناء قال: وفي السابع والعشرين من رمضان سنة اثنتين وستمائة نادوا الحج على أيلة صحبة ابن الخزاعي.

[وفاة طاشتكين بن عبد الله المقتفوي]

وفيها: توفي طاشتكين بن عبد الله المقتفوي[1] أمير الحاج ولقبه فخر الدين حج بالناس ستاً وعشرين سنة، وكان في طريق الحج مثل الملوك، فقصده ابن يونس الوزير وقال للخليفة: إنه يكاتب صلاح الدين وزور عليه كتاباً فحبسه مدة ثم تبين له أنه بريء من ذلك فأطلقه وأعطاه خوزستان ثم أعاده إلى إمرة الحج. وكانت الحلة الشيعية إقطاعه. وكان سمحاً، جواداً، شجاعاً، قليل الكلام يمضي عليه الأسبوع ولا يتكلم استغاث إليه رجل يوماً فلم يكلمه فقال الرجل: الله كلم موسى. فقال: وأنت. فقال الرجل: وأنت الله. فقضى حاجته. وكان حليماً التقاه رجل فاستغاث إليه من نوابه فلم يجبه. فقال له الرجل: أحمار أنت؟ فقال طاشتكين: لا. وفي قلة كلامه يقول ابن التعاويذي[2]: [الخفيف]

وأمـيـر عـلـى الـبـلاد مـولـى لا يـجيـب الشـاكي بغـير السكـوت
كـلـمـا زاد رفـعـة حـطـنـا الله بـتـغـفـيـلـه إلـى الـبـهـمـوت

وقام يوماً إلى الوضوء فحل خياصته[3] وتركها موضعه ودخل ليتوضأ وكانت الخياصة تساوي خمسمائة دينار فسرقها الفراش وهو يشاهده. فلما

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣٩، وشذرات الذهب ٥/ ٨، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٢١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٧.

(٢) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ٣٩.

(٣) خياصته: كذا بالأصل بالخاء المعجمة، والصحيح الحياصة، بالحاء المهملة، وهي الحزام أو المنطقة، وهي في الأصل السير الذي يشد به حزام سرج الحصان، وفي زمن الناصر محمد وصلت قيمة الحياصة إلى ثلاثمائة دينار وعملت من خالص الذهب، وكثيراً ما كانت ترصع بالجواهر، وكان السلطان يفرق منها كل سنة عدداً وافراً (الخطط التوفيقية ص١٣٨، وصبح الأعشى في صناعة الإنشى للقلقشندي (٤/ ٤٢).

خرج فلم يجدها. فقال أستاذ داره[١]: اجمعوا الفراشين واحضروا المعاصير. فقال له طاشتكين: لا تضرب أحداً فإن الذي أخذها ما يردها، والذي رآه ما يغمز عليه. فلما كان بعد مدة رأى على الفراش الذي سرق الخياصة ثياباً جميلة؛ وبزة ظاهرة فاستدعاه سراً وقال له بحياتي هذه من ذيك. فخجل. فقال: لا بأس عليك فاعترف فلم يعارضه وكان طاشتكين قد جاوز تسعين سنة فاستأجر أرضاً وقفاً ثلثمائة سنة على جانب دجلة ليعمرها داراً وكان ببغداد رجل محدث في الخلق يقال له فتيحة المحدث فقال: يا أصحابنا نهنيكم مات ملك الموت قالوا: وكيف؟ قال: طاشتكين عمره مقدار تسعين سنة وقد استأجر أرضاً ثلثمائة سنة فلو لم يعلم أن ملك الموت قد مات ما فعل هذا. فتضاحك الناس. وكانت وفاته بششتر وأوصى بأن يحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي فحمل في تابوت فدفن فيه.

[وفاة مسعود وممدود ابني مبارك]

وفيها: توفي الأخوان مسعود وممدود أبناء الحاجب مبارك بن عبد الله فمسعود لقبه سعد الدين، وكان صاحب صفد. وممدود لقبه بدر الدين وكان شحنة دمشق. وأمهما أم فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب دار السعادة وأصل أمهم من المسطرة. ففرخشاه أخوهما لأمهما وأختهما لأمهما ست عذراء صاحبة المدرسة المجاورة لدار السعادة وبها تربتها وكانت دارها. وأما أخوها مسعود فداره هي المجاورة لرباط زهرة خاتون قريب حمام جاروخ هي الآن لجمال الدين موسى بن يغمور. وأما ممدود فداره بحارة البلاطة هي الآن لنجم الدين بن الجوهري. وكان مسعود وممدود أميرين كبيرين لهما مواقف كثيرة مع صلاح الدين. وتقدمت وفاة ممدود على وفاة أخيه بشهر واحد فإنه مات بداره بدمشق يوم الأحد خامس شهر رمضان، وتوفي مسعود بصفد يوم الاثنين خامس شوال.

[وفاة ابن القبيطي]

وفيها: توفي أبو يعلى حمزة بن علي بن حمزة الحراني المقرئ. ويعرف

---

(١) أستاذ دار: هو الذي يتولى شؤون مسكن السلطان أو الأمير ومصروفاته، وهو لقب يطلق على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير، وهو مركب من لفظين فارسيين، **أحدهما**: «إستذ» ومعناه الأخذ، **والثاني**: «دار» ومعناه الممسك، فأدمغت الذال الأولى، وهي المعجمة، في الثانية، وهي المهملة، فصار إستادار، ومعناه: المتولي للأخذ، وسمي بذلك لأنه يتولى قبض الأموال، وهناك إستادار الأملاك الشريفة، وإستادار الصحبة، وإستادار العالية، وإستادار المباشرة، (انظر صبح الأعشى ٣/ ٤٨١، ٨/ ٢٢).

بابن القبيطي[١]. ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ببغداد. وقرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبي منصور الخياط وغيره، وسمع الحديث وكان حسن الصوت بالقراءة يصلي إماماً بالمسجد الذي بجانب البدرية، وكان الناس في ليالي شهر رمضان يأتون إليه من أقطار بغداد يستمعون قراءته. وكانت وفاته في ذي الحجة وصلي عليه بالنظامية ودفن بباب حرب. سمع أبا الكرم بن الشهرزوري، وإبراهيم بن نبهان الرقي، وسعد الخير الأنصاري؛ وأبا الفضل الأرموي وغيرهم، وكان صالحاً، عفيفاً، زاهداً ثقة.

[وفاة أم المعظم]

ونقلت من خط العز بن محمد تاج الأمناء: أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن قال: يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول توفيت أم المعظم[٢] ودفنت بالجبل قلت: يعني بالقبة التي في المدرسة المعروفة بالمعظمية. وفي تلك القبة معها أبناء المعظم عيسى، والعزيز عثمان أبناء الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأخوهما المتوفى قبلهما الملك المغيث عمر بن العادل.

[وفاة شرف الدين بن الشهرزوري]

قال: وفي رابع عشر جمادى الآخرة توفي الفقيه شرف الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي جمال الإسلام ابن الشهرزوري[٣] بمدينة حمص كان قد سكنها منذ أخرج من دمشق.

قلت: وكان مدرس المدرسة الأمينية والزاوية المقابلة لباب البرادة بالجامع وكان عالماً بالمذهب والخلاف، ماهراً في ذلك.

[هدم قنطرة الباب الشرقي الرومية بدمشق]

قال: وفي شعبان هدموا قنطرة الباب الشرقي الرومية لينشر حجارتها بلاطاً لصحن الجامع وفرغ منه في رمضان سنة أربع وستمائة، وفي أول شوال غيروا من قبة الجامع عدة أضلاع من شمالها، وفي خامس عشر توفي مسعود الحبشي الزاهد ودفن بالجبل.

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٧، وفيه: أبو يعلى حمزة بن علي بن حمزة بن فارس بن القسطي (بدل ابن القبيطي) البغدادي المقرىء، قرأ القراءات على سبط الخياط والشهرزوري وسمع منهما ومن أبي عبد الله السلار، وطائفة، وكان خيراً زاهداً بصيراً بالقراءات حاذقاً بها، توفي في ذي الحجة.

(٢) هي الخاتون أم السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل. (البداية والنهاية ١٣/ ٣٩).

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣٨.

[شنق التقي الأعمى]

وفي يوم الخميس سابع ذي القعدة وجد التقي الأعمى[١] مشنوقاً بالمئذنة الغربية.

قلت: هذا التقي اسمه عيسى بن يوسف بن أحمد الغرافي، ولد بالغراف من أرض العراق، وكان ضريراً عفيفاً، فقيهاً مفتياً شافعياً مدرساً بالمدرسة الأمينية خارج باب الجامع القبلي، وكان يسكن في أحد بيوت منارة الجامع الغربية، وكان ابتلي بأخذ مال له من بيته واتهم به شخصاً كان يقرأ عليه ويطلع معه إلى البيت يقضي حاجته، ويقوده من المدرسة إلى البيت، ومن البيت إلى المدرسة فأنكر الشخص المتهم ذلك وتعصبت له أقوام عند والي البلد. فوقع الناس في عرضه من اتهامه من ليس من أهل التهم ومن كونه جمع ذلك المال وهو وحيد غريب، ونسبوه إلى أنه غير صادق فيما ادعاه. فزاد عليه الهم من ضياع ماله والوقوع في عرضه ففعل بنفسه ما فعل وقد وقع مثل هذا لجماعة وفعلوا فعله. وجرى لي أخت هذه القضية وعصمني الله سبحانه بفضله وبلغني أن جماعة من المتفقهة امتنعوا من الصلاة عليه وقالوا: قتل نفسه فتقدم شيخنا فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن عساكر فصلى عليه فاقتدى الناس به رحمهم الله ودرس بالمدرسة الأمينية بعده الجمال المصري وكيل بيت المال وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

[وفاة جامع المغربي]

وفي ثامن عشر ذي القعدة توفي الفقيه جامع المغربي والد العلاء محمد بن جامع ودفن من الغد بالجبل وتربته مشهورة على الطريق وكان يتولى عقود الأنكحة وسمع من الحافظ الكبير أبي القاسم وغيره رحمه الله.

[وصول وجه السبع إلى الشام]

ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة[٢]

ففيها: فارق وجه السبع[٣] حاج العراق وقصد الشام، وكان في الحاج العراقي جماعة من الأعيان فبكوا وضجوا وسألوه فقال مولاي أمير المؤمنين محسن

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٧، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٨. وفيه: عيسى بن يوسف بن أحمد العراقي (بدل الغرافي).

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٣٩ - ٤١، وشذرات الذهب ٥/ ٨ - ١١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٢٣ - ٣٣٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٧ - ١٧٨.

(٣) وجه السبع: هو مظفر الدين سنقر أمير الحاج العراقي.

إلي وما أشكو إلا من الوزير ابن مهدي فإنه يقصدني لقربي من مولاي، وما عن الروح عوض وسار إلى الشام ودخل الحاج بغداد وعليهم وحشة وكآبة وأمر الخليفة أن لا يخرج الموكب إلى لقائهم ولا يخرج إليهم أحد، وأدخل الكوس والعلم والمهد في الليل فأقام الخليفة حزيناً أياماً وأما وجه السبع فوصل إلى دمشق فالتقاه العادل وأولاده وخدموه وأحسنوا إليه.

وفيها: ولى الخليفة عماد الدين أبا القاسم عبد الله بن الدامغاني قضاء القضاة ببغداد فاستناب أبا الفتح محمد بن المندائي الواسطي في القضاء بواسط.

[قبض الخليفة على الركن عبد السلام]

وفيها: قبض الخليفة على الركن عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الذي أحرقت كتبه في الرحبة فاستأصله وأصبح يطلب من الناس وكان قد بلغه فسقه وفجوره وكان عبد السلام المذكور هو الذي وشى بالشيخ أبي الفرج ابن الجوزي حتى نكب بما ذكرناه في سنة تسعين وخمسمائة.

قال أبو المظفر: لما قبض ابن يونس الوزير تتبع ابن القصاب أصحابه فقال الركن عبد السلام بن عبد الوهاب أين أنت من ابن الجوزي؟ هو من أكابر أصحاب ابن يونس وأعطى مدرسة جدي وأحرق كتبي بمشورته وهو ناصبي[1] من أولاد أبي بكر وكان ابن القصاب متشيعاً فكتب إلى الخليفة وساعده جماعة من أهل مذهبه ولبسوا على الخليفة فأمر بتسليمه إلى عبد السلام، قال سبط ابن الجوزي: وكان جدي يسكن بباب الأزج في دار بنفشا وكان الزمان صيفاً وجدي رحمه الله جالس في السرداب يكتب وأنا صبي صغير وإذا عبد السلام قد هجم على جدي في السرداب فأسمعه غليظ الكلام وختم على كتبه وداره وشتت عياله وجرى عليهم ما لم يجز على أقل الناس. فلما كان أول الليل حملوا جدي إلى السفينة فأنزلوه فيها ونزل معه عبد السلام لا غير وعلى جدي غلالة بغير سروال وعلى رأسه تخفيفة وحدروه إلى واسط فاستوفى من جدي بالكلام وجدي لا يجيبه. فسبق عبد السلام إلى واسط وكان ناظرها العميد ابن امسينا. وكان متشيعاً فقال له عبد السلام: حرس الله أيامك مكني من عدوي لأرميه في المطمورة فعز عليه وزجره وقال: يا زنديق ارمي ابن الجوزي في المطمورة بقولك؟ هات خط الخليفة والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روحي ومالي في خدمته. فعاد عبد السلام إلى بغداد وكان إحراق كتبه في سنة ثمان وثمانين. وسببه أنه كان بين ابن يونس وبين أولاد الشيخ

(١) الناصبي: هو من يضمر العداء والكراهية لعلي بن أبي طالب وأهل البيت.

عبد القادر عداوة قديمة لأنه كان جارهم بباب الأزج في حال خموله وفقره وكانوا يؤذونه بحيث إنهم ربوا كلباً ولقبوه جليل يعنون جلال الدين وهو لقب ابن يونس.

وكان لابن يونس أخ صالح يقال له العماد فسموا بغلاً للطحن العماد، وكان من ولد الشيخ عبد القادر لصلبه طحان اسمه سليمان كان أشر خلق الله هو الذي فعل هذه الأفاعيل. فلما ولي ابن يونس الوزارة، ثم أستاذية الدار أظهر ما كان في قلبه منهم فبدد شملهم وبعث بعضهم إلى المطامير إلى واسط فماتوا بها وكان عبد السلام هذا مداخلاً للدولة وكان عنده كتب كثيرة فبعث ابن يونس فكبس داره وأخرج منها كتب في فنون منها: الشفاء لابن سينا، والنجاة، ورسائل إخوان الصفا، وكتب الفلاسفة، والمنطق، وتبخير الكواكب، والنارنجيات، والسحر. فاستدعى ابن يونس وهو يومئذ أستاذ دار الخليفة العلماء، والفقهاء، والقضاة، والأعيان وكان جدي فيهم وقرئ في بعضها: «أيها الكوكب الفرد أنت تدبر الأفلاك وتحيي وتميت وأنت إلهنا» وفي حق المريخ من هذا الجنس وكان عبد السلام حاضراً فقال له ابن يونس: هذا خطك؟ قال: نعم. قال: لم كتبته؟ قال: لأرد على قائلة ومن يعتقده. فسألوه فيه فقال: لا بد من تحريق الكتب، فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر صفر جلس قاضي القضاة، والعلماء، وجدي معهم على سطح المسجد المجاور لجامع الخليفة وأضرموا تحت المسجد ناراً عظيمة وخرج الناس من الجامع فوقفوا على طبقاتهم والكتب على سطح المسجد بين أيديهم فقام رجل يقال له ابن المارستانية فجعل يقرأ كتاباً كتاباً ويقول: العنوا من كتبه ومن يعتقده فيصيح العوام باللعن، وعبد السلام حاضر وتعدى اللعن إلى الشيخ عبد القادر وأحمد بن حنبل وظهرت الأحقاد البدرية وقال الخصوم أشعاراً منها قول المهذب الرومي ساكن النظامية: [الخفيف]

لي شعرٌ أرقّ من دين ركن الد ... ين عبد السلام لفظاً ومعنى
زحليا يشنا علياً ويهوى ... آل حرب حقداً عليه وضغنا
منحته النجوم إذ رام سعداً ... وسروراً نحساً وهماً وحزنا
سار إحراق كتبه سير شعرى ... في جميع الأقطار سهلاً وحزنا
أيها الجاهل الذي جهل الحـ ... ـق ضلالاً وضيع العمر غبنا
رمت جهلا من الكواكب بالتبخـ ... ـير غراً فنلت ذلاً وسجنا
ما زحيل وما عطارد والمر ... يخ والمشتري ترى يا معنى
كل شيء يورى ويفنى سوى ... الله إلهي فإنه ليس يفنى

ثم حكم القاضي بتفسيق عبد السلام[١] ورمى طيلسانه وولى جدي مدرسة الشيخ عبد القادر فذكر الدرس بها في ربيع الأول.

[قدوم ابن مازة البخاري إلى بغداد]

وفيها: قدم البرهان محمد بن مازة البخاري ويلقب بصدر جهان حاجاً إلى بغداد وتلقاه جميع من ببغداد ما عدا الخليفة والوزير وأنزل في دار زبيدة على نهر عيسى وحملت إليه الإقامات والضيافات وكان معه ثلثمائة من الفقهاء والمتفقهة، وجرى له في حجه ما سنذكره في أول السنة الآتية.

[نزول الفرنج على حمص]

وفيها: نزلت الفرنج على حمص وكان الظاهر بعث إليها المبارز يوسف بن خطلخ الحلبي نجدة لأسد الدين الأصغر شيركوه الأصغر، وأسر في هذه المرة الصمصام بن العلائي؛ وخادم صاحب حمص.

[مغادرة سبط ابن الجوزي دمشق إلى حلب]

قال أبو المظفر وفيها: فارقت دمشق قاصداً حلب فوصلتها في ذي الحجة واجتمعت بالنقاش الحلبي الشاعر واسمه مسعود بن أبي الفضل أبو الفتح ولقبه تاج الدين مولده سنة أربعين وخمسمائة وقدم دمشق سنة تسع وستمائة وأنشد الجماعة قطعاً من قصائده منها: [السريع]

مـا لـي سـوى حـبـكـم مـذهـب ولا لـي إلـى غـيـركـم مـذهـب
نـاشـدتـك الله نـسـيـم الـصـبـا مـن أيـن هـذا الـنـفـس الـطـيـب
أودعـت بـرداك وقـت الـضـحـى مـكـان الـقـت عـقـدهـا زيـنـب
أم بـاسـمـت ريـاك روض الـحـمـى وذيـلـهـا مـن فـوقـه يـسـحـب
فـهـات أتـحـفـنـي بـأخـبـارهـا فـعـهـدك الآن بـهـا أقـرب

ومنها: [الرجز]

أي يـد عـنـدي وأي مـنـه لـلـركـب إن بـشـرنـي بـهـنـه
صـاحـوا الـرحـيـل فـظـلـلـت والـهـاً أنـشـد قـلـبـي بـيـن عـيـشـهـنـه
كـأنـنـي بـالـحـي قـد شـدوا الـعـرى لـيـلـهـم وارخـو الأعـنـه

---

(١) قال ابن رجب: سمع الحديث من جده، وتفقه عليه، رأى والده يوماً ثوباً بخارياً عليه فقال: والله هذا عجيب ما زلنا نسمع البخاري ومسلم. وأما البخاري وكافر فما سمعناه. وكان أبوه كثير المجون اهـ. راجع طبقات الحنابلة لابن رجب (هامش الأصل).

وما سمعت قبل أن يرحلوا ... بمطلع الشهب من الأسنه
يا حادي الأظعان رب فرح ... أحدثه طيب حديثهنه
فأسلم وقل للراحلين إن يكن ... بين فرقاً بقتيلكن

ومنها قصيدة في صاحب بعلبك الأمجد بن فرخشاه: [السريع]

زار وطرف النجم لم يرقد ... متزر من حسنه مرتد
أحور يحكي الخال في خده ... نقطة يد فوق ورد ند
يا حسنه من زائر ما بدا ... إلا وأنسى قمر الأسعد
ويا ضلالي فيه من بعد ما ... يمرأ وجهه اهتدي
فيا لها من ليلة لم يفز ... بمثلها الهادي ولا المهتدي
إذ اجتلى في ليل أصداغه ... من وجهه شمس صباح الغد
وعاذل عنف فيه ومن ... ينادم البدن ولم يحسد
ظن خلاصي في يدي فاعتدى ... وقال يهوى قاتلاً لا يدي
فقلت لا ترح سلوى فقد ... خلعت سلواني على عودي
أأهجر العيس لهجري له ... وأخرج الفوز به عن يدي
وأنثني منه إلى هجره ... لا وحياة الملك الأمجد

[وفاة أبي محمد الخطيري]

وفيها: توفي إسماعيل بن علي أبو محمد الخطيري[1] من خطيرة الدجيل كان أديباً فاضلاً شاعر أنشد لنفسه: [السريع]

لا عالم يبقى ولا جاهل ... ولا نبيه لا ولا خامل
على سبيل مهيع لاحب ... يورى أخو اليقظة والغافل

[وفاة عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي]

وفيها: توفي عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي كان زاهداً عابداً ورعاً لم يكن في أولاد الشيخ مثله ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وسمع الحديث الكثير وكان مقتنعاً من الدنيا باليسير وكانت وفاته في شوال ودفن بباب حرب سمع أبا

---

(١) في كشف الظنون ٥/ ٢١١: «الخضيري» بدل «الخطيري»، وهو إسماعيل بن علي الخضيري من أعمال دجيل من نواحي بغداد، رحل إلى الموصل وأقام بدار الحديث عدّة سنين ورجع إلى بغداد ومات بها سنة ٦٠٣هـ، له ديوان شعره، وكتاب جيد في علم القراءة.

الكرم بن الشهرزوري وطبقته وكان صالحاً ثقة لم يدخل فيها دخل فيه غيره من إخوته.

[وفاة القاضي شريح]

وفيها: في ربيع الأول توفي أبو منصور عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله النعماني النيلي(١) المعروف بالقاضي شريح(٢) لقب بذلك لذكائه وفطنته كان يتوقد ذكاء وفضلاً كأنهم شبهوه بالقاضي شريح الأكبر الذي كان في زمن الصحابة رضي الله عنهم. ولي شريح هذا قضاء النيل مدة ثم قدم بغداد فندب إلى المراتب الكبار فلم يدخل في شيء منها فرمى طاشتكين أمير الحاج نفسه عليه وسأله أن يكتب له فاستحيا منه وكتب له فأقام عنده مدة عشرين سنة فقصده الوزير ابن مهدي حسداً لفضله وكان فاضلاً، مترسلاً بليغاً، جواداً، سمحاً حسن الصورة فصيح اللسان متواضعاً لطيفاً يصلح للوزارة فلبس على الخليفة في أمره فحبسه في دار طاشتكين بدار الخليفة ولم يقدر طاشتكين على الكلام فيه ومات طاشتكين وهو محبوس ثم مات شريح بدار طاشتكين فأخرج منها ميتاً فدفن بداره في القبيبات ومن العجايب أن ابن مهدي نكب بعد وفاة شريح وحبس بدار طاشتكين أيضاً وبها مات كما سنذكر في أخبار السنة الآتية. ورسائل شريح مدونة في مجلدين رحمه الله.

[وفاة مكي بن ريان]

وفيها: توفي بالموصل في شوال أبو الحرم مكي بن ريان بن شبة الماكسيني الموصلي النحوي(٣) قدم بغداد وقرأ على ابن الخشاب، وابن العصار، والكمال الأنباري وبرع في علم النحو وقدم الشام فأقام بحلب مدة وانتفع به خلق عظيم وقدم دمشق وقرأ عليه شيخنا أبو الحسن السخاوي رحمه الله كتاب أسرار العربية للأنباري وربما يقع تصحيف في اسم أبيه وجده فاعلم: أن اسم أبيه أوله راء بعدها باء معجمة بواحدة من تحت وشبة على وزن حبة، وبدأ بذكره في تاريخ إربل شرف الدين المستوفي لأنه شيخه ووصفه وأثنى عليه وقال ولد بماكسين من ولاية سنجار ونزل بالموصل بعد أن رحل في طلب العلم إلى بغداد وكان سبب عماه جدرياً لحقه وهو ابن ثمان أو تسع، وكان يتعصب لأبي العلاء أحمد بن سليمان المعري للجامع بينهما من العمى والأدب وكان قد نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن

---

(١) النيلي: نسبة إلى مدينة النيل بسواد الكوفة.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٠، وشذرات الذهب ٥/ .

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٠، وفيه: أبو الحزم مكي بن زيان (بدل ريان) بن شبة بن صالح الماكسيني. وانظر أيضاً شذرات الذهب ٥/ ١١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٣١ ـ ٣٣٢.

العزيز وجميع ضروب الأدب فكان لا يتفرغ إلا للصلاة المكتوبة أو إلى ما لا بد منه وتخرج عليه جماعة من أصحابه وكان أخذ عن أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي الأصل الموصلي الوفاة ومن شعره: [الوافر]

إذا احتاج النوال إلى شفيع ... فلا تقبله تضح قرير عين
إذا عيف النوال لفرد من ... فأولى أن يعاف لمنتين

وله ألغاز في اسم دعد: [مجزوء الكامل]

اسم الذي أنا عبدها ... يا أيها الرجل الحكيم
تلقيه معكوساً كما ... تلقيه إذ هو مستقيم

قلت: وكفى من ذلك أن يقول اسمها إن عكسته مثله إن تركته.

[وفاة إقبال الخادم]

وفيها: توفي جمال الدولة إقبال الخادم[١] بالبيت المقدس رابع عشر ذي القعدة بعد أن وقف داريه بدمشق مدرستين إحداهما للشافعية وهي الكبرى، والأخرى للحنفية وهي الصغرى ووقف عليهما مواضع ثلثاها لمدرسة الشافعية والثلث الباقي لمدرسة الحنفية وكان من خدام صلاح الدين رحمه الله.

[شكاية حاج العراق من أميره صدر جهان]

ثم دخلت سنة أربع وستمائة[٢]

ففيها: قدم حاج العراق بغداد في صفر وحكوا ما لقوا من صدر جهان[٣] وشدة العطش وأن غلمانه كانوا يسبقون الناس إلى المناهل فيأخذون الماء فيرشون به حول خيمته ويسقون أحواض البقل على الجمال ومات أكثر الناس عطشاً وسموا هذه السنة صدر جهنم ولما وصل إلى بغداد لم يخرج أحد للقائه ولعنوه في وجهه وسبوه في الأسواق وكتبوا لعنته على المساجد والجوامع وكان النساء يخرجن متبرجات منشرات الشعور يلطمن على موتاهن ويقلن العنوا صدر جهنم فسأل الوزير أن يأذن له في الرجوع إلى بلده فخلع عليه جبة وعمامة وطيلسان وخرج من بغداد والناس خلفه يسبونه ولم يقدر أحد على منعهم.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤١، وشذرات الذهب ٥/ ٩.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٤١ ـ ٤٤، وشذرات الذهب ٥/ ١٢ ـ ١٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٣٣ ـ ٣٤٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٨ ـ ١٨٠.

(٣) صدرجهان: هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز النجاري (هامش الأصل).

قال أبو المظفر: وحججت أنا في هذه السنة وهي الرابعة فرأيت من الموتى ما أذهلني وخصوصاً في النقرة والعسيلة فإني رأيت فيها ما يزيد على خمسة آلاف ميت ومشينا ثلاثة أيام في الأموات.

[قبض الخليفة على الوزير ابن مهدي]

وفيها: في جمادى الآخرة قبض الخليفة على الوزير ابن مهدي ليلاً بعث إليه من أغلق بابه فأقام أياماً ثم نقله في رجب إلى دار طاشتكين في دار الخليفة الذي مات فيها القاضي شريح ونقل أهله وأولاده وأمواله وذخائره ووجد له من الأموال والذخائر ما لم يوجد في خزائن الخلفاء فلم يتعرض له الخليفة وفوض الأمر إلى المكين محمد القمي كاتب الإنشاء بين يدي ابن مهدي وناب القمي بعد ذلك في الوزارة إلى أيام المستنصر فقبض عليه واختلفوا في سبب عزل الوزير ابن مهدي فقال قوم: كان ظالماً جباراً قاسياً متكبراً قليل الرحمة قل أن حبس أحداً فتخلص منه. حكى لي خالي أبو محمد يوسف قال: شفعت إليه يوماً في محبوس. فقال: وكم له في الحبس؟ فقلت: خمس سنين. قال: ليس هذا بمحبوس المحبوس عندنا في العجم من يمضي عليه خمسون سنة.

وقال آخرون: إن المكين القمي سعى به إلى الخليفة وقال: إنه قد طمع في الخلافة ويقول إنه علوي ونحن أحق وأنه ينفذ الأموال إلى العجم في قواصر التمر إلى أهله بخراسان ليجندوا العساكر ويقيموا ملكاً يقصد بغداد. وقال آخرون: إنه اتفق مع ابن ساوا النصراني على قتل علاء الدين ايتامش مملوك الخليفة في هذه السنة وسنذكره ولما ظهر خبره واستقلاله بالأمور. هجاه أهل بغداد وكتبوا الأشعار وأوصلوها إلى الخليفة منها ما كتب به يعقوب بن صابر المنجنيقي(١): [الطويل]

خليلي قولا للخليفة أحمد ... توق وقيت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما ... صنيعك يا خير البرية ضائع
فإن كان حقاً من سلالة حيدر ... فهذا وزير في الخلافة طامع
وإن كان فيما يدعي غير صادق ... فأضيع ما كانت لديه الصنائع

(١) هو نجم الدين أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمر الحرّاني الأصلي بغدادي المولد والدار، المعروف بالمنجنيقي، الأديب، ولد سنة ٥٥٤هـ، وتوفي سنة ٦٢٦هـ، له ديوان شعره، «عمة السالك في سياسة الممالك»، «مغاني المعاني» في مدح الخلفاء من شعره (كشف الظنون ٦/ ٥٤٥).

وجلس يوماً في الديوان فوقعت بين يديه ورقة مختومة فلم يتجاسر على فتحها فبعث بها إلى الخليفة وكان فيها: [السريع]

إن صحَّ [ما][1] تزعم يا مدعي ... إلى نبي لست من نسله

لا قاتل الله يزيداً ولا ... مدت يد السوء إلى نعله

لأنه قد كان ذا قدرة ... على اجتثاث العود من أصله

وإنما أبقاك أحدوثة ... للناس كي يعزر في فعله

فكان سبب حتفه لأن الخليفة قال ما كتبوا هذه إلا وقد أهلك الحرث والنسل.

[ترتيب الخليفة لدور الضيافة في شهر رمضان]

وفيها: رتب الخليفة في شهر رمضان دور الضيافة ببغداد من الجانبين عشرين داراً في كل دار في كل ليلة خمسمائة قدح وألف رطل من الطبيخ الخاص، والخبز النقي، والحلواء وغير ذلك مستمر في كل رمضان.

[وصول نجم الدين خليل الحنفي إلى بغداد]

وفيها: وصل إلى بغداد من دمشق قاضي عسكر الشام نجم الدين خليل الحنفي رسولاً من العادل أبي بكر بن أيوب وأخرج في مقابلته الشيخ شهاب الدين السهروردي وسنقر السلحدار ومعهما الخلع للعادل وأولاده وكان في خلعة العادل الطوق والسواران.

[ملك الأوحد بن العادل خلاط]

وفيها: ملك الأوحد بن العادل مدينة خلاط كاتب أهلها بعد قتل ابن بكتمر صاحبها والهزار ديناري. وكان ديناري هو الذي قتل ابن بكتمر، وكان شاباً لم يبلغ عشرين سنة ولم يكن فيها أحسن منه وقيل إنه أغرقه في بحر خلاط وكانت أخته مع صاحب ارزن الروم فقالت: لا أرضى حتى يقتل الهزار ديناري وتأخذ بثأر أخي فسار إلى خلاط وخرج الهزار ديناري للقائه فضربه فأبان رأسه وعاد إلى الروم وبقيت خلاط بغير ملك وكان الأوحد هو صاحب ميافارقين فكاتبوه فجاء إليهم واستولى عليها وكانوا جبابرة وتشرط عليه المقدمون بها فشرع فيهم فأبادهم وغرقهم في بحر خلاط وبدد شملهم.

---

(١) في الأصل «فيما» والبيت مكسور بهذا اللفظ ولكي يستقيم الوزن يجب أن تكون «ما».

ذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه[١] أن ابن بلبان مملوك شاه أرمن لما أخذ خلاط من ابن بكتمر قصد الأوحد موشى من أعمال خلاط فأخذها وغيرها. ثم طمع في خلاط فقصدها فهزمه بلبان فرجع الأوحد إلى ميافارقين وحشد وعاد إليه فاستنجد بلبان بصاحب أرزن الروم وهو مغيث الدين طغر لشاه بن قلج أرسلان فأنجده بنفسه وهزما الأوحد ثم غدر مغيث الدين بلبان فقتله طمعاً في البلاد وسار إلى خلاط فمنعه أهلها فعاد عنها فأرسلوا إلى الأوحد فحضر إليهم فسلموها إليه.

وفيها: حج بالناس من الشام بدر الدين مودود فرحل من دمشق ثامن عشر شوال وصحبه الملك المحسن بن صلاح الدين وجاور في تلك السنة وودعهم السلطان العادل إلى الكسوة وحج معه تلك السنة شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه وأولاده، وشبل الدولة الحسامي وخلق كثير منهم: أبو المظفر سبط ابن الجوزي وهي أول حجاته وكانت الوقفة يوم الأربعاء وعاد إلى العراق. وحج بالناس من العراق في هذه السنة والتي قبلها مجاهد الدين ياقوت.

[وفاة علاء الدين إيتامش]

وفيها: توفي علاء الدين إيتامش بن عبد الله مملوك الخليفة الناصر[٢] وكان شجاعاً عاقلاً صالحاً متصدقاً رحوماً رقيق القلب ولا يعرف المسكر ولا الفواحش وكان يطعم المسكين ويكسو العاري وكان الخليفة يحبه ويقربه والوزير ابن مهدي يشنأه لقربه من الخليفة وكان ابن مهدي قد ولى الدجيل ودقوقا رجلاً نصرانياً يقال له ابن ساوا فتسلط على المسلمين وفتك وظلم وأهان المسلمين وأذلهم وكان يركب مثل صاحب الديوان وجميع الناس مشاة بين يديه قالوا وكان ابن ساوا يحمل مغل البلاد إلى ابن مهدي فيأخذ منها ما يريد ويعطي الخليفة ما يريد فأقطع الخليفة إيتامش دقوقا والدجيل فخرج إليهما واطلع على الأحوال فخاف ابن مهدي قالوا فاتفق مع ابن ساوا على أن يسم إيتامش فمضى النصراني إلى دقوقا وتوصل إلى إيتامش ودس عليه من سقاه السم فمرض إيتامش وعاد إلى بغداد مريضاً فمات بعد أيام فتقدم الخليفة بأن يفتح له جامع القصر ولا يتخلف عن جنازته أحد من أرباب الدولة إلا الخليفة والوزير وحمل إلى مشهد موسى بن جعفر فدفن هناك وعلم الخليفة بباطن الحال فأمر بأن يسلم ابن ساوا إلى غلمان إيتامش. فكتب المهدي

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) ذكره في البداية والنهاية ١٣/ ٤٣ باسم بنيامين بن عبد الله أحد أمراء الخليفة الناصر، وذكره في شذرات الذهب ٥/ ٩، في وفيات سنة ٦٠٣هـ.

إلى الخليفة يقول: إن النصارى قد بذلوا في ابن ساوا خمسين ألف دينار ولايقتل. فكتب الخليفة على رأس الورقة[١]: [البسيط]

إن الأسـود أسـود الـغـاب هـمـتـهـا   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

فسلم ابن ساوا إلى مماليك علاء الدين فأخرج من دار الوزير وفي رقبته حبل وهو مكتوف فقتلوه وأحرقوه وكان لابن مهدي مملوك عاقل يقال له آق سنقر الدوادار. كان يطالع الخليفة بأخبار ابن مهدي وأنه يكاتب الأعاجم ويسعى في فساد الدولة، وعلم الوزير فسقاه السم فمات في ربيع الآخر هو وعلاء الدين إيتامش في أيام قريبة وقبض الخليفة على ابن مهدي في جمادى.

[وفاة الناقد بن قنبر]

وفيها: في شهر رمضان توفي شرف الدين الناقد بن قنبر واسمه الحسن بن أبي طالب[٢]، ولاه الخليفة حجبة الباب وناب في الوزارة، ثم ولاه صاحب المخزن فتجبر وطغى، وبنى بدرب المطبخ داراً تناهى في بنائها فلم يكن ببغداد مثلها، وشرع في الظلم والفسق وتجاهر به ومد عينيه إلى أولاد الناس وكان قبيح السيرة فرفع أمره إلى الخليفة فأخذه أخذ عزيز مقتدر، وقبض عليه واستأصله؛ ونقض داره إلى الأساس وحبسه فأخرج في رمضان ميتاً فدفن بمشهد باب البير.

[وفاة حنبل بن عبد الله]

وفيها: توفي أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة[٣] المكبر بجامع الرصافة وكان فقيراً جداً، وكان قد سمع المسند من ابن الحصين فقيل له لو سافرت إلى الشام. فخرج من بغداد فأسمع المسند باربل فسمعه ابن زين الدين؛ وبالموصل، وبدمشق فسمعه عليه الملك المعظم عيسى بالكلاسة في جمع كثير وهو آخر من رواه عن ابن الحصين فألحق الصغار بالكبار، وكان كثير الأمراض بالتخم. كان الملك المعظم يطعمه ألوان الطعام وأشياء ما رآها ولا في المنام وكان معوداً ببغداد أكل الهرطمان[٤] وتلك الألوان وبلغني أن الشيخ تاج الدين الكندي

---

(١) البيت في البداية والنهاية ١٣/ ٤٣.

(٢) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٣، وشذرات الذهب ٥/ ١٢، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٤٤.

(٤) الهرطمان، بالضم: حب متوسط بين الشعير والحنطة نافع للإسهال والسعال، (من هامش الأصل).

حضر عندهم يوماً في السماع ولم يحضر حنبل فقال تاج الدين: وأين حنبل. فقال المعظم: هو متخوم. فقال تاج الدين: أطعمه عدس. فضحك المعظم والجماعة. وكان عمر بن طبرزد قد رافقه من بغداد إلى الشام وحصلا مالاً طائلاً وعاد إلى بغداد، فاشترى حنبل العتابي والكاغد، وعزم على العود إلى الشام في تجارة فأدركته المنية رابع عشر محرم سنة أربع وستمائة وله تسعون سنة، وحمل المال إلى بيت المال ولم يكن له وارث ودفن بباب حرب. ومات ابن طبرزد في سنة سبع وستمائة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

[وفاة عبد الرحمن بن عيسى البزوري]

وفيها: في صفر توفي عبد الرحمن بن عيسى بن أبي الحسن البزوري الواعظ[١] من أهل باب البصرة ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وقرأ على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي الوعظ، والفقه، والحديث، ثم حدّثته نفسه بمضاهاته حتى كنى نفسه أبا الفرج واجتمع إليه سفاف أهل باب البصرة، وانقطع عن جدي ولما جاء من واسط ما جاء إليه ولا زاره، وكان في عشر السبعين تزوج صبية واغتسل في يوم بارد فانتفخ ذكره ومات وسمع أبا الوقت وغيره.

[وفاة عبد المجيد بن عبد الله]

وفيها: توفي عبد المجيد بن أبي القاسم عبد الله بن زهير أبو محمد الحربي[٢] ابن أخي عبد المغيث الحربي[٣] ولد سنة سبع وعشرين وخمسمائة وسمع الحديث الكثير وكان تردد من عند الخليفة إلى العادل في أمور خاصة فخرج في السنة الماضية وعاد في هذه السنة فتوفي بحماة وكان صالحاً ثقة.

[وفاة زين الدين قراجا]

وفيها: توفي الأمير زين الدين قراجا الصلاحي[٤] صاحب صرخد وداره في

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٣، وشذرات الذهب ٥/ ١٣، وفيه: أبو محمد وأبو الفرج عبد الرحمن بن عيسى بن أبي الحسن علي بن الحسين البزوري البابصري الواعظ الحنبلي.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٢ ـ ١٣، وفيه عبد المجيب (بدل عبد المجيد) وهو تصحيف.

(٣) هو عبد المغيث بن زهير بن علوي، ضياء الدين، أبو العز البغدادي، المحدث اللغوي الحنبلي المتوفى سنة ٥٨٣هـ، له من المصنفات: «شرح المثلثات لقطرب في اللغة»، «فضائل يزيد» «كتاب الانتصار» (كشف الظنون ٥/ ٦٢٣).

(٤) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٣.

دمشق بالذلاقة بنواحي باب الصغير وكان شجاعاً جواداً توفي بدمشق ودفن بجبل قاسيون وقبره عند تربة ابن تميرك في قبة على الجادة على يمين السالك شرقاً كذا قال أبو المظفر. وقال العز بن تاج الأمناء: توفي بالعسكر على بحيرة قدس مرابطاً يوم السبت أول جمادى الأولى وحمل إلى دمشق في محفة فدفن في المقبرة العادلية من جبل قاسيون حالة وصوله بكرة يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى المذكور ووصل ابنه ناصر الدين يعقوب من قلعة صرخد إلى خدمة السلطان العادل وهو على القدس، فأكرمه وأنعم عليه بما كان بيد أبيه ثم توفي في سنة أربع عشرة وستمائة وعمره إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر.

[وفاة محمود بن هبة الله الحلي]

وفيها: توفي أبو الثناء محمود بن هبة الله بن أبي القاسم الحلي البزار(١) قرأ القرآن على علي بن عساكر البطايحي، والأدب على أبي محمد بن الخشاب، وسمع الحديث على أبي الوقت. وحكى عن إسماعيل بن موهوب الجواليقي قال: كنت في حلقة والدي أبي منصور موهوب يوم جمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرؤون عليه فوقف عليه شاب فقال: يا سيدي ما معنى قول القائل؟: [البسيط]

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها ... وهجره النار تصليني بها النارا

فالشمس بالقوس أضحت وهي نازلة ... إن لم يزرني وبالجوزاء إن زارا

فقال له والدي: يا بني هذا شيء يتعلق بسير الشمس بالبروج وما يتعلق بعلم الأدب. ثم قام والدي وآلى على نفسه ألا يعود إلى مكانه ذلك حتى ينظر في علم النجوم ويعرف سير الشمس والقمر فنظر فيه وعلمه بحيث إذا سئل عن شيء أجاب. ومعنى الشعر: إن الشمس إذا نزلت في القوس يكون الليل في غاية الطول فإذا كانت في الجوزاء كان الليل في غاية القصر.

[وفاة ست الكتبة]

وفيها: في ربيع الأول توفيت ست الكتبة واسمها نعمة بنت علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن الطراح(٢) وكانت صالحة زاهدة عابدة راوية للحديث روت

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) انظر ترجمتها في شذرات الذهب ١٢/٥، وفيه: ست الكتبة نعمة بنت علي بن يحيى بن الطراح.

كتاب الشمائل للترمذي عن أبي شجاع عمر بن أبي الحسن البسطامي وعن جدها أبي محمد بن يحيى بن محمد الطراح وغيرهما ودفنت بباب الفراديس.

[وفاة أبي القاسم بن الخشاب]

وفيها: في تاسع شهر رمضان توفي عمي الشيخ أبو القاسم بن إبراهيم بن عثمان بن الخشاب ودفن بالمقبرة التي بين الباب الشرقي وباب توما رحمه الله.

[وفاة عبد العزيز الطبيب]

وفيها: في ذي القعدة توفي عبد العزيز الطبيب[١] فجأة وهو والد سعد الدين الطبيب الأشرفي وهو الذي عناه القائل أظنه ابن عنين بقوله[٢]: [الطويل]

فرادى ولا خلف الخطيب جماعة ومـوت ولا عيد العزيز طبيب

[بقية أحداث هذه السنة]

وفي شعبان سار أولاد صلاح الدين إلى حلب. وفي ثاني رمضان تجدد هواء قوي عقيبه مطر وثلج بحيث رمى بعض رصاص المسجد على رجلين في صلاة الجمعة فقتلهما. وفي سابع عشر رمضان وصلت رسل الخلافة، والشيخ شهاب الدين السهروردي، ونور الدين التركي الخليفتي، ولبس السلطان العادل أبو بكر، وولداه المعظم، والأشرف، والوزير صفي الدين بن شكر، وأستاذ الدار شمس الدين الدكز العادلي الخلع من القصر إلى القلعة وكان دلدرم حامل التقليد على رأسه بين يدي السلطان، ودخل جميعهم من باب الحديد عند آذان الظهر، وأنزل الرسل بدار عز الدين فرخشاه، ورباط خاتون وقرأ الوزير التقليد قائماً بمحضر من القضاة وسراة البلد بإيوان القلعة، ولم يزل السلطان وأولاده وجميع الحاضرين قياماً إلى أن فرغ من قراءته. واتفق حضور شهاب الدين بن شداد قاضي حلب رسولاً من الظاهر صاحبها وعلى يده ألف دينار للنثار فلم يأذن له العادل بنثارها، وأمره بعد ذلك بحملها للرسل ثم عادت رسل الخليفة إلى بغداد وصحبتها قاضي العسكر خليل الحنفي، وشمس الدين الدكز أستاذ الدار بهدايا سنية وودعهم العادل إلى القصير.

[تركيب الساعة بالمئذنة الشرقية بجامع دمشق]

وفي رجب ركبوا الساعة بالمئذنة الشمالية بالجامع وشرعوا في عمارة البرج

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٤.

(٢) البيت في البداية والنهاية ١٣/ ٤٤، ويروى صدر البيت:

فراري ولا خلف الخطيب جماعة

الذي في قبالة المدرسة القيمازية. وفي ثالث شوال ذكر القاضي شرف الدين عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان الدرس في مدرسة ابن رواحة. وفي رابع وعشرين شوال سار الشيخ فخر الدين بن عساكر إلى القدس للإقامة بالمدرسة الناصرية. وفي الخامس والعشرين منه اعتقل السلار بهرام وأولاده على العملة بالقيسارية وهي العملة المعروفة بابن الدخينة واشتهرت في البلاد.

وفيها: وصل الخبر إلى دمشق بحدوث زلازل بنواحي بلد خلاط وريح بحيث وقع خسف بموضع قد كان الأوحد بن العادل نازلاً به ورحل عنه قبل ذلك بليلة.

وفيها: توفي العفيف بن الدرجي[(١)] إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع دمشق.

[تكامل دار الضيافة ببغداد]

ثم دخلت سنة خمس وستمائة[(٢)]

ففيها: تكاملت دار الضيافة ببغداد بالجانب الغربي للحجاج الواردين من البلاد، ورتب لهم الخليفة فنون الأطعمة والزاد، وإذا عادوا من الحج فرقت فيهم الدنانير والثياب. ووصل حاج الشام دمشق في التاسع والعشرين من المحرم، وجاور الملك المحسن وتوفي أخوه الأشرف بحلب، وفي تاسع المحرم يوم الجمعة دخل عند الأذان في السحر مملوك افرنجي كان لفلك الدين سليمان وكان سكران إلى مقصورة الخطابة وفي يده سيف مشهور ضرب به جماعة مات منهم اثنان أو ثلاثة ووقعت بعض الضربات في جانب المنبر فأثرت فيه والناس مجتمعون لصلاة الصبح وعملت في ذلك أشعار كان يغنى بها في الأسواق وسمعتها وأنا صغير أحفظ منها: [مجزوء الرجز]

مقصورة الخطيب طلب والناس ولوا الهرب
في جانب المنبر ضرب بالسيف حتى انكسر

ثم قبض عليه وترك بالبيمارستان وشنق بجسر اللبادين آخر النهار ولم يكن على الجسر ذلك الزمان هذه العمارة بل كان على حافته الشرقية درابزين يدلى المشنوق فيه إلى الطريق المسلوكة بجيرون فيراه الناس من الطريق كما يرون المارة بالجسر المذكور.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٤.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٤٤ ـ ٤٥، وشذرات الذهب ٥/ ١٤ ـ ١٨، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٤٥ ـ ٣٤٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨٠ ـ ١٨١.

[رجوع شهاب الدين السهروردي إلى بغداد]

وفيها: دخل الشيخ شهاب الدين السهروردي إلى بغداد من الرسالة بالشام ومعه شمس الدين الدكز أستاذ دار العادل فتلقى الموكب الدكز وكان معه الهدايا والتحف وأعرض عن الشيخ الشهاب ونقم عليه حيث مد يده إلى الأموال بالشام وحضر دعوات الأمراء أسامة وغيره وقد كان قبل الرسالة زاهداً فقيراً وأخذ منه الربط التي كانت بيده رباط الزوزني والمرزبانية ومنع من الوعظ فقال: ما قبلت هذه الأموال إلا لأفرقها على الفقراء ببغداد. وشرع يفرق الأموال والثياب في الزوايا والربط قال أبو المظفر: كان من عادة خالي أبي محمد يوسف يجلس يوم السبت تحت تربة أم الخليفة، والشهاب يجلس يوم الثلاثاء بباب بدر، فمنع الشهاب من الجلوس وأمر خالي فجلس مكان الشهاب بباب بدر فاتفق أن حكى خالي حكاية الذي نظر في الرحبة إلى شخص مستحسن فاسود بعض وجهه، فرأى في المنام قائلاً يقول: اذهب إلى بغداد إلى شيخك الجنيد[1] فسله أن يستغفر لك: فنزل إلى بغداد وطرق زواية الجنيد فقال له الجنيد: تذنب بالرحبة وأستغفر لك ببغداد. فقال الناس: ما قصد إلا الشهاب. ومعناه لو تركت هذه الأموال بالشام كان أصلح من أخذها وتفريقها ببغداد. قال: والظاهر أن خالي ما قصد نكت الشهاب وإنما وقع ذلك على سبيل الاتفاق، وقد أغنى خلقاً كثيراً من فقراء المسلمين بالشام والعراق والأموال كلها للمسلمين فقد صرفت إلى أرباب الاستحقاق. قال: وكان الفخر بن تيمية[2] قد حج في السنة الماضية وكتب مظفر الدين بن زين الدين معه كتاباً إلى الخليفة بالوصية عليه فلما عاد من مكة سأل الجلوس بباب بدر فأجيب إلى ذلك وتقدم إلى خالي بالحضور فحضر وقعد على دكة المحتسب بباب بدر ووعظ ابن تيمية ومدح الخليفة وأنشد في أثناء ذلك: [البسيط]

وابن اللبون إذا ما لذ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعس

---

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، أبو القاسم القواريري الزاهد الحنفي مفتي الثقلين، شيخ الصوفية وسيد الطائفة، توفي سنة ٢٩٨هـ، من تصانيفه «أمثال القرآن»، «معاني الهمم» في الفتاوى، «المقصد إلى الله تعالى» في التصوف (كشف الظنون ٥/ ٢٥٨).

(٢) هو محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحرّاني، فخر الدين، أبو عبد الله الواعظ الحنبلي، ولد سنة ٥٤٢هـ، وتوفي سنة ٦٢١هـ، له من التصانيف: «بلغة الساغب وبغية الراغب» في الفروع، «تخليص المطلب في تلخيص المذهب» في الفروع، «ترغيب القاصد في تقريب المقاصد»، «تفسير القرآن»، «ديوان خطب»، «الموضح» في الفرائض (كشف الظنون ٦/ ١١١).

فقال العوام: ما قصد إلا خالي يعني أن ابن تيمية كان شيخاً وخالي شاب. قال: وكان الخليفة خلع على الشمس الدكز أستاذ دار العادل وعاد إلى الشام بالهدايا وزلزلت نيسابور زلزلة عظيمة ودامت عشرة أيام فمات تحت الهدم خلق عظيم وحج بالناس من العراق المجاهد ياقوت، ومن الشام حسام الدين قايماز والي القدس الشريف. قال العز بن تاج الأمناء: في عشية ثالث عشر رجب جرى بين التاج الكندي[1] وابن دحية كلام ومشاتمة عند الوزير.

قلت: حكى لي من حضر ذلك المجلس أن الشيخ الحافظ أبا الخطاب عمر بن دحية[2] لما عاد من رحلته الخراسانية قصد مجلس الوزير صفي الدين عبد بن علي المعروف بابن شكر[3] وزير العادل، وكان الشيخ العلامة تاج الدين الكندي جالساً إلى جنبه فأجلس ابن دحية إلى الجانب الآخر، فشرع ابن دحية يورد حديث الشفاعة فلما وصل إلى قول إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وقوله: إنما كنت خليلاً من وراء. وراء. لفظ باللفظتين بفتح الهمزة فيهما فقال الكندي: وراء. وراء. بالضم فعز ذلك على ابن دحية وكان جريئاً ذا أنفة من الرد عليه فقال للوزير من ذا الشيخ؟ فقال له: هذا تاج الدين الكندي. فسمج ابن دحية في حقه بكلمات

---

(١) هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي البغدادي، تاج الدين أبو اليمن المقرىء النحوي، ولد سنة ٥٢٠هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦١٣هـ، من تصانيفه: «إتحاف الزائر وأطواق المقيم المسافر»، «حاشية على شرح ديوان المتنبي للوأواء الدمشقي»، «شرح خطب ابن نباتة»، «مشيخة على حروف المعجم»، «نتف اللحية من ابن دحية» وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٣٧٧).

(٢) هو عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف الظاهري الحافظ مجد الدين أبو الخطاب البلنسي الأندلسي، المعروف بابن دحية، سافر إلى مصر وسكن بها، ولد سنة ٥٤٨هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٣٣هـ، له من التصانيف: «الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء النبي ﷺ من المعجزات»، «الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفّين»، «التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق». «تعليق على شهاب الأخبار للقضاعي»، «تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر»، «التنوير في مولد السراج المنير»، «الصارم الهندي في الرد على الكندي»، «العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور»، «مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين»، «المستوفى في أسماء المصطفى ﷺ»، «المطرب من أشعار أهل المغرب»، «النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس»، «نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ» وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٧٨٦).

(٣) هو صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق الشيبي الدميري المالكي المعروف بابن شكر، من وزراء الأيوبية بمصر، ولد بدميرة سنة ٥٤٨هـ، وتوفي بالقاهرة في شعبان من سنة ٦٢٢، صنف كتاباً في فروع المالكية كان كل من حفظه نال منه حظاً وافراً (كشف الظنون ٥/ ٤٦٠).

فلم يسمع من الكندي إلا قوله: هو من كلب فنبح. وهذه تورية حسنة من لفظ حلو وذلك أن ابن دحية كان ينسب إلى ابن كلب من العرب، وهي قبيلة دحية الصحابي رضي الله عنه. وفي صحة الانتساب إليه كلام ونظر، فإن جماعة من المتقدمين قالوا لم يعقب على ما ذكرناه في ترجمته في تاريخ دمشق، ووقع الناس في أبي الخطاب بسبب ذلك حتى قال بعضهم: [السريع]

دحية لم يعقب فلا تنتسب إليه بالبهتان والإفك
ما صح عند الناس شيء سوى إنك من كلب بلا شك

فأخذ الشاعر المعنى الذي أشار إليه الكندي بذلك اللفظ الوجيز، أما اللفظتان المتنازع فيهما فرأيت في أمالي أحمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين فيهما والجر أيضاً وقد نظمت ذلك في كتاب مفصل الزمخشري وغيره من المسائل النحوية وبالله التوفيق.

[وفاة عبدان المعلم]

وفيها: في ثالث شهر رمضان توفي عم جدي عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد المقدسي ويعرف بعبدان المعلم[1]. كان معلماً في المكتب الذي بباب الجامع الشامي قبالة خانقاه السميساطي وعمر طويلاً نحو تسعين سنة، ودفن بباب الفراديس. ومات جدي الذي هو ابن أخيه قبله بزمان. قرأت بخط عمي أبي القاسم بن إبراهيم بن عثمان الخشاب رحمه الله قال: توفي الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم الفقيه الإمام عثمان بن أبي بكر المقدسي إلى رحمة الله في السابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة قال: وتوفيت والدة أبي القاسم المذكور في ثاني شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وهي جدتي أم أبي إسماعيل فبينها وبين وفاة جدي شهر واحد؛ ودفنت بباب شرقي ودفن جدي بباب الفراديس قبالة تربة الصيفي ابن العائص بينهما الطريق وعلى قبر عم جدي بلاطة فيها اسمه وتاريخ وفاته.

[وفاة الخضر بن علي الجزري]

وفيها: توفي أبو العباس الخضر بن علي الجزري ولد بجزيرة ابن عمر في سنة خمس وعشرين وخمسمائة وقدم بغداد وله يد في تعبير الرؤيا وأنشد لنفسه: [الوافر]

أنست بوحدتي حتى لو أني رأيت الأنس لاستوحشت منه

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

وما ظفرت يدي بصديق صدق ... أخاف عليه إلا خفت منه
وما ترك التجارب لي حبيباً ... أميل إليه إلا ملت عنه

[وفاة محمد بن بختيار]

وفيها: توفي محمد بن بختيار بن عبد الله[1] أخو أستاذ دار الخليفة كان فاضلاً أديباً أنشد يوماً: [الكامل]

قسماً بمن سكن الفؤاد وإنه ... قسم به لو تعلمون عظيم
إني به صب كئيب مدنف ... قلق الفؤاد موله مهموم
لا يستطيع مع التنائي سلوة ... حتى الممات وإنني لسليم
فتعطفوا بالوصل بعد تهاجر ... فالصبر ينفد والرجاء مقيم

[وفاة سنقر الصلاحي]

وفيها: توفي الأمير سنقر الصلاحي بحلب رابع عشر المحرم وهو أحد الأمراء المذكورين المجاهدين.

[وفاة مصدق بن شبيب]

وفيها: في ربيع الأول توفي الشيخ أبو الخير مصدق بن شبيب بن الحسن النحوي الصلحي من أهل فم الصلح ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وصحب الشيخ صدقة الزاهد وقرأ عليه القرآن والنحو وأقام برباط صدقة، وقرأ على ابن الخشاب، وابن القصار، والكمال الأنباري. وسمع الحديث من أبي الفتح بن البطي ودفن مع الشيخ صدقة في ضريحه وكان على طريقه في الزهد والعبادة ومنقطعاً عن الناس.

[وفاة أرسلان بن علي]

وفي ليلة الخميس ثاني شوال توفي الفصيح الواعظ بدمشق وهو: أرسلان بن علي بن غرلو الواعظ الحنفي ودفن بباب الصغير على الطريق بالقرب من قبة ابن زين العابدين واسمه على قبره.

[ذبح الشرف الفلكي]

وفي الرابع والعشرين من شوال وصل الخبر بأن الشرف الفلكي وجد مذبوحاً

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٥، وفيه: أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار بن علي الواسطي المعروف بابن السنداي.

في فراشه ذبحه غلام له ليلة عيد الفطر بخلاط وكان قد وزر للملك الأوحد وهو أخو الصفي الأسود واسمه عبد المحسن بن إسماعيل بن محمود المحلي، وكان قد ناب بديوان دمشق عن الصاحب صفي الدين بن شكر في الدولة العادلية، ثم وزر لأخي العادل لأبيه فلك الدين فنسب إليه، ثم استقل وزيراً بخلاط للأوحد بن العادل إلى أن قتلة مملوكه بها ليلة عيد الفطر سنة أربع أو خمس وستمائة وحمله من خلاط إلى دمشق صديقه الرشيد عبد الله بن المظفر الصفوي ودفنه بجبل قاسيون، وصلب قاتله على قبره. وعند صلبه بدره الرشيد فطعنه بمدية في نحره.

[وفاة الجناح الكردي]

وفي السابع والعشرين من ذي القعدة توفي الأمير المعروف بالجناح الكردي إبراهيم بن أحمد ودفن بالجبل وخرج السلطان في جنازته، وفي الغد عمل عزاؤه في الجامع، وحضر جميع الأمراء الأكراد بالجوخ ومناديل على رؤوسهم وهو أخو المشطوب وكبير أمراء الأكراد. وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة شنق فضيل الخلاطي الخياط لكونه قتل تاجراً قزوينياً كان اشتشفع يا أحشيشه (هكذا) ثم أنزل وحملت جنازته على الأصابع.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: وصل الخبر من حلب بموت الأشرف عز الدين محمد بن صلاح الدين[1]. ومن القدس بوفاة الأمجد حسن بن العادل[2] وهو: شقيق المعظم والعزيز. ومن مصر بوفاة قاضيها صدر الدين عبد الملك بن درياس الكردي. ومن الجزيرة بقتل صاحبها سنجرشاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آق سنقر[3] قتله ولده الأكبر غازي وكان سنجر شاه قد اطلع على سعي ولده هذا في ذمه فسجنه مدة وتسبب إلى أن خلص من السجن واختفى بالقلعة عند بعض النساء وأظهر أنه قد هرب وندب واحداً من جهته يطوف البلاد متنكراً ويظهر أنه هو ففعل ووفد على الأشرف فأكرمه ثم وصل إلى دمشق وشاع خبره فسكن سنجرشاه إلى ذلك وكان

---

(١) هو الأشرف محمد بن يوسف بن أيوب بن شاذي، عز الدين، وقيل: نصير الدين، ولد بالشام سنة ٥٧٥هـ، وهو شقيق المحسن. (انظر الوافي بالوفيات ٥/ ٢٥١ وشفاء القلوب ص٢٧٠).

(٢) هو الأمجد حسن بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، مجد الدين. وفي شفاء القلوب في مناقب بني أيوب أنه توفي في حياة أبيه (انظر شفاء القلوب ص٣٢٦، ومفرج الكروب ٣/ ٢٧٤، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٧٢، والسلوك ١/ ١٩١، وترويح القلوب ص٦١).

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٥، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٤٥ ـ ٣٤٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨١.

متحرزاً فلما أمكنت الولد الفرصة هجم عليه ليلاً فقتله بسيفه وخلف الأمراء فملك الجزيرة يوماً وليلة فأوثقه مماليك والده وأقاموا ولده الصغير محمود الملقب بالمعظم معز الدين ثم قتل غازي.

[وصول الفرنج إلى باب تدمر]

وفيها: غارت الفرنج ووصلوا إلى باب تدمر من حمص بعد أن مدوا على نهر العاصي جسراً من خشب كانوا صنعوا آلته ببلادهم وحملوها معهم وعبروا العاصي عليه ثم رفعوه على جمالهم وقصدوا حمص فقصدتهم العساكر الإسلامية فهربوا على طريق القدس وحاز المسلمون أخشابهم وأثقالهم ومن انقطع منهم.

[نزول الكرج على مدينة خلاط]

ثم دخلت سنة ست وستمائة(١)

ففيها: نزلت الكرج على مدينة خلاط في خلق عظيم مع ملكهم إبواي فضايقها وبها الأوحد بن العادل فأشرف على أخذها وقال له منجمه يوماً ما تبيت الليلة إلا في قلعة خلاط فشرب الخمر حتى ثمل وركب في جيوشه وقصد باب أرجيش فخرج إليه المسلمون فقاتلوه ورأوا ما لا قبل لهم به فبينا هم كذلك عثر به حصانه فقتل عليه جماعة من خواصه وأخذ أسيراً فحمل إلى القلعة فما بات إلا بها ورحل الكرج عن البلد وفرج الله عن أهله. ثم اتفق مع الأوحد على أنه يرد ما فتح من بلاد المسلمين ويطلق الأسارى ومائة ألف دينار ويزوج ابنته للأوحد. وقيل إنما كانت وقعة إبواي بعد حصار سنجر في سنة سبع وستمائة.

[نزول العادل على سنجار]

وفي ربيع الأول نزل العادل على سنجار بعساكر مصر والشام وحلب وديار بكر ومعه أولاده الأوحد وغيره وأقام يضربها بالمجانيق إلى رمضان ولم يبق إلا تسليمها فأرسل الملك من حلب أخاه المؤيد يشفع في السناجرة وصاحبها يومئذٍ قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي والد نور الدين محمود رحمه الله فلم يشفع، ومات المؤيد في هذه السفرة وكره المشارقة مجاورة العادل فاتفقوا عليه مع صاحب إربل وأرسل الخليفة ابن الضحاك أستاذ داره آقباش الناصري يشفع إلى العادل فيهم فرحل بعد أن أخذ نصيبين والخابور ونزل بحران وفرق العساكر

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٤٥ ـ ٤٩، وشذرات الذهب ٥/ ١٨ ـ ٢٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٤٨ ـ ٣٥١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨١ ـ ١٨٣.

وصالح المشارقة صاحب إربل والموصل والجزيرة وماردين وحلب. وحج بالناس من العراق ياقوت، ومن الشام فخر الدين إياس الشحامي.

[وفاة المؤيد بن صلاح الدين]

وفيها: توفي الملك المؤيد مسعود بن صلاح الدين(١) بمدينة رأس عين عند منصرفه من رسالة أخيه الظاهر إلى عمه العادل في أمر سنجار في النصف من شعبان وكان قد نام في بيت مع ثلاثة وعندهم منقل فيه نار ولا منفذ في البيت فانعكس البخار فأخذ بأنفاسهم فماتوا جميعاً فحمل المؤيد في محفة إلى حلب ودفن بها.

[وفاة الملك المغيث بن الملك العادل]

وفيها: توفي الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل(٢) بدمشق ودفن بسفح قاسيون بالتربة التي فيها أخو الملك المعظم.

[وفاة الفخر الرازي]

وفيها: توفي الفخر الرازي ابن خطيب الري صاحب الكلام، والمنطق واسمه: محمد بن عمر بن الحسين. وكنيته أبو المعالي(٣). صنف التفسير، والمحصول. والمحصل. ونهاية العقول، والأربعين وغيرها واعتنى بكتب ابن سينا في المنطق وشرحها؛ وكان يعظ وينال من الكرامية وينالون منه سباً وتكفيراً، وقيل إنهم وضعوا عليه من سقاه السم فمات ففرحوا بموته. وكانوا يرمونه بالكبائر وكانت وفاته في ذي الحجة ولا كلام في فضله. وإنما الشناعات عليه قائمة بأشياء منها: أنه كان يقول: قال محمد التازي(٤) يعني العربي يريد النبي ﷺ، وقال محمد

---

(١) هو الملك المؤيد مسعود بن يوسف بن أيوب بن شاذي، نجم الدين ابن الملك الناصر، ولد بدمشق سنة ٥٧١هـ، وهو شقيق الظاهر (انظر ترجمته في: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٥١ ـ ٢٥٢، مفرج الكروب ٣/ ١٩٨، السلوك ١/ ١٧١، البداية والنهاية ١٣/ ٥٥، مختصر أبي الفداء ٣/ ١١٢، تاريخ ابن الفرات المجلد الخامس ١/ ٩٧).

(٢) هو الملك المغيث عمر بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، فتح الدين، مات في حياة أبيه وخلّف ولداً لقّب بلقبه (انظر ترجمته في: شفاء القلوب ص٣٢٧، مفرج الكروب ٢/ ٢٧٣، الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٥٨١، النجوم الزاهرة ٦/ ١٧٢، القلائد الجوهرية ص١٤٤، ترويح القلوب ص٦٠.

(٣) تقدّمت ترجمته في الجزء الرابع من كتاب الروضتين، مع ذكر مؤلفاته، وانظر ترجمته في: البداية والنهاية ١٣/ ٤٧ ـ ٤٩، شذرات الذهب٥/ ٢١ ـ ٢٢، الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨٢، كشف الظنون ٦/ ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٤) التازي: بالزاي المعجمة، كان العجم يطلقونه على العرب، وهو يفيد معنى العربي، فقول ابن كثير: البادي، من البادية، تحريف على أن التازي يوازن الرازي.

الرازي يعني نفسه. ومنها أنه كان يقرر في مسائل كثيرة مذاهب الخصوم وشبههم بأتم عبارة فإذا جاء إلى الأجوبة اقتنع بالإشارة، وقد رأيت من أصحابه جماعة قدموا علينا دمشق وكلهم كان يعظمه تعظيماً كثيراً ولا ينبغي أن يسمع فيمن ثبتت فضيلته كلام شنيع لعله صاحب غرض من حسد أو مخالفة في مذهب أو عقيدة رحمه الله تعالى. وبلغني أنه خلف من الذهب المعين ثمانين ألف دينار خارجاً عما كان يملكه من الدواب، والثياب. والعقار والآلات. وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار وكان ابنه الأكبر قد تجند في حياته وخدم السلطان محمد بن تكش وكان في زمانه القاضي الوحيد كبير القدر في الوعظ يحضر مجلسه الأكابر من الملوك. والأمراء. والرؤساء وكان فخر الدين يتكلم فيه. فبلغه فأتاه مسلماً فوقف على رأسه فرفع فخر الدين رأسه إليه ولم ينهض له وأنكر عليه مشافهته بما كان ينكر عليه في غيبته فتبسم الوحيد وقال: اطبخ لك أرزاً بلبن تأكله ينفع رأسك ومزاجك ثم دعا بالقدر والنار وجعل ينفخ النار بنفسه ليطبخ ذلك بحضرة فخر الدين ويتولى ذلك بنفسه على جلالة قدره فقام فخر الدين فوقع على رجليه وبكى وسمع سلطان البلد فحضر وأحضر الأطعمة وآلات السماع وجرى لهم يوم طيب وكان فخر الدين بعد ذلك يحضر مجلس الوحيد ويجلس قبالة وجهه بين ذلك الجمع العظيم.

[وفاة مجد الدين ابن الأثير الجزري]

وفيها: في سلخ ذي الحجة توفي المجد ابن الأثير الجزري الأصل الموصلي الدار واسمه: أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم[1]. كاتب، مصنف صدر كبير ولد سنة أربعين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر وانتقل إلى الموصل ونشأ بها وقرأ الأدب والحديث وفنون العلم وقدم بغداد حاجاً وسمع بها الحديث وعاد إلى الموصل وكتب لأمرائها. وكان أمراء الموصل يحترمونه، ويعظمونه، ويستشيرونه. وكان بمنزلة الوزير الناصح إلا أنه كان منقطعاً إلى العلم وجمعه وصنف كتباً حساناً منها: جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث، وشرح مسند الشافعي رحمه الله تعالى وكان به نقرس وكان يحمل في محفة وكان يسكن بدرب دراج بالموصل وبه دفن. قرأ النحو على أبي محمد بن الدهان؛ ثم على

(١) تقدّمت ترجمته في الجزء الرابع من كتاب الروضتين مع ذكر مؤلفاته، وانظر ترجمته أيضاً في: البداية والنهاية ١٣/ ٤٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٢ ـ ٢٣، الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٠ ـ ٣٥١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣، كشف الظنون ٦/ ٢.

أبي الحرم الضرير مكي بن ريان، وسمع الحديث من أبي بكر بن سعدون القرطبي؛ وأبي الفضل عبد الله بن الطوسي وسمع ببغداد أبا الفرج بن كليب وغيره، روى الحديث وانتفع به الناس وكان عاقلاً بهياً ذا بر وإحسان وكان له أخوان فاضلان: ضياء الدين بن الأثير الكاتب كان وزير الأفضل بن صلاح الدين صاحب كتاب المثل السائر وغيره، وعز الدين علي بن الأثير صاحب التاريخ وغيره قدم علينا دمشق وأسمع بها بالجامع ودار الحديث النورية رحمهم الله.

[وفاة يحيى بن الربيع الواسطي]

وفيها: في ذي الحجة أيضاً توفي ببغداد أبو علي يحيى بن الربيع بن سليمان الواسطي[1] مدرس النظامية ولقبه مجد الدين، ولد بواسط سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقرأ القرآن على جده سليمان وتفقه على أبيه ورحل إلى نيسابور صحبة أبي القاسم بن فضلان، وعاد إلى بغداد وتولى تدريس النظامية وكان عارفاً بالتفسير، والمذهب، والأصولين، والخلاف، وصنف تفسيراً في أربع مجلدات وبعثه الخليفة في رسالة إلى خراسان سمع أبا الوقت وطبقته وكان ثقة ديناً صدوقاً فدفن إلى جانب ابن فضلان رحمه الله تعالى.

[من وفيات هذه السنة]

وفيها: توفي الحسن بن أحمد بن جكينا[2] من أهل الحريم الظاهري كان فاضلاً ومن شعره: [الكامل]

قد بان لي عذر الكرام فصدهم ... عن أكثر الشعراء ليس بعار

لم يسأموا بذل النوال وإنما ... جمد الندى لبرودة الأشعار

وفيها: توفي شمس الدين بن البعلبكي والد المجد وكان قاضي الفتيان بدمشق في العشرين من صفر وهو الذي بعث إلى مصر ليشد الكامل فتوة للخليفة لما جاء من بغداد الأمر بذلك.

وفيها: توفي شمس الدين سلام بن سلام والد إسماعيل، وإسحاق الشاهد بدمشق حادى عشر ربيع الآخر.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٦ ـ ٤٧، وشذرات الذهب ٥/ ٢٣ ـ ٢٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٠.

(٢) في شذرات الذهب ٥/ ٢٠: وفيها توفي أحمد بن أحمد بن جكينا الشاعر الأديب، قال العماد: أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعر لطافة شعر. ولعله هو نفسه.

[إظهار الخليفة للإجازات التي أخذت له من الشيوخ]

ثم دخلت سنة سبع وستمائة[١]

فوصل الحاج إلى دمشق صحبة ابن محارب ثاني صفر وفيها: أظهر الخليفة الإجازة التي أخذت له من الشيوخ وذكرهم في كتاب روح العارفين ودفع إلى كل مذهب إجازة عليها مكتوباً بخطه أجزنا لهم ما سألوه على شرط الإجازة الصحيحة وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى أبو العباس أحمد أمير المؤمنين. وسلمت إجازة أصحاب الشافعي إلى ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينة؛ وإجازة أصحاب أبي حنيفة إلى الضياء أحمد بن مسعود التركستاني، وإجازة أصحاب أحمد إلى أبي صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر، وإجازة أصحاب مالك إلى التقي علي بن جابر التاجر المغربي. قال أبو المظفر سبط بن الجوزي:

وفيها: خرجت من دمشق إلى نابلس بنية القراءة وكان الملك المعظم عيسى رحمه الله بها، جلست بجامع دمشق يوم السبت خامس ربيع الأول وكان الناس من باب المشهد الذي لزين العابدين إلى باب الناطفانيين وإلى باب الساعات وكان القيام في الصحن أكثر بحيث امتلأ جامع دمشق وحرزوا ثلاثين ألفاً، وكان يوماً لم ير بدمشق مثله ولا بغيرها، وكان قد اجتمع عندي شعور كثيرة يعني التي كان يقطعها من رؤوس التائبين.

[حكاية أبي قدامة الشامي]

قال: وقد وقفت على حكاية أبي قدامة الشامي مع تلك المرأة التي قطعت شعرها وبعثت به إليه وقالت: اجعله قيداً لفرسك في سبيل الله قال: فعملت من الشعور التي اجتمعت عندي شكلاً لخيل المجاهدين وكرفسارات[٢] ولما صعدت المنبر أمرت بإحضارها فحملت على أعناق الرجال وكانت ثلاثمائة شكال. فلما رآها الناس صاحوا صيحة عظيمة وقطعوا مثلها وقامت القيامة. وكان المبارز المعتمد إبراهيم والي دمشق حاضراً فقام وجمع الأعيان فلما نزلت من المنبر قام

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٤٩ ـ ٥٣، وشذرات الذهب ٥/ ٢٤ ـ ٣١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٢ ـ ٣٥٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨٣ ـ ١٨٦.

(٢) كرفسارات: كذا بالأصل، ولم أجد لها تفسيراً في المصادر والمراجع التي بين يدي. وفي القاموس المحيط مادة (كرفس) و(كرسف): الكرسفة: مشية المقيّد، وأن تقيّد البعير وتضيق عليه، وتكرفس الرجل: انضم ودخل بعضه في بعض. والكرسفة: قطع عرقوب الدابة.

المبارز يطرق لي ويمشي بين يدي إلى باب الناطفانيين، فقدم لي فرسي فأمسك بركابي وأركبني وخرجنا من باب الفرج إلى المصلى وجميع من كان بالجامع بين يدي وسرنا من الغد إلى الكسوة ومعنا خلق كثير مثل التراب، وكان معنا من قرية واحدة يقال لها زملكا نحواً من ثلاثمائة رجل بالعدد والسلاح، وأما من غيرهم فخلق كثير والكل خرجوا احتساباً وجئنا إلى عقبة أفيق والطير لا تقدر تطير من خوف الفرنج فسرنا على الجادة إلى نابلس ووصلت أخبارنا إلى عكا وخرج المعظم فالتقانا وسر بنا وجلست بجامع نابلس وحضر وأحضرنا الشعور فأخذها وجعلها على وجهه وجعل يبكي وكان يوماً عظيماً ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك اليوم وخدمنا وأكرمنا وخرجنا إلى نحو بلاد الإفرنج فأخربنا وهدمنا وقطعنا أشجارهم وأسرنا جماعة ولم يتجاسروا أن يخرجوا من عكا فأقمنا أياماً ثم عدنا سالمين غانمين إلى الطور المطل على الناصرة والمعظم معنا فقال: أريد أن أبني عليه قلعة وطلب أخاه الملك الأشرف وعساكر الشرق وحلب وشرع في عمارة الطور وأقام العسكر تحته من ذي الحجة من هذه السنة إلى آخر سنة ثمان وستمائة فكمل سوره ودار واستوى فخاف الفرنج فأرسلوا إلى العادل فصالحهم وأعطى العساكر دستوراً فتفرقوا وأقام المعظم يعمر الطور إلى قبيل وفاة العادل فلا يحصي ما غرم عليه. وحج بالناس من الشام سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر وكان قدم من حلب لذلك واحتفل الناس له.

[وفاة صاحب الموصل]

وفيها: توفي صاحب الموصل نور الدين أرسلان بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي[1] في رجب وقيل في صفر. قال أبو المظفر: وكان متكبراً، جباراً، بخيلاً، فاتكاً، سفاكاً للدماء. حبس أخاه علاء الدين فمات في حبسه وولى الموصل رجلاً ظالماً يقال له السراج فأهلك الحرث والنسل.

[وفاة ابن سكينة]

وفيها: توفي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن علي الصوفي المعروف بابن سكينة ولقبه ضياء الدين[2] ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة، وقرأ القرآن على الشيخ أبي محمد المقرئ شيخ تاج الدين الكندي، وسمع الحديث الكثير، وكان

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٤٩ ـ ٥٠، وشذرات الذهب ٥/ ٢٤ ـ ٢٥، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨٣.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٣، وشذرات الذهب ٥/ ٢٥ ـ ٢٦.

صديق أبي الفرج الجوزي ملازماً لمجالسته ويزوره. وسأله أبو الفرج لما عاد من واسط أن يلبس ابنه يوسف خرقة التصوف فألبسه إياها بقطعنا وكانت وفاته في ربيع الآخر وقد قارب سبعين سنة وصلي عليه بجامع القصر، وكان يوماً مشهوداً حضره أرباب الدولة ودفن عند باب جامع القصر إلى جانب رباط الزوزني.

وذكره محمد بن الدبيثي في ذيله وقال: هو سبط شيخ الشيوخ أبي البركات إسماعيل بن أحمد النيسابوري. ورافق أبا سعد بن السمعاني ببغداد، وسمع من قاضي المارستان، وابن الحصين وأبي غالب محمد بن الحسن الماوردي، وأبي البركات الأنماطي، وجده لأمه شيخ الشيوخ إسماعيل، وزاهر بن طاهر السحامي وأبا الفتح الكروخي، وأبا الوقت وغيرهم، وحدث ببغداد والشام ومكة ومصر والمدينة وغيرها وكان من الأبدال.

[وفاة ابن طبرزد]

وفيها: توفي ببغداد أبو حفص عمر بن محمد بن يحيى المعروف بابن طبرزد الدارقزي[(١)] قال أبو المظفر: ولد في ذي الحجة سنة عشر وخمسمائة سمع حديثاً كثيراً من أبي غالب بن البناء، وأبي الحسن بن الزاغوني وأبي القاسم بن الحصين، وابن السمرقندي وقاضي المارستان، وأبي الوقت وغيرهم، وكان معلماً للصبيان بدار القز ببغداد وكان خليعاً ماجناً وسافر مع حنبل إلى الشام وحصل له مال بسبب الحديث وعاد مع حنبل إلى بغداد فأقام حنبل يعمل له تجارة فتوفي في سنة ثلاث وستمائة، فسلك طريق حنبل في استعمال الكاغد والعتابى فمرض مدة ثم توفي ودفن بباب حرب، ولم يكن له وارث فرجع المال إلى بيت المال وجدت بخط الحافظ عبد العظيم المنذري: إن الشيخ أبا عمر المذكور توفي في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول من السنة رحمهما الله تعالى ودفن بجبل قاسيون.

[وفاة أبي عمر شيخ الصالحية]

وفيها: توفي الشيخ أبو عمر شيخ الصالحية والمقادسة الزاهد العابد واسمه: محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة[(٢)] أخو الشيخ الموفق[(٣)] ولد سنة ثمان

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٥.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٠ ـ ٥٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧ ـ ٣٠.

(٣) الشيخ الموفق: هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الجماعيلي المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي، موفق الدين، أبو محمد الفقيه الحنبلي، ولد =

وعشرين وخمسمائة بقرية الساويا من أعمال نابلس وقيل بجماعيل قال أبو المظفر: حدّثني أبو عمر قال: هاجرنا من بلادنا فنزلنا بمسجد أبي صالح بباب شرقي فأقمنا به مدة ثم انتقلنا إلى الجبل فقال الناس: الصالحية. الصالحية نسبونا إلى مسجد أبي صالح لا أننا صالحون. قال: ولم يكن بالجبل عمارة إلا دير الحوراني وأماكن يسيرة.

قال أبو المظفر: وكان معتدل القامة، حسن الوجه، عليه أنوار العبادة لا يزال مبتسماً، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام، قرأ القرآن بحرف أبي عمرو، وحفظ مختصر الخرقي في الفقه، وقرأ النحو على ابن بري بمصر، وسمع الحديث بدمشق ومصر، واشتغل بالعبادة عن الرواية وكتب الحلية لأبي نعيم، وتفسير البغوي، والمغني لأخيه الموفق، والإبانة لابن بطة، ومصاحف كثيرة للناس ولأهله وكتباً كثيرة والكل بغير أجرة وكان يصوم الدهر إلا من عذر، ويقوم الليل من صغره، ويحافظ على الصلوات في الجماعات، ويخرج من ثلث الليل الأخير إلى المسجد في الظلمة فيصلي إلى الفجر، ويقرأ في كل يوم سبعاً من القرآن بين الظهر والعصر، ويقرأ بعد العشاء الآخرة يسن، وتبارك والواقعة، والمعوذتين، وقل هو الله أحد، وإذا ارتفعت الشمس لقن الناس القرآن إلى وقت الضحى. ثم يقوم فيصلي الضحى ثماني ركعات ويقرأ قل هو الله أحد ألف مرة، ويزور المقابر بعد العصر في كل يوم جمعة، ويصعد يوم الاثنين والخميس إلى مغارة الدم ماشياً بالقبقاب فيصلي فيها ما بين الظهر والعصر، وإذا نزل جمع الشيح من الجبل وربطه بحبل وحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى، ويحمل في الليل إليهم الدراهم والدقيق ولا يعرفونه، ولا ينام إلا على طهارة ومتى فتح له بشيء من الدنيا آثر به أقاربه وغيرهم، وتصدق بثيابه وربما خرج الشتاء وعلى جسده جبة بغير ثوب ويبقى مدة طويلة بغير سراويل، وعمامته قطعة من بطانة فإن احتاج أحد إلى خرقة أو مات صغير يحتاج إلى كفن قطع له منها قطعة، وكان ينام على الحصير ويأكل خبز الشعير، وثوبه خام إلى أنصاف ساقيه، وما نهر أحداً، ولا أوجع قلب أحد، وكان

= سنة ٥٤١هـ، وتوفي سنة ٦٢٠هـ، من تصانيفه: «الاستبصار في نسب الأنصار»، «البرهان في مسألة القرآن»، التبيين في أنساب القرشيين»، «ذم الوسواس»، «تحريم النظر في كتب أهل الكلام»، «ذم التأويل»، «روضة في الأصول»، «عمدة الأحكام» في الفروع، «غريب الحديث»، «فضائل الصحابة»، «قنعة الأريب في الغريب»، «كافي» في الفروع، «كتاب الاعتقاد»، «كتاب التوابين»، «كتاب الرقة»، «كتاب القدر»، «كتاب المتحابين»، «مختصر العلل للجلال»، «مسألة العلو»، «مغني شرح مختصر الخرقي» في الفروع، «مقدمة في الفرائض»، «المقنع» في الفروع، «منهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين». (كشف الظنون ٥/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠).

يقول: أنا زاهد ولكن في الحرام، ولما نزل صلاح الدين على القدس كان هو وأخوه والجماعة في خيمة فجاء العادل إلى زيارته وهو في الصلاة فما قطعها ولا التفت ولا ترك ورده، وكان يصعد المنبر في الجبل وعليه ثوب خام مهدول الجيب وفي يده عصا والمنبر يومئذٍ ثلاث مراقي، وكان يجاهد في سبيل الله ويحضر الغزوات مع صلاح الدين. وكان أخوه الموفق يقول عنه: هو شيخنا ربانا وأحسن إلينا وعلمنا وحرص علينا وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم ومن غاب منهم خلفه في أهله قال: وكان أبو عمر قد تخلى عن أمور الدنيا وهمومها وكان المرجع في مصالح الأهل إليه وهو الذي هاجر بنا وسفرنا إلى بغداد وبنى لنا الدير ولما رجعنا من بغداد زوجنا وبنى لنا دوراً خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين، وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته وكان مجاب الدعوة، وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا وشفاه الله تعالى وكراماته كثيرة وفضائله غزيرة.

فمنها: إنني صليت يوم جمعة بجامع الجبل في أول سنة ست وستمائة والشيخ عبد الله اليوناني[1] إلى جانبي فلما كان في آخر الخطبة وأبو عمر يخطب نهض الشيخ عبد الله مسرعاً وصعد إلى مغارة التوبة وكان نازلاً بها فظننت أنه قد احتاج إلى الوضوء وآلمه شيء فلما صلينا الجمعة صعدت وراءه وقلت له خير ما الذي أصابك؟ قال: هذا أبو عمر ما تحل خلفه صلاة قلت: ولم؟ قال: لأنه يقول على المنبر ما لا يصلح. قلت: وما الذي قال؟ قال: الملك العادل وهو ظالم فما يصدق. وكان أبو عمر يقول في آخر الخطبة اللهم وأصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب. فقلت له: إذا كانت الصلاة خلف أبي عمر ما تصح فيا ليت شعري خلف من تصح؟! وخطر لي قول عبد الرحمن بن عوف لما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يمشي في أزقة المدينة فتبعه فأتى إلى بيت عجوز فدخله قال: فقلت لأنظرن ما يصنع فتواريت وإذا به قد خرج من عندها فدخلت بعده وقلت للعجوز ما كان هذا يصنع عندك؟ فقالت: يحمل إلى ما آكل ويخرج الأذى عني. قال عبد الرحمن فقلت في نفسي: ويحك يا عبد الرحمن أعثرات عمر تتبع.

قال أبو المظفر: وبينا نحن في الحديث وإذا بالشيخ أبي عمر قد صعد إلى مغارة التوبة فدخل ومعه مئزر فسلم وحل المئزر وفيه رغيف وخيارتان فكسر الجميع وقال: بسم الله الصلاة ثم قال: ابتداءاً قد جاء في الحديث أن النبي ﷺ

---

(١) ويقال: اليونيني، نسبة إلى يونين، بلد في بعلبك (عن هامش الأصل).

قال: «ولدت في زمن الملك العادل كسرى»[1] فنظر إلى الشيخ عبد الله وتبسم ومد يده فأكل وقام أبو عمر فنزل فقال لي عبد الله يا سيدي: ماذا إلا رجل صالح.

قلت: الشيخ عبد الله اليونيني كان أيضاً من الصالحين وقد رأيته وسيأتي ذكره في أخبار سنة سبع عشرة بعد عشر سنين من وفاة الشيخ أبي عمر وهو لفرط صلاحه وورعه ما رأى مسامحة مثل الشيخ أبي عمر في إطلاق لفظ العادل على من هو في ظنه غير مستحقه وعذر الشيخ أبي عمر في ذلك أنه اسم من الأسماء الأعلام لا تلحظ فيه الصفة فهو كالتسمية بسالم، وغانم، ومحمود، ومسعود بغير قصد المعنى المسمى بذلك في حالة يكون فيها متصفاً بضد ما يقتضيه اشتقاق هذه الأسماء فيكون عاطباً ولا يدعى إلا بسالم، أو مذموماً ولا يدعى إلا بمحمود، تعريفاً لا مدحاً. فكذا إطلاق لفظ العادل في حق من أطلقه فيه الشيخ أبو عمر على أنه قد اعتذر بعذر آخر وهو إطلاق هذا اللفظ على كافر ولا ظلم أعظم من الشرك بالله تعالى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] قال: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] أي بشرك فإذا لم يمنع الشرك المحقق من إطلاق لفظ العادل من اتصف به لا يمنع ظلم ما في شيء من الأشياء التي دون الشرك أولى. بقي في قضية الشيخ عبد الله إشكالاً من كونه ترك صلاة الجمعة ولعله كان مسافراً فلم تكن الجمعة واجبة عليه والله أعلم.

قال أبو المظفر: وأصابني قولنج[2] عانيت فيه شدة فدخل عليَّ أبو عمر وبيده خروب شامي فقال استف هذا وكان عندي جماعة فقالوا: هذا يزيد في القولنج ويضره. فما التفت إلى قولهم وأخذته من يده فأكلته فبرئت في الحال. قال: وحكى لي الجمال البصراوي الواعظ قال: أصابني قولنج في رمضان فاجتهدوا أني أفطر فلم أفعل فصعدت إلى قاسيون فقعدت موضع الجامع اليوم وإذا أنا بالشيخ أبي عمر قد أقبل من الجبل وبيده حشيشة فقال شم هذه تنفعك فأخذتها وشممتها فبرئت. قال: وجاء رجل مغربي فقرأ عليه القرآن ثم غاب عنه مدة وعاد فلازمه. فسئل عن ذلك فقال: دخلت ديار بكر فأقمت عند شيخ له زاوية وتلامذة فبينا هو ذات يوم جالس بكى بكاء شديداً وأغمي عليه ثم أفاق وقال مات القطب

---

(١) لم يصح عند أهل الحديث، وقد رواه بهذا اللفظ السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ص١٧٠، والألباني في السلسلة الضعيفة ٩٩٧، وروي بلفظ: «ولدت في زمن كسرى» رواه الفتني في تذكرة الموضوعات ٨٨.

(٢) القولنج: مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح وسببه التهاب القولون، والقولون: الجزء الواصل بين نهاية المعى الدقيق والمستقيم.

الساعة وقد أقيم أبو عمر شيخ الصالحية مقامه. قال: فقلت له ذلك شيخي. قال فإيش قعودك ههنا قم فاذهب إليه وسلم عليه عني وقل له لو أمكنني السعي إليه لسعيت. ثم زودني وسافرت قال أبو المظفر: وقلت له يوماً أول ما قدمت الشام وما كان يرد أحداً شفاعته كائناً من كان وقد كتب ورقة إلى الملك المعظم عيسى بن العادل وقال فيها: إلى الولد المعظم. فقلت كيف تكتب هذا والملك المعظم في الحقيقة هو الله؟ فتبسم ورمى إلي الورقة وقال لي: تأملها وإذا به لما كتب المعظم كسر الظاء فصارت المعظِم. وقال لا بد أن يكون يوماً قد عظم الله تعالى فتعجبت من ورعه وتحفظه ومنطقه عن مثل هذا.

قلت: وساعده على تمشية تلك الكسرة أن كل من رآها يعتقد أنها للميم المستحقة للجر فلا ينكرها وحصل له ما نواه. نظير هذا القصد ما يروى عن سفيان الثوري أنه أنكر على ابن أبي ذئب رحمهما الله قوله للمنصور أبي جعفر في مخاطبته له أنا أنصح لك من أبيك المهدي. وقال له لم قلت المهدي؟ فقال: يا أبا عبد الله كلنا كان في المهد.

قال أبو المظفر: وقال أبو عمر يوماً للمبارز المعتمد قد أكثرت عليك من الرقاع والشفاعات. فقال له: ربما تكتب إلي في حق أناس لا يستحقون الشفاعة وأكره رد شفاعتك. فقال له: أنا أقضي حق من قصدني وأنت إن شئت تقبل، وإن شئت فلا تقبل. فقال: ما أرد ورقتك أبداً. قال: وكان على مذهب السلف الصالح حسن العقيدة، متمسكاً بالكتاب والسنة والآثار المروية وغيرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين، وينهى عن صحبة المبتدعين، ويأمر بصحبة الصالحين وكان سبب موته أنه حضر مجلساً بقاسيون في الجامع مع أخيه الموفق والعماد والجماعة وكان قاعداً في الباب الكبير وجرى الكلام في رؤية الله تعالى ومشاهدته فاستغرقت في ذلك وكان وقتاً عجيباً وأبو عمر جالس إلى جانب أخيه الموفق فقام وطلب باب الجامع ولم أره فالتفت فإذا بين يديه شخص يريد الخروج من الجامع فصحت على الرجل اقعد فظن أبو عمر أنني أخاطبه فجلس على عتبة باب الجامع الجوانية إلى أن فرغ المجلس ثم حمل إلى الدير فكان آخر العهد به وأقام أياماً مريضاً ولم يترك شيئاً من أوراده. فلما كان عشية الاثنين ثامن عشر ربيع الأول جمع أهله واستقبل القبلة ووصاهم بتقوى الله ومراقبته وأمرهم بقراءة يسن وكان آخر كلامه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] وتوفي رحمه الله وغسل في وقت السحر ومن وصل إلى الماء الذي غسل به نشف به النساء مقانعهن. والرجال عمائمهم ولم يتخلف عن جنازته أحد

من القضاة، والأمراء، والعلماء، والأعيان وعامة الخلق وكان يوماً مشهوداً ولما خرجوا بجنازته من الدير كان يوماً شديد الحر فأقبلت غمامة فأظلت الناس إلى قبره وكان يسمع منها دوي كدوي النحل ولولا المبارز المعتمد، والشجاع بن محارب، وشبل الدولة الحسامي ما وصل من كفنه إلى قبره شيء وإنما أحاطوا به بالسيوف والدبابيس. وكان قبل وفاته بليلة رأى إنسان كأن قاسيون قد وقع أو زال من مكانه فأولوه بموته ولما دفن رأى بعض الصالحين في منامه تلك الليلة النبي ﷺ وهو يقول: «من زار أبا عمر ليلة الجمعة فكأنما رأى الكعبة فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا إليه» ومات عن ثمانين سنة ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولا قليلاً ولا كثيراً. قال: وعلمني دعاء السنة فقال ما زال مشايخنا يواظبون على هذا الدعاء في أول كل سنة وآخرها وما فاتني طول عمري.

فأما أول السنة فإنك تقول: اللهم إنك الأبدي القديم وهذه سنة جديدة أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء. والاشتغال بما يقربني إليك يا ذا الجلال والإكرام. فإن الشيطان يقول قد آيسنا من نفسه فيما بقي ويوكل الله به ملكين يحرسانه.

وأما دعاء آخر السنة فإنك تقول في آخر يوم من أيام السنة: اللهم ما عملت في هذه السنة مما نهيتني عنه ولم ترضه ولم تنسه وحملت عني بعد قدرتك على عقوبتي ودعوتني إلى التوبة من بعد جرأتي على معصيتك فإني استغفرك منه فاغفر لي وما عملت فيها مما ترضاه ووعدتني عليه الثواب فأسألك أن تتقبله مني ولا تقطع رجائي منك يا كريم.

قال: فإن الشيطان يقول: تعبنا معه طول السنة فافسد فعلنا في ساعة قال وأنشدني أبو عمر[1]: [الطويل]

ألم يك ملهاة عن اللهو أنني ... بدا لي شيب الرأس والضعف والألم
ألم بي الخطب الذي لو بكيته ... حياتي حتى ينفد الدمع لم ألم[2]

قال وأنشدني أبو عمر لنفسه[3]: [الرجز]

أوصيكم بالقول في القرآن ... بقول أهل الحق والإتقانِ

---

(١) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ٥٢.
(٢) رواية عجز البيت في البداية والنهاية:
حياتي حتى يذهب الدمع ألم
(٣) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٥٢، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩ ـ ٣٠.

ليس[1] بمخلوق ولا بفان لكن كلام الملك الديانِ
آياته مشرقة المعاني نتلوه[2] لله باللسانِ
محفوظة في الصدر والجنان مكتوبة في الصحف بالبنانِ
والقول في الصفات يا إخواني كالذات والعلم مع البيان
أسرارها[3] من غير ما كفران من غير تشبيه ولا عطلانِ

وكان له من الأولاد من الذكور. عمر والد أحمد بن عمر وبه كان يكنى أبو عمر، والشرف عبد الله والد العز، وأحمد، وعبد الرحمن الباقي منهم في هذا الزمان وهو سنة خمس وخمسين وستمائة أصغرهم شمس الدين عبد الرحمن خطيب جامع الجبل بعد أخيه الشرف عبد الله قال: وكان لأبي عمر بنات كما قال الله تعالى: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥] ومما رثي به أبو عمر قول محمد بن سعد المقدسي: [البسيط]

أبعد أن فقدت عيني أبا عمر يضمني في بقايا العمر عمران
ما للمساجد منه اليوم مقفرة كأنها بعد ذاك الجمع قيعان
ما للمحارب بعد الأنس موحشة كأن لم يتل فيها الدهر قرآن
تبكي عليه عيون الناس قاطبة إذ كان في كل عين منه إنسان
وكان في كل قلب منه نور هدى فصار في كل قلب منه نيران
وكل حي رأينا فو ذو أسف وكل ميت رآه فهو فرحان
لا زال يسقي ضريحاً أنت ساكنه سحائب غيثها عفو وغفران
كم ميت ذكره حي ومتصف بالحي ميت له الأثواب أكفان

قلت: وقبره في طريق مغارة الجوع في الزقاق المقابل لدير الحوراني على يمين المار إلى المغارة وإلى جانبه قبر أبيه الشيخ أحمد رحمه الله وأول ما وقفت على قبره وزرته وجدت بتوفيق الله تعالى رقة عظيمة وبكاء صالحاً وكان معي رفيق لي وهو الذي عرفني قبره وجد أيضاً مثل ذلك، وأخبرني أصحابنا الثقات أنه رأى الإمام الشافعي رحمه الله في المنام فسأله إلى أين يمضي؟ فقال: أزور أحمد بن حنبل، قال: فاتبعه انظر ماذا يصنع. فدخل داراً فسألت لمن هي؟ فقيل للشيخ أبي عمر رحم الله الجميع.

(١) في الأصل «وليس»، فحذفنا الواو ليستقيم الوزن.
(٢) في البداية والنهاية وشذرات الذهب: «متلوّة»، بدل «نتلوه».
(٣) في البداية والنهاية وشذرات الذهب: «إمرارها» بدل: «أسرارها».

[اتفاق الملوك على قصد الملك العادل]

وفيها: اتفقت الملوك على العادل منهم سلطان الروم، وصاحب الموصل، وصاحب إربل؛ وصاحب حلب، وصاحب الجزيرة، وصاحب سنجار، ومن تابعهم اتفقوا على مشاققة العادل وأن تكون الخطبة بالسلطنة لصاحب الروم خسروشاه بن قليج أرسلان وأرسلوا إلى الكرج بالخروج إلى جهة خلاط وخرج كل منهم بعساكره إلى حدود بلاده مجمعاً على الاجتماع بصاحبه على قصد الملك العادل وإيجافهم عليه بخيلهم ورجلهم وكتبهم ورسلهم وهو مقيم ثابت بظاهر حران وعنده صهره صاحب آمد ابن قرا رسلان ونزل الكرج على خلاط سابع عشر ربيع الآخر مع مقدمهم إيواي وصاحبها يومئذٍ الأوحد أيوب بن العادل فرجعوا على البلد بين الصلاتين من يوم الاثنين تاسع عشره وهجموا الربض وقدر الله تعالى وقوع مقدمهم إيواي بفرسه في حفرة بالربض وهو سكران فأخذ أسيراً وعرفه ياقوت الخادم المالطي فحمله إلى الأوحد فأكرمه وخلع عليه والتمس منه صد الكرج عن البلد فاستدعى إليهم منه من يثق به ليشاهد أنه سالم وأمرهم بالرحيل عن خلاط فرحلوا من ساعتهم نحو بلادهم ثم لم يجسروا على مخالفته ولا تعرضوا لقرية من عملها بأذية. وقد كان من بخلاط أيقن بذهاب الأنفس والأموال فدفع الله عنهم، وبادر الأوحد باطلاع والده العادل على ما منحه الله من الظفر فكاد يذهل فرحاً واستطارت الأخبار بذلك شرقاً وغرباً؛ وعلم من كان مجمعاً على قصد العادل من الملوك بالحالة فتقهقرت آراؤهم وبادر كل منهم بالرسل إليه ويحيل على غيره ويبذل الطاعة فقبل أعذارهم وعقد معهم صلحاً في جمادى الأولى، ورغب إيواي إلى الأوحد في أن يفدي نفسه وبذل ثمانين ألف دينار وإطلاق ألفي أسير من المسلمين وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لأعمال خلاط كان تغلب عليها وتزويج بنت الملكة بالأوحد، وتزويج ابنته لأخي الأوحد من أمه، وأن تكون الكرج معه أبداً سلماً لا يؤذون شيئاً من أعماله وإن قصد بلاده عدو سارعوا في دفعه عنها. فاستأذن الأوحد والده العادل في ذلك فأمضاه وأمر بإطلاقه بعد الاستيثاق منه بالإيمان والرهان ففعل وأطلقه في ثاني عشر جمادى الآخرة.

قال العز بن تاج الأمناء: ومن أعجب ما سمعته في هذه القضية أن إيواي لما نزل بخلاط قال له منجمه في بكرة يومه إنك ستدخل إلى قلعة خلاط قريب العصر من يومك في زي غير زيك هذا، فتخيل قوله في نفسه وشرب فلما سكر ذكر قول المنجم وكان قسيسه فركب لوقته وزحف فكان من أمره ما قدر الله تعالى وأدخل إلى القلعة وقت العصر أسيراً لابساً خلعة الأوحد فأعجب لهذا الاتفاق. ولما وصل

إلى بلاده عاد إلى ما كان عليه من التقدمة على عساكر الكرج وحمل بعض ما كان بذل للأوحد وسومح بالباقي. ثم لما أن صارت خلاط للأشرف تزوج بابنته. وفي ثاني شعبان كان إملاك نور الدين رسلان شاه صاحب الموصل على ابنة العادل وعقد العقد بقلعة دمشق على صداق ثلاثين ألف دينار ثم وصل الخبر بوفاة نور الدين هذا بالموصل في آخر رجب وقام ولده عز الدين مسعود بالأمر وكان العقد مع وكيله بعد موته ولم يعلم بذلك.

[ظهور عملة ابن السلار على المعروف بابن الدخنية]

وفي الخامس والعشرين من شعبان ظهرت عملة ابن السلار على المعروف بابن الدخنية بعد طول مكثه في السجن وموت زوجته تحت الضرب وعصره دفوعاً وعصر بناته وابنه فلم يقروا بشيء، وكان أكثر الذهب مدفوناً تحته بسجن القلعة وانكشف أمرها بأيسر حال من جهة منصور بن السلار فإنه كان الباحث عنها بسبب أنه كان حبس عليها واتهم بها وجمع من الليل إلى آخر النهار عشرة آلاف دينار. ثم تحصل فيما بعد بقية مبلغها ثم مات ابن الدخنية في الحبس وصلب ميتاً على قيسارية الفرش يوم السبت الثامن والعشرين من رجب وأنا رأيته مصلوباً وعمري يومئذٍ ثماني سنين ودخلت في التاسعة اللهم استر في الدنيا والآخرة.

[الشروع في عمارة المصلى بظاهر دمشق]

وفيها: في سابع شوال شرع في عمارة المصلى بظاهر دمشق المجاور لمسجد النارنج برسم صلاة العيدين وهدم حائطه القبلي ومنبره ليجدد، فبني بغير سقف بل انتهت حيطانه من الجوانب الأربع؛ وفتحت له الأبواب وشرفت أعالي حوائطه، وبني له منبر كبير عالي بجوانب المحراب وفوقه قبة مبيضة وتحت أرض القبة خلو إلى الأرض يتصل به الصف الأول خلف الإمام، وكان يركز العلمان الأسودان في أعلا الدرج ويقف الخطيب بينهما فيراه جميع من في المصلى من كل جانب، وكان بناء حيطانه وإغلاق أبوابه صيانة له مما كان يوضع في أرضه من الدواب الميتة، والعظام، والأرواث ولا سيما مؤخر المصلى من شاميه. ثم إنه بعد ذلك في سنة ثلاث عشرة وستمائة ترتب الخطيب لإقامة الجمعة فيه سابع عشر رمضان بعد أن جدد في قبلته رواقان سقف أحدهما ولم يتمم الآخر لوفاة الملك العادل الآمر بذلك ولزم من ذلك خراب ذلك المنبر فجعل له منبر خشب كالذي في سائر الجوامع وترتب فيه إمام راتب يصلي الجمعة وغيرها.

[تجديد أبواب جامع دمشق]

وفيها: في حادي عشر شوال جددت أبواب جامع دمشق الغربية من جهة باب البريد بالنحاس الأصفر وركبت. وفي سادس عشر شوال شرع في إصلاح الفوارة بجيرون، وعمل الشاذروان والبركة بساحتها، واتخذ فيها مسجداً بإمام راتب، وأول من ترتب فيه بأمر الصاحب الوزير ابن شكر النفيس المصري، كان يلقب بوق الجامع لقوة صوته وكان قرأ على الشيخ أبي منصور الضرير المتصدر بالجامع وكان حسن الصوت وكنت أقرأ عليه في صباي وكان يجتمع الناس إذا قرأ النفيس عليه كثيراً.

[الابتداء بعمارة حصن الطور]

قال العز بن تاج الأمناء: وفي العشر الأوسط من ذي الحجة كان الابتداء بعمارة حصن الطور بتولي الملك المعظم واقتراحه ومساعدة والده له برجال العسكر ودوابه نوباً. وفي العشر الأخير من ذي الحجة توجه البال[1] القبرسي لعنه الله في مراكب من عكا إلى الديار المصرية فوصل إلى ساحل دمياط فأرسى غربيها وسلك في البر بخيله ورجله إلى القرية المعروفة بنوره وهي على ساحل النيل فكبسها سحراً وسبى أهلها وحاز ذخائرها وعاد على أثره في بقية يومه إلى مراكبه. وبلغ إلى دمياط خبره فبادر بالرجال إليه فألفاه قد حصل بظهر البحر في مراكبه وامتنع عن طالبه ووصل الأسرى والغنائم إلى عكا وقد نال بفعلته هذه والتي قبلها نوبة فوة من الديار المصرية في سنة ستمائة ما لم ينله أحد من الفرنج قبله ولا أقدم إقدامه.

[وصول حسن الحمار من مكة]

قال: وفي عاشر المحرم وصل حسن الحمار من مكة سابقاً للحاج وأخبر بأن قتادة صاحب مكة قتل المعروف بعبد الأسير ثم وصل كتاب مرزوق الطشتدار الأسدي في الخامس والعشرين من المحرم وكان حاجاً يخبر فيه بأن قتادة قتل إمام الحنفية وإمام الشافعية بمكة، ونهب الحاج اليمني. ثم وصل الحجاج إلى دمشق صحبة ابن محارب يوم الاثنين ثاني صفر. وفي عاشر صفر توفي المخلص بلدق الزاهد المعظم بدمشق.

---

(١) البال: كذا بالأصل.

[وفاة مظفر بن شاشير]

وفيها: توفي مظفر بن شاشير الواعظ الصوفي البغدادي(١)، ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة. وكان يعظ في الأعزية. وترب الرصافة، والمساجد، والقرى. وكان مطبوعاً كيساً ظريفاً وكان يسكن دار العميد عند الصوفية فتوفي في المحرم ودفن عند قبر معروف الكرخي، سمع أبا الوقت وطبقته، جلس يوماً في مسجد بالقرية فقام إليه إنسان فقال له: أنا مريض وجائع. فقال له: احمد ربك فقد عوفيت، واجتاز يوماً على قصاب يبيع لحماً هزيلاً والقصاب ينادي أين من حلف أن لا يغبن؟ فقال له ابن شاشير حتى تحنثه. وقال: خرجت يوماً إلى بعقوبا فتكلمت بها في الليل في جامعها فقام واحد فقال: عندي للشيخ نصفية. وقال آخر: عندي نصفية فعدوا نحو خمسين نصفية. فقلت في نفسي استغنيت الليلة. فلما أصبحت وإذا في زاوية المسجد مقدار كارة شعير. فقلت: ما هذا؟ فقالوا النصافي كل كيل شعير نصفية قال: وجلست بباجرى فجمعوا شيئاً ما أعلم ما هو فلما أصبحنا إذا في جانب المسجد صوف الجاموس وقرونه. فقام واحد ينادي عليه. من يشتري صوف الشيخ وقرونه. فقلت: ردوا صوفكم وقرونكم إليكم.

[كسر ابن عبد المؤمن الفرنج بطليطلة]

ثم دخلت سنة ثمان وستمائة(٢)

والسلطان العادل مخيم بالعساكر على الطور، وابنه المعظم مباشر لعمارة حصنه مجتهداً في إدارته حوشا. ووصل الخبر من جهة طرابلس بأن الأخبار تتابعت إليها من الغرب في البحر بأن ابن عبد المؤمن كسر الفرنج بأرض طليطلة كسرة عظيمة أباد فيها خلقاً منهم ونازل طليطلة وربما فتحها.

[حدوث زلزلة عظيمة]

وفي ليلة السابع والعشرين من ذي القعدة حدثت زلزلة عظيمة هدمت مواضع كثيرة بمصر والقاهرة وأبراجاً، ودوراً بالكرك، والشوبك، وهلك جماعة من الصبيان والنسوان تحت الهدم وكان قوتها من جهة أيلة مما يلي البحر وقيل إنه

(١) في البداية والنهاية ١٣/ ٥٣: مظفر بن ساسير، بسينين مهملتين. وفي شذرات الذهب ٥/ ٣٠: المظفر بن إبراهيم أبو منصور بن البرتي ـ بكسر الموحدة وفوقية نسبة إلى برت قرية بنواحي بغداد ـ الحربي، آخر من حدث عن أبي الحسين محمد بن الفراء، توفي في شوال.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٥٣ ـ ٥٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣١ ـ ٣٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨٦ ـ ١٨٨.

تقدمها يوم ريح أسود وتساقطت نجوم كثيرة. وفي خامس عشري رمضان رئي دخان نازل من السماء إلى الأرض فيما بين الغرب والقبلة بنواحي أرض عاتكة ظاهر دمشق وقت العصر.

وفيها: ابتاع الأشرف جوسق الريس بالنيرب من الظاهر خضر ابن عمه.

وفيها: قدم رسول جلال الدين حسن صاحب الألموت يخبرهم بأنهم قد تبرؤوا من الباطنية وبنوا الجوامع والمساجد وأقيمت الجمعة والجماعات عندهم وصاموا رمضان فسر الناس والخليفة بذلك وقدمت خاتون بنت جلال الدين حاجة فاحتفل بها الخليفة.

وفيها: أمر الخليفة أن يقرأ مسند أحمد بن حنبل بمشهد موسى بن جعفر بحضرة صفي الدين محمد بن جعفر الموسوي بالإجازة عن الخليفة وأول ما قرئ فيه مسند أبي بكر الصديق، وحديث فدك وما جرى فيها.

[نهب الحاج العراقي]

وفيها: نهب الحاج العراقي وكان حج بالناس في هذه السنة من العراق علاء الدين محمد بن ياقوت نيابة عن أبيه ومعه ابن أبي فراس ينفعه ويدبره، وحج من الشام الصمصام إسماعيل أخو سباروخ النجمي على حاج دمشق، وعلى حاج القدس الشجاع علي بن السلار، وكانت ربيعة خاتون أخت العادل في الحج فلما كان يوم النحر بمنى بعد ما رمى الناس الجمرة وثب الإسماعيلية على رجل شريف من بني عم قتادة لشبه به وظنوه إياه فقتلوه عند الجمرة ويقال إن الذي قتله كان مع أم جلال الدين، وثار عبيد مكة والأشراف وصعدوا على الجبلين بمنى، وهللوا، وكبروا، وضربوا الناس بالحجارة والمقاليع والنشاب ونهبوا الناس يوم العيد والليلة واليوم الثاني وقتل من الفريقين جماعة. فقال ابن أبي فراس محمد بن ياقوت ادخلوا بنا إلى الزاهر إلى منزلة الشاميين، فلما حصلت الأثقال على الجمال حمل قتادة أمير مكة والعبيد فأخذوا الجميع إلا القليل. وقال قتادة: ما كان المقصود إلا أنا والله ما أبقيت من حاج العراق أحداً، وكانت ربيعة خاتون بالزاهر ومعها ابن السلار، وأخو سياروخ وحاج الشام. فجاء محمد بن ياقوت أمير الحاج العراقي فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيراً بها ومعه خاتون أم جلال الدين. فبعثت ربيعة خاتون مع ابن السلار إلى قتادة تقول له: ما ذنب الناس قد قتلت القاتل، وجعلت ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين واستحللت الدماء في الشهر الحرام في الحرم والمال وقد عرفت من نحن، والله لئن لم تنته لأفعلن. وأفعلن، فجاء إليه ابن السلار فخوفه وهدده وقال: ارجع عن هذا وإلا قصدك الخليفة من العراق ونحن

من الشام، فكف عنهم وطلب مائة ألف دينار فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير الحاج العراقي ومن خاتون أم جلال الدين، وأقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيل وجريح، ومسلوب، وجائع، وعريان. وقال قتادة: ما فعل هذا إلا الخليفة ولئن عاد أحد من بغداد إلى هنا لأقتلن الجميع. ويقال إنه أخذ من المال والمتاع وغيره ما قيمته ألف ألف دينار، وأذن للناس في الدخول إلى مكة فدخل الأصحاء الأقوياء فطافوا وأي طواف، ومعظم الناس ما دخلوا ورحلوا إلى المدينة ودخلوا بغداد على غاية من الفقر، والذل. والهوان ولم ينتطح فيها عنزان.

[وفاة تاج الدين ابن حمدون]

وفيها: توفي أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن. ويلقب بتاج الدين بن حمدون[١] مصنف كتاب التذكرة[٢]، قرأ اللغة على أبي الحسن بن العطار، وسمع أبا الفتح البطي وغيره، وولاه الخليفة المارستان العضدي. وأغرى بجمع الكتب والخطوط المنسوبة. فجمع منها شيئاً كثيراً وتوفي بمدائن كسرى وحمل إلى مقابر قريش فدفن بها وكان فاضلاً بارعاً.

[وفاة فخر الدين سركس]

وفيها: توفي الأمير فخر الدين سركس بن عبد الله الصلاحي[٣]، ويقال أياز جركس ويقال: جهاركس يعني أنه اشتري بأربعمائة دينار[٤] وكان من أمراء صلاح الدين، شهد معه الغزوات، وأعطاه العادل بانياس، وتبنين، والشقيف، وهونين، وقلعة أبي الحسن وتلك البلاد فأقام بها وكان يتردد إلى دمشق فمرض وتوفي في رجب ودفن بقاسيون، وخلف ولداً فأقره العادل على ما كان لأبيه وقام بأمره الأمير صارم الدين خطلبا المعروف بالتبنيني أحسن قيام وسد تلك الثغور، وقوم الأمور،

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢ ـ ٣٣، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٨، وكشف الظنون ٥/ ٢٨٠.

(٢) له من الكتب: «أخبار الشعراء»، و«أخبار العلماء».

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢.

(٤) هذا تخريج لا وجه له في اللغة ولا في الواقع، وإنما هو جركسي، ويقال للجركسي جهاركس أيضاً باعتبار أن قبائلهم الأصلية أربعة كما ذكره العيني وغيره. قال المؤرخ ابن الفوطي في «معجم الأسماء والألقاب» بالظاهرية رقم ٢٦٧: فخر الدين إياز بن عبد الله أبو نصر، وأبو الغارات الجركسي الأمير كان من الأمراء الأجلاء، وهو الذي اهتم بعمارة مصر لما أحرقها شاور، وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب يثق به ويوليه أمور قصر الخلافة، وقيامه ومعرفته بالناس اهـ. وكان مقدم الصلاحية كما ذكره ابن الأثير وغيره. وفي البداية والنهاية: وجهاركس بمعنى أربعة.

واشترى ضيعة بوادي بردى تسمى الكفر وقفها على تربة فخر الدين (بالصالحية) وعمر له قبة عظيمة على الجادة قبالة قبة خاتون، ثم توفي ولد سركس بعد قليل وأقام صارم الدين بالحصون إلى سنة خمس عشرة فانتزعت منه وسيأتي ذكره.

[وفاة عبد الواحد ابن سكينة]

وفيها: توفي المعين عبد الواحد ابن الشيخ عبد الوهاب بن علي بن سكينة[(١)]. ومولده سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وسافر إلى الشام في أيام الملك الأفضل علي بن صلاح الدين، وبسط لسانه في الدولة فأرسل إليه من بغداد ابن التكريتي ليقتله فوثب عليه مراراً بدمشق فلم يقدر عليه، فكتب إلى الخليفة كتاباً يتنصل فيه مما قيل عنه ويعتذر ويسأله العفو فعفا عنه وكتب له كتاب أمان، فقدم بغداد فولي مشيخة الشيوخ وأعطي رباط المشرعة ثم بعثه في رسالة إلى جزيرة ليس[(٢)] ومعه جماعة من الصوفية فغرق في البحر ومن معه، سمع جده لأمه أبا القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ، وأبا الفتح بن البطي، وأبا زرعة وغيرهم.

[حادثة صاحب الباب ببغداد]

وفيها: أخذ حاجب الباب كمال الدين محمد بن الناعم، وكان حسن الصورة، قبيح الفعال، صادر جماعة وماتوا تحت الضرب، فلما قبض عليه ضرب ضرباً مبرحاً فلم يقر بشيء فمات تحت الضرب ورمي به في دجلة كما كان يفعل بالناس وظهر له بعد ذلك أموال عظيمة ودفائن كثيرة.

[وفاة محمد بن يونس الفقيه]

وفيها: توفي الشيخ العماد محمد بن يونس الفقيه الموصلي[(٣)]، ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وتفقه وانتهت إليه رئاسة مذهب الشافعي بالموصل، وبعث رسولاً إلى بغداد لما توفي صاحبها نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين

---

(١) هو معين الدين أبو الفتوح عبد الواحد بن أحمد بن علي الأمين شيخ الشيوخ في بغداد، وكان موته بجزيرة كاس مضى إليها رسولاً من الخليفة.
(انظر الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٧).

(٢) هي جزيرة كاس كما في الكامل في التاريخ انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٣ ـ ٥٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨٧، وكشف الظنون ٦/ ١٠٨، واسمه محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك عماد الدين، أبو حامد الموصلي الشافعي، من تصانيفه «تعليقه في الخلاف»، «شرح الوجيز للغزالي» في الفروع، «عقيدة»، «المحيط في الجمع بين المذهب والوسيط» من فروع الشافعية.

مسعود، وكان به وسواس في الطهارة يبعث كل يوم غلامه إلى الجسر فيقف في وسط الشاطئ ويملأ الأباريق فيتوضأ بها وكان على ما قيل يعامل الناس (بالعينة). فالتقاه قضيب البان الموله يوماً فقال له العماد: سلام عليك يا أخي كيف أنت؟ فقال: أما أنا فبخير بلى قد بلغني عنك تغسل أعضاءك بأباريق ماء كل يوم فلم لا تنظف اللقمة التي تأكلها؟! ففهم العماد قوله فرجع عن ذلك وكانت وفاته في رجب بالموصل.

[وفاة منصور بن عبد المنعم الفراوي]

وفيها: توفي بنيسابور في شعبان منصور بن عبد المنعم بن عبد الله الفراوي[1] من أهل بيت الحديث رواية ودراية ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة في رمضان، وقدم بغداد حاجاً في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وحدث بها عن أبيه وجد أبيه فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي، وزاهر بن طاهر الشحامي وغيرهم، وحدثنا عنه شيخنا أبو عمرو بن الصلاح، ومحمد بن أبي الفضل المرسي وغيرهما. وكان له ثلاث كنى: أبو القاسم، أبو بكر، أبو الفتح.

[وفاة صارم الدين بزغش]

وفيها: توفي صارم الدين بزغش العادلي بدمشق في الثالث والعشرين من صفر ودفن بتربته في الجبل غربي الجامع المظفري. ووصل الخبر بقتل الأمير المعروف بأيبك فطيس بظاهر حلب في حمام قتله فيه مملوك له تركي خامس عشر رجب. وتوفي قاسم الدين التركماني بالعقيبة ظاهر دمشق في التاسع والعشرين من شوال، وهو والد ابن قاسم الدين والي دمشق.

[وفاة خسروشاه بن قليج أرسلان]

وفيها: توفي صاحب الروم خسروشاه بن قليج أرسلان[2] وخلف ولدين كيكاوس توفي سنة خمس عشرة وستمائة كما سيأتي ذكره وهو الذي تسلطن بعده، وكيقباد وتولى بعده أخوه.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٤، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤. واسمه في البداية والنهاية والشذرات: أبو القاسم، أبو بكر، أبو الفتح، منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي النيسابوري.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٤.

[نكبة أسامة الجبلي]

ثم دخلت سنة تسع وستمائة[١]

ففيها: كانت نكبة أسامة الجبلي صاحب دار أسامة[٢] داخل باب السلامة التي هي الآن مدرسة للشافعية وكان أحد الأمراء الكبار وهو الذي ذكر عنه أنه سلم بيروت إلى الفرنج كما تقدم.

قال أبو المظفر: اجتمع العادل وأولاده الكامل، والفائز، والمعظم بدمياط، وكان أسامة بالقاهرة قد استوحش منهم واتهموه بمكاتبة الظاهر صاحب حلب، وحكى لي المعظم أنه وجد له كتاباً إليه وأجوبة فخرج أسامة من القاهرة كأنه يتصيد فاغتنم اجتماع الملوك بدمياط وساق إلى الشام في مماليكه يطلب قلاعه وهما، كوكب، وعجلون. وذلك يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة، فأرسل صاحب بلبيس الحمام إلى دمياط يخبرهم بذلك. فقال العادل: من ساق خلفه فله أمواله وقلاعه، فقال المعظم: أنا، وركب من دمياط يوم الثلاثاء غرة رجب وكنت معه. فقال لي: أنا أريد أن أسوق فسق أنت مع قماشي ودفع لي بغلة وساق ومعه نفر يسير وعلى يده حصان وكان صباح يوم الجمعة في غزة. ساق مسيرة ثمانية أيام في ثلاثة أيام فسبق أسامة. وأما أسامة فإنه انقطع عنه مماليكه ومن كان معه وبقي وحده وبه نقرس[٣] فجاء إلى بلد الداروم؛ وكان المعظم قد أمسك عليه من البحر إلى الزرقاء، فرآه بعض الصيادين في برية الداروم فعرفه فقال له: انزل. فقال: هذه ألف دينار وأوصلني إلى الشام، فأخذها الصياد وجاء رفاقه فعرفوه أيضاً فأخذوه على طريق الخليل عليه السلام ليحملوه إلى عجلون فدخلوا به القدس يوم الأحد سادس رجب. جاء بعد المعظم بثلاثة أيام. فقال له المعظم رحمه الله: ما كنت خائفاً إلا أن تصادفني في الطريق غلمانه فيقتلوني، لو رماني أيدكين بسهم قتلني فملك أيدكين والجميع فأنزل أسامة في صهيون وبعث إليه بثياب وطعام ولاطفه وراسله وقال: أنت شيخ كبير وبك نقرس وما يصلح لك قلعة سلم إلى كوكب وعجلون وأنا أحلف لك على مالك وملكك وجميع أسبابك وتعيش بيننا مثل الوالد. فامتنع وشتم المعظم فلما يئس المعظم منه بعث به إلى الكرك فاعتقله

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٥٤ ـ ٥٥، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦ ـ ٣٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٩ وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٢) انظر الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥٩.

(٣) النقرس: مرض مؤلم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر وهو ما كان يسمّى: داء الملوك.

واستولى على قلاعه وأمواله، وذخائره، وخيله فكان قيمة ما أخذ منه ألف دينار.

وحج بالناس من العراق حسام الدين بن أبي فراس نيابة عن محمد بن ياقوت وكان معه مال وخلع لقتادة حتى سكت عنهم. ومن الشام شجاع الدين محارب على أيلة.

[استيلاء البال القبرسي على أنطاكية]

وفيها: استولى البال القبرسي على أنطاكية فرميت تلك الأعمال منه بداهية وتابع الغارات على تركمانها فشردهم فتجمعوا وأخذوا عليه المضايق وحصر في واد فقتلوه وجميع رجاله وطافوا برأسه في أعمالهم، ثم حملوه في البحر إلى الملك العادل بمصر. وهذا الملعون هو الذي كان هجم على فوة وبورة كما تقدم.

[عزل صفي الدين بن شكر]

وفيها: كان عزل الوزير صفي الدين بن شكر عن وزارة العادل والقبض على أملاكه ثم نفي إلى الشرق.

[تظاهر الإسماعيلية بالإسلام]

وفيها: تظاهرت الإسماعيلية بالألموت وكروكور وما والاهما من بلاد العجم بالإسلام وإقامة شعائره والرجوع عما كانوا عليه من الفساد، وأرسل زعيمهم جلال الدين حسن إلى الخليفة الناصر يبذل الطاعة ويستدعي قضاة وفقهاء يفقهونهم ويقضون بينهم فأجيب. وبعث إلى الحصون الشامية مصياف، والحوابي، والقليعة وما ينضاف إليها مما ينسب إلى الإسماعيلية من أظهر فيها شعائر الإسلام وتجديد المساجد وإقامة الحد على من ارتكب محرماً.

وفيها: خربت حصن كوكب ونقل ذخائرها إلى الطور.

[عدد من الوفيات]

وفيها: توفي مادح الرحمن، وفخر الدين إسرائيل، وعز الدين عبيدان الفلكي صاحب الدار والحمام المنسوبين بعده إلى ابن موسك مقابلة دار الحديث النورية.

[وفاة الملك الأوحد صاحب خلاط]

وفيها: في ثامن ربيع الأول توفي الملك الأوحد صاحب خلاط، واسمه أيوب بن أبي بكر بن أيوب ولقبه نجم الدين[1] وكان قد سفك دماء المقدمين من

---

(١) انظر ترجمته في: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٧٣ ـ ٢٧٥، مرآة الزمان ٨/ ٥٦١، مفرج الكروب ٣/ ٢٠٨، كنز الدرر ٧/ ١٧٥، تاريخ أبي الفداء ٣/ ١١٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٧، العبر ٥/ ٣١، البداية والنهاية ١٣/ ٥٥، شذرات الذهب ٥/ ٣٧.

أهل خلاط فلم يطل عمره. ملك خلاط أقل من خمس سنين وابتلي بأمراض مزمنة كان يتمنى الموت معها، وكان قد استزار أخاه الأشرف من حران فأقام عنده أياماً فاشتد مرضه فطلب الأشرف الرجوع إلى حران لئلا يتحيل منه الأوحد فقال له الأوحد: يا أخي كم تلج والله إني ميت وأنت تأخذ البلاد وكان الأوحد قد صاغ للأشرف طلعة ذهب من خمسمائة دينار للسنجق وبقيت في الخزانة، واشتغلوا بمرض الأوحد فتوفي وملك البلاد الأشرف، وأول ركوبه في خلاط بالسنجق كان بتلك الطلعة وكانت وفاة الأوحد بملاذكرد فدفن بها وجاء الأشرف فدخل خلاط فأحسن إلى أهلها وخلع عليهم وعدل فيهم فأحبوه وأطاعوه.

[وفاة إبراهيم بن محمد القفصي]

وفيها: توفي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القفصي المحدث المقرئ سمع الكثير بدمشق وغيرها وكتب كتباً كثيرة، وكانت وفاته في ربيع الأول، ودفن عند المنيبع بمقابر الصوفية.

[وفاة محمد بن سعد الديباجي]

وفيها: توفي بمرو أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي[١] من أهل مرو ولد في المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وسمع الحديث وقدم بغداد حاجاً سنة ستمائة ومعه كتاب سماه «المحصل في شرح المفصل»[٢] للزمخشري في النحو وعاد إلى مرو وسمع أبا سعد بن السمعاني وغيره وكان فاضلاً ثقة.

[وفاة محمود بن عثمان النعال]

وفيها: توفي الشيخ أبو الثناء محمود بن عثمان بن مكارم النعال الحنبلي الزاهد[٣]: ولد في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ببغداد بالبدرية وقرأ القرآن. وسمع الحديث. وكان آمراً بالمعروف؛ ناهياً عن المنكر، وكان له رياضات ومجاهدات وساح في بلاد الشام وغيرها، وبنى رباطاً بباب الأزج يأوي إليه أهل العلم من المقادسة وغيرهم، وكان يؤثرهم وانتفع به خلق كثير، وكان شيخاً مهيباً لطيفاً كيساً باشاً متبسماً يصوم الدهر ويختم القرآن كل يوم وليلة ولا يأكل إلا من غزل عمته.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٥، وكشف الظنون ٦/ ١٠٨.

(٢) وله من المصنفات أيضاً: «تهذيب مقدمة الأدب»، «شرح الأنموذج» في النحو، «قانون الصلاحي في أدوية النواحي»، «ملك الأدب»، «منافع أعضاء الحيوان». (كشف الظنون ٦/ ١٠٨).

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٥، وشذرات الذهب ٥/ ٣٨ ـ ٣٩.

[قصة شروين الفاتك]

وحكي أنه كان ببغداد رجل عواني يقال له شروين وكان فاتكاً ذا شر إذا رأى امرأة أو صبياً مستحسناً في طريق تبعه فإذا صادف رجلاً من أولاد الناس لزمه. وقال كانت هذه أو هذا عندك ومقصوده يأخذ منه شيئاً ويقول له امش إلى المحبس فيأخذ ما معه. قال: فسألني جماعة من الأخيار أن نمشي إلى زيارة قبر معروف الكرخي واشترى مأكولاً وعبرنا دجلة وقد تبعنا شروين ولم نعلم فدخلنا بستاناً وقعدنا نأكل وإذا به قد هجم علينا وقعد بيننا فخاف الجماعة منه ومد يده فأخذ لقمة فصحت عليه صيحة عظيمة. وقلت له. ويلك قم فنحن لا يأكل معنا إلا من هو ولي لله تعالى. قال: فتغير لونه ورمى باللقمة من يده وولى منصرفاً وما عاد إلى مثلها وكانت وفاة محمود في صفر ودفن برباطه رحمه الله تعالى.

[أمر العادل بتركيب سلاسل على أفواه السكك المجاورة لجامع دمشق]

ثم دخلت سنة عشر وستمائة(١)

ففيها: أمر العادل بإحداث تركيب سلاسل، على أفواه السكك المجاورة للجامع ومدها في أيام الجمع ليمنع الخيل من قرب أبواب الجامع، وذلك لما كان ينال الناس من المشقة من زحمة الخيل التي يركبها بعض المصلين إلى الجامع، فحصل للناس بذلك رفق عظيم ثم ترك ذلك بعد زمان وعاد الأمر إلى ما كان عليه إلى الآن وعمل بعض المتفرغين في ذلك نظماً كان يغني به في الأسواق أوله: [غير موزون تماماً]

إن ذا عـــــام جـــــديـــــد   إن ذا يـــــوم ســـــعـــــيـــــد
والـــمـــديـــنـــة هـــاربـــة   قـــيـــدوهـــا بـــالـــحـــديـــد
كـــل جـــمـــعـــة يـــســـجـــنـــوهـــا   كـــأنـــهـــم مـــا يـــعـــرفـــوهـــا
والـــنـــبـــي لـــو أطـــلـــقـــوهـــا   مـــا بـــرح بـــاب الـــبـــريـــد

[وصول الفيل إلى دمشق وولادة الملك العزيز]

وفيها: وصل الفيل من الديار المصرية ليحمل هدية إلى الكرج وازدحم الناس للتفرج عليه وذلك في ثاني صفر.

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٥٥ ـ ٥٧، وشذرات الذهب ٥/ ٣٩ ـ ٤٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٠ ـ ٣٦١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠.

وفيها: ولد الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وفيها: قدم إلى بغداد شمس الدين التبتي رسولا من الملك العادل وكان قد أحسن إلى العادل لما حوصر بدمشق وأقرض له أموال التجار وضمنها فرأى له العادل ذلك فأحبه وقربه وحسده الصفي بن شكر فأبعده بالرسالة.

وحج بالناس ابن أبي فراس من العراق. ومن الشام الغرز صديق بن تمرتاش التركماني على أيلة بحاج الكرك والقدس.

وفيها: قدم الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين رحمه الله من حلب بعزم التوجه إلى الحج فنزل بالقابون يوم الأحد رابع شوال ثم انتقل إلى مسجد القدم خامسه ووصل ابن عمه المعظم من حيث كان بنواحي شام حوران واجتمع على جسر الخشب سادسه وعمل له دعوة بداره تاسعه ودعتهما جميعاً عمتهما ست الشام إلى دارها ثامن عشره ورحل من دمشق متوجهاً إلى الحج في جمع من الحجاج تاسع عشر شوال، وخرج معه المعظم فودعه وتوجه نحو الجابية فاجتمع الحاج ببصرى فرحل بهم الظافر منها ضحوة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال الموافق لثاني عشر آذار فسلكوا طريق تيما إلى مدينة النبي ﷺ فحصل على الزيارة ثم أحرم بالحج فلما وصل إلى بدر رد من الطريق.

قال أبو المظفر: وكان حج معه يعقوب الخياط المغاري كان مقيماً بمغارة الجوع بقاسيون وكان صديق الظافر فلما وصل الظافر إلى بدر وجد عسكر الكامل ابن عمه العادل صاحب مصر قد سبقه خوفاً منه على اليمن فقالوا ترجع فقال قد بقي بيني وبين مكة مسافة يسيرة ووالله ما قصدي اليمن وإنما أريد الحج فقيدوني واحتاطوا بي حتى أقضي المناسك وأعود إلى الشام فلم يلتفتوا فرجع إلى الشام وعاد يعقوب الخياط معه ولم يحج.

وحكى لي والدي رحمه الله وكان ممن حج معه في تلك السنة: أنه شق على الناس ما جرى عليه وأراد كثير منهم أن يقاتلوا الذين صدوه عن المضي في حجته فنهاهم عن ذلك واختار الرجوع على الفتنة وفعل ما فعله النبي ﷺ عام الحديبية حين صده الكفار عن البيت فقصر من شعره وذبح ما تيسر وكان محرماً من ذي الحليفة، ولبس ثيابه وودع الناس ورجع وعيون الناس باكية ولهم ضجيج وعويل ولحقهم عليه حزن طويل من جهة صده عن مشاعر الدين وهو ابن مثل صلاح الدين رحم الله الجميع.

[تخلص خوارزم شاه من أسر التتار]

وفيها: وصل كتاب من جهة بلاد خراسان من بعض فقهاء الحنفية إلى الشيخ تاج الدين الكندي بدمشق يخبر فيه بخلاص خوارزم شاه محمد من أسر التتر وعوده إلى مملكته وهو أنه كان منازلاً لطوائف التتر بعساكره فخطر له أن يكشف أمورهم بنفسه فتنكر ودخل عسكرهم ومعه ثلاثة نفر في زي القوم فأنكروهم وقبضوهم وضربوا اثنين فماتا تحت الضرب ولم يقروا، ووكلوا بخوارزم شاه ورفيقه فهربا بالليل ووصل إلى معسكره سالماً وعاد إلى ما كان عليه من التصدي لمنازلتهم.

[ظهور بلاطة في خندق حلب تحتها قنطار من الذهب والفضة]

وفيها: ظهرت بلاطة وهم يحفرون في خندق حلب فقلعت فوجد تحتها تسع عشرة قطعة من ذهب وفضة على هيئة اللبن، فاعتبرت فكان منها ذهباً مصرياً ثلاثة وستون رطلاً بالحلبي وعشرة أرطال ونصف صوري، وأربعة وعشرون رطلاً فضة، ثم وجدوا حلقة من ذهب وزنها رطلان ونصف فكمل الجميع قنطاراً.

[قتل الموفق نشأ]

وفيها: قتل أحمد بن محمد بن عمر الأزجي ويعرف بالموفق نشأ بباب الأزج وسمع الحديث من ابن كليب، وابن يونس، وابن طبرزد وغيرهم. وكان فقيراً خرج إلى الشام واجتمع بالملك الظاهر صاحب حلب وقال له قد بعث لك الخليفة معي إجازة. وتقول على الخليفة فخلع عليه وأعطاه خمسين ديناراً ودار على ملوك البلاد فحصل له منهم ثلاثمائة دينار.

قال أبو المظفر: واجتمعت به في دمشق وقد رجع من زيارة القدس فقلت له. إلى أين انتهت زيارتك؟ فقال: إلى لوط وكان مطبوعاً وبلغني حديثه فقلت له قد فعلت ما فعلت فلا تقرب بغداد فقال: «أتتك بخائن رجلاه» فقلت: ما أخوفني أن يصح المثل فيك فكان كما قلت. نزل إلى بغداد في سفينة من الموصل وصعد باب الأزج إلى بيت أخته وقت المغرب فلما كان بعد العشاء الآخرة طرق الباب طارق فقال: من هذا؟ فقال كلم من يطلبك فخرج وإذا برجل فسحبه عن الباب وضربه بسكين حتى قتله. ثم صاح على الباب. اخرجي خذي أخاك وما معه، فخرجت أخته وإذا به مقتول فأخذت المال ودفنته في الليل.

[وفاة أحمد بن مسعود التركستاني]

وفيها: توفي أبو الفضل أحمد بن مسعود بن علي التركستاني[(١)]. الحنفي قدم بغداد وكان قد تفقه وبرع في علم النظر وانتهت إليه الرئاسة في مذهب أبي حنيفة، ولاه الوزير ابن مهدي المظالم، والتدريس بمشهد أبي حنيفة.

[وفاة ابن الماشطة الحنبلي]

وفيها: توفي أبو محمد إسماعيل بن علي بن الحسين الملقب بالفخر غلام ابن المنى ويعرف باب الرفاء وبابن الماشطة الحنبلي[(٢)] ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقرأ المذهب والخلاف على أبي الفتح، وقرأ طريقة الشريف وصنف له تعليقة وجدلاً من كلام الشريف، وزاد عليه ونقص منه حتى سماه أهل بغداد النظيف من تعليق الشريف، وكان فصيحاً وله عبارة جيدة وصوت رفيع. وكان له حلقة بجامع الخليفة يجتمع إليه الفقهاء فيها ويناظرهم، وولاه الخليفة ضياع الخاص فظلم الرعية وجبى الأموال من غير حلها فشكوه إلى الخليفة فسخط عليه وعزله. فأقام في بيته خاملاً فقيراً يعيش من صدقات الناس إلى أن مات في ربيع الأول ودفن بداره بدرب الجب ثم نقل بعد مدة إلى باب حرب وبيعت الدار.

قال أبو المظفر: وولده محمد بن إسماعيل الملقب بالشمس قدم الشام بعد سنة عشرين وستمائة وتعاطى الوعظ، وكان فاسقاً مجاهراً خبيث اللسان، وكان معه جماعة من المردان من أبناء الناس يقول إنهم مماليكه، وسمى نفسه ابن المنى وإنما هو ابن غلام ابن المنى، وبدت منه بدمشق ومصر والشام هنات قبيحة وكان يضرب الزغل مع هذه الهنات، وورد خالي أبو محمد يوسف رسولاً إلى الكامل فكتب في حقه إلى بغداد شيئاً وشنع عليه وكان الخليفة هو المستنصر فلم يسمع منه ونفاه الكامل من مصر فجاء إلى دمشق وأنا بها فهجا قاضيها شمس الدين بن

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦١.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠ ـ ٤١ والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٠، وكشف الظنون ٥/ ٢١٢، وفي كشف الظنون: إسماعيل بن علي بن جعفر (بدل الحسين) البغدادي الأزجي فخر الدين، أبو محمد الحنبلي، يعرف بابن الماشطة، وأيضاً بابن الفراء، ولد سنة ٥٤٩هـ. صنف «تعليقة في الخلاف» مشهور، «جنة الناظر وجنة المناظر».

الخويي، ومحتسبها وشيخ شيوخها الصدر البكري، وأعيان الدماشقة هجاهم بقصيدة يقول فيها: [غير موزون]

شيخ شيوخ الشام مسخرة هذا وقاضي قضاتهم نردى

وكان نازلاً في مدرسة الحنابلة عند الناصح بن الحنبلي فهجا الناصح والمقادسة. واتفق أنه أخذ غلاماً في السوق ومعه دراهم زغل ووصل الخبر إلى المعظم فأراد قطع يده ثم نفاه ومات المعظم وهو بدمشق، وأقام بالشام مدة ثم خطر له النزول إلى بغداد فقدمها في أيام المستنصر بالله وتوصل حتى جلس بباب بدر، ثم شرع في السعايات بالناس واتفق أن غلاماً له تعرض لبعض حرم الناس من السطح فجاء زوجها وشنع عليه فمضى إلى أستاذ الدار ولبس عليه وقال: أمرك الوزير أن تضرب زوجها مائة خشبة وتحلق لحيته. ففعل بالرجل ذلك. وبلغ الخبر المستنصر فقامت عليه القيامة وبعث إلى الوزير فأنكر عليه؛ فأحضر أستاذ الدار وسأله عن القضية فأحال على غلام ابن المنى فأمر الخليفة بأن يخرج إلى باب النوبى ويضرب مائة خشبة ويقطع لسانه ففعلوا به ذلك وأعطوه لسانه في مداسه بيده ونادوا عليه جزاء من يكثر كلامه وحمل إلى البيمارستان العضدي فتكلم، وكان قطع لسانه من أصله وبرأ وأخرج من البيمارستان فعاد إلى السعاية بالناس فقال المستنصر: لا يجيء من هذا خير أبداً يحمل إلى واسط ويرمى في مطمورة فنفي إلى واسط وألقي في مطمورة فمات بها في أيام المستنصر وكان ما فعل به المستنصر من أكبر حسناته.

[وفاة ابن حديدة الوزير]

وفيها: توفي ابن حديدة الوزير، واسمه سعيد بن علي بن أحمد أبو المعالي ولقبه معز الدين[1]. وهو من ولد قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري الصحابي رضي الله عنه، ولد بسامرا سنة ست وثلاثين وخمسمائة ونشأ ببغداد وكان أحد الموسرين له مال كثير، وجاه عريض واستوزره الإمام الناصر في سنة أربع وثمانين وخمسمائة وخلع عليه خلعة الوزارة الكاملة القميص الأطلس، والفرجية المسرح والعمامة القصب الكحلية بأعلام الذهب وقلده سيفاً محلى وقدم له فرساً من خيل الخليفة فركبه وخرج أرباب الدولة يمشون بين يديه من باب حجرة الخليفة إلى دار

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٦، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦١، وفي «الكامل»: معز الدين أبو المعالي سعد بن علي، المعروف بابن حديد، وهو تصحيف.

الوزارة. وهو الذي كان الشيخ أبو الفرج بن الجوزي يجلس في داره ويمدحه، ولم يزل على الوزارة حتى ولي ابن مهدي نقابة العلويين فشرع فيه وما زال بالخليفة حتى عزله واعتقله وطالبه بمال فالتجأ إلى التربة الأخلاطية فلم ينفعه، وأدى المال وأقام في بيته إلى أن ولي ابن مهدي الوزارة فسلم عليه فاعتقله في داره بدرب المطبخ، وعزم على تعذيبه فواطأ الموكلين به وحلق رأس نفسه ولحيته وخرج في زي النساء إلى مراغة وأقام بها حتى عزل ابن مهدي وعاد إلى بغداد فنزل داره بالصويين وأقام بها حتى توفي في جمادى الأولى ونقل إلى الكوفة فدفن في مشهد أمير المؤمنين، وكان جواداً، سمحاً كثير الصدقات، والمعروف، متواضعاً.

[وفاة سنجر بن عبد الله الناصري]

وفيها: في شوال توفي سنجر بن عبد الله الناصري[1] الذي كان عصى على الخليفة ثم عفا عنه. وكان ذليلاً بخيلاً ساقط النفس مع كثرة البلاد والأموال، تولى إمارة الحاج في سنة تسع وثمانين وخمسمائة وعاد في صفر سنة تسعين فاعترض الحاج رجل بدوي من الأعراب يقال له دهمش في نفر يسير ومع سنجر خمسمائة فارس فلم يلقه وذله. فطلب دهمش منه خمسين ألف دينار فجمعها سنجر من الحاج وضيق عليهم، ولما ورد بغداد وكل عليه الخليفة بذلك المال وأخذه منه ورده على أصحابه وعزله عن إمارة الحاج وولاها طاشتكين.

[عدد من الوفيات في هذه السنة]

وفيها: توفي تاج الأمناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله من بني عساكر[2] أخو الفخر وزين الأمناء، وهو أكبر منهما، سمع عميه الضياء بن أبي الحسن؛ والثقة الحافظ أبا القاسم وغيرهما ودفن عند مسجد القدم وخلف أولاداً كثيرين، وكان من أصدقاء الشيخ تاج الدين الكندي، وكان له سمت حسن، وكانت وفاته يوم الأحد ثاني رجب ودفن في الغد بمقبرة مسجد القدم على جده لأمه قبلي المحراب.

وفيها: توفي الصفي إبراهيم بن التبنيني ودفن بالجبل وهو والد البدر.

وفيها: توفي بحلب تاج العلاء النسابة الشريف الحسني الرملي[3] الذي كان بآمد وكان اجتمع هو وأبو الخطاب بن دحية فقال له تاج العلاء: إن دحية لم يعقب فرماه ابن دحية بالكفر في مسائله الموصلية.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٦.
(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٧، وشذرات الذهب ٥/ ٤٠.
(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٧.

وفيها: توفي عبد الجليل والد الشمس صديقنا الشيرجاني راوي كتاب البخاري عن أبي الوقت سمعه عليه خلق كثير بدمشق وكان نازلاً بدويرة حمد في سابع عشر جمادى الأولى ودفن بالجبل.

[تبليط جامع دمشق]

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمائة(١)

ففيها شرع في تبليط رواقات الجامع الداخلة، وابتدأ بالحجر الشرقية مكان السبع الكبير في ثالث عشر المحرم وكانت أرض الجامع كلها قد تكسر رخامها فبقي حفراً وجوراً.

وفيها: فوض تدريس المدرسة النورية الحنفية إلى الشيخ جمال الدين محمود الحصيري العجمي، وحضر المعظم مع الفقهاء، ودرس في ثالث ربيع الأول.

[وفاة صاحب اليمن]

وفيها: توفي ابن سيف الإسلام صاحب اليمن واستولى عليها سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاق من أجنادها وتزوج بأم ابن سيف الإسلام المتوفى فأذن العادل للكامل في تنفيذ ابنه إلى اليمن ليملكها ففعل فملك أتسيس بن الكامل بن العادل اليمن ويلقب بالملك المسعود، وكان جباراً فاتكاً قيل إنه قتل باليمن ثمانمائة شريف وخلقاً من الأكابر والعظماء.

[أخذ الملك المعظم قلعة صرخد من ابن قراجا]

وفيها: أخذ المعظم قلعة صرخد من ابن قراجا وعوضه عنها مالاً وإقطاعاً. وحج بالناس من العراق أبو فراس بن ورام نائباً عن محمد بن ياقوت. ومن الشام علم الدين الفضية نصر الله الجعبري. إمام الملك المعظم عيسى.

وفيها: حدثت المعاملة بالقراطيس السود العادلية فبقيت زماناً ثم بطل ضربها وتناقصت من أيدي الناس إلى أن فنيت.

وفيها: أعطى المعظم صرخد وأعمالها مملوكه أستاذ داره عز الدين أيبك المعظمي فبقيت في يده إلى أن أخرجه منها الصالح أيوب بن الكامل سنة أربع وأربعين وستمائة.

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٥٧ ـ ٥٩، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤ ـ ٤٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٠.

[حج المعظم بن العادل بالناس]

وفيها: حج بالناس المعظم بن العادل، فسار من الكرك على الهجن حادي عشر ذي القعدة، وعماد الدين بن موسك، والظهير بن سنقر الحلبي وغيرهم. وسلكوا طريق العلاء وتبوك، وجدد المعظم البرك والمصانع، وأحسن إلى الناس وتلقاه سالم أمير المدينة وخدمه وقدم له الخيل والهدايا وسلم إليه مفاتيح المدينة، وفتح الأهراء وأنزله في داره وخدمه خدمة عظيمة، ثم سار إلى مكة فوصلها يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة وكانت وقفة تلك السنة يوم الجمعة، وانفصل عن مكة بعد أداء الفرض يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر، وقدم المدينة فأقام بها ثم انفصل عنها عائداً إلى الشام صحبة الأمير سالم صاحبها في الخامس والعشرين منه.

قال أبو المظفر: وحكى لي رحمه الله قال: قلت له أين ننزل فأشار إلى الأبطح بسوطه فقال: هناك. فنزلنا بالأبطح وبعث لنا هدايا يسيرة وحج السلطان على مذهب أبي حنيفة وأتى بجميع المناسك وإحياء السنة، أحرم قارناً وبات بمنى ليلة عرفة، وصلى بها الصلوات الخمس، وسار إلى عرفة وقضى نسكه كما أمره الله تعالى.

ولقد رأيت كتفه بعد ما عاد وقد أكلته الشمس وانكشط، وقيح. فقلت ما هذا؟ قال: ما غطيت رأسي ولا كتفي منذ ثلاثة عشر يوماً. قلت: لم تكن له حاجة إلى كشف كتفه فإنه لا يستحب إلا حالة الاضطباع في طواف القدوم، والله أعلم.

قال أبو المظفر: وتصدق على فقراء الحرمين بمال عظيم، وحمل المنقطعين وزودهم وأحسن إليهم، ولما عاد إلى المدينة شكا إليه سالم من جور قتادة فوعده أن ينجده عليه، قال: ولما رجع كنت مقيماً بالكرك فخرجت للقائه مع جماعة من الأعيان، والأمراء، والفقراء؛ والفقهاء فما التفت إلى أحد منهم، ولما رآني ترجل عن ناقته وعانقني وسقنا إلى برزا وكان لقاؤنا له على غدير الظرفاء في البرية وشرع يحكي لي صفة حجه وما فعل، وكان والده العادل نازلاً على خربة اللصوص فقال: أريد أن أبغته حتى لا يلتقيني أحد، وسار إليه واجتمع به وحكى له خدمة سالم وتقصير قتادة، فجهز جيشاً مع الناهض بن الجرحى إلى المدينة والتقاهم سالم فأكرمهم وقصدوا مكة فانهزم قتادة منهم إلى البرية ولم يقف بين أيديهم.

وفيها: هدمت الدور والحوانيت المجاورة للقلعة لتوسيع الخندق ومن جملة ما هدم حمام قايماز النجمي؛ ووقف دار الحديث النورية وكان قريباً وحوانيت تقابل المار من جهة دار الحديث إلى القلعة.

وفيها: في الثامن والعشرين من ذي القعدة الموافق لآخر آذار على إحدى عشر ساعة منه أظلم الجو ووقع شبيه بالرمل إلى بعد المغرب ثم ارتفع ذلك.

وفيها: أنشأ المعظم الفندق الكبير المنسوب إليه بأرض عاتكة قبلي القنوات.

[وفاة دلدرم الياروقي]

وفيها: توفي الأمير بدر الدين دلدرم الياروقي(١) صاحب تل باشر في آخر السنة.

[وفاة إبراهيم بن علي الفقيه الحنبلي]

وفيها: توفي إبراهيم بن علي بن محمد بن بكروس الفقيه الحنبلي(٢) ولد سنة تسع وخمسين وخمسمائة. قرأ القرآن وتفقه على مذهب أحمد، وسمع الحديث على أبيه وغيره وشهد عند القاضي ضياء الدين الشهرزوري، وناظر، وأفتى، ثم إن الله تعالى مكر به فصار صاحب خبر بباب النوبى، ورمى الثوب الواسع ولبس المزند؛ وتقلد السيف وظلم وفتك في المال والحريم، ضرب جماعة بالخشب ورماهم في دجلة وما كانت تأخذه في أذى مسلم لومة لائم ولي نيابة الباب وكان مآله أن ضرب بالخشب حتى مات تحت الضرب. وكان يقول وهو يضرب: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يس: ٤٩]، فكان ذلك آخر كلامه ورمي به في دجلة ليلاً؛ وسر الناس بموته لأنه فتك في المال والحريم وكان أبوه من الصالحين زوجه أبو الفرج ابن الجوزي إحدى بناته وليست أم المذكور.

[وفاة عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر]

وفيها: توفي ركن الدين عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر(٣) الذي أحرقت كتبه بالرحبة وحكم القاضي بتفسيقه على ما ذكرناه في أخبار سنة ثلاث وستمائة وكان الخليفة قد استأصله حتى طلب من الناس. ثم توصل حتى ولي وكالة الأمير الصغير على الخليفة.

قال أبو المظفر: وكان خالي أبو القاسم صديقه وكذا كانت عادته أن يوالي من يعادي أباه. قال لي خالي أبو القاسم يوماً بعد ما مات جدي: تيسر لي صديق

---

(١) هو دلدرم بن ياروق الياروقي (من هامش الأصل).

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٨، وذكره في شذرات الذهب في وفيات سنة ٦١٠هـ، انظر ٥/ ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٨، وشذرات الذهب ٥/ ٤٥ ـ ٤٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٠.

يشتهي أن يراك ولم يعرفني من هو فادخلني إلى دار شممت من دهليزها رائحة الخمر ودخلنا وإذا الركن عبد السلام جالس وعنده صبيان مردان وهو في حالة قبيحة فلم أقعد، فصاح خالي والركن فخرجت ولم ألتفت فتبعني خالي وقال: خجلتني من الرجل. فقلت له: لا جزاك الله خيراً وأسمعته غليظ الكلام ومرض عبد السلام بعلة البطن فرمى كبده قطعاً ومات في هذه السنة.

[وفاة ابن الأخضر]

وفيها: توفي أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك البزار المعروف بابن الأخضر[1]. ولد سنة ست وعشرين وخمسمائة، وقيل: هو جنابذي الأصل بغدادي الدار والمولد سمع الحديث الكثير وصنف الكتب الحسان من الأبواب والشيوخ والفضائل؛ وأول سماعه سنة ثلاثين وخمسمائة، وكانت له حلقة بجامع القصر يقرأ فيها الحديث ويقرأ عليه، وتصانيفه تدل على فهمه وضبطه وحسن معرفته وكانت له دكان بزقاق الريحانيين بخان الحسبة، وكانت وفاته في شوال وصلى عليه بجامع القصر وحضر جنازته العلماء والأعيان ودفن بباب حرب إلى جانب أبي بكر المرزوقي. سمع قاضي المارستان، وابن السمرقندي، وأبا الوقت؛ وابن ناصر؛ والأنماطي وسعد الخير وغيرهم وكان فاضلاً صالحاً ديناً عفيفاً لطيفاً.

[وفاة محمد بن علي بن نصر الحنبلي]

وفيها: في شعبان توفي محمد بن علي بن نصر الحنبلي الواعظ الدوري[2] أصله من الدور قرية بدجيل سمع أبا نصر، وأبا الوقت وغيرها، وتعاطى الوعظ ولم يكن من صنعته وكان يضاهي أبا الفرج بن الجوزي حتى قيل له أيما أعلم أنت أم أبو الفرج؟ فقال: ما أرضاه يقرأ على الفاتحة. وبلغ ذلك أبا الفرج، فقال: ما أقرأ عليه الفاتحة بل أقرأ عليه قل هو الله أحد، وكان يتعصب له حاكة قطعنا ودفن

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٨، وشذرات الذهب ٥/ ٤٦، ٤٧، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٣، وكشف الظنون ٥/ ٥٧٩، وفي كشف الظنون: عبد العزيز بن المبارك بن محمود بن الأخضر الجنابذي الأصل، بغدادي المولد والدار، يعرف بابن الأخضر، (جنابذة ناحية بنيسابور)، الحافظ أبو محمد الحنبلي، ولد سنة ٥٢٤هـ. قال ياقوت في معجم البلدان: له تصانيف في الحديث منها: «معالم العترة النبوية ومعارف أهل بيت الفاطمية».

(٢) اسمه في شذرات الذهب ٥/ ٤٨: أبو المظفر مهذب الدين محمد بن علي بن نصر بن ألبل الدوري الواعظ الحنبلي. وفي الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٣، أبو المظفر محمد بن علي بن ألبل اللوري الواعظ.

في رباطه بقطعنا وكان ينتحل أشعار الناس ادعى يوماً بيتين لنفسه وأنشدهما على المنبر مشيراً إلى الخليفة وهما لأبي الفتح البستي(١): [الخفيف]

علم في دجى الدجى وشهاب كلنا في ضيائه واقتباسه
متلف الأموال في وقت بؤس وجواد بالعفو في وقت بأسه

[عودة المعظم من الحج]

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وستمائة(٢)

وفيها: شرع في عمارة المدرسة العادلية.

وفيها: وصل الملك المعظم من الحجاز بعد أدائه فريضة الحج والعمرة إلى والده الملك العادل وهو بخربة اللصوص بعد المغرب من ليلة الاثنين سابع عشر المحرم، وفي بكرته وصل الأمير سالم صاحب المدينة النبوية على ساكنها السلام والتحية فركب العادل وتلقاه وبالغ في إكرامه ودخل الجميع دمشق في الثالث والعشرين من المحرم، وقدم الأمير سالم هديته من تحف الحجاز وعشرين رأساً من الخيل العراب.

[غارة الفرنج على الإسماعيلية وغارة الكرج على أذربيجان]

وفيها: وصل الخبر بغارة الفرنج على بلاد الإسماعيلية وأخذهم منها نحو ثلثمائة أسير، وبغارة الكرج على أذربيجان فحازوا ذخائرها وما يزيد على مائة ألف أسير.

[فتح اليمن]

وفيها: وصل الصلاح بن شعبان الأربلي من مصر مبشراً بفتوح اليمن واستيلاء ولد الكامل عليه وطاعة من به من العسكر له بغير حرب، وانضمام سليمان شاه المستولي عليه إلى قلعة تعز بعياله وأمواله ثم وصل الخبر بتملك ولد الكامل قلعة تعز حصرها وقبض سلمان شاه بن تقي الدين منها، وأحضر إلى مصر تحت الحوطة هو وزوجته بنت سيف الإسلام.

---

(١) أبو الفتح البستي: هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز الشافعي، أبو الفتح البستي، الأديب الكاتب، توفي ببخارى سنة ٤٠١ هـ، له ديوان شعره. «شرح مختصر الجويني» في الفروع، «قصيدة البستي» مشهورة (كشف الظنون ٥/ ٦٨٥).

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٥٩ ـ ٦٠، وشذرات الذهب ٥/ ٤٩ ـ ٥٣، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٤ ـ ٣٦٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٠ ـ ١٩١.

[هجوم قتادة صاحب مكة على المدينة]

ووصل الخبر من جهة الحجاز بنزول قتادة صاحب مكة على المدينة حرسها الله تاسع صفر وحصرها أياماً وقطع ثمرها جميعه، وكثيراً من نخيلها فقاتله من فيها وقتل جماعة من أصحابه ورحل عنها خاسراً. وفي سابع ربيع الآخر عزل القاضي الزكي بن محيي الدين عن الحكم بدمشق وأعمالها وولي من الغد جمال الدين بن الحرستاني وهو ابن اثنتين وتسعين سنة فقضى بالحق وحكم بالعدل رحمه الله تعالى، وفي رابع جمادى الآخرة شرع في عمارة العدلية المقابلة لدار العقيقي من الغرب، وحضر السلطان لترتيب وضعها بين الصلاتين يوم السبت، ثم أحرقت بالنار في رمضان سنة أربع وعشرين.

[إبطال السلطان العادل لضمان الخمر والقيان]

وفيها: أبطل السلطان ضمان الخمر والقيان في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة وبقي الأمر على ذلك إلى أن توفي العادل في سنة خمس عشرة ـ نحو ثلاث سنين ـ فكان الذين يريدون شرب الخمر يتكلفون الخروج إلى ضياع جبل سنير(١) في صيدنايا ومعربا ونحوهما.

[وصول رسول الخليفة من بغداد إلى دمشق]

وفيها: وصل رسول الخليفة من بغداد إلى دمشق وهو الشيخ شهاب الدين السهروردي ونزل بجوسق العادل في رمضان وسار إلى لحاق السلطان بالقدس وعاد راحلاً إلى بغداد في خامس عشر شوال.

[الحرب بين قتادة صاحب مكة وجماز صاحب المدينة]

وفي ثالث شعبان سار الأمير سالم صاحب المدينة بمن استخدمه من التركمان والراحل إليها من المخيم السلطاني بالكسوة، ثم توفي بالطريق قبل وصوله إلى المدينة، وقام ولد أخيه جماز بالأمر بعده واجتمع أهله على طاعته فمضى ممن كان مع عمه لقصد قتادة صاحب مكة فجمع قتادة عسكره وأصحابه والتقوا بوادي الصفراء، وكانت الغلبة لعسكر المدينة فاستولوا على عسكر قتادة قتلاً ونهباً، ومضى قتادة منهزماً إلى الينبع فتبعوه وحصروه بقلعته وحصل لحميد بن راجب من الغنيمة ما يزيد على مائة فرس وهو واحد من جماعة كثيرة

---

(١) جبل سنير: بين بعلبك وحمص.

من العرب الطائيين وعاد الأجناد الذين كانوا مضوا مع الأمير سالم من الشام من التركمان وغيرهم صحبه الناهض بن الجرخي خادم المعتمد وفي صحبتهم كثير مما غنموا من أعمال قتادة ومن وقعة وادي الصفراء من نساء وصبيان وظهر فيهم أشراف حسنيون وحسينيون فاستعيدوا منهم وسلموا إلى المعروفين من أشراف دمشق ليكفلوهم ويشاركوهم في قسمهم من وقفهم.

وفيها: كسر كيكاوس ملك الروم الفرنج المتغلبين على أنطاكية وأخذها منهم وأخذ خوارزم شاه محمد بن تكش غزنة من غير قتال، وأخذ ابن لاون أنطاكية من الفرنج ثم عاد أبوس لطرابلس وأخذها من ابن لاون.

[وفاة ابن الشاغوري]

وفيها: في العشرين من المحرم توفي بدمشق الشيخ الفقيه كمال الدين مودود بن الشاغوري الشافعي(١) وكان فقيهاً، صالحاً، ديناً، خيراً، متواضعاً، زاهداً وكان يقرئ الناس الفقه بالجامع قبالة مقصورة الخطابة احتساباً، ويشرح التنبيه للطلبة، ويطول روحه على تعليمهم وتفهيمهم لله تعالى، ودفن بمقبرة باب الصغير شمالي الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، وكتب على قبره في نصيبة حجر أبيات حسنة من نظم الشهاب فتيان الشاغوري(٢) رحمهما الله، أفادني قراءة ذلك على قبره شيخنا أبو الحسن السخاوي رحمه الله، وقد خرجت معه لزيارة القبور فوقف عليه مترحماً، وقال لي: اقرأ ما على القبر فإنه من نظم الشهاب فتيان فقرأت الأبيات وهو يستحسنها: [البسيط]

كم ضم قبرك يا مودود من دين ... ومن عفاف ومن بر ومن لين
ما كنت تقرب سلطاناً لتخدمه ... لكن غنيت بسلطان السلاطين
نبكي عليك وعنا أنت في شغل ... برد تسليم حور فرد عين
سقى الإله ضريحاً أنت ساكنه ... حتى ترى منبتاً خضر الرياحين

[وفاة أبي محمد الرهاوي]

وفيها: توفي بحران يوم السبت ثاني جمادى الآخرة الحافظ عبد القادر بن

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٦٠.

(٢) هو فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال الشاغوري الأسدي شهاب الدين الدمشقي الحنفي، ولد سنة ٥٣٠ هـ، وتوفي سنة ٦١٥ هـ، له ديوان شعر مشهور، وديوان آخر في الدوبيت (كشف الظنون ٥/ ٦١٨).

عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الرهاوي[(١)]، ولد بالرها سنة ست وثلاثين وخمسمائة ونشأ بالموصل، وكان مولى لبعض المواصلة فأعتقه فطلب العلم وسمع الحديث الكثير، ويقال إنه مولى لبني فهم الحرانيين، سافر إلى بغداد وأصفهان، ونيسابور، والشام، ومصر وغيرها وأقام بالموصل بدار الحديث المظفرية يحدث بها مدة ثم خرج إلى حران فأقام بها إلى أن مات ودفن بها، سمع بمصر الحافظ السلفي، وببغداد ابن الخشاب، وشهدة، وبأصبهان أبا عبد الله الرستمي، وغيرهم، وكان صالحاً مهيباً زاهداً ناسكاً خشن العيش صدوقاً ورعاً رحمه الله.

[وفاة الوجيه النحوي]

وفيها: توفي ببغداد في شعبان الوجيه النحوي. واسمه المبارك بن المبارك أبو بكر الواسطي[(٢)]. ولد سنة أربع وثلاثين وخمسمائة؛ وكان حنبلياً فآذاه الحنابلة فانتقل إلى مذهب أبي حنيفة، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي لأسباب عرضت له، وكان يقول: ما انتقلت عن مذهبي، وهجى بأبيات تقدم ذكرها[(٣)] في أخبار سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقرأ الأدب على ابن الخشاب وغيره، وبرع فيه وكان يقرئه بالمدرسة النظامية، وله مقدمة في النحو وصلى عليه بالنظامية، ودفن بالوزيرية عند ابن فضلان رحمه الله.

[وفاة ابن البوني]

وفيها: توفي بدمشق يوم السبت الثالث والعشرين من شوال الوجيه ابن

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٥٩، وشذرات الذهب ٥/ ٥٠ ـ ٥١.

(٢) اسمه في البداية والنهاية ١٣/ ٥٩ ـ ٦٠: الوجيه الأعمى أبو بكر المبارك بن سعيد بن الدهان النحوي الواسطي الملقب بالوجيه. وفي شذرات الذهب ٥/ ٥٣: الوجيه بن الدهان أبو بكر المبارك بن المبارك بن أبي الأزهر الواسطي الضرير النحوي. وفي الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨: الوجيه المبارك بن أبي الأزهر سعيد بن الدهان الواسطي النحوي الضرير، وفي تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩١: الوجيه المبارك بن أبي الأزهر سعيد بن الدهان النحوي الضرير.

(٣) تقدّمت الأبيات في وفيات سنة ٥٩٩هـ، في ترجمة أبي البركات محمد بن أحمد بن سعيد البكري، والأبيات هي: [الطويل]

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة ... وإن كان لا تجدي لديه الرسائل

تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل ... وذلك لما أعوزتك المآكل

وما اخترت رأي الشافعي تديناً ... ولكنما تهوى الذي هو حاصل

وعما قليل أنت لا شك صائر ... إلى مالك فافطن لما أنا قائل

والأبيات في الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩١، والبداية والنهاية ١٣/ ٥٩.

البوني واسمه إبراهيم بن يوسف بن محمد بن أبي الفرج المغربي[١] أحد مشايخ القراء المعتبرين بجامع دمشق، وكان يؤم بمقصورة الحنفية الغربية داخل الجامع وكان يعقد حلقة الإقراء بحلقة ابن طاوس شرقي البرادة وقبالة حلقة جمال الإسلام ابن الشهرزوري، وكان فاضلاً، خيراً، متواضعاً؛ ساعياً في حوائج الناس، قرأت عليه الجزء الأول من القرآن ودفن بالجبل وكان يوماً مشهوداً. وفي شوال توفي السديد إبراهيم بن عمر بن سماقة الأسعردي الفقيه الشافعي بخلاط.

[وفاة ولد الخليفة الناصر]

وفيها: توفي يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة ولد الخليفة الناصر وهو الولد الصغير الذي جعل ولي العهد بدل الكبير واسمه أبو الحسن علي[٢].

قال أبو المظفر: ويلقب بالملك المعظم وكان جواداً كثير الصدقات وافر المعروف كريم الأخلاق حسن العشرة مرض أياماً ثم توفي وصلي عليه بتاج الخليفة واخرج التابوت وبين يديه أرباب الدولة لم يتخلف سوى الخليفة وحمل إلى تربة أم الخليفة فدفن معها في القبة.

قال: ومن العجائب أنه دخل يوم الجمعة رأس منكلي مملوك السلطان أزبك الذي كان قد عصى على مولاه وعلى الخليفة، وقطع الطريق، وسفك الدماء، وأخذ المال، ثم تعدت إليه العساكر فقتلت أصحابه ونهبت أثقاله وذلك بالقرب من همذان فهرب في الليل فضل عن أصحابه فجاء إلى بيت صديق له في بعض القرى فقيده الرجل، ثم قتله وحمل رأسه إلى أزبك فبعث به إلى ابن زين الدين، فبعث به إلى الخليفة وأدخل رأسه بغداد على خشبة، وقد زين له البلد وظهر السرور والفرح، ولما وصل الرأس إلى باب درب حبيب وافق في تلك الساعة وفاة علي ابن الخليفة، فوقع صراخ عظيم من دار الخليفة فرد الرأس إلى عقد اللكافين ورمى في بيت في الخان وكوسات ثكلى مشققة، وأعلامه منكسة؛ وانقلب ذلك السرور حزناً وأمر الخليفة بالنياحة عليه في أقطار بغداد؛ ففرشوا البواري والرماد، وخرج العواتق من خدورهن ونشرن شعورهن ولطمن، وقام النوائح في كل ناحية، وعظم حزن الخليفة بحيث امتنع من الطعام والشراب؛ وغلقت الأبواب وعطلت الحمامات، وبطل البيع والشراء، وجرى في بغداد ما لم يجر في بلد آخر وكان

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٥٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

الخليفة قد رشحه للخلافة ففعل في ملكه ما أراد ورد الخلافة إلى أخيه الأكبر أبي نصر بعد ما كان صرف عن ولاية العهد لأجله، وخلف على ولدين أبا عبد الله الحسين ولقبه المؤيد، ويحيى ولقبه الموفق.

[من الوفيات هذه السنة]

وفيها: توفي بدمشق الصمصام أبو ساروخ النجمي، والشريف مؤمن. وفي رابع ذي الحجة توفي الشريف مجد الدولة إبراهيم بن أبي الحسن الحسيني بدمشق.

[إحضار الأوتاد الخشب لأجل قبة النسر بجامع دمشق]

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة[1]

ففيها: أحضرت الأوتاد الخشب لأجل قبة النسر في الجامع بدمشق وعدتها أربعة طول كل واحد منها اثنان وثلاثون ذراعاً بذراع النجارين حيث كانت قطعت من الغوطة والدخول بها من باب الفرج إلى المدرسة العادلية إلى باب الناطفانيين، وأقيم هناك لها الصاري ورفعت ثم وضعت.

[تحرير خندق باب السر]

وفيها: في المحرم أيضاً شرع في تحرير خندق باب السر وهو المقابل لدار الطعم العتيقة المجاورة لنهر بانياس وكان المعظم ومماليكه وعسكره ينقلون التراب كل واحد يأخذ معه قفة يجعلها على قربوس سرجه ويمضون جميعاً مع المعظم نحو الميدان الأخضر يفرغون القفاف ويرجعون يفعلون ذلك كل يوم ثم انقسموا فرقتين وكان المعظم وعسكره ينقلون يوماً، وكان أخوه الصالح إسماعيل مع من انضم إليه من العسكر ينقلون يوماً والناس في الخندق يعملون، وكثير منهم يتفرجون، وكان كل يوم عمل الخندق على طائفة من أهل البلد، وعمل فيه الفقهاء، والصوفية، ولم يبق أحد. ونظم في ذلك أشعار كان يغنى بها في الأسواق وتحت القلعة.

[الفتنة بين أهل الشاغور والعقيبة بدمشق]

وفيها: كانت الحادثة بدمشق بين أهل الشاغور والعقيبة وحملهم السلاح وقتالهم بالرحبة والصيارف وركوب العسكر للفصل بينهم وحضور المعظم من جوسق الريس لتسكين الفتنة وكان مقيماً به، وقبض جماعة من مقدمي الحارات منهم ريس الشاغور وأودعوا السجن في السادس والعشرين من ربيع الأول. ووصل

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٦٠ ـ ٦٥، وشذرات الذهب ٥/ ٥٣ ـ ٥٧، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣.

الخبر بتسلم نواب الكامل الينبع من نواب قتادة حماية له من قاسم بن جماز صاحب المدينة على ساكنها السلام، وكان قاسم بن جماز أخذ وادي القرى ونخلة من قتادة وهو مقيم به ينتظر الحاج حتى يقضوا مناسكهم وينازل هو مكة بعد انفصالهم عنها.

وفيها: سار المعظم من قرية العبادية بالمرج إلى أخيه الأشرف على الهجن في البرية على مسلة بظاهر حران بعد أن كان وصل في سيره ففاوضه في أمر حلب وذلك حين كان بلغه موت صاحبها ابن عمه الظاهر غازي بن صلاح الدين، وكان قد سبق من الأشرف الاتفاق مع القائم بأمرها فرجع إلى العبادية بعد سبعة عشر يوماً، ولم يظهر للناس إلا أنه كان منصوراً.

وفيها: ترتيب الخطيب بالمصلى لإقامة الجمعة به تاسع عشر رمضان، وأول من خطب به الصدر وكان شيخاً، صالحاً، فقيهاً، معيداً بالمدرسة الفلكية، ثم خطب بعده بهاء الدين بن أبي اليسر ثم بنو حسان إلى الآن..

[امتناع تجار الفرنج من الوصول إلى الإسكندرية]

وفيها: امتنع تجار الفرنج من الوصول إلى الإسكندرية وصار وصولهم إلى عكا بالبضائع وبيعهم بها فحصل لملك عكا جملة وافرة وبلغ ضمان قصبتها مائة وعشرين ألف دينار وكانت سنة قليلة الأمطار غالية الأسعار.

[شرح كتاب روح العارفين]

وفيها: سافر أبو المظفر سبط ابن الجوزي إلى خلاط قال: وبعث الخليفة كتاب روح العارفين إلى الأشرف وعرضه على العلماء الذين هم في خدمته وأمرهم أن يشرحوه فلم يقدروا على شرح حديث وأخذ فأشار إلى شرحه وتبيين ما فيه من الفوائد فشرحته، والنسخة موقوفة بدار الحديث الأشرفية بدمشق. قال: وجلست بقلعة خلاط وحضر الأشرف وبكى وانتفع.

ووصل شهاب الدين عبد السلام بن أبي عصرون من حلب رسولاً من الملك العزيز بن محمد بن الظاهر إلى الخليفة يسأله تقريره على ما كان عليه أبوه. ونزل الأشرف من خلاط إلى حران في شعبان، وسألني الجلوس بجامع حران فضربت له خركاة[1] في الجامع وحضر وكان يوماً مشهوراً وجلس في الخركاة،

---

(١) الخركاة: هي بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويغشّى بالجوخ ونحوه، تحمل في السفر لتكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البرد (صبح الأعشى في صناعة الإنشى للقلقشندي ٢/ ١٤٦).

وجاء الفخر ابن تيمية الخطيب فقعد عنده، وكتبوا إلى رقاعاً كثيرة فجمعتها وقلت اتركوها إلى يوم نجلس شيخكم نجيب عنها فهو يطول روحه عليكم، أما هذا اليوم فالوقت ما يحتمل فأعجب الأشرف وانقضى المجلس. فقلت للأشرف. لا بدّ لي في هذه السنة من شيئين: **أحدهما**: الحج على بغداد **والثاني**: الاعتكاف بالرّقة، فقال: مبارك. وخرجت من حران في آخر شعبان أريد الرقة فبينا أنا بين مسلمة[١] والرقة وإذا بنجابين بينهم رجل عليه بغلطاق[٢] أحمر فقلت لأصحابي هذه شمائل الملك المعظم. فقالوا: الملك المعظم في دمشق أيش جاء به إلى هنا. فلما قربوا منا وإذا به المعظم، وقد أعيت ناقته فنزل وتحدّثنا وأكلنا شيئاً كان، وأعطانا ناقته وأخذ فرسي، وقال أين أخي؟ فقلت في الزراعة فساق واجتمعنا، وفاوضه في أمر حلب وكان الأشرف قد حلف لشهاب الدين طغريل الخادم وأنه أتابك العزيز محمد بن الظاهر، فشق ذلك على المعظم ولم يقل شيئاً وجاءا معاً إلى الرقة وأنا معتكف بالخانكاه وحضرا عندي وسار المعظم إلى دمشق وجهزني الأشرف إلى الحج وعمل لي سبيلاً مثل سبيله وتوجهت إلى بغداد.

وحج بالثامن من العراق ابن أبي فراس، ومن الشام علم الدين الجعبري، وعدت من الحج على طريق العلا، وتبوك، وجمعت بين زيارة النبي ﷺ وبين زيارة الخليل عليه السلام في المحرم.

[وفاة مرهف بن أسامة بن منقذ]

وفيها: في ثاني صفر توفي بالقاهرة العضد مرهف بن مؤيد الدولة أسامة بن منقذ[٣] وله من العمر اثنتان وتسعون سنة ونصف، وشيع السلطان جنازته. وكان جليلاً عند الملوك وأبوه من قبله، وقد ذكرنا من أخباره في التاريخ وفي كتاب الروضتين ما دل على جلالة بيته وأدبه، وشجاعته، وفضائله مع طول عمره رحمه الله. وفي جمادى الأولى قتل المعروف بابن الطيب الكتبي بباب الجامع بيد الإسماعيلية وكان ينسب إلى خدمتهم متهماً بمذهبهم بقرب باب السلامة عند غروب الشمس به من يوم الأحد السادس والعشرين منه.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة توفي الشيخ حسان بن قوام

---

(١) مسلمة: حصن ينسب لمسلمة بن عبد الملك.

(٢) بغلطاق: نوع من القباء.

(٣) تقدّمت بعض أخباره وأشعاره في الجزء الثاني من كتاب الروضتين.

الرصافي بدمشق. وفي أول رجب توفي الشريف إسماعيل بن تغلب بالقاهرة، وفي ثامن ذي القعدة توفي الشريف المدعي الخلافة المستولي على صنعاء وما والاها من أرض اليمن وقام ولده مقامه فلم يغن شيئاً، واستعيد منه كثير مما تغلب عليه أبوه. وفي ثالث المحرم توفيت بدمشق خاتون الشيرزية وبلغت من العمر حدود مائة سنة.

[وفاة الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب]

وفيها: توفي صاحب حلب الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب[1] وعمره أربع وأربعون سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام، ومدة ولايته حلب ثلاثون سنة وتسعة أشهر وأيام، ولما اشتد مرضه أوصى بالملك لولده الأصغر محمد لأنه من بنت عمه العادل، وطلب بذلك أن يستمر الأمر له لأجل جده العادل، وأخواله، وأولاده لأنهم ملوك البلاد يومئذ، وأوصى بالملك من بعده لولده الأكبر أحمد، ثم من بعده للمنصور ومحمد ابن أخيه العزيز عثمان بن صلاح الدين الذي كان أبوه أوصى له بملك فلم يتم العادل له ذلك. وكان العادل قد زوجه ابنته، وفوض ولاية القلعة إلى خادم أبيض يعرف بالشهاب طغريل كان وصل إلى خدمته من بلاد الروم، وكان مشتهراً بالزهد فصار له عنده مكانة.

قال أبو المظفر: وكان الظاهر مهيباً له سياسة وفطنة وكانت دولته معمورة بالعلماء، والفضلاء، مزينة بالملوك والأمراء. وكان محسناً إلى الرعية وإلى الوافدين عليه، وحضر معظم غزوات والده، وانضم إليه إخوته وأقاربه، وكان ملجأ للغرباء، وكهفاً للفقراء يزور الصالحين ويعتقدهم، ويغيث الملهوفين ويرفدهم قال: وكان يتوقد ذكاء، وفطنة، سريع الإدراك جلست عنده في سنة اثنتي عشرة وستمائة وكان الأشرف قد أرسلني إليه في قضايا لا يطلع عليها كاتب. وكتب كتاباً بيده إلى الظاهر وكان بحلب فقير ممن يحضر مجالسي قبل ذلك في سنة ثلاث وأربع وخمس وستمائة وكان ذلك الفقير يقوم في المجلس ويصيح: واه ـ واه. فيزعج الحاضرين وكان صالحاً والظاهر أنه تغير حاله. فلما جلست سنة اثنتي عشرة عند الظاهر بقي ذلك الفقير يحترق ويقول: كيف أعمل ويرددها. فقال الظاهر قدموه إلى عندي فقدموه له فقال له هذا الذي تقول يقول الشيخ ما هو

---

(١) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٥٢ ـ ٢٥٥، مرآة الزمان ٨/ ٥٧٩، مفرج الكروب ٣/ ٢٣٧، البداية والنهاية ١٣/ ٦١، النجوم الزاهرة ٦/ ٢١٧، الكامل في التاريخ ١٢/ ٣١٧، كنز الدرر ٧/ ١٨٤، الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٣٤٢، تاريخ ابن الفرات المجلد الخامس ١/ ١٩٥، أخبار الأيوبيين ص١٣٠، شذرات الذهب ٥/ ٥٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٢.

بمليح. قال: بلى. قال: إن أردت أن تصيح صيح فبقي الحاضرون وحضر في ذلك المجلس رجل عجمي يقال له أبو بكر النصيبي وكان صالحاً وكان يحمل عصا أبنوس فطابت قلوب الجماعة في ذلك اليوم وبكوا فقام النصيبي ودار وجاء إلى الظاهر وقال له: أنت فرعون ما تتحرك. وثار في وجه النصيبي مثل التفاحتين وخرج من المجلس فمات بعد ثلاث. وحضرنا عنده يوم الخميس في دار العدل فجيء بامرأة قد تحدثت على شخص واعترفت بالكذب فقال للقاضي ابن شداد: ماذا يجب عليها؟ قال: التأديب فقال تضرب بالدرة شريعة ويقطع لسانها سياسة. فقلت له: الشريعة هي السياسة الكاملة وما عداها يكون تعدياً عليها. فأطرق فأدبت المرأة وسلمت من قطع اللسان. وله من هذا الجنس نوادر في «الموارد والمصادر». وتوفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة بعلة الذرب ودفن بقلعة حلب. ثم بعد ذلك نقل إلى مدرسته التي أنشأها. وقام بعده ولده الملك العزيز محمد وأتابكه شهاب الدين طغريل الخادم فقام بأمره أحسن قيام واشتمال الملك الأشرف بدينه متى شاء، ويقضين متى شاء، فحفظ مملكة حلب على ولد الظاهر بحسن تدبيره إلى أن كبر واستقل به.

[وفاة زيد بن الحسن الكندي]

وفيها: توفي الشيخ العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي[1]، أوحد العصر وفريد الدهر برواية ودراية، بأنواع علم الأدب، وجمع أصول الكتب ومتعه الله بطول العمر وعلو المنزلة عند الملوك والأمراء، والقضاة، والأعيان، وجلالة من كان يتردد إلى منزله وحيث كان للسماع عليه والاقتباس من فوائده وفرائده، وكان مولده في الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسمائة، وقرأ القرآن بالروايات، وله عشر سنين على شيخه الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي سبط الشيخ أبي منصور الحافظ، وهو الذي رباه وكان خصيصاً به فأسمعه عليه وعلى غيره كتباً كثيرة مثل كتاب سيبويه، والمقتضب للبرد، والحجة لأبي علي الفارسي، وقرأ العربية أيضاً على أبي السعادات بن الشجري، واللغة على أبي منصور الجواليقي، وسمع الحديث الكثير من ابن ناصر، وابن السمرقندي، والأنماطي، وسعد الخير، ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري، وأبي منصور القزاز. وروى عنه تاريخ بغداد للخطيب وغيرهم، وكان مسكنه بدمشق

---

(١) تقدّمت ترجمته الوافية، وانظر ترجمته أيضاً في البداية والنهاية ١٣/ ٦١ ـ ٦٣، وشذرات الذهب ٥/ ٥٤ ـ ٥٥، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٧٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣، وكشف الظنون ٥/ ٣٧٧.

بجيرون بدرب العجمي فكم ازدحم في ذلك الدرب من شيوخ العلم وطلبته أولاد الملوك وخدمته، ومتى ما أريد اعتبار ذلك فلينظر في الكتب التي عليها طبقات السماع عليه ليعلم جلالة من كان يتردد إليه، وكان فارق بغداد في سنة ثلاث وستين وخمسمائة، وورد الديار المصرية فسمع بفضله فتقرب إليه من هو من أهله، فاشتمل عليه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وهو: ابن أخي صلاح الدين، ثم ولده الملك الأمجد صاحب بعلبك من بعده، ثم بالشام تردد إليه الملك الأفضل علي في سلطنته، وأخوه الملك المحسن ابنا صلاح الدين والملك المعظم عيسى بن العادل وغيرهم. وأخبرني القاضي ضياء الدين بن أبي الحجاج صاحب ديوان الجيوش المصرية رحمه الله وكان من أعلم من رأيت بأخبار الناس، وعمل للشيخ أبي اليمن مشيخة حسنة. قال: سألته كيف كان اتصاله بعز الدين فرخشاه؟ فقال: كنت بمجلس القاضي الفاضل رحمه الله في داره بالقاهرة فدخل عليه فرخشاه فلما استقر بمجلسه جرى ذكر شرح بيت من الشعر لأبي الطيب المتنبي فذكرت منه شيئاً فأعجب فرخشاه. فسأل القاضي الفاضل عني فقال: من هذا؟ قال: هذا العلامة تاج الدين الكندي أو كما قال فنهض فرخشاه وقبض على يدي وأخرجني معه إلى منزله ودام اتصالي به. وكان يحضر مجلسه للقراءة في داره والسماع منه جميع المتصدرين بجامع دمشق من المشايخ المعتبرين. كأبي الحسن السخاوي، ويحيى بن معطي، والوجيه البوني، والفخر التركي، وغيرهم. وقال لي شيخنا أبو الحسن رحمه الله: أنا حرضت الملك المحسن على التردد إليه فحمل ذلك ابن عمه الملك المعظم على ملازمته والقراءة عليه. وقال في كتابه شرح المفصل: لقيت جماعة من أهل العربية منهم: الشيخ الفاضل أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي رحمه الله تعالى وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره، وأخذت عنه كتاب سيبويه، وقرأت عليه كتاب الإيضاح لأبي علي مستشرحاً، وأخذت عنه كتاب اللمع لأبي الفتح وكان واسع الرواية، وافر الدراية ومن العجب أن سيبويه اسمه عمرو والكندي اسمه زيد فقلت في ذلك[1] [البسيط]

ألم يكن في عصر عمرو مثله وكذا الكندي في آخر عصر
وهما زيد وعمرو إنما بني النحو على زيد وعمرو

وهذا معنى حسن وهو نظير قول أبي شجاع بن الدهان من أبيات تقدم ذكرها في أخبار سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. وهي: [البسيط]

النحو أنت أحق العالمين به أليس باسمك فيه يضرب المثل

---

(١) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ٦١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٢.

وقرأ على شيخنا أبي الحسن من نظمه قصيدة فائقة جامعة لفضائل أبي اليمن الكندي رحمه الله وهي: [الخفيف]

أيها الدائب المعنى المعاني ... مقتصي الكد في معاني المعاني
لذ بباب الكندي زيد أبي اليمـ ... ـن إمام الأنام فرد الزمان
فعقول الورى في الفهم عنه ... ذات فقر للفضل والعرفان
هو بحر فيه نفيس لآل ... وسواه كالآل عند العيان
غير بدع أن قر في البحر در ... وهو تاج والدر للتيجان
صورة صورة من السؤدد المحـ ... ـض وطيب الأنفاس والإحسان
علم سيبويه منفرد فيـ ... ـه بإسناده وبالإتقان
وكذا شرح سيبويه وما حـ ... ـل بأقطارها له فيه بان
وكتاب الإيضاح قد فاق فيه ... بحلى الإيضاح والتبيان
وكذا كامل المبرد مع مقتضـ ... ـب النحو ذي الفصول الحسان
وأصول السراج واللمع الفر ... د وشرحاه حبذا الشرحان
والذي حرر ابن برهان في النحـ ... ـو وما قال قبله الرماني
وكذا الحجة الذي فاق فيه ... علماء الأعصار والأزمان
والتفاسير والقراءات والتجـ ... ـويد فيها ومشاكل القرآن
وحديث النبي والقول فيه ... قوله في غريبه والبيان
والتواريخ والقوافي من الشعـ ... ـر وعلم العروض والأوزان
وله في العروض ما لم تجده ... لمجيد القريض في ديوان
بين جزل غدا حبيب حبيب ... وحسان كانت هوى حسان
يقظ واسع المجال رحب البـ ... ـاع فيما ينأى عن الأذهان
يرشد العاقل الذكي من السهـ ... ـو بقلب ذي فطنة يقظان
وجنان له وقد جاوز التسـ ... ـعين حولا نضارة العنفوان
ويد يرقم الطروس كما فصـ ... ـل عقيان ناظم بجمان
فانظر الخط واسمع اللفظ تنعم ... ثم في روضتي يد ولسان
وفر الله بعد طول بقاء ... في نعيم نعيمه في الجنان

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: شيخنا تاج الدين الكندي انتهت إليه القراءات، والروايات وعلم النحو واللغات. قرأت عليه من كتاب الصحاح،

والمتنبي والحماسة، والإيضاح، والمعرب لابن الجواليقي، وكان يحضر مجالسي بجامع دمشق، وقاسيون ويقول: أنا قد صرت من زبون المجلس. وكان حسن العقيدة طيب الخلق، ظريفاً، لا يسأم الإنسان من مجالسته وله النوادر العجيبة. ولما خرجت في سنة سبع وستمائة إلى الفرات كتب لي إلى نابلس كتاباً بخطه وكان يكتب مثل الدر: [الطويل]

جزى الله بالحسنى ليالي أحسنت ... إلينا بإيناس الحبيب المسافر

ليالي كانت بالسرور قصيرة ... ولم تك لولا طيبها بالقصاير

فيا لك وصلا كان وشك انقضائه ... كزورة طيف أو كنغمة طائر

قال وكتب أيضاً: [الطويل]

أيا ساكناً قلبي على بعد دارهم ... لقد عيل صبري منذ شطت نواكم

سرى معكم نومي فأصبحت بعدكم ... ألوم السرى منه وأبكي سراكم

رضيتم بعادي عنكم فرضيته ... لأني أهواكم وأهوى هواكم

شجاني غرام لو وفيتم ببعضه ... لقلب المعنى فيكم لشجاكم

أعيدوا لنا عيد الوصال على اللوى ... سقى الله أيام النوى وسقاكم

دعاني اشتياق لم تصبكم سهامه ... فيا ليته لما دهاني دهاكم

وإني لأخشى أن أموت بغصتي ... عليكم ولا أبقى إلى أن أراكم

ولو كان قلبي كالقلوب لغيركم ... لقد كان لما أن سلوتم سلاكم

وله ديوان شعر. قال: وحكى لي قال: كتبت إلى الملك الأمجد إلى بعلبك: [البسيط]

لا يضجرنكم كتبي إذا كثرت ... فإن شوقي أضعاف الذي فيها

والله لو ملكت كفي مهادنة ... من الليالي التي أحيا بناديها

لما تصرم لي في غير داركم ... ليل ولامت إلا في نواحيها

عدوا احتمالكم لي حين أضجركم ... من الصلات التي منكم أرجيها

قال وكتب إلي بخطه وهي له: [البسيط]

إنا لتتحفنا بالشوق كتبكم ... وإن بعدتم فإن الشوق يدنيها

فكيف نضجر منها وهي مذهبة ... من وحشة الشوق لوعات نعانيها

وإن ذكرتم لنا فيها اشتياقكمو ... فعندنا منكم أضعاف ما فيها

سلوا نسيم الصبا تهدى تحيتنا ... إليكم فهي تدري كيف تهديها

قال: وكان المعظم عيسى رحمه الله يقرأ عليه دائماً. قرأ عليه كتاب سيبويه نصاً وشرحاً، والإيضاح والحماسة، وشيئاً كثيراً، وكان يمشي من القلعة راجلاً إلى دار تاج الدين والكتاب تحت أبطه توفي رحمه الله يوم الاثنين سادس شوال وأنا يومئذٍ متوجه إلى الحج على بغداد، وصلى عليه بجامع دمشق وحمل إلى قاسيون فدفن به ولم يتخلف عن جنازته أحد من الأعيان وعمره ثلاث وتسعون سنة وشهر وستة عشر يوماً، وكان صدوقاً ثقة قلت وقرأت في ديوانه بخطه: [الطويل]

لبست من الأعمار تسعين حجة وعندي رجاء بالزيادة مولع
وقد أقبلت إحدى وتسعين بعدها ونفسي إلى خمس وست تطلع
ولا غرو أن آتي هنيدة سالماً فقد يدرك الإنسان ما يتوقع
وقد كان في عصري رجال عرفتهم حيوها وبالآمال فيها تمتعوا
وما عاف قبلي عاقل طول عمره ولا لامهم من فيه للعقل موضع

هنيدة اسم علم على المائة وقرأت بخطه فهرس كتبه التي وقفها على فتاه ياقوت، ثم على ولده ثم على العلماء فوجدتها سبعمائة وإحدى وستين مجلداً في علوم القرآن مائة وأربعون، الحديث تسعة عشر؛ الفقه تسعة وثلاثون، اللغة مائة وثلاثة وأربعون، الشعر مائة واثنان وعشرون، النحو والتصريف مائة وخمسة وسبعون، علوم الأوائل من طب وغيره مائة وثلاثة وعشرون، وكان معتقه نجيب الدين ياقوت قد هيأ له خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق، ونقل إليها جملة من هذه الكتب، ثم إنها تفرقت وخرجت عن الخزانة وعدمت وبيع جملة منها سراً وجهراً نسأل الله عفواً وغفراً وصيانة وستراً. وكان الشيخ تاج الدين رحمه الله قد عمل شرحاً لديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فلما انتهى سماعه عليه كتب شيخنا أبو الحسن الثبت وفيه بيتان يريد بهما مصنفه أبا اليمن الكندي وهما: [المتقارب]

فلو أن أحمد يدري بما ينال من السعد ما قاله
لرام من التيه وطء السهى وجر على النجم أذياله

وأخبرني صاحبنا جمال الدين أحمد بن عبد الله بن شعيب وكان أحد من قرأ على الشيخ تاج الدين أنه كان مع علو منزلته وجلالته متواضعاً مع طلبته، يخاطب كلا منهم بقوله: يا سيدنا. قال: وكنا نقرأ يوماً عنده أنا ورفقائي فدخل الملك المعظم فجلس فسكتنا فقال الشيخ للمعظم: إنما سكتوا لأجل السلطان ولم يفرغوا من حزبهم. فقال: لا والله إنما القراءة بالنوبة فليتمموا. فأمرنا الشيخ فأتممنا حزبنا. قال: وكان منصفاً لمن

يدخل عليه ولقد سمعته وهو يعتذر لهم عن ترك القيام لكبره وأنشد: [الطويل]

تركت قيامي للصديق يزورني ولا ذنب لي إلا الإطالة في عمري
فإن بلغوا من عشر تسعين نصفها تبين في ترك القيام لهم عذري

ومن شعره وقد شرب دواء: [الطويل]

تداويت لا من علة خوف علة فأصبح دائي في حشاي دوائي
فيا عجب الأقدار من متحذلق يحاول بالتدبير رد قضاء

[وفاة ابن ساروخ]

وفيها: توفي أبو الغنائم سعيد بن حمزة بن أحمد. ويقال له ابن ساروخ الكاتب النيلي العراقي[1]، ولد بالنيل سنة ثمان عشرة وخمسمائة وسمع شيوخ ذلك العصر. وسافر إلى الشام والروم، ومدح الملوك والأمراء، وذكره العماد في الخريدة وقال: قدم دمشق ومدح أمراءها وعاد إلى بغداد فكبر وأسن وانقطع في بيته إلى آخر عمره وكان بارعاً وله رسائل، ومكاتبات، وأشعار رائقة، وألفاظ فائقة شائقة فمن شعره: [البسيط]

يا شايم البرق من نجد كاظمة يبدو مراراً وتخفيه الدياجير
إذا سقيت الحيا من كل معصرة وعاد مغناك خصباً وهو ممطور
سلم على الدوحة الغناء من سلم وعفر الخد إن لاح التعافير
أحن شوقاً إلى تلك الرياض وقد ضاها بنفسجها ورد ومنثور
ومالت السرو في خضر الثياب كما تمايلت في الحرير الأخضر الحور
والغصن سكران من ظل الندا فإذا دعا ابن ورقاء أضحى وهو مخمور
وهاتفات على الأغصان قد رقدت عنهن في غصق الداجي النواطير
فظل يسجعن حتى كدت من ولهي اقضي ولكنما في العمر تأخير
لكن وجدي بترجيع الهزيل وما غردن باق إلى أن ينفخ الصور

وكانت وفاته ببغداد في رمضان.

[وفاة محمد بن عبد الغني المقدسي]

وفيها: توفي محمد ابن الحافظ عبد الغني المقدسي. ولقبه عز الدين[2] ولد

(١) انظر خريدة القصر، قسم شعراء العراق ١/ ٢٨٦.
(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٦٣ ـ ٦٤، وشذرات الذهب ٥/ ٥٦ ـ ٥٧.

سنة ست وسبعين وخمسمائة، وسمع الحديث، رحل إلى أصبهان ثم عاد إلى بغداد وقرأ مسند أحمد ببغداد، وسمع أبا الفرج ابن الجوزي وغيره وعاد إلى دمشق وحدث عن أصحاب الحداد وغيرهم، وكانت له حلقة بجامع دمشق، وصحب الملك المعظم عيسى وسمع بقراءته الكثير، وكان حافظاً ديناً زاهداً ورعاً وتوفي بقاسيون رحمه الله.

[وفاة محمد بن علي الجلاجلي]

وفيها: توفي أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك بن الجلاجلي البغدادي التاجر ويلقب بالكمال[1]. ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة؛ وقرأ القرآن وسافر إلى الأقطار وسمع الشيوخ، وكان يتردد من الخليفة إلى الأشرف في رسائل خفية. سمع ببغداد أبا السعادات المبارك بن علي الوكيل، وأبا بكر عبد الله بن النقور، وابن البطي. وبالإسكندرية الحافظ أبا الظاهر السلفي وغيرهم، وكان عاقلاً دينا صالحاً ثقة صدوقاً بساماً متواضعاً ومات بالقدس.

[وفاة ابن النحاس الواسطي]

وفيها: توفي محمد بن يحيى بن عبد الله بن نصر بن النحاس الواسطي الأديب كتب من واسط إلى المظفر سبط ابن الجوزي رحمهما الله: [الطويل]

وقـائـلـة لـمـا عـمـرت وصـار لـي ثـمـانـون عـامـاً عش كـذا وابق واسـلـم
ودم وانـتـشـق روح الـحـيـاة فـإنـه لأطـيـب مـن بـيـت بـصـعـدة مـظـلـم
فـقـلـت لـهـا عـذري لـديـك مـمـهـد بـبـيـت زهـيـر فـاعـلـمـي وتـعـلـمـي
سئمت تـكـالـيف الـحـياة ومـن يـعش ثـمـانـيـن حـولا لا مـحـالـة يـسـأم

[وفاة يحيى بن محمد بن محمد]

وفيها: توفي أبو جعفر يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد أربع مرات ـ العلوي الحسيني البصري يعرف بابن أبي زيد[2] ولي نقابة الطالبيين بالبصرة بعد أبيه مدة، وسمع الحديث من أبيه وغيره، وقرأ الأدب على أبي علي بن الأحمر الحماني بالبصرة ومولده سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وقدم بغداد ومدح الإمام الناصر بقصائد وكان رقيق الشعر، توفي ببغداد في رمضان ودفن بمقابر قريش ومن شعره: [الطويل]

هـذا الـعـذيـب وهـذا الـزنـد والـبـان فـاحـبـس فـلـي فـيـه أوطـار وأوطـار

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٦٤.
(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٦٤.

آلـيـت والـحـر لا يـلـوي ألـيـتـه أن لا يـلـذ بـطـيـب الـنـوم أجـفـان
حـتـى تـعـود لـيـالـيـنـا الـتـي سـلـفـت بـالأجـر عـيـن وجـيـران كـمـا كـانـوا

[رسول الملك العادل إلى الخليفة]

ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة(١)

قال أبو المظفر: ففيها قدم شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية إلى بغداد رسولاً من العادل، وقدم بعده ولده فخر الدين رسولاً من الكامل بن العادل إلى أخيه المعظم في خطبة بنته لابنه. وحضر المعتمد لطرح البلاطة الخاتمة بيده بحضرة مقصورة الحصر في ثالث المحرم.

[وصول أسرى إفرنج إلى دمشق]

وفيها: قدم بأسرى فرنج وعلى صدر كل واحد منهم رأس فرنجي مقتول معلق، واحضرت خيمة فرنجية سرقها العرب من مخيم الفرنج بظاهر عكا قيل إنها كنيسة لهم فنصبت في الميدان الأخضر الصغير وعمل فيها طعام للفقراء.

وفيها: ذكر محيي الدين محمد بن يحيى بن فضلان الدرس في النظامية.

[خراب بغداد]

وفيها: زادت دجلة زيادة عظيمة وركب الخليفة في شعبان وخاطب الناس وجعل يقول لهم: لو كان هذا الماء يرد بمال أو حرب دفعته عنكم ولكن أمر الله ما لأحد فيه حيلة، وانهدمت بغداد بأسرها والحال، ووصل الماء إلى رأس السور وبقي مقدار أصبعين حتى يطفح على السور فأيقن الناس بالهلاك وقام سبع ليال وثمانية أيام ثم نقص الماء وبقيت بغداد من الجانبين تلولاً لا أثر لها.

[قدوم محمد خوارزم شاه إلى همذان بقصد بغداد]

وفيها: قدم محمد خوارزم شاه إلى همذان بقصد بغداد في أربع مائة ألف على ما قيل وقيل ستمائة ألف واستعد له الخليفة وفرق الأموال والسلاح. وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهروردي في رسالة فأهانه واستدعاه وأوقفه إلى جانب تحته ولم يأذن له في القعود فحكى الشيخ شهاب الدين قال: استدعاني فأتيت إلى خيمة عظيمة لها دهليز لم أر في الدنيا مثله؛ والدهليز والشقة أطلس والأطناب

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٦٥ ـ ٦٧، وشذرات الذهب ٥/ ٥٧ ـ ٦١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٧١ ـ ٣٨١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٣.

حرير وفي الدهليز ملوك العجم على اختلاف طبقاتهم منهم صاحبة همذان، وأصبهان، والري وغيرها. ثم دخلت إلى خيمة أخرى إبريسم وفي دهليزها ملوك خراسان مرو، ونيسابور وبلخ وغيرها ثم دخلت خيمة أخرى وملوك ما وراء النهر في دهليزها كذلك ثلاث خيام فدخلنا عليه وهو في خركاة عظيمة من ذهب وعليها سجاف مرصع بالجواهر وهو صبي له شعرات قاعد على تخت ساذج وعليه قباء بخاري يساوي خمسة دراهم، وعلى رأسه قطعة من جلد تساوي درهماً، فسلمت عليه فلم يرد ولا أمرني بالجلوس فشرعت فخطبت خطبة بليغة ذكرت فيها فضل بني العباس ووصفت الخليفة بالزهد، والورع، والتقى، والدين. والترجمان يعيد عليه قولي. فلما فرغت قال للترجمان: قل له هذا الذي يصفه ما هو في بغداد بل أنا أجيء وأقيم خليفة يكون بهذه الأوصاف ثم ردنا بغير جواب ونزل الثلج عليهم فهلكت دوابهم وركب خوارزم شاه يوماً فعثر به جواده فتطير؛ ووقع الفساد في عسكره وقلت الميرة وكان معه سبعون ألفاً من الخطا فرده الله تعالى. «ونكب تلك النكبة العظيمة وسنذكرها».

وذكر المنشئ محمد بن أحمد النسوي[١] في كتابه الذي ذكر فيه وقائع التاتار مع علاء الدين محمد خوارزم شاه المذكور ومع ولده جلال الدين وقد اختصرته قال: حكى القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي أنه أرسل إلى بغداد مراراً آخرها لأجل مطالبة الديوان بما كان لبني سلجوق من الحكم والملك ببغداد فأبوا ذلك وصحبت في عودة بالشيخ شهاب الدين السهروردي رسولاً مدافعاً قال: وكان عند السلطان من حسن الاعتقاد برفيع منزلته ما أوجب تخصيصه بمزيد الإكرام ومزية الاحترام تمييزاً له عن سائر الرسل الواردة عليه من الديوان فوقف قائماً في صحن الدار ثم أذن للشيخ في الدخول فلما استقر المجلس بالشيخ قال رحمه الله: إن من سنة الداعي للدولة القاهرة أن يقدم على أداء رسالته حديثاً من أحاديث النبي ﷺ تيمناً وتبركاً فأذن له السلطان في ذلك وجلس على ركبتيه تأدباً عند سماع الحديث فذكر الشيخ حديثاً معناه التحذير من أذية آل العباس رضي الله عنهم. فلما فرغ الشيخ من رواية الحديث. قال السلطان: أنا ما آذيت أحداً من ولد العباس ولا قصدتهم بسوء وقد بلغني أن في مجالس أمير المؤمنين منهم خلقاً مخلدين يتناسلون بها، فلو أعاد الشيخ الحديث بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان أولى وأنفع. فعاد الشيخ والوحشة قائمة بحالها ثم عزم على قصد بغداد وقسم نواحيها

---

(١) هو محمد بن أحمد النسوي الخوارزمي الكاتب، كان حياً سنة ٦٣٩هـ، صنف «سيرة السلطان جلال الدين الخوارزمي» (كشف الظنون ٦/ ١٢١).

أقطاعاً وعملاً وسار إلى أن علا عقبة أسد أباد فنزل عليه ثلوج حملت الأباطح والأعلام، وغطت الخراكي والخيام، ودام ثلاثة أيام بلياليها، فعظم إذ ذاك البلاء، وأعضل الداء، وشمل الهلاك خلقاً من الرجال ولم ينج شيء من الجمال، وتلفت أيدي رجال وأرجل آخرين؛ فرجع السلطان عن وجهه ذلك حينئذٍ مما هم به ويئس من مطلبه.

[جفلة السلطان العادل من الفرنج]

وفيها: كانت جفلة السلطان العادل من الفرنج لما اجتمعوا وخرجوا عليه ووصلوا إلى عين جالوت وهو ببيسان فأحرقها وظهر إلى جهة عجلون؛ ووصل الغور وقطع الفرنج خلفه الأردن وأوقعوا بليزك[1] وغاروا على البلاد وكتب العادل إلى المعتمد والي دمشق بالاهتمام والاستعداد واستخدام الرجال؛ وتدريب دروب قصر حجاج؛ والشاغور؛ وطرف البساتين ونقل غلة داريا إلى القلعة وتغريق أراضيها بالماء فإن الفرنج مظهرون قصدها؛ واختبط البلد لأجل هذه الشائعة وأرسل السلطان إلى ملوك الشرق مستحثاً لعساكرهم؛ ووصل إلى مرج الصفر، ونزل به بنية المقام لاجتماع العساكر إليه ورد خزانته إليه بعد أن كانت وصلت إلى مسجد القدم في السحر للدخول إلى دمشق، وجفلت أهل القرى من عقربا، وحرستا، وغيرهما وغلت الأسعار وعزم الناس على النزوح عن البلد متى تحققوا طلوع الفرنج من الغور؛ وكان للناس ضجيج بالجامع في أوقات الصلاة وبكاء ودعاء ثم رجع الفرنج متوجهين إلى عكا بمن حصل في أيديهم من الأسارى بعد أن تمت غيارتهم وصلوا إلى رخو النصارى وما قرب منها، والى افيق وإلى كثير من أعمال الشقرا والناس بين أيديهم جافلين، ووصل الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص مع من اجتمع معه من العساكر لنجدة الإسلام ولم يبق بالبلد أحد إلا خرج لتلقيه وكان يوماً مشهوداً طلعت له الشمس عند حرستا فما وصل إلى البلد إلا وقت الظهر من كثرة الناس في طريقه ودخل من باب الفرج ومضى على قدمه إلى دار الست فرج الشام أخت العادل الكبرى أقام عندها ساعة، ثم عاد إلى داره وبات بها وأصبح متوجهاً إلى السلطان فسكنت قلوب الناس بدمشق بقدومه وزال خوفهم.

[هجوم الفرنج على حصن الطور]

وقال أبو المظفر وفيها: انفسخت الهدنة بين المسلمين والفرنج، وجاء العادل من مصر بالعساكر فنزل على بيسان والمعظم عنده في العساكر الشامية؛ وخرج الفرنج من عكا ومقدمتهم ملك الهنكر فنزل عين جالوت في خمسة عشر ألفاً، وكان شجاعاً مقداماً ومعه جميع ملوك الساحل فلما أصبحوا ركب الهنكر في

---

(١) بليزك: كذا بالأصل. ولم أتوصل إلى معناها.

أوائلهم وقصد العادل، وكان العادل على تل بيسان فنظر فرأى أنه لا قبل له بهم فتأخر فقال له المعظم إلى أين؟ فشتمه بالعجمية وقال له بمن أقاتل أقطعت الشام مماليكك وتركت أولاد الناس الذين يرجعون إلى الأصول وذكر كلاماً في هذا المعنى وساق فعبر الشريعة «عند يرقا»؛ وجاء الهنكر إلى بيسان وبها الأسواق والغلال والمواشي وشيء لا يعلمه إلا الله تعالى فأخذ الجميع؛ وارتفع العادل إلى عجلون؛ ومضى المعظم فنزل نابلس والقدس على عقبة اللبن خوفاً على القدس وأقام الفرنج على بيسان ثلاثة أيام ورحلوا طالبين قصر ابن معين الدين. وسار العادل فنزل رأس الماء وصعد الفرنج عقبة الكرسي إلى خربة اللصوص والجولان وأقاموا ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون ويأسرون ثم عادوا فنزلوا الغور وبعث العادل أثقاله إلى بصرى ونساءه، وأقام على رأس الماء جريدة ولما نزل الفرنج الغور جاء العادل فنزل عالقين؛ ثم نزل الفرنج تحت الطور يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان وأقاموا إلى يوم الأحد ثاني رمضان وكان يوماً كثير الضباب فما أحس بهم أهل الطور إلا وهم عند الباب قد الصقوا رماحهم بالطور ففتح المسلمون الباب وخرج إليهم الفارس والراجل وقاتلوهم حتى رموهم أسفل الطور فلما كان يوم الثلاثاء رابع رمضان طلعوا بأسرهم ومعهم سلم عظيم فزحفوا من ناحية باب دمشق وألصقوا السلم بالسور فقاتلهم المسلمون «قتالاً لم يجر في الإسلام مثله» ودخل رماح الفرنج من المرامي من كل ناحية فضرب بعض الزراقين السلم بالنفط فأحرقه وقتل عنده جماعة من أعيان الفرنج منهم كنت كبير فلما رأوه مقتولاً صاحوا، وبكوا، وكسروا عليه رماحهم. واستشهد في ذاك اليوم من أبطال المسلمين الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم، وسيف الدين بن المرزبان وكان من الصالحين الأجواد، وأغلق المسلمون باب الطور وباتوا يداوون الجرحى، وضربوا مشورة؛ واتفقوا على أنهم يقاتلون قتال الموت ولا يسلمون أنفسهم لئلا يجري عليهم ما جرى على أهل عكا، وكان في الطور أبطال المسلمين. وخيار عسكر الشام، وأوقد الفرنج حول الطور النيران. فلما كان وقت السحر يوم الخميس سادس رمضان رحلوا طالبين عكا وجاء المعظم فصعد وأطلق المال، والخلع وطيب قلوب الناس. ثم اتفق العادل والمعظم على خراب الطور كما سيأتي ذكره، وقيل إن المعظم أنفذ كتاباً إلى الخليفة وفي أوله بيتان وهما للأمين عبد المحسن الكاتب الحلبي[1]: [الطويل]

قل للخليفة لا زالت عساكره لها إلى النصر إصدار وإيراد

(١) هو عبد المحسن بن محمود بن عبد المحسن بن علي التنوخي أمين الدين أبو القاسم، الكاتب الحلبي، الشهير بابن حمو، ولد سنة ٥٧٠هـ، وتوفي سنة ٦٤٣هـ، من تصانيفه: «ديوان الترسل»، «ديوان شعره»، «الفائق في اللفظ الرائق»، «كتاب النوادر والأخبار»، «مفتاح الأرواح في امتداح الراح» وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٦٢١).

إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوا لا يغفلن فحصن الطور بغداد

ولما انفصل الفرنج عن الطور قصد ابن أخت الهنكر جبل صيدا وقال: لا بد لي من أهل هذا الجبل فنهاه صاحب صيدا: وقال: هؤلاء رماة وبلدهم وعر فلم يقبل وصعد في «خمسمائة» من أبطال الفرنج إلى جزيرة ضيعة الميادنة قريباً من مشغرا فأخلاها أهلها وجاء الفرنج فنزلوا بها وترجلوا عن خيولهم ليستريحوا فتحدرت عليهم الميادنة من الجبال فأخذوا خيولهم وقتلوا عامتهم وأسروا ابن أخت الهنكر فهرب من بقي منهم نحو صيدا. وكان معهم رجل يقال له الجاموس من المسلمين قد أسروه فقال لهم: أنا أعرف إلى صيدا طريقاً سهلاً أوصلكم إليه. فقالوا: إن فعلت أغنيناك فسلك بهم أودية وعرة والمسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون. ففهموا أن الجاموس غرهم فقتلوه ولم يفلت إلى صيدا سوى ثلاثة أنفس بعد أن كانوا خمسمائة وجاء إلى دمشق بالأسارى وكان يوماً عظيماً، وحج بالناس من العراق ابن أبي فراس.

[وفاة بهاء الدين الميهني]

وفيها: توفي بهاء الدين أحمد بن أبي الفضائل الميهني[1] شيخ رباط الخلاطية من بيت التصوف وكان أبوه أبو الفضائل واسمه عبد المنعم شيخ المشايخ وسيد الصوفية. وكان الخليفة قد سلم إلى بهاء الدين رباط الخلاطية وأوقافها ثقة فيه من غير مشرف ولا عمل حساب فأقام مدة يقصده الناس من البلاد وأطراف بغداد، وأرباب البيوت، والفقهاء، والفقراء، والأعيان فما رد قاصداً ولا منع سائلاً، وكان له الجاه العظيم والذكر الجميل وكان له مملوك عبد أسود اسمه ريحان فخان في الأموال. وبلغ الخليفة فأخذه فأقر وقال: المال عند أخت بهاء الدين فعزل بهاء الدّين عمّا كان عليه فرأى الذلّ والهوان بعد العزّ والإمكان. ومرض بهاء الدّين في تلك الحال فولى الخليفة القاضي الريحاني أمر الرباط وحمل بهاء الدين إلى بيت أخته على نهر عيسى فتوفي ثامن رجب ودفن في الشونيزية في صفط الجنيد عند أبيه سمع شهدة الكاتبة، وابن البطي وغيرهما وصحب أباه وأخذ عنه طريقة التصوف.

[وفاة العماد الحنبلي]

وفيها: توفي الشيخ العماد الحنبلي وهو أخو الحافظ عبد الغني الزاهد العابد

(١) هو أحمد بن أبي الفضائل عبد المنعم بن أبي البركات محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن سعيد بن أبي الخير المهيني الصوفي، أبو الفضل، شيخ رباط الخليفة ببغداد (الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٨١).

الورع واسمه: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي[١] ولد بجماعيل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ثم سافر إلى بغداد، وقرأ القرآن على أبي الحسن علي بن عساكر بن المرحب البطايحي وغيره، وسمع الحديث الكثير ببغداد ودمشق، وكان معتدل القامة شعره إلى أذنيه مليح الوجه بساماً عابداً مجتهداً لا يدخر من الدنيا شيئاً حسن الصلاة كثير السجود والدعاء يقرأ القرآن والفقه دائماً في الحلقة بجامع دمشق. ويجتمع إليه الطلبة كل ليلة بعد العشاء الآخرة فيحملهم إلى بيته، ويحضر لهم من الطعام ما تيسر، وما تعرف لأحد من أبناء الدنيا قط لا إلى سلطان ولا إلى غيره.

قال أبو المظفر: ولا تحرك بحركة، ولا مشى خطوة، ولا تكلم كلمة إلا لله تعالى، وكان يتعبد بالإخلاص ولقد رأيته مراراً بالحلقة في جامع دمشق والخطيب يوم الجمعة ـ على المنبر فيقوم عماد الدين ويأخذ الإبريق ويضع بلبله في فيه على رؤوس الأشهاد ويوهم الناس كأنه يشرب وإنه لصائم، وكان الشيخ الموفق يثني عليه ويقول: أعرف العماد من صغره وما عرفت أنه عصى الله تعالى قط. وكان من خيار أصحابنا وأعظمهم نفعاً وأشدهم عبادة وورعاً وأكثرهم صبراً على تعليم القرآن والفقه، داعية إلى السنة وأقام بدمشق يعلم الفقراء ويطعمهم ويبذل لهم ماله ونفسه وطعامه، وكان من أشد الناس تواضعاً واحتقاراً لنفسه وما رأيت أشد خوفاً لله تعالى منه، وكان كثير الدعاء والسؤال، طويل الركوع والسجود، يصوم يوماً، ويفطر يوماً؛ وكان إذا سمع عليه جزء وكتبوا على ظهره سمع على العالم الورع ينهاهم عن ذلك، وسافر إلى بغداد مرتين، الأولى في سنة تسع وستين وخمسمائة صحبة الموفق بعد أن حفظ القرآن وغريب الحديث ومختصر الخرقي، وتفقه في بغداد على أبي الفتح بن المني وأفتى وناظر. والسفرة الثانية سنة إحدى وثمانين صحبة عز الدين ابن أخيه عبد الغني الحافظ، وصنف كتاب الفروق بين المسائل الفقهية، وكتاب الأحكام، ولم يتمه. قال: وكان يحضر مجالسي دائماً بجامع دمشق وقاسيون لا ينقطع إلا من عذر، ويقول صلاح الدين يوسف فتح الساحل. وأظهر الإسلام، وأنت يوسف أحييت السنة بالشام. قلت: السنة التي يشير إليها كون أبي المظفر رحمنا الله وإياه كان كثيراً ما يورد على المنبر من كلام جده أبي الفرج وخطبه ما يتضمن إمراء آيات صفات الباري عزّ وجلّ وما جاء في الأحاديث الصحاح من ذلك على ما ورد من غير ميل إلى تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ومشايخ الحنابلة العلماء هذا

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٦٦ ـ ٦٧، وشذرات الذهب ٥/ ٥٧ ـ ٥٩.

مختارهم وهو جيد لكن الإكثار منه على أسماع العوام ربما يحمل أكثرهم على شيء من التشبيه فإذا قرن به ما يشرحه وينفي توهم التشبيه كان أولى والله أعلم.

قال أبو المظفر: ولما كان عشية الأربعاء سادس عشر ذي القعدة صلى العماد المغرب بجامع دمشق وكان صائماً وأفطر في داره على شيء يسير فجاءه الموت في الليل فجعل يقول يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام. وتوفي فغسل وقت السحر وأخرجت جنازته إلى جامع دمشق فما وسع الناس الجامع، وصلى عليه الموفق بحلقة الحنابلة بعد جهد جهيد، وكان يوماً لم ير في الإسلام مثله كان أول الناس عند مغارة الدم ورأس الجبل إلى الكهف وآخرهم بباب الفراديس ولولا المبارز والمعتمد رحمه الله وأصحابه لقطعوا أكفانه وما وصل إلى الجبل إلى آخر النهار وقال: وتأملت الناس من أعلا قاسيون إلى الكهف إلى قريب الميطور لو رمى الإنسان عليهم إبرة لما ضاعت. فلما كان في الليل نمت وأنا مفتكر في جنازته وذكرت أبيات سفيان الثوري التي أنشدها في المنام[1]: [الطويل]

نظرت إلى ربي كفاحاً وقال لي[2] هنيئاً رضاي عنك يابن سعيد
فقد كنت قواماً إذا أقبل الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته[3] وزرني فإني منك غير بعيد

وقلت: أرجو أن العماد يرى ربه كما رآه سفيان[4] عند نزول حفرته ونمت فرأيت العماد في النوم عليه حلة خضراء وهو في مكان متسع كأنه روضة وهو يرقى في درج مرتفعة فقلت يا عماد الدين كيف بت فإني والله مفكر فيك؟ فنظر إليّ وتبسم على عادته وقال[5]: [الطويل]

رأيت إلهي حين أنزلت حفرتي وفارقت أصحابي وأهلي وجيرتي
فقال جزيت الخير عني فإنني رضيت فها عفوي لديك ورحمتي
دأبت زماناً تأمل الفوز والرضى فوقيت نيراني ولقيت جنتي

---

(١) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٦٦، وشذرات الذهب ٥/ ٥٩.

(٢) في البداية والشذرات: «فقال لي» بدل: «وقال لي».

(٣) في شذرات الذهب: «تريده» بدل: «أردته».

(٤) في البداية والنهاية: كما رآه الثوري، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور من عبد مناة، من مضر، أمير المؤمنين في الحديث، توفي سنة ١٦١هـ (الأعلام للزركلي ٣/ ١٠٤).

(٥) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٦٦ ـ ٦٧، وشذرات الذهب ٥/ ٥٩.

فانتبهت مرعوباً وكتبت الأبيات، سمع ببغداد أبا محمد الخشاب النحوي، وشهدة الكاتبة، وغيرهما. وبالشام أبا المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلم وعبد الله بن صابر وغيرهما ورثاه الصلاح موسى بن الشهاب[١] بأبيات منها: [البسيط]

يا شيخنا يا عماد الدين قد قرحت ... عيني وقلبي منك اليوم متبول
أوحشت والله ربعاً كنت تسكنه ... لكنه اليوم بالأحزان مأهول
كم ليلة بت تحييها وتسهرها ... والدمع من خشية الله مسبول
وسجدت طال ما طال القنوت بها ... قد زانها منك تكبير وتهليل

قلت: كان رحمه الله كثير الصلاة مطيلاً لأركانها قياماً، وركوعاً، وسجوداً. شاهدته مصلياً بالجماعة في حلقة الحنابلة مراراً ولم يكن لهم في حياته هذا المحراب الآن إنما كان يصلي بالجماعة هو تارة والموفق تارة إلى خزانتين مجتمعتين في موضع المحراب الآن سنة سبع عشرة أو نحوها فجدد لهم هذا المحراب. وسببه أن قاضي دمشق جمال الدين يونس بن بدران حسن للسلطان المعظم عيسى بن العادل أن يجمع خزائن الكسب التي في الجامع إلى مشهد ابن عروة فنقلت الخزائن من الزاوية الغربية، ومن الكلاسة، ومن أروقة الجامع فكان من جملة المنقول الخزانتان اللتان بحلقة الحنابلة فبقي مكان صلاة إمامهم مكشوفاً، فتعصب لهم الركن الأمير المعظمي في عمل هذا المحراب فركب في ليلة ذلك اليوم وصلى فيه الشيخ الموفق، ومن بعده وردت الخزانتان إلى الحلقة فجعلتا عن يمين المحراب ويساره والشيخ العماد هو الذي سن الجماعة في الصلوات المقضية وكان يصلي بالجماعة بحلقتهم بين المغرب والعشاء ما قدره الله تعالى وبقي ذلك بعده مدة. حضرت جنازته والصلاة عليه رحمه الله.

[وفاة جمال الدين بن الحرستاني]

وفيها: توفي القاضي جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري[٢] شيخ القضاة العالم العادل المعمر الزاهد، ولد بدمشق سنة عشرين وخمسمائة، وأصل أبيه من قرية بقرب دمشق تسمى حرستا، قدم دمشق

---

(١) كان الصلاح عارفاً أديباً ذا معرفة بالشعر والأدب، فاضلاً عاقلاً ظريفاً، حلو الشعر والمنطق رثاه بأبيات أولها: [البسيط]

الحمد لله في كل الأمور فما ... يقضي الإله علينا فهو مقبول
نرضى بما جاءنا منه ونشكره ... على الرؤوس قضاء الله محمول

(٢) هو ابن الحرستاني: انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٦٧، وشذرات الذهب ٥/ ٦٠.

ونزل منزله بباب توما وأم بمسجد الزينبي، ثم أم فيه ابنه جمال الدين بعده إلى أن انتقل إلى مسكنه بالحويرة قبل الجامع. شارك الحافظ أبا القاسم علي بن الحسن رحمه الله في كثير من مشايخه الدمشقيين سماعاً وفي الغرباء إجازة، سمع بدمشق جمال الإسلام أبا الحسن علي بن المسلم، وعبد الكريم بن حمزة بن الخضر، وأبا الحسن علي بن أحمد بن قعيس المالكي وغيرهم. ورحل إلى حلب وسمع بها أبا الحسن علي بن سليمان المرادي الحافظ أكثر كتب الحافظ البيهقي وغيرهما، ثم رجع إلى دمشق فأقام بها وكان آخر من حدث عن عبد الكريم الحداد، وجمال الإسلام سماعاً، وممن أجاز له من أهل نيسابور أبو عبد الله الفراوي، وهبة الله بن سهل السيدي، وزاهر بن طاهر الشحامي، وأبو المعالي الفارسي، وعبد المنعم بن أبي القاسم القشيري. ومن أهل بغداد قاضي المارستان، وابن السمرقندي، والأنماطي وغيرهم. وكان مواظباً للصلوات في الجماعات. يصلي في الصف الأول بمقصورة الخضر بالجامع قبالة محرابها دائماً، وهنالك كان يقرأ عليه الكتب المسموعة ويجتمع خلق عظيم مع حسن سمته وسكوته وهيبته. وكان بارعاً في فقهه، حكى لي الفقيه عز الدين أبو محمد العز بن عبد السلام أيده الله وهو الآن حي بالديار المصرية أنه لم ير أفقه منه وعليه كان ابتداء اشتغاله، ثم صحب الشيخ فخر الدين بن عساكر رحمه الله فسألته عنهما فرجح ابن الحرستاني وقال: إنه كان يحفظ الوسيط للغزالي ولي القضاء قديماً نيابة بدمشق في أيام شرف الدين بن أبي عصرون، وكان يكتب له في الأسجال في القضايا، ولما أضر شرف الدين بقي هو على نيابته مع ابنه محيي الدين بن أبي عصرون، فلما عزل وولي محيي الدين بن الزكي استقلالاً وهو شاب لم ير النيابة عنه وبقي منقطعاً في بيته إلى أن ولاه العادل المدرسة المجاهدية التي في الرصيف فبقي مواظباً على التدريس بها وإسماع الحديث بمقصورة الخضر التي يصلي بها إلى أن عزل الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب رحمه الله عن قضاء دمشق في سابع ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وستمائة قاضي القضاة زكي الدين أبا العباس الظاهر ابن قاضي القضاة محيي الدين أبي المعالي محمد بن علي القرشي وأخذ منه مدرسة العزيزية والتقوية، وأعطى التقوية للشيخ فخر الدين بن عساكر، وأعطى العزيزية مع القضاء لجمال الدين بن الحرستاني، واعتنى به العادل اعتناء كثيراً، وأقبل عليه وأكرمه بحيث أرسل إليه ما يفرشه تحته في مجلس الحكم لكبره وضعفه وما يسببه إليه، وكان يجلس للحكم بمدرسة المجاهدية، وناب بها عنه عماد الدين عبد الكريم، وكان يجلس بين يديه وإذا قام الشيخ يستند مكانه، ثم إنه

منعه من أي شيء سمعه عنه، وناب عنه أيضاً أكابر شيوخ القضاة يومئذٍ شمس الدين بن الشيرازي، وكان يجلس قبالته في الإيوان بالمجاهدية، وشمس الدين بن سني الدولة وبنيت له دكة في الزاوية القبلية بغرب المدرسة، وشرف الدين بن الموصلي الحنفي بمجلس المحراب بها، وبقي بالقضاء نحواً من سنتين وسبعة أشهر ثم توفي يوم السبت رابع ذي الحجة وكانت له جنازة عظيمة حفلة ودفن بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بالجامع، ومقابر باب الفراديس، وكان له يوم توفي خمس وتسعون سنة ولغرابة ولاية القضاء لمن هو في هذا السن قال شاعر الشام في وقته شهاب الدين فتيان الشاغوري[1] هذين البيتين: [البسيط]

يا من تدرع في حمل الحمول ويا معانق الهمم في سر وإعلان
لا تيأسن روح من بادي لدى مائة قاضي القضاة الجمال بن الحرستاني

على أنه رحمه الله امتنع عن الولاية لما طلب لها حتى ألح عليه فيها، وكان في مدة ولايته صارماً، عادلاً، حاكماً بالشريعة المطهرة، جارياً على طريقة السلف في لباسه واقتصاده في أمره، وعفته وصيانته، وعدم الالتفات إلى الأكابر في الشفاعات في الأحكام، ولقد بلغني أنه ثبت لديه حق لامرأة على بيت المال فأحضر الوكيل جمال الدين المصري وأمره أن يسلم إليها ما ثبت لها، فاعتذر بضيق الوقت وكان في آخر النهار. وقال: في غد أسلم إليها. فقال: ربما أموت أنا الليلة ويعوق حقها. فقيل إنها كانت تدعي بستاناً قد وضع النواب أيديهم عليه وقد ثبت حقها لديه فأمر الوكيل أن يسلمه إليها ويشهد عليه بأنه ثبت حقها، ولا دافع له من جهة بيت المال فاستمهله إلى الغد لدخول المساء، وكان قد أشعلت القناديل وهم بالمدرسة فقال القاضي: ربما أموت أنا الليلة وترجع أنت أيها الوكيل ربما تعنتهم وتطلب إعادة البينة عند الحاكم الذي يقوم بعدي فوكل به من لا يفارقه حتى يسلم إليها البستان، وشهد عليه بذلك؛ وقام القاضي وأخذ سجادته على كتفه ومشى ليصلي بالجامع على عادته بمقصورة الخضر فوافق وصوله إلى الجامع أذان المغرب فصلى ومضى إلى بيته وكان أوصى إذا أشهد عليه الوكيل أن يحملوا الكتاب إليه ليقف عليه فجاءه الكتاب إلى داره فوقف عليه فلما علم أنه قد استقصى حق المرأة سلم كتابها إليها. وقيل: إنه كان مالاً بالمخزن فما زال به حتى أنفذ إلى أمناء الحشرية فجمعهم وفتحوا مخزنهم بقيسارية الفرش ودفعوا إلى المرأة حقها.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: كان القاضي جمال الدين بن الحرستاني.

(١) فتيان الشاغوري: تقدّمت ترجمته قبل قليل.

زاهداً؛ عفيفاً، عابداً، ورعاً، نزهاً؛ لا يأخذه في الله لومة لائم. واتفق أهل دمشق على أنه ما فاتته صلاة بجامع دمشق في جماعة إلا إذا كان مريضاً ينزل من بيته إلى الحويرة في سلم طويل فيصلّي ويعود إلى داره ومصلّاه بيده، وكان مقتصداً في ثيابه وعيشه، وما كان يمكن أحداً من غلمان القضاة يمشي معه بل كأنه بعض الناس. قال: وحكى لي ولده قال: كان أحد بني قوام يعامل الملك المعظم عيسى في السكرة ويتجر له فمات ابن قوام فطرح ديوان المعظم يده على تركة ابن قوام وبعث المعظم إلى القاضي يقول: هذا الرجل كان يتاجر لي بمالي والتركة لي وأريد تسليمها. فأرسل إليه القاضي يقول: لا أسلم إليك تركته حتى تحلف إنك تستحقّها. فقال المعظم، والله ما أحقق مالي عنده. فقال القاضي وأنا والله ما أسلم إليك حتى تحلف فما حلف المعظم ولا أثبت القاضي له شيئاً. وحكى لي جماعة من الدماشقة: أن الملك العادل سيف الدين كتب لبعض خواصه كتاباً يوصيه به في خصومة بينه وبين رجل فجاء إليه ودفع إليه الكتاب فقال: إيش فيه. قال: وصية لي. قال: أحضر خصمك. فأحضره والكتاب بيده ولم يفتحه وادعى على الرجل فظهر الرجل على حامل الكتاب فقضى عليه. ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به إلى حامله وقال: كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب. فمضى الرجل إلى العادل وبكى بين يديه وأخبره بما قال فقال العادل: صدق. كتاب الله أولى من كتابي. وكان يقول للعادل ما أحكم إلا بالكتاب والسنة وأنا ما سألتك القضاء فإن شئت وإلا فأبصر غيري. قال: وحكى لي الشمس بن خلدون رحمه الله قال: أحضر ولده القاضي علاء الدين بين يديه صحن حلواء أسخنه وقال: يا سيدي كل منه. فغضب وقال: من أين هذا؟ أتريد أن تدخلني النار؟ ولم يأكل. قلت: غلب على ظنه أنه هدية ممن له حكومة. وبلغني أن ولده هو الذي ألح عليه في تولية القضاء على كره منه. وحكى لي ولده المذكور قال: جاء إليه الشرف بن عنين فجلس إلى جانبي قبالته وقال: السلطان يسلم عليك ويوصي بفلان فإن له محاكمة في كذا. وكذا. فغضب وقال: الشرع ما يكون فيه وصية لا فرق بين السلطان وغيره في الحق فقال: صحيح. فقال: إذا كان صحيحاً فأيش حاجة إلى قولك قال السلطان. قال: وكان إذا غضب من رسائل أرباب الحاجات يأخذ سجادته على كتفه وينهض من المجلس. وتولى القضاء بعده من كان القاضي قبله زكي الدين الطاهر بن محيي الدين، ثم إن ولده تولى نيابة الحكم بدمشق عن القاضي شمس الدين بن الخليل الخويي عام حج، ثم تولاه استقلالاً، ثم تولى خطابة جامع دمشق وهو الآن خطيبه والله الموفق.

[استشهاد بدر الدين الهكاري]

وفيها: استشهد الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري[١] بالطور على ما تقدم شرحه بعد أن أبلى في ذلك اليوم بلاء حسناً، وكان من المجاهدين له المواقف المشهورة في قتال الفرنج وكان من أكابر أمراء المعظم يستشيره ويصدر عن رأيه ويثق به صلاحه ودينه، وكان سمحاً ديناً لطيفاً ورعاً باراً بأهله وبالفقراء والمساكين كثير الصدقات دائم الصلاة. بنى بالقدس مدرسة للشافعية وقف عليها الأوقاف، وبنى مسجداً قريباً من الخليل عليه السلام عند قبر يونس عليه السلام على قارعة الطريق وكان يتمنى الشهادة دائماً يقول: ما أحسن وقع سيوف الكفار على وجهي وأنفي فاستجاب الله دعاه ورزقه الشهادة ونقل من الطور إلى القدس فدفن بتربته في ماملا وهي المقبرة التي تزار بالقدس الشريف.

[من وفيات هذه السنة]

وفيها: توفيت بدمشق العالمة المعروفة بدهن اللوز[٢] وكانت شيخة العالمات بدمشق في ربيع الآخر.

وفيها: توفيت بنت بوريحان[٣] بدمشق وهي آخر بناته وفاة وانتقل ما خلفته من الأملاك إلى الوقف المشهور عن أختها الكبرى بنت صفية.

وفيها: توفي الشجاع محمود المعروف بالدماغ[٤] في ذي القعدة وكان من أصدقاء العادل في زمن الشبيبة وبقي معه في زمن السلطنة مضحكاً له، وحصل له ثروة عظيمة وداره بدمشق جعلتها زوجته مدرسة للفريقين.

[نزول الفرنج على دمياط]

ثم دخلت سنة خمس عشر وستمائة[٥]

ففيها: نزل الفرنج على دمياط في ربيع الأول وكان العادل بمرج الصفر

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٦٧.

(٢) انظر ترجمتها في البداية والنهاية ١٣/ ٦٧، وفيه: الشيخة الصالحة العابدة الزاهدة شيخة العالمات بدمشق تلقب بدهن اللوز.

(٣) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٦٧، وفيه: «بنت نورنجان» بدل: «بوريحان» وهي آخر بناته وفاة وجعلت أموالها وقفاً على تربة أختها بنت العصبة (بدل بنت صفية) المشهورة.

(٤) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٦١.

(٥) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٦٧ ـ ٧٠، وشذرات الذهب ٥/ ٦١ ـ ٦٥، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٨٢ ـ ٣٩٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٣ ـ ١٩٦.

فبعث العساكر التي كانت عنده إلى مصر إلى ابنه في مقابلة الفرنج وأقام المعظم بالساحل بعسكر الشام في مقابلة الفرنج.

[طلب الملك العادل من ابنه المعظم هدم حصن الطور]

وفيها: استدعى العادل ولده المعظم وقال له: قد بنيت هذا الطور وهو يكون سبباً لخراب الشام وقد سلّم الله من كان فيه من أبطال المسلمين والسلاح والذخائر وأرى من المصلحة خرابه ليتوفر من فيه من المسلمين والعدد على حفظ دمياط، وأنا أعوضك فتوقف المعظم وبقي أياماً لا يدخل إلى العادل فبعث إليه فأرضاه بمال ووعده في مصر ببلاد فأجابه فبعث فنقل ما كان فيه من العدد والذخائر إلى القدس وعجلون، والكرك، ودمشق.

[كسر الملك الأشرف ملك الروم كيكاوس]

وفيها: في يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر كسر الملك الأشرف ملك الروم كيكاوس وسببه أن الأشرف جمع عساكر الشرق في عسكر حلب ودخل بلد الفرنج ليشغلهم عن دمياط ونزل على صافيتا، وحصن الأكراد؛ وكان العادل بمرج صفر وتقدم إلى عالقين فخرج ملك الروم ووصل إلى رعبان يريد أن يلم بحلب ونزل إليه الأفضل من سميساط وأخذوا رعبان وتل باشر وبلغ الأشرف فعاد من صافيتا إلى حلب وقد سبقه ملك الروم إلى منبج وتقدم بعض عسكرهم إلى بزاغة فدخل الأشرف فنزل باب بزاغة وقدم العرب بين يديه فكسروا الروم ورجع صاحب الروم إلى بلاده وأكثر ما نكل فيهم العرب، ورجع الأفضل إلى سميساط فاسترد الأشرف رعبان، وتل باشر، وأعطاهما لصاحب حلب وبعث الأشرف سيف الدين بن كهدان، والمبارز، وابن خطلخ نجدة إلى دمياط وخطب صاحب آمد للصالح محمود بن أرتق الرومي وقطع خطبة العادل.

[أخذ الفرنج برج السلسلة]

وفيها: أخذ الفرنج النازلين على دمياط برج السلسلة في آخر جمادى الأول فأرسل الكامل إلى ابنه العادل شيخ الشيوخ صدر الدين يخبره ويستصرخ به فلما اجتمع بالعادل فأخبره فدق بيده على صدره ومرض مرض الموت قلت: وأذكر وأنا بدمشق حين بلغ الناس أخذ برج السلسلة وقد شق على من يعرفه مشقة شديدة منهم شيخنا أبو الحسن السخاوي رحمه الله ورأيته يضرب يداً على يد ويعظم أمر ذاك وسمعت الفقيه عز الدين بن عبد السلام يسأله عنه فقال هو قفل الديار

المصرية. وصدق رحمه الله تعالى فإني لما رأيته في سنة ثمان وعشرين كما سيأتي ذكره بأن لي صحة ما أشار الشيخ إليه، وذاك أنه برج عال مبني في وسط النيل ودمياط بحذائه على حافة النيل من غربه وفي ناحيته سلسلتان تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط، والأخرى على النيل إلى الجيزة فيمنع كل سلسلة عبور المراكب من ناحيتها إذا أريد ذلك حين قتال العدو فهو قفل البلاد بالديار المصرية إذا أوثقت السلسلتان امتنع على المراكب العبور إليها ومتى لم يكن السلسلة عبرت المراكب وبلغت إلى القاهرة، ومصر، وإلى قوص، وأسوان والله المستعان.

[لقاء المعظم بالفرنج على القيمون]

وفيها: في جمادى الآخرة التقى المعظم بالفرنج على القيمون[١] ونصر عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر من الداوية مائة فارس، وأدخلهم القدس منكسة أعلامهم.

[وصول رسول خوارزم شاه إلى العادل]

وفيها: وصل رسول خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش إلى العادل وهو بمرج الصفر فبعث بالجواب مع الخطيب جمال الدين محمد الدولعي الشافعي خطيب جامع دمشق بعد عمه، ونجم الدين خليل بن علي الحنفي قاضي العسكر فوصلا إلى همذان فوجدا الخوارزمي قد اندفع بين يدي الخطا والتاتار قد خامر عليه عسكره فسار إلى حد بخارى فاجتمعا بولده جمال الدين فأخبرهما بوفاة العادل فرجعا إلى دمشق وكان الخطيب الدولعي قد استناب مكانه في الخطابة بجامع دمشق ابنه الشمس يونس ولم يكن له أهلية فسعى القاضي زكي الدين وأكابر البلد في عزله وتولية الشيخ الموفق عمر بن يوسف خطيب بيت الأبار إلى أن يقدم الدولعي وكان يسكن بالمدرسة العزيزية في البيت الأوسط القبلي من البيوت السفلى ويكرر الخطب في بيته ذلك وفي إيوان المدرسة، ويخرج في أوقات الصلوات إلى الجامع يصلي بالناس ثم يرجع ويوم الجمعة يكون في بيت الخطابة يخرج منه بالأهبة السوداء إلى المنبر فيخطب ويصلي ثم يرجع فينزع السواد ثم يمضي إلى بيته بالمدرسة إلى أن قدم الخطيب الدولعي فرجع إلى مكانه ومنصبه.

[وفاة داود بن أبي الغنائم]

وفيها: توفي داود بن أبي الغنائم أبو سلمان الملهمي من بني ملهم

---

(١) القيمون: حصن قرب الرملة بفلسطين.

الضرير[١] كان يسكن رباط المأمونية ببغداد، وكان على رأي الأوائل وإنما كان يتستر بمذهب الظاهرية وكان موته بالمحرم ودفن بالشونيزية وقد جاوز السبعين ومن شعره: [الوافر]

إلى الرحمن أشكو ما ألاقي غداة غدوا على هوج النياق
نشدتكم بمن زم المطايا أمر بكم أمر من الفراق
وهل داء أضر من التنائي وهل عيش ألذ من التلاقي[٢]

[وفاة عبد الله بن عبد الرحمن]

وفيها: توفي القاضي شرف الدين أبو طالب عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى بن علي القرشي الدمشقي[٣] ولي القضاء بدمشق نيابة عن محيي الدين بن الزكي، ثم عن ابنه زكي الدين الطاهر وهو ابن عمهما يلتقي نسب الجميع إلى يحيى بن علي المذكور وهو أول من درس بالمدرسة الرواحية ثم بالمدرسة الشامية الحسامية وكانت وفاته في شعبان يوم الأحد ثالث عشر شعبان وصلي عليه بجامعة دمشق ودفن عند مسجد القدم وهو الذي يوجد علامته على الكتب المسجلة. الحمد لله وهو المستعان. قال أبو المظفر: وكان فقيهاً فاضلاً نزهاً، لطيفاً، عفيفاً.

[وفاة ابن العنبري]

وفيها: توفي أبو الحسن علي بن أحمد بن روح القاضي المعروف بابن العنبري[٤] كان نائباً عن القضاة ببغداد صحب أبا النجيب السهروردي، وتفقه عليه وقرأ العربية على العصار، وكان شيخاً كيساً فاضلاً متواضعاً وكان وفاته في رمضان ومن شعره: [الطويل]

وقد كنت أشكو من حوادث برهة واستمرس الأيام وهي صحائح
إلى أن تغشتني وقيت حوادث تحقق أن السالفات منائح

(١) انظر مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨/ ٥٨٢.
(٢) البيت الأخير في كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي.
(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٧٠، وشذرات الذهب ٥/ ٦٣، وفي الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩٤: شرف الدين أبو طالب محمد بن علوان بن مهاجر، ولعله يوجد تخليط حيث جعل هذه الترجمة لغير صاحبها.
(٤) انظر ترجمته في مرآة الزمان ٨/ ٥٩٢.

[وفاة عماد الدين بن الدامغاني]

وفيها: توفي القاضي عماد الدين بن الدامغاني[1] الحنفي قاضي القضاة ببغداد واسمه أبو القاسم عبد الله بن الحسين ولد في رجب سنة أربع وستين وخمسمائة وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وعرف الفرائض والحساب، وقسمة التركات مع السمت، والوقار، والدين، والعفة، وأول ولايته القضاء في سنة ست وثمانين وخمسمائة وعزل في رجب سنة أربع وتسعين وخمسمائة. فأقام ثماني سنين قاضياً ثم أعاده ابن مهدي في سنة ثلاث وستمائة ثم عزل في سنة إحدى عشر وستمائة فكانت ولايته الأخيرة تسع سنين إلا شهور وتوفي في ذي القعدة وصلي عليه بالنظامية ودفن بالشونيزية. سمع الحديث من أبيه أبي المظفر الحسين بن أبي الحسن أحمد قاضي القضاة، ومن عمه أبي الحسن علي قاضي القضاة ومن أبي الفرج بن كليب وغيرهم.

[وفاة الملك العادل أبي بكر بن أيوب]

وفيها: توفي السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب[2] وكنيته أشهر من اسمه سئل عن مولده فقال: فتوح، يعني لما فتح الرها وما والاها الأتابك[3] زنكي والد نور الدين سنة تسع وثلاثين وخمسمائة فيكون عمره ستاً وسبعين سنة. قيل كانت ولادته ببعلبك لما كان والده واليها من قبل زنكي ونشأ في خدمة نور الدين بن زنكي مع أبيه وإخوته وحضر مع أخيه صلاح الدين في فتوحاته وغزواته. وقام أحسن قيام في الهدنة مع الإنكليز ملك الفرنج بعد أخذهم لعنهم الله عكا، وكان صلاح الدين يعول عليه كثيراً واستنابه بالديار المصرية مدة، ثم أعطاه حلب. ثم الكرك وأعماله؛ ثم حران وما يتعلق بها، ثم جرى بعد وفاة أخيه بينه وبين أولاده أمور سبق ذكرها إلى أن استقر له الملك.

قال أبو المظفر: امتد ملكه من بلاد الكرج إلى همذان والجزيرة والشام،

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٧٠، وفيه: عماد الدين أبو القاسم عبد الله بن الحسن (بدل الحسين) بن الدامغاني الحنفي. وانظر أيضاً شذرات الذهب ٥/ ٦٣.

(٢) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٠٠ ـ ٢٢٩، مرآة الزمان ٨/ ٥٩٤، وفيات الأعيان ٢/ ٢٠٧، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٣٥، الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩٣، ٣٩٤، تاريخ أبي الفداء ٣/ ١٥٨، البداية والنهاية ١٣/ ٦٨ ـ ٦٩، السلوك ١/ ١٩٠، الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٢٦٢، تاريخ ابن إياس ١/ ٧٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٢، النجوم الزاهرة ٦/ ١٦٠، أخبار الأيوبيين ص١٣٠، شذرات الذهب ٥/ ٦٥.

(٣) الأتابك: لقب به لكونه مربي أولاد السلطان محمود السلجوقي.

ومصر، والحجاز، واليمن وكان نبيهاً خليقاً بالملك، حسن التدبير حليما صفوحاً عادلاً، مجاهداً، عفيفاً، ديناً، متصدقاً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر. طهر جميع ولايته من الخمور، والخواطئ، والقمار، والمخانيث، والمكوس؛ والمظالم، وكان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مائة ألف دينار فأبطل الجميع لله تعالى. وكان واليه المبارز المعتمد رحمه الله قد أعانه على ذلك أقام رجالاً على عقاب قاسيون، وجبل الثلج، وحوالي دمشق بالجامكية[1] والجراية، يحرمون أحداً يدخل دمشق بمنكر، فكان أهل الفساد يتحيلون ويجعلون زقاق الخمر في الطبول ويدخلون بها إلى دمشق فمنع من ذلك. قال: وبلغني أن بعض المغنيات دخلت على العادل في عرس فقال لها: أين كنت؟ قالت: ما قدرت آجي حتى وفيت ما علي للضامن. فقال: وأي ضامن؟ قالت: ضامن القيان. فقامت عليه القيامة وطلب المعتمد وأنكر عليه وقال: والله لئن عاد وبلغني مثل هذا لأفعلن ولأصنعن. قال: ولقد فعل العادل في غلاء مصر عقيب موت العزيز ما لم يفعله غيره، كان يخرج بالليل بنفسه ومعه الأموال يفرقها في أرباب البيوت والمساكين، ولولاه لمات الناس كلهم، وكفن في تلك الأيام من ماله ثلاثمائة ألف من الغرباء. وكان إذا مرض أو تشوش مزاجه خلع جميع ما عليه وباعه حتى فرسه وتصدق به. قلت: وكان لما عزل القاضي زكي الدين الطاهر عن قضاء دمشق وولاه القاضي جمال الدين بن الحرستاني تعصب وكيل بيت المال يومئذ وأثبت على زكي الدين محضراً يتضمن عشرين ألف دينار أودعها قيماز النجمي عند والده محيي الدين برسم فكاك أسرى وذلك بعد عزله بنحو من شهر. وبلغني أن القاضي جمال الدين بن الحرستاني تأنى في إثباته، واستقصى في تزكية الشهود جهده وطاقته ولما علم عليه بالثبوت قام الوكيل الجمال المصري فقال القاضي: إلى النار وأنا وراك. وذلك لعلمه بأن القضية بطريق التعصب والأغراض وكان ذلك بثلاثة وقيل بشهادة اثنين: **أحدهما**: ابن عوضه. **والآخر**: أبو محمد الخشاب الأقط وقد رأيتهما وكان كل واحد منهما في قلبه على القاضي حقداً بسبب حكومة حكم بها عليه. وأما ابن الخشاب فكان أقر ببستان له لأولاد أخيه وأظنه وقفه عليهم ثم أراد إبطال ذلك والرجوع فيه فلم يمكنه القاضي وهذا البستان تحت نهر يزيد قبالة الجنينة المختصة لي من فوقه وأخذ خط الزكي بالمبلغ في ذمته

---

(١) الجامكية: من الفارسية: جامه، بمعنى اللباس، والجامكية في الاصطلاح: الجراية الشهرية تعطى من غلّة الوقف، فهي من ناحية أجر ومن ناحية منحة (تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ص١٥).

في السابع والعشرين من جمادى الأولى، وشرع القاضي في بيع ما يملكه من كتب وغيرها واستدان من الناس ما حمله في وفاء ذلك فذكرت بعض حظايا العادل أنها رأت النبي ﷺ في المنام وهو يوصيه بالقاضي فأسقطها عنه ورد المال عليه على رؤوس الأشهاد أنزل به من القلعة جهاراً في طبق وأنا رأيته محمولاً إلى دار القاضي صحبة القاضي الأشرف بن الفاضل، والجمال الوكيل وقاضي العسكر، وابن التيتي بين الصلاتين من يوم الأحد الحادي والعشرين من رجب سنة اثنتي عشرة ثم ردّه لى القضاء بعد موت ابن الحرستاني وبلغني أن القاضي طلب جرح الشهود فلم يجسر أحد على ذلك إلا الثقة عنتر كان يتولى عقود الأنكحة بالمدرسة التقوية فبلغ ذلك العادل فتبسم فقال: من عادة عنتر الجرح.

قال أبو المظفر: وسبب موته انزعاجه من الخبر الذي جاءه من دمياط أن الفرنج استولوا على برج السلسلة فدق بيده على صدره وأقام مريضاً إلى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة فتوفي بعالقين، وكان المعظم قد كسر الفرنج على القيمون خامس جمادى الآخرة. ولما توفي العادل لم يعلم بموته غير كريم الدين الخلاطي فأرسل الطير إلى المعظم بنابلس فجاء المعظم يوم السبت إلى عالقين فاحتاط على الخزائن وصبر العادل وجعله في محفة وعنده خادم يروح عليه وقد رفع طرف سجافها وأظهروا أنه مريض ودخلوا به دمشق يوم الأحد والناس يسلمون على الخادم وهو يومئ إلى ناحية العادل أي أنه يعلمه عن مسلم ودخلوا به إلى القلعة وكتموا موته. قال: ومن العجائب أنهم طلبوا له كفناً فلم يقدروا عليه فأخذوا عمامة الفقيه النجيب ابن فارس وكفنوه بها وأخرجوا قطناً من مخدة فلفّوه به ولم يقدروا على فأس فسرق كريم الدين فأساً من الخندق فحفروا له به في القلعة وصلى عليه وزيره ابن فارس ودفنوه في القلعة. قال: وكنت قاعداً عند باب الدار التي فيها الأيوان وهو واجم ولم أعلم بحاله فلما دفن أبوه قام قائماً وشق ثيابه ولطم على رأسه ووجهه وكان يوماً عظيماً وعمل له العزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشمالي. قال: ولما رأيت المعظم قد بلغ به الحال ما بلغ تكلمت في أول يوم فلما انقضى العزاء عتبني المعظم وقال: يا سبحان الله أنت صاحب العزاء إيش كان حاجة إلى كلامك مع ابن الحنبلي. وكان الناصح قد تكلم في ذلك اليوم فقلت لا بد من الكلام. فقال: إذا كان ولا بد فليكن في اليوم الثالث ولا يتكلم معك أحد فامتثلت ما أمر وعمل له العزاء في جميع البلاد ونودي ببغداد من أراد الصلاة على الملك العادل الغازي المجاهد في سبيل الله فليحضر إلى جامع القصر فحضر الناس ولم يتخلف سوى الخليفة وصلوا عليه صلاة الغائب وترحموا عليه وتقدم

إلى خطباء الجوامع بأسرهم ففعلوا ذلك بعد صلاة الجمعة قال: وفوض إلى المعظم تربة بدر الدين حسن في اليوم الثالث.

قلت: هو بدر الدين حسن أحد أولاد الداية هو وإخوته من أكابر أمراء نور الدين بن زنكي رحمه الله وتربته هي التي على نهر ثورا عند جسر كحيل في طريق الجبل قريب من المدرسة الشبلية، وكان أبو المظفر يسكنها ويدرس بالمدرسة الشبلية، ومنها يصعد إلى الجبل وينزل إلى دمشق كل يوم بسبب مجلس الوعظ وما أكثر ما كنت أراه جالساً في شباك التربة أو في الصفة الخارجة في النهر ومعه كتاب يطالع فيه أو ينسخ. فما أطيب ما كانت تلك الأيام وما أرغد عيش تلك الأعوام. قال أبو المظفر: وكان للعادل عدة أولاد منهم: شمس الدين مودود والد الجواد يونس. والكامل محمد، والأشرف موسى، والمعظم عيسى، والأوحد أيوب، والفائز إبراهيم، والمظفر شهاب الدين غازي، والعزيز عثمان، والأمجد حسن وهما شقيقا المعظم، والمغيث محمود، والحافظ رسلان، والصالح إسماعيل، والقاهر إسحاق، ومجير الدين يعقوب، وقطب الدين أحمد؛ وخليل أصغرهم، وتقي الدين عباس. قلت: وهو آخر من بقي منهم وهو الآن في سنة تسع وخمسين وستمائة حي بدمشق قال: وكان الصالح إسماعيل؛ وقطب الدين أحمد بدمشق لما مات العادل فأمر المعظم الصالح فتوجه إلى بصرى. وأحمد فتوجه إلى مصر وكان للعادل عدة بنات أفضلهن صفية صاحبة حلب أم الملك العزيز الظاهر. قال: ولما دخل رجب رد المعظم المكوس والخمور وما كان أبوه أبطله، فقلت له: قد أخلفت سيف الدين غازي ابن أخي نور الدين فإنه كذا فعل لما مات نور الدين. فاعتذر بقلة المال ودفع الفرنج. قال: وسار المعظم إلى بانياس وأرسل الصارم التبنيني وهو بتبنين في تسليم الحصون فأجابه فأخرب بانياس وسار إلى تبنين فأخربها وهدمها وكانت قفلاً للبلاد وملجأ للعباد وأعطى جميع بلاد سركس[1] لأخيه العزيز عثمان وزوجه ابنة سركس ونزل الصارم وولده وأصحابه من الحصون فأكرمهم المعظم وأحسن إليهم وأظهر ما أخرب بانياس وتبنين إلا خوفاً من استيلاء الفرنج عليهما قال: وبعث الكامل إلى المعظم بالخلع وقال: أدركني، وجاءت الفرنج فنزلوا على سرمساخ فأخلا لهم المسلمون الخيام فطمعوا ثم رجع عليهم الكامل فكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً فعادوا إلى دمياط.

---

(١) بلاد سركس: أي إقطاع الأمير فخر الدين إياز الجركسي مقدم الصلاحية.

[وفاة ملك الروم كيكاوس]

وفيها: توفي ملك الروم كيكاوس ولقبه عز الدين[١] وكان جباراً؛ ظالماً، سفاكاً للدماء، ولما عاد إلى بلده من كسرة الأشرف له بحلب اتهم قوماً من أمراء دولته أنهم قصروا في قتال الحلبيين فسلق بعضهم في القدور، وجعل آخرين في بيت فأحرقهم فأخذه الله بغتة فمات فجأة سكران، وقيل ابتلي في بدنه فتقطع وكان أخوه علاء الدين كيقباذ محبوساً في قلعته وقد أمر بقتله فبادر الأمراء فأخرجوه، وأقاموه في الملك وكانت وفاة كيكاوس في شوال وهو الذي أطمع الفرنج في دمياط.

[وفاة نجاح بن عبد الله]

وفيها: توفي نجم الدولة نجاح بن عبد الله[٢] شرابي الخليفة مملوك الإمام الناصر، وكان جواداً سمحاً عاقلاً ديناً كثير الصدقات حسن المحضر، محسناً إلى الناس يحب المساكين، ويعظم أهل الدين، ويأخذ للضعيف من القوي، وكان يسمى سلمان دار الخلافة، وكان ملازماً للخليفة لا يغيب عنه ساعة واحدة، وكان أسمر اللون جميل الصورة فحلاً ولما توفي في هذه السنة أمر الخليفة أن لا يتخلف عن جنازته أحد لا وزير ولا غيره وصلى الخليفة عليه تحت التاج، وحزن عليه حزناً كثيراً وأخرج تابوته من البدرية ومشى العالم بين يديه إلى جامع القصر وكان بين يدي جنازته مائة بقرة، وألف شاة، ومائة فوحرة تمر، ومائة حمال على رؤوسهم الخبز، وعشرون حمالاً على رؤوسهم ماء الورد. ومماليكه قد جزوا شعورهم، ولبسوا المسوح والضجيج والبكاء قد ملأ بغداد، ولم ير في الإسلام مثل ذلك اليوم، وعبروا به إلى الجانب الغربي إلى تربة أم الخليفة؛ ودفن بين يدي القبة التي فيها أم الخليفة، وتصدق عنه الخليفة من مال نجاح بعشرة آلاف دينار على المشاهد. مشهد علي، والحسين، وموسى بن جعفر رضي الله عنهم، وبعث بمثلها إلى مكة، والمدينة، وأعتق الخليفة مماليكه، وكانت له خمسمائة مجلد فوقفها في تربة أم الخليفة وكتب عليها اسم الشرابي. ذكر الشيخ عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير في حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة أن الأمير العباسي أحمد ابن الخليفة يعني المستضيء وأحمد هو الإمام الناصر لدين الله قال ابن الأثير: وهو الذي صار خليفة بعده سقط من قبة عالية إلى أرض التاج ومعه غلام له اسمه نجاح فألقى نفسه بعده

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩١ ـ ٣٩٣، وشذرات الذهب ٥/ ٦٤.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٧٠، وفيه: أبو اليمن نجاح بن عبد الله الحبشي السوداني نجم الدين.

وسلم ابن الخليفة ونجاح. فقيل لنجاح لم ألقيت؟ فقال: ما كنت أريد البقاء بعد مولاي فدعى له الأمير أبو العباس ذلك فلما صار خليفة جعله شرابياً، وصارت الدولة جميعها بحكمه، ولقبه الملك الرحيم عز الدين، وبالغ في الإحسان إليه والتقديم له وخدمه جميع أمراء العراق والوزراء وغيرهم.

[وفاة القاهر صاحب الموصل]

وفيها: توفي القاهر صاحب الموصل وترك ولداً صغيراً اسمه محمود، وكان طفلاً فأخرج بدر الدين لؤلؤ زنكياً أخا القاهر من الموصل واستولى عليها. واسم القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي(١)، ثم ثبت ملك بلاد الموصل لبدر الدين لؤلؤ ويسمى بالملك الرحيم، ثم أولاد من بعده إلى الآن، وبلغني أن لؤلؤ سقى القاهر سماً فمات. ثم أدخل ابنه محمود بعد ذلك حماماً حامياً وأغلق عليه الباب فاستكربه وعطشه فاستغاث أخرجوني واسقوني ماء ثم اقتلوني، فأخرج وقد تغيرت خلقته وكان من أحسن الناس صورة فأسقي ماء ثم خنق بوتر. قلت: كان اسم ولده الذي ولي بعده نور الدين أرسلان شاه وكان قد سماه أبوه علياً فلما مات جده نور الدين أرسلان شاه في سنة سبع وستمائة سموه باسم جده أرسلان شاه؛ وأقام قليلاً ومات في سنة خمس عشرة أيضاً، وتولى أخوه محمود وكان تقدير عمره يوم مات عشر سنين، واستمر محمود والأمير بدر الدين لؤلؤ أتابكه إلى أن مات جده لأمه السلطان مظفر الدين صاحب إربل في شهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة فانقطع خبر محمود واستولى بدر الدين بالأمر.

[مرور ابن شكر بدمشق في طريقه إلى مصر]

قال أبو المظفر: قدم الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي المعروف بابن شكر وزير العادل، كان العادل قد نقم عليه فنفاه إلى الشرق فمضى إلى آمد فأقام بها فلما مات العادل كتب ابنه الكامل من مصر إليه يطلبه، فقدم دمشق في هذه السنة ونزل بظاهرها ببيت دانس في دار المؤيد العقرباني. فخدر المؤيد وكان قد قل نظره فأقام أياماً ثم توجه إلى مصر. قلت: وقيل إن قدومه من المشرق كان بعد هذه السنة وقرأ بهاء الدين بن أبي اليسر بين يديه مقامة ببيت دانس في مدحه من إنشاء الشيخ أبي الحسن البخاري رحمه الله سماها «محاورة الفقهاء ومحاضرة

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٦٩ ـ ٧٠، وشذرات الذهب ٥/ ٦٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

العلماء في أوحد الكبراء وسيد الوزراء» وهي مقامة جليلة حسنة لفظاً ومعنى، وكان خليقاً بالوزارة لم يأت بعده فيها مثله: وكان متواضعاً يسلم على الناس الذين يمر بهم وهو راكب، ويكرم الفقهاء ويحترمهم، ويعمر أوقافهم ويثمرها ويوسع لهم في الجامكيات وفي أيامه بنيت العمارة بفوارة جيرون، والمسجد، والبركة والشاذروان وغير ذلك رحمه الله وتوفي سنة ثلاثين وستمائة كذا ذكر سبط ابن الجوزي وهو وهم. وإنما توفي سنة اثنتين وعشرين كما سنذكره. وذكر العز بن تاج الأمناء: إنه في سنة تسع وستمائة عزل الوزير الصفي بن شكر وزير السلطان بمصر في غضون غضب وأظهره إدلالاً على السلطان، وسعى العادل فيه وتحرر أمره وإلزامه بيته، ثم ورد كتاب الكامل من مصر إلى أخيه المعظم بالحوطة على أملاك الوزير ابن شكر بها سابع جمادى الأولى من السنة. قال: وفي سابع عشرين رمضان من السنة عزل ابن الوزير ابن شكر من ديوان دمشق وقد كان مستمراً به في نيابة والده، وتولاه الشمس بن النفيس مستقلاً بأموره بكتاب عادلي وصل من مصر. قال: وفي رابع شعبان ورد الخبر من مصر بإخراج الصفي بن شكر من القاهرة موكلاً به واعتقاله بظاهر بلبيس في دار الجاولي ثم إرساله إلى دمشق. قال: ووصل عاشر ربيع الآخر من سنة أربع عشرة منفياً من الديار المصرية إلى الكسوة فأقام بها بقدر ما قضيت له أشغاله بدمشق، وتولى المعتمد القيام بها وكان تقدم من العادل كتاب إلى المعتمد بأن لا يمكنه من المقام بدمشق أكثر مما يقضي أشغاله، فلما تحقق ذلك لم يدخل البلد ورحل من الكسوة نهار الأحد سادس عشر الشهر فبات ببلدة من الغوطة ورحل منها إلى القصير في الغد، ومن القصير إلى جهة الفرات على طريق البرية، وخرج إليه جماعة من أعيان البلد سراً وجهراً إلى الكسوة وإلى القصير، ولما قطع الفرات لم يمكنه الأشرف من المقام ببلاده فرجع إلى سلميه والتجأ إلى صاحب حماة فآواه وأحسن إليه فأنكر السلطان ذلك عليه، وأمره بإبعاده عنه فلم يمكنه مخالفته. وتولى قاضي العسكر خليل الرسالة في إخراجه من حماة فأخرج موكلاً به إلى أن عاد قطع الفرات قاصداً صاحب آمد فتلقاه بنفسه وبالغ في إكرامه.

[هدم الملك المعظم أبراج القدس وسوره]

ثم دخلت سنة ستة عشرة وستمائة(١)

ففي أول المحرم وقيل في سابع المحرم أخرب المعظم أبراج القدس وسوره

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٧١ ـ ٧٤، وشذرات الذهب ٥/ ٦٥ ـ ٧٢، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩٦ ـ ٣٩٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٦ ـ ١٩٩.

خوفاً من استيلاء الفرنج عليه، فاضطرب الناس وخرجوا منه متفرقين في البلاد، وهان عليهم مفارقة ديارهم وضياع أموالهم، وقد كان القدس يومئذ على أتم الأحوال من العمارة، وكثرة السكان. قال أبو المظفر: كان المعظم قد توجه إلى أخيه الكامل إلى دمياط وبلغه أن طائفة من الفرنج على عزم القدس فاتفق الأمراء على خرابه وقالوا قد خلا الشام من العساكر فلو أخذه الفرنج حكموا على الشام. وكان بالقدس أخوه العزيز عثمان، وعز الدين أيبك أستاذ الدار فكتب المعظم إليهما بخرابه: فتوقفا وقالا: نحن نحفظه. فكتب إليهما المعظم لو أخذوه لقتلوا كل من فيه، وحكموا على دمشق وبلاد الشام، فألجأت الضرورة إلى إخرابه فشرعوا في السور أول يوم من المحرم، ووقع في البلد ضجة مثل يوم القيامة، وخرج النساء المخدرات، والبنات، والشيوخ، والعجائز، والشبان، والصبيان إلى الصخرة والأقصى فقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم بحيث امتلأت الصخرة ومحراب الأقصى من الشعور، وخرجوا هاربين وتركوا أموالهم وأثقالهم وما شكوا أن الفرنج تصحبهم وامتلأت بهم الطرقات. فبعضهم إلى مصر، وبعضهم إلى الكرك، وبعضهم إلى دمشق، وكانت البنات المخدرات تمزقن ثيابهن وتربطها على أرجلهن من الحفا. ومات خلق كثير من الجوع والعطش. وكانت نوبة لم يكن في الإسلام مثلها. ونهبت الأموال التي كانت لهم في القدس. وبلغ قنطار الزيت عشرة دراهم. ورطل النحاس نصف درهم. وأكثر الشعراء في ذمها ودعوا عليها فقال بعضهم[1]: [مخلع البسيط]

في رجب حلل الحميا ... وأخرب[2] القدس في المحرم

وقال: وأنشدني قاضي الطور مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي لنفسه[3]: [الطويل]

مررت على القدس الشريف مسلماً ... على ما تبقى من ربوع كأنجم[4]
ففاضت دموع العين مني صبابة ... على ما مضى من عصرنا المتقدم
وقد رام علج أن يعفى رسومه ... وشمر عن كفي لئيم مذمم
فقلت له شلت يمينك خلها ... لمعتبر أو سائل أو مسلم
فلو كان يفدي بالنفوس فديته ... بنفسي وهذا الظن في كل مسلم

(١) البيت في البداية والنهاية ١٣/ ٧١، وشذرات الذهب ٥/ ٦٦.
(٢) في البداية والنهاية وشذرات الذهب: «وخرب» بدل: «وأخرب».
(٣) الأبيات في شذرات الذهب ٥/ ٦٦.
(٤) في شذرات الذهب: «وأنجم» بدل: «كأنجم».

[نفي الملك المعظم ابن المشطوب من مصر إلى الشرق]

وفيها: نفى الملك المعظم الأمير عماد الدين بن المشطوب من مصر إلى الشرق. وكان قد اتفق مع الملك الفائز بن العادل على أخيه الملك الكامل واستحلف للفائز العساكر. وعرف الكامل فرحل إلى أشمون وعزم على التوجه إلى اليمن من البلاد. وعلم أخوهما المعظم فقال الكامل: لا بأس. وركب آخر النهار وجاء إلى خيمة ابن المشطوب وقال: قولوا لعماد الدين يركب حتى نسر فأخبروه فخرج من الخيمة بغير (أخفاف) صباغات ولحق المعظم فأبعد به عن العسكر وقال له أخي الملك الأشرف قد طلبك وهو محتاج إليك فتسير إليه الساعة. فقال: ما في رجلي صباغات ولا معي أحد من غلماني ولا قماشي فوكل به جماعة وأعطاه خمسمائة دينار وقال: كل مالك يلحقك. والله ما يضيع لك خيط بواحد وسار به الموكلون ورجع المعظم إلى خيمته، وجاء إليه الكامل فقبل الأرض بين يديه وخاف الفائز خوفاً عظيماً. أما ابن المشطوب فاجتاز دمشق ومضى إلى حماة فأقام بها. فبعث إليه الأشرف منشوراً بأن جيشاً من بلاد خلاط مع الخلع فسار إلى الأشرف فأكرمه وأحسن إليه وصار يركب بالشبابة، ويعمل له سلطة أعظم من الأشرف. وتجبر وطغى وبغا، وخامر على الأشرف وكاتب صاحب الروم فبعث له مائة ألف وأربع آلاف درهم وطلع إلى ماردين ثم قصد ناحية سنجار ثم جرى عليه مما سنذكره إلى أن مات في حبس الأشرف بحران هو وابن خشترين الأزكجي.

[استيلاء الفرنج على دمياط]

وفيها: في شعبان سحر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان استولى الفرنج على دمياط وكان المعظم قد جهز إليها ابن الجرخي الناهض في خمسمائة راجل فهجموا على الخنادق فقتل ابن الجرخي ومن كان معه وصفوا رؤوس القتلى على الخنادق. وكانوا قد حموا الخنادق وضعف أهل دمياط ووقع فيهم الوباء والفناء، وعجز الكامل عن نصرتهم فرسالوا الفرنج على أن يسلموا إليهم البلد ويخرجوا منه بأهاليهم وأموالهم فاجتمع الأقسا[1] وأحلفوهم على ذلك، فركبوا في المراكب وزحفوا في البر والبحر وفتح لهم أهل دمياط الأبواب فدخلوا ورفعوا أعلامهم على السور. وغدروا أهلها ووضعوا فيهم السيف قتلاً وأسراً وباتوا تلك

(١) الأقسا: وفي الكامل في التاريخ والبداية والنهاية: القساوسة.

الليلة يفجرون بالنساء وأخذوا المنبر وكان من أبنوس، والمصاحف ورؤوس القتلى وبعثوا بها إلى الجزائر، وجعلوا الجامع كنيسة. وكان الشيخ أبو الحسن بن قفل بدمياط فسلمه الله تعالى منهم فسألوا عنه فقيل هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين يأوي إليه الفقراء، فما تعرضوا له بعد. وقد رأيته أنا بعد ذلك بثغر دمياط في سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو يحكي للناس صورة ما جرى على البلد من الفرنج خذلهم الله تعالى، ووقع على المسلمين كآبة عظيمة وبكى الكامل؛ والمعظم، بكاء شديداً ثم تأخرت العساكر عن تلك المنزلة، ثم قال الكامل للمعظم لما رأى أعلام الفرنج على دمياط وقد سقط في يده: قد فات ما ذبح، وجرى القدر بما هو كائن، وما في مقامك هنا فائدة والمصلحة أن تنزل إلى الشام تشغل خواطر الفرنج، وتستجلب العساكر من المشرق.

قال أبو المظفر سبط بن الجوزي: فكتب إلى المعظم وأنا بدمشق قد جرى على دمياط ما جرى وأريد أن يحرض الناس على الجهاد فإني كشفت ضياع الشام فوجدتها ألفي قرية منها ألف وستمائة أملاك لأهلها، وأربع مائة سلطانية وكم مقدار ما تقوم به هذه الأربعمائة من العساكر وأريد أن يخرج الدماشقة ليذبوا من أملاكهم. فجلست بجامع دمشق وقرأت كتابه عليهم فتقاعدوا فكان تقاعدهم ثمناً لأخذه الثمن والخمس من أموالهم وكتب إلي إذا لم يخرجوا فسر أنت إلينا فخرجت إلى الساحل وهو نازل على قيسارية فأقمنا حتى فتحها عنوة ثم سرنا إلى الثغر ففتحه وهدمه وعاد إلى دمشق.

[حادثة قاضي القضاة أبي العباس الطاهر مع الملك المعظم]

وفيها: في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأول ألبس الملك المعظم قاضي القضاة زكي الدين أبا العباس الطاهر بن محيي الدين القباء والكلوتة[1] بمجلس الحكم من داره بباب البريد قال أبو المظفر: كان في قلبه منه حزازات يمنعه من إظهارها حياؤه من والده العادل وخوفه من الشناعات وكان يشكو إلي من القاضي مراراً ويقول: إنه لا ينفذ الأحكام؛ ولا يقيم معالم الإسلام،

(١) الكلوتة: الجمع كلوتات، وهي غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة، وتسمى: كلفة وكلفتاة وكلفته، استحدث لبسها في مصر سلاطين الأيوبيين، فكانوا يلبسون الكلوتات الجوخ الصفر على رؤوسهم بغير عمائم وذوائب شعورهم مرخاة تحتها (انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٢٨٨).

واتفق موت العادل ومرض أخته ست الشام عمة المعظم وكانت قد أوصت بدارها مدرسة وأحضرت القاضي الزكي والشهود وأشهدتهم عليها وأوصت إلى القاضي، وبلغ المعظم فعز عليه وقال: يحضر إلى دار عمتي من غير إذني ويسمع كلامها هو والشهود. ثم اتفق أن القاضي أحضر جابي المدرسة العزيزية وطلب منه حسابها فأغلظ له في القول فأمر بضربه فضرب بين يديه كما يفعل الولاة فوجد المعظم سبيلاً إلى إظهار ما كان في نفسه وكان الجمال المصري وكيل بيت المال عدو القاضي فجاء فجلس عند القاضي في مجلس الحكم والشهود حاضرون والناس فبعث المعظم ببقجه فيها قباء وكلوتة وأمره أن يحكم بين الناس وهما عليه فقام من خوفه فلبسهما وحكم بين اثنين. قلت: جابي المدرسة المضروب هو السديد خطيب عقربا واسمه: سالم بن عبد الرزاق بن يحيى بن عمر بن كامل أخو الجمال والمؤيد العقرباني، وكانت الخلعة إشارة إلى أنك تفعل فعل وإلى الشرطة فألبس لبس من يفعل ذلك. وسمعت الذي ألبسه الخلعة وهو بعض أجناد الأمير عماد الدين بن موسك يعرف بالشمس صادف عقيب إياها في ذلك اليوم فإنه دخل الجامع وجاء يسلم على شيخنا علم الدين السخاوي رحمه الله وحدثه بالقضية فتأوه الشيخ وضرب بإحدى يديه على الأخرى. وكان مما حكى أن قال: أمرني السلطان أن أقول له: السلطان يسلم عليك ويقول لك: الخليفة سلام الله عليه إذا أراد أن يشرف أحداً من أصحابه خلع عليه من ملابسه ونحن نسلك طريقه وقد أرسل إليك من ملابسه وأمر أن تلبسها في مجلسك وأنت تحكم بين الناس وكان المعظم أكثر ما يلبس قباء أبيض وكلوتة صفراء. قال: وفتح البقجة فلما نظر إليها وجم فأعدت الكلام بأن يلبسها وأمرته أن يترك التوقف في ذلك وكنت قد أمرت بأن ألبسه إياها بيدي أن امتنع أو توقف فمد يده فوضع القباء على كتفيه ونزع عمامته ووضع الكلوتة على رأسه، ثم قام ودخل بيته. قلت: ومن لطف الله تعالى أن كان مجلس في داره وإلا والعياذ بالله لو كان في مكان آخر لتكلف المرور في الطرقات بذلك الزي الشنيع في حق مثله إلى بيته اللهم عفوك وعافيتك. ثم إن القاضي لزم بيته بعدها ولم تطل مدة حياته فمرض مرضة رمى كبده فيها قطعاً ومات في الثالث والعشرين من صفر سنة سبع عشرة وستمائة ودفن بمقبرة أبيه بالجبل ويأسف الناس لما جرى عليه، وكان رحمه الله يحب أهل الخير ويزور الصالحين في أماكنهم والمرء مع من أحب، وقد ذكره القوصي في معجمه وقال: كان متورعاً، متثبتاً، ناظراً في مصالح اليتامى: [الكامل]

وإذا رأيت أسى امرء أو صبره ... يوماً فقد عاينت صورة عقله

ولم يخرج عن الرضى والتسليم في حالتي ولايته وعزله رحمه الله، وبقي نوابه يحكمون بين الناس منهم: شمس الدين بن الشيرازي وكان يجلس بالجامع في حافة الرواق الملاصق لخزانة الشريف موضع المقصورة الغربية، وتارة يجلس في شباك مشهد علي. ومنهم: شمس الدين بن سني الدولة وكان يجلس بشباك الكلاسة المحاذي للتربة الصلاحية. ومنهم: شرف الدين الموصلي وكان يجلس بالشباك الكمالي وهو الذي يصلي فيه القضاة الجمع في هذه الأزمان. قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: وكانت حركة شنيعة وواقعة قبيحة لم يجرِ في الإسلام أقبح منها، وكانت من غلطات المعظم. ولقد قال له ما فعلت إلا بصاحب الشرع ولقد وجبت عليك دية القاضي. فقال: هو الذي أحوجني إلى هذا ولقد ندمت.

[حادثة ابن عنين الشاعر مع الملك المعظم]

واتفق أن المعظم بعث إلى الشرف بن عنين الشاعر[1] حين تزهد خمراً ونرداً وقال سبح بهذا إشارة إلى أن هذا ليس له صحة فكتب إليه ابن عنين: [الكامل]

يا أيها الملك المعظم سنة ... أحدثتها تبقى على الآباد
تجري الملوك على طريقك بعدها ... خلع القضاء وتحفة الزهاد

قال: وأخبرني الشرف بن كلاب: قال كنت حاضراً ذلك المجلس وكان القباء والكلوتة لوناً واحداً أحمر ملطي، ومن أعجب الأمور أن الذي أتاه بالخلعة طلب من غلمان القاضي ما جرت به العادة من إعطاء من يأتي بخلعة سلطانية إلى حاكم أو غيره فأخرجوا له من وراء القاضي خمسين درهماً، وما زال قاعداً على باب القاضي بعد دخوله بالخلعة حتى أخرجوا له الدراهم فقبضها. وحج بالناس في هذه السنة من العراق آقباش الناصري. ومن الشام مملوك المعظم يقال له شفيفات، وفي هذه السنة حج والدي رحمه الله، وأبو المظفر سبط ابن الجوزي، وعز الدين بن القيسراني، والصفي بن مرزوق.

[وفاة داود بن أحمد (الزبيب)]

وفيها: توفي الشيخ أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب

---

(١) ابن عنين الشاعر: هو محمد بن نصير الدين بن نصر بن الحسين بن عنين (بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها) شرف الدين أبو المحاسن، كوفي الأصل الدمشقي المولد، كان أديباً شاعراً، تولى الوزارة بدمشق، ولد سنة ٥٤٩هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٠هـ، له من المصنّفات: «تاريخ العزيزي»، «ديوان شعره»، «مقراض الأعراض» في الأهاجي (كشف الظنون ٦/ ١١٣).

البغدادي الملقب بالزبيب[1] سمع الكثير من بغداد من أبي الوقت، وأبي الفضل الأرموي، وأبي الكرم الشهرزوري وغيرهم. وسكن في دمشق وأسمع بها الكثير وتوفي بها في جمادى الآخرة ودفن بجبل قاسيون، وكان أحد الوكلاء بمجلس الحكم، سمعت عليه صحيح البخاري وغيره، وكان ثقة متحرزاً.

[وفاة ست الشام بنت أيوب]

وفيها: في ذي القعدة توفيت بدمشق ست الشام بنت أيوب بن شاذي[2] أخت الملوك صلاح الدين والعادل ذكر الحافظ زكي الدين أنها توفيت في سادس عشر ذي القعدة من السنة. وزاد غيره، آخر نهار الجمعة وهي التي تنسب إليها المدرستان بدمشق **إحداهما**: قبل البيمارستان النوري. **والأخرى**: ظاهر دمشق بمحلة العونية، وتعرف أيضاً بالحسامية نسبة إلى ابنها حسام الدين بن لاجين، وكانت دفنته بها ودفنت هي بالقبر الذي هو فيه؛ وهو الذي يلي باب القبو من القبور الثلاثة، والقبلي هو قبر أخيها تورانشاه المذكور، والأوسط قبر ابن عمها ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي وكان تزوجها بعد لاجين. قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: كانت سيدة الخواتين، عاقلة، كثيرة البر والصلات والإحسان والصدقات، وكان يعمل في دارها من الأشربة والمعاجين والعقاقير في كل سنة بألوف من الدنانير وتفرقها على الناس، وكان بابها ملجأ للقاصدين ومفزعاً للمكروبين ووقفت على المدرستين أوقافاً كثيرة وكانت لها جنازة عظيمة. قلت: والملوك بنو أيوب إلى آخر من ولي منهم السلطنة في بلد من البلاد المشهورة كلهم محارمها لأنهم إما إخوتها وإما بنو إخوتها وهم إلى الآن خمسة وثلاثون ملكاً إخوتها الأربعة المعظم، وصلاح الدين، والعادل، وسيف الإسلام؛ وأولاد صلاح العزيز، ثم ابنه المنصور، والأفضل والزاهر، والظاهر، وابنه العزيز. وابن ابنه الناصر يوسف، وأولاد العادل، الكامل وأولاده الثلاثة المسعود، والصالح، والعادل، وأبناء الصالح المعظم المقتول بمصر، والموحد صاحب حمص، وابن العادل بن الكامل المغيث صاحب الكرك الآن. والمعظم بن العادل الأكبر، وابنه الناصر داود، والأشرف بن العادل، والصالح بن العادل، والأوحد. والحافظ، والعزيز، وابنه السعيد، وشهاب الدين غازي؛ وابنه الكامل محمد، وابن سيف الإسلام إسماعيل الذي ادعى الخلافة باليمن،

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٦٧.

(٢) انظر ترجمتها في مرآة الزمان ٨/ ٦٠٦، البداية والنهاية ١٣/ ٧٢، الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٢٧٧، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٢٩ ـ ٢٣٠، كنز الدرر ص٢٠٤، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٤٦، شذرات الذهب ٥/ ٦٧.

وفرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وابنه الأمجد صاحب بعلبك، وتقي الدين، وابنه المنصور، ثم ذريته ملوك حماة إلى اليوم.

[وفاة أبي البقاء العكبري]

وفيها: في ربيع الآخر توفي ببغداد الشيخ أبو البقاء العكبري النحوي الحنبلي واسمه: عبد الله بن الحسين بن عبد الله[١] ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وقرأ القرآن على أبي الحسن البطايحي؛ والنحو على أبي محمد الخشاب، واللغة على ابن العطار وسمع الحديث منهم ومن غيرهم، وقرأ الفقه والأصول وصنف عدة مصنفات منها: إعراب القرآن، واللباب في النحو، وحواشي على المقامات، وديوان المتنبي، ومفصل الزمخشري، ومقدمات في النحو، والحساب وغير ذلك[٢] ودفن بباب حرب رحمه الله وكان صالحاً ديناً.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: توفي بحلب الشريف مختار الدين عبد المطلب بن الفضل العلوي البلخي[٣] المدرس بمدرسة الحلاوية. كان عارفاً بمذهب أبي حنيفة وشرح

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٧٢ ـ ٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٦٧ ـ ٦٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٩، وكشف الظنون ٥/ ٤٥٩.

(٢) ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ٥/ ٤٥٩، مؤلفاته وهي: «الاستيعاب في أنواع الحساب»، «الإشارة في النحو»، «إعراب الحديث»، «الإفصاح عن معاني أبيات الصحاح»، «إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن»، «الانتصار لحمزة فيما نسبه إليه ابن قتيبة من مشكل القرآن»، «الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري» في النحو، «البلغة في الفرائض»، «التبيان في إعراب القرآن»، «ترصيف في علم التصريف»، «تفسير القرآن»، «تلخيص في الفرائض»، «تلخيص في النحو»، «تلقين في النحو»، «تهذيب في النحو»، «شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي» في النحو، «شرح خطب ابن نباتة»، «شرح الحماسة»، «شرح ديوان المتنبي»، «شرح الفصيح لثعلب»، «شرح كتاب سيبويه»، «شرح لامية العجم»، «شرح اللمع لابن جني»، «شرح المقامات للحريري»، «اللباب في علل البناء والإعراب»، «المتبع في شرح اللمع»، «المحصل في إيضاح المفصل»، «المرام في نهاية الأحكام»، «مشوق المعلم على حروف المعجم» كتبه على إصلاح المنطق لابن السكيت، «المصباح في شرح الإيضاح»، «ملقح من الخطل في الجدل»، «المنتخب من كتاب المحتسب» في لغة الفقه، «الموجز في إيضاح الشعر الملغز»، «الناهض في علم الفرائض»، «نزهة الطرف في إيضاح قانون الظرف» وغير ذلك.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٦٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٦١٦، وفي الشذرات والكامل: «افتخار الدين» بدل: «مختار الدين».

الجامع الكبير وغيره وكان يروي كتاب الشمائل للترمذي وغيره وكان سيداً، فاضلاً، ورعاً، ديناً.

وفيها: توفي ببغداد عماد الدين علي ابن الحافظ أبي محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن العساكري[1] قدم بغداد وسمع بها؛ ثم توجه إلى خراسان وسمع بها، واستجاز لطائفة كثيرة من الدمشقيين وغيرهم لعموم من أدرك ذلك الوقت من جميع من اجتمع به من مشايخ تلك البلاد شكر الله سعيه، ثم عاد إلى بغداد فوقع عليه قطاع الطريق فأخذوا ما كان معه وجرحوه فأقام ببغداد يعالج الجراحات فمات بها يوم السبت ثالث جمادى الآخرة ودفن بالشونيزية وخلف ولدين مات بعده أحدهما المسمى باسم جده بهاء الدين القاسم كان في صحبته فرجع إلى دمشق بعد موت أبيه. والآخر أبو حامد الحسين ولم يبق من نسله إلا ولد صغير من ابنه الأصغر أبي حامد.

وفيها: توفي ببغداد محمد بن جميل صاحب مخزن الخليفة ومولده بهيت، وكان فاضلاً بارعاً؛ وقدم علينا دمشق ابن ابنته وهو شاب فاضل يلقب فخر الدين له خط حسن وصورة جميلة ونزل عندنا بالمدرسة العزيزية، ثم توجه إلى الحجاز مع جماعة فضلاء شرف الدين المرسي، ومحب الدين بن هلال. وشرف الدين بن الزيات، وفخر الدين بن المالكي وغيرهم فجاوروا.

وفيها: توفي صاحب سنجار المنصور محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي[2]. وأبوه كان ختن نور الدين محمود بن زنكي على ابنته، وكان هذا المنصور ملكاً عادلاً، وهذا الذي حصره العادل أبو بكر بن أيوب ثم رحل عنه بشفاعة الخليفة الإمام الناصر وخلف المنصور عدة أولاد: سلطان شاه وزنكي، ومظفر الدين وغيرهم، وحج بعضهم معنا في سنة إحدى وعشرين وستمائة، ذكر الحافظ زكي الدين في الوفيات ما مثاله. وفي الثامن من صفر سنة ست عشرة وستمائة توفي قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود صاحب سنجار وملك ولده عماد الدين شاهنشاه.

وفيها: توفي محمد بن محمد بن محمود الكشميني، وكان صالحاً صاحب رياضات ومجاهدات، وأوصى أن يكتب على كفنه طلباً لإصلاح حاله: [الطويل]

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكم يلقى نشركم فيطيب

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٧٣، وشذرات الذهب ٥/ ٦٩، ٧٠، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩٨.

(٢) انظر ترجمته في الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩٧، وشذرات الذهب ٥/ ٧٠.

وفيها: توفي ببغداد في رمضان أبو بكر زكريا يحيى بن القاسم بن المفرج التكريتي(١)، ولي القضاء بتكريت، ثم ولي تدريس النظامية ببغداد ودفن بالشونيزية وكان فاضلاً وأنشد أبو المظفر من شعره: [البسيط]

كم يأمل المرء آمالاً وتخلفه ... وكم يرى أمناً والموت يردفه
وطالما سلك الإنسان شاكلة ... يظن فيها نجاة وهي تقتله

[ظهور التتار]

ثم دخلت سنة سبعة عشر وستمائة(٢)

وفي هذه السنة كان ظهور التتار خذلهم الله.

[عدد من الوفيات في هذه السنة]

وفيها: يوم الأحد ثاني شعبان توفي إمام المالكية بدمشق برهان الدين علي علوش بن عبد الله المغربي ودفن بجبل قاسيون، وكان عالماً بالأصول، والفروع، والعربية ونشأ له ابن فاضل في علم الطب يلقب بناصر الدين منصور بن علي توفي أيضاً وهو شاب رحمه الله تعالى.

وفيها: توفي في رجب تقي الدين عبد الرحمن بن أبي منصور بن نسيم بن الحسين بن علي المقدسي أبو الحسن سمع الكثير من الشيخ الحافظ أبي القاسم بن عساكر، وأكثر طباق السماع عليه في الأجزاء وغيرها موجودة بخطه.

وفيها: في جمادى الآخرة توفي زين الدين أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب البغدادي، المدبر لمجالس الحكام بدمشق، وكان شيخاً معمراً مولده ببغداد منتصف المحرم سنة اثنين وأربعين وخمسمائة يروي عن أبي الوقت وغيره. سمعت عليه صحيح البخاري سنة أربع عشرة وستمائة، ويروي أيضاً هو وأخته حفصة عن أبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي رحمهما الله.

وفيها: توفي الشيخ عتيق بن سلامة الأندلسي ومولده سنة ست عشرة وخمسمائة عاش مائة سنة ودفن بمقابر الصوفية على حافة الطريق وكان شيخاً

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٧٣، وفيه: أبو زكريا يحيى بن القاسم بن الفرج بن درع بن الخضر الشافعي شيخ تاج الدين التكريتي.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٧٤ ـ ٨٠، وشذرات الذهب ٥/ ٧٢ ـ ٧٨، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣٩٩، ٤٢٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٤.

صالحاً مشهوراً زرته في مرضه مع شيخنا أبي الحسن السخاوي رحمه الله وطلب لي منه الدعاء فدعا لي ووجدت بركة دعائه وكانت له عبادة جميلة.

وفيها: يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى توفي الحافظ عماد الدين أبو القاسم علي ابن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم، ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي خرج عليه قوم فجرحوه بالقرب من خانقين في توجهه للسماع بتلك البلاد، ثم حمل إلى بغداد فتوفي فيها. ودفن بالجانب الغربي منها بمقبرة الشونيزية رحمه الله، ومولده في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة قال: أنشدنا الخشوعي، أنشدنا ابن الأكفاني في المروحة: [الوافر]

ومروحة تروح كل هم ... ثلاثة أشهر لا بدّ منها
حزيران وتموز وآب ... وفي أيلول يغني الله عنها

[إغارة ابن المشطوب على سنجار]

وفيها: نافق الأمير عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف وأغار في أرض سنجار وساعده صاحب ماردين فسار إليه الأشرف فدخل ابن المشطوب إلى تل أعفر فأنزله بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بالأمان وحمله معه إلى الموصل ثم قيده وبعث به إلى الأشرف فألقاه الحاجب على الجب فمات بالقمل والجوع؛ وكان نور الدين بن عماد الدين صاحب قرقيسيا مع الأشرف فكاتب عليه؛ واتفق مع ابن المشطوب فاعتقله الأشرف وبعث به مع العلم قيصر المعروف بتعاسيف إلى قرقيسيا وأعانه فعلق نور الدين رجليه تحت القلعين وعذبه فسلمت إلى تعاسيف جميع بلاده، وأراد الأشرف أن يرميه في الجب فتشفع إلى أخيه الملك المعظم فشفع فيه فأطلقه الأشرف وسار نور الدين إلى دمشق وأحسن المعظم إليه فاشترى بستان ابن حيوش بنواحي العقيبة وبنى فيه وأقام به.

وفيها: قتل صاحب سنجار أخاه فسار الأشرف إليها فأخذها وعوض صاحبها الرقة.

[وقعة البرلس]

وفيها: في رجب كانت وقعة البرلس بين الكامل والفرنج وكانت وقعة عظيمة قتل الكامل منهم عشرة آلاف وغنم خيولهم وسلاحهم ورجعوا إلى دمياط مهزومين.

[عزل المعظم المبارز المعتمد]

وفيها: عزل المعظم المبارز المعتمد عن ولاية دمشق وولى الغرز خليلاً؛ وحج المعتمد بالناس من الشام في هذه السنة، ولم يحج أحد من العجم بسبب

خروج التتار في البلاد. وحج من بغداد آقباش الناصري وقتل بمكة؛ وعاد حاج العراق على طريق الشام، واستفحل أمر التتار في هذه السنة.

[وفاة خوارزم شاه محمد بن تكش]

ومات فيها خوارزم شاه محمد بن تكش[١] وقد ذكرنا صفة موته وما تم له مع التتار في هذه السنة وقبلها في الكتاب الذي اختصرت في سيرة الدولتين العلائية والجلالية. وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي: أنه توفي في سنة خمس عشرة ووهم في ذلك وقال: قصد العراق في أربع مائة ألف ووصل إلى همذان يريد بغداد، وقيل كان معه ستمائة جتر[٢] تحت كل جتر ألف، وكان قد أفنى ملوك خراسان، وما وراء النهر وقتل صاحب سمرقند وكان حسن الصورة وأخلى البلاد من الملوك واستقل بها، وكان ذلك سبباً لهلاكه. قال: ولما نزل همذان كان في عسكره سبعون ألفاً من الخطا فكاتب العلقمي يعني وزير بغداد عساكره ووعدهم بالبلاد فاتفقوا مع الخطا على قتله وبعث العلقمي إليهم بالأموال والخيول والخلع سراً فكان ذلك سبباً لوهنه. ولما علم خوارزم شاه بذلك سار من همذان طالباً خراسان ونزل مرو والتقى في طريقه الخيل والخلع والكتب المنفذة إلى الخطا فلم يمكنه الرجوع لفساد عسكره. وكان خاله من الخطا وقد حلفوه أن لا يطلعه على ما دبروا عليه. فجاء إليه في الليل وكتب في يده صورة الحال ووقف بإزائه فنظر إلى السطور وفهمها وهو يقول: خذ لنفسك فالساعة تقتل. فقام فخرج من تحت ذيل الخيمة ومعه ولداه جلال الدين وآخر فركب وسار بهما. ولما خرج من الخيمة دخل الخطا والعساكر من بابها ظناً منهم أنه فيها فلم يجدوه فنهبوا الخزائن، والخيول؛ والجواري. فيقال إنه كان في خزنته عشرة آلاف ألف دينار؛ وألف حمل قماش أطلس وغيره وعشرون ألف فرس وبغل وكان له عشرة آلاف مملوك مثل الملوك فتمزق الجميع ونهب وأما خوارزم شاه فهرب إلى البحر[٣] وركب في

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٧٤ ـ ٧٧، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠١، ٢٠٢. وشذرات الذهب ٥/ ٧٦.

(٢) الجتر: وهي المظلة، وهي قبّة من حرير أصفر مزركش بالذهب، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب، تحمل على رأسه في العيدين، وهي من بقايا الدولة الفاطمية (صبح الأعشى ٤/ ٦ ـ ٧). وقال في صبح الأعشى ٢/ ١٤١: المظلة واسمه بالفارسية الجنز ـ بنون بين الجيم والزاي المعجمة ـ ويعبر عنها العامة الآن بالقبة والطبر، وهي قبة من حرير أصفر، تحمل على رأس الملك، على رأس رمح بيد أمير يكون راكباً بحذاء الملك، يظلّه بها حال الركوب من الشمس في المواكب العظام.

(٣) بحر الخزر.

مركب صغير إلى جزيرة بها قلعة ليتحصن بها فأدركه الموت دون صعود القلعة فدفنوه على ساحل البحر وهرب ولده جلال الدين وأخوه إلى الهند وجاء الخطا فدلوا عليه فنبشوه وقطعوا رأسه وأخذوه وعادوا وتفرقت الممالك بعده وأخذت البلاد.

[وفاة الملك الفائز]

وفيها: توفي الملك الفائز سابق الدين إبراهيم بن العادل بن أبي بكر بن أيوب(١) وكان قد حالف ابن المشطوب والأمراء بمصر على الكامل لما ملك الفرنج دمياط ولولا أخوهما المعظم يمسك ابن المشطوب وينفيه إلى الشرق على ما سبق ذكره لتم لهم ما أرادوا ولما كانت وقعة البرلس. قال الكامل للفائز: هؤلاء الفرنج قد استولوا على البلاد وقد أبطأ علينا الملك المعظم وما لملوك الشرق غيرك فقم وتوجه إلى الأشرف وعرفه ما نحن فيه من الضائقة فسار إلى الشرق وكان الأشرف على الموصل فمرض الفائز بين سنجار والموصل وقيل إنه سم فمات فردوه إلى سنجار فدفن عند تربة عماد الدين زنكي رحمه الله قيل إنه مات في شعبان من السنة.

[وفاة قتادة بن إدريس]

وفيها: توفي أبو عزيز قتادة بن إدريس أمير مكة الشريف العلوي الزيدي الحسيني(٢) كان عادلاً منصفاً نقمة على عبيد مكة والمفسدين، والحاج في أيامه مطمئنون آمنون على أنفسهم وأموالهم، وكان شيخاً مهيباً طوالاً، وما كان يلتفت إلى أحد من خلق الله، ولا وطئ بساط الخليفة ولا غيره، وكان يحمل إليه في كل سنة من بغداد الخلع والذهب وهو في داره. وكان يقول: أنا أحق بالخلافة. ولم يرتكب كبيرة على ما قيل وكان في زمانه يؤذن في الحرم «بحي على خير العمل» على مذهب الزيدية. وكتب إليه الخليفة يستدعيه ويقول: أنت ابن العم والصاحب وقد بلغني شهامتك، وحفظك للحاج، وعدلك، وشرف نفسك، وعفتك، ونزاهتك، وقد أحببت أن أراك، وأشاهدك، وأحسن إليك فكتب إليه(٣): [الطويل]

ولي كف ضرغام أذل ببطشها فأشري بها بين الورى وأبيع

---

(١) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٧٥، ومفرج الكروب ٤/ ٦٨، الوافي بالوفيات ٦/ ١٢٤، البداية والنهاية ١٣/ ٧٨، الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٣١٦، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٤٩.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٧٦، والبداية والنهاية ١٣/ ٧٨. وقد ذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧، وفاته في سنة ٦١٨هـ.

(٣) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٧٨.

وكل ملوك الأرض تلثم ظهرها ... وفي وسطها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرحى ثم ابتغي ... خلاصاً لها إني إذا لرقيع[١]
وما أنا إلا المسك في كل بقعة ... يضوع وأما عندكم فيضيع

[وفاة آقباش بن عبد الله الناصري]

وفيها: توفي آقباش بن عبد الله الناصري[٢]. كان مملوكاً للخليفة الناصر بن المستضيء اشتراه وهو ابن خمس عشرة سنة بخمسة آلاف دينار، ولم يكن بالعراق أجمل صورة منه؛ ثم قربه الخليفة ولم يكن يفارقه. فلما كبر ولاه إمرة الحاج وكان عاقلاً متواضعاً محبوباً إلى القلوب، حج في هذه السنة ومعه خلع وتقليد من الخليفة لحسن بن قتادة، وكان قتادة قد مات كما ذكرنا فلما وصل آقباش إلى عرفات جاءه راجح بن قتادة أخو حسن وسأله أن يوليه إمارة مكة وقال: أنا أكبر ولد قتادة. فلم يجبه وظن حسن أن آقباش قد ولاه فأغلق أبواب مكة، وجاء آقباش فنزل بعد أيام منى بالسبيكة ووقعت الفتنة بين حسن وأخيه، ومنع حسن الناس من الدخول إلى مكة فركب آقباش ليسكن الفتنة ويصلح بين الأخوين، فخرج عبيد مكة وأصحاب حسن من باب المعلى يقاتلونه فقال: ما قصدي القتال فلم يلتفتوا إليه وانهزم أصحابه وبقي وحده وجاء عبد فعرقب فرسه فوقع إلى الأرض فقتلوه وحملوا رأسه إلى حسن بن قتادة على رمح فنصبه بالمسعى عند دار العباس، ثم رد إلى جسده ودفن بالمعلى، وأراد حسن نهب الحاج العراقي فمنعه أمير حاج الشام المبارز وخوفه من الأخوين الكامل والمعظم ملكي مصر والشام فأجابه وكف عن ذلك، ووصل الخبر إلى بغداد فحزن الخليفة حزناً عظيماً، ولم يخرج الموكب للقاء الحجاج. وادخل الكوس والعلم في الليل، وكان سادس عشر ذي الحجة.
قلت: وكان في حج الشام في هذه السنة شيخنا فخر الدين أبو منصور بن عساكر فأخبرني بعض الحاج في ذلك العام أن الحسن بن قتادة أمير مكة جاء إليه وهو نازل داخل مكة فقال له: قد أخبرت إنك خير أهل الشام فأريد أن تصير معي إلى داري فلعل ببركتك تزول هذه الشدة عنا. فسار معه إلى داره مع جماعة من الدمشقيين فأكلوا شيئاً فما استتم خروجهم حتى قتل آقباش وزال ذلك الاستيحاش.

---

(١) الرقيع: الأحمق.
(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/٧٨. وقد ذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ ١٠/٤٢٦ ـ ٤٢٧، وفاته في سنة ٦١٨هـ.

[وفاة ناصر الدين بن مهدي]

وفيها: مات الوزير ناصر الدين بن مهدي[(١)] الذي كان وزير الخليفة ببغداد وقبض عليه كما ذكرنا في سنة أربع وستمائة واعتقل بدار طاشتكين وبها مات في جمادى الأولى وفتح له جامع القصر، ومشى بين يديه أرباب الدولة دفن بمقبرة موسى بن جعفر وكان جباراً قاسياً وكان يدعي أنه شريف علوي وقد طعن في نسبه.

[وفاة الملك المنصور صاحب حماه]

وفيها: توفي الملك المنصور صاحب حماة. واسمه محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب[(٢)] وكان شجاعاً محباً للعلماء، والفضلاء، وكان عنده جماعة لهم عليه الرواتب وصنف كتاباً سماه «المضمار» جمع فيه جملة من التواريخ وأسماء من ورد عليه وأقام عنده في عشر مجلدات[(٣)]، وكان حفظ المسلمين لما هاجم الفرنج حماة في سنة إحدى وستمائة وثبت ووقف وكانت وفاته بحماة في شوال ودفن عند أبيه وقام بعده ولده الأكبر الملك الناصر قليج أرسلان، ثم أخذ الكامل منه حماة وأعطاها لأخيه المظفر بن المنصور، واعتقل قليج أرسلان في الجب بمصر فمات به على أقبح حال.

[وفاة الملك الصالح صاحب آمد]

وفيها: توفي صاحب آمد الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق[(٤)]. وكان شجاعاً، عاقلاً، جواداً، محباً للعلماء، وكان الأشرف بن العادل يحبه وجاء غير مرة إلى خدمة الأشرف إلى دنيسر وغيرها، ومات بآمد في صفر. وقام بعده ولده المسعود وكان بخيلاً فاسقاً، وهو الذي أخذ منه الكامل آمد وحمله إلى مصر فحبسه في الجب مدة ثم أطلقه فمضى إلى التتار ومعه أموال فأخذت. قلت: ذكر الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري رحمه

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٧٨. والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٢٥.

(٢) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٣٣٧ ـ ٣٣٩، فوات الوفيات ٤/ ٤٨٩، الوافي بالوفيات ٤/ ٤٥٩، وفيات الأعيان ٣/ ١٢٩، مفرج الكروب ٤/ ٧٧، السلوك ١/ ٢٠٥، تاريخ أبي الفداء ٣/ ١٢٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٠، البداية والنهاية ١٣/ ٧٩، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٠، ترويح القلوب ص٥٢، شذرات الذهب ٥/ ٧٧ ـ ٧٨، كشف الظنون ٦/ ١١٠.

(٣) وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ٦/ ١١٠، له مؤلفات وهي: «طبقات الشعراء» عشر مجلدات، «مضمار سر الحقائق وسير الخلائق» في التاريخ.

(٤) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٧٩.

الله تعالى في كتاب الوفيات: أن صاحب آمد المذكور توفي سنة تسع عشرة وستمائة وهو الصحيح، وقد تصحف على صاحب هذا التاريخ سبع عشرة من تسع عشرة والله أعلم. ولقد رأيت بخط الشيخ زكي الدين أيضاً في كتاب «الفوائد السفرية» أن الملك المسعود سلمان بن محمد وهو أخو الصالح المذكور كان متولّي آمد وسقط من سطح فمات سنة ست وتسعين وخمسمائة وتولى مكانه أخوه الصالح محمود إلى أن مات.

[وفاة ابن الخبازي]

وفيها: توفي أبو عبد الله بن الخبْازي واسمه: الحسين بن أحمد بن الحسين من أهل باب البصرة ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وسمع الحديث وكان حفظه للحكايات والأشعار والملح. قال أبو المظفر: وكان يتردد إلى جدي ويعجبه كلامه وسمعه يوماً يحكي له أن ابن عقيل سئل فقيل له إن الحمار يزد له في السنة في ليلة واحدة فإنما هي هذه الليلة. فقال ابن عقيل: ما يعرف هذه الليلة إلا من قد كان حماراً. قال ودخل رجل إلى الكرخ فلقيته امرأة فقالت له: أبو بكر كيف أنت؟ فقال: أهلا يا عيشة. قالت: فأنا اسمي عيشة. قال: فأقبل أنا وحدي. وكانت وفاته برمضان سمع شهدة وطبقتها وكان ثقة.

[وفاة صدر الدين بن حمويه]

وفيها: توفي شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد ابن شيخ الشيوخ عماد الدين محمد ابن حمويه[(١)] والد أولاد شيخ الشيوخ الذين اشتهروا بالأمر والوزارة بمصر في أيام العادل أبي بكر بن أيوب وابنه الكامل محمد وذريته وكان أبوه عمر قد ولاه نور الدين بن زنكي رحمه الله خوانك[(٢)] الشام وكان يحترمه

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٧٨ ـ ٧٩ وفيه: شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد ابن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجويني. وانظر أيضاً شذرات الذهب ٥/ ٧٧، وفيه: صدر الدين شيخ الشيوخ أبو الحسن محمد ابن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن علي الجويني. والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٢٥، وفيه: صدر الدين أبو الحسن محمد بن عمر بن حمويه الجويني شيخ الشيوخ بمصر والشام. وكشف الظنون ٦/ ١١٠، وفيه: محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني، صدر الدين الشافعي الصوفي المعروف بابن حمويه، له من الكتب: «سلوة الطالبين» في التصوف. وانظر أيضاً تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠١.

(٢) خوانك: جمع خانقاه، فارسية معناها: بيت، وأصلها: خونقاه، أي الموضع الذي يأكل فيه الملك (مصطلحات صبح الأعشى ص١١٥، وخطط المقريزي ٢/ ٤١٤).

ويحبه ومات سنة سبع وسبعين وخمسمائة وصدر الدين بدمشق عند أبيه فولاه صلاح الدين المشيخة مكان أبيه وزوجه الشيخ قطب الدين مسعود النيسابوري ابنته فأولدها ابنه شمس الدين توفي قديماً ثم تزوج ابنة ابن أبي عصرون وأولدها أولاده الأربعة المشهورين عماد الدين عمر، وفخر الدين يوسف وكمال الدين أحمد، ومعين الدين حسن وسيأتي ذكر كل منهم وكان صدر الدين قد ناب عن قطب الدين النيسابوري في التدريس بالزاوية الغربية بجامع دمشق وبمدرسة جاروخ وانتفع بصحبته، وكان قد نفعه في بلاد العجم، ثم ولاه العادل بمصر التدريس بالشافعي، ومشهد الحسين، والنظر في الخانقاه الكبرى بدار سعيد السعداء بين القصرين، ودار الوزارة، وكان فاضلاً فقيهاً لا يتكلم فيما لا يعنيه: وكانت له الحرمة الوافرة عند العادل بن أيوب وأولاده، ولما استولى الفرنج على دمياط بعثه الكامل، إلى الخليفة الناصر يستنجده على الفرنج فمرض بين حران والموصل، ووصل إلى الموصل في منتصف جمادى الآخرة فتوفي بها بعلة الذرب في الرابع والعشرين منه ودفن إلى جانب قضيب البان وعمره ثلاث وسبعون سنة.

[وفاة عبد الله اليونيني]

وفيها: في العشر الأول من ذي الحجة توفي الشيخ عبد الله اليونيني(١) أسد الشام أصله من قرية من قرى بعلبك يقال لها يونين؛ وكان صاحب رياضات ومجاهدات، وكرامات، وإشارات وقد رأيته بجامع دمشق. قال سبط ابن الجوزي: كان لا يقوم لأحد من الناس تعظيماً لله تعالى. ويقول: لا ينبغي القيام إلا لله تعالى صحبته مدة، وما كان يدخر شيئاً ولا يمس بيده ديناراً ولا درهماً. كان زاهداً؛ ورعاً عفيفاً وما لبس طول عمره سوى الثياب الخام وقلنسوة من جلد الماعز تساوي نصف درهم، وفي الشتاء يبعث له بعض أصحابه فروة يلبسها ثم يؤثر بها في البرد، وكان إذا لبس الثوب يقول هذا لفلان. وهذا لفلان. وقال لي يوماً: يا سيدي أنا أبقى أياماً في هذه الزاوية، وكنا ببعلبك ما آكل شيئاً فقلت له: أنت صاحب القبول فكيف تجوع؟ فقال: لأن أهل بعلبك يتكل بعضهم على بعض فأجوع أنا. قال: وحدثني عبد الصمد خادمه قال: كان يأخذ ورق اللوز فيفركه ويسفه. وكان الملك الأمجد صاحب بعلبك يزوره ويحبه. وكان الشيخ يهينه فما قام له يوماً قط. وكان يقول له يا مجيد أنت تظلم وتفعل وتصنع وهو يعتذر إليه؛

(١) هو أبو عثمان عبد الله بن عبد العزيز بن جعفر، الزاهد الكبير، أسد الشام. انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٧٩ ـ ٨٠، وشذرات الذهب ٥/ ٧٣ ـ ٧٥.

وكان العادل قد أظهر بدمشق ضرب قراطيس سود فقال الشيخ عبد الله: يا مسلمين انظروا إلى هذا الشيخ الفاعل الصنائع يفسد على الناس معاملاتهم؛ وبلغ العادل فأبطلها. وكان يقول لصاحبه الفقيه محمد الحنبلي في وفيك نزل: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]. أنا من الرهبان وأنت من الأحبار، وكان يستوحش من الناس فتارة يكون بجبل لبنان، وتارة يكون بالغوطة، وتارة بثنية العقاب، وتارة بضمير، وكان يأتي في الشتاء إلى عيون الفاسريا وهي ظاهر دمشق بسفح الجبل المطل على قرية دومة لأجل سخونة الماء بها وبنى له على رأس العين مسجداً صغيراً يأوي إليه وكان الدماشقة يخرجون من دمشق إلى زيارته قال: فحكت لي امرأة صالحة قالت: خرجت من دمشق بعد العصر فوصلت العيون بعد العشاء الآخرة فتوضأت وطلعت إلى زيارة الزاوية وكانت ليلة مقمرة وإذا بالسبع قائماً على باب الزاوية ورأيته على عتبتها فيبست ولم أقدر أتحرك فسحبت ركبتي إلى نحو القرية. فلما كان وقت السحر هرول السبع ومضى وخرج الشيخ فرآني فقال: ويلك وإيش كان عليك منه. قال: وكان شجاعاً لا يبالي بالرجال قلوا أو كثروا وكان قوسه ثمانين رطلاً، وما فاته غزاة بالشام قط، وكان يتمنى الشهادة ويلقي نفسه في المهالك. حكى لي عنه خادمه عبد الصمد قال: لما دخل العادل إلى بلاد الفرنج ووصل إلى صافيتا والعريمة كان الشيخ في الزاوية ببعلبك فقال لي: يا صميد انزل إلى الفقيه عبد الله اطلب لي منه بغلة. قال: فأحضرت البغلة فركبها وخرجت معه فبتنا في تومين وقمنا نصف الليل فجئنا إلى المحدثة قبيل الصبح فقلت له: لا تتكلم هاهنا. فهذا مكمن الفرنج. قال: فرفع صوته، وقال: الله أكبر فجاوبته الجبال قمت أنا من الفزع ونزلت فصلى الفجر وركب وطلعت الشمس والطير لا يطير في تلك الأرض وإذا قد لاح من ناحية حصن الأكراد طلب أبيض فظنهم الاسبتار[1]. فقال: الله أكبر ما أبركك من يوم اليوم أمضي إلى صاحبي وساق إليهم وقد شهر سيفه. فقلت في نفسي شيخ وتحته بغلة وبيده سيف يسوق إلى طلب الفرنج فلما كان بعد ساعة وإذا بهم قد قربوا منا وهم مائة حمير وحش قال: فانكسر قلبي وفترت همتي فقلت له: احمد

---

(١) الإسبتار: طائفة دينية عسكرية مسيحية، معروفة في المصادر العربية بالإسبتارية، أو الإخوة الإسبتارية، ويطلق عليهم أيضاً «منظمة فرسان القديس يوحنا». أو فرسان بيت المقدس، جاءت مع الحملات الصليبية بدافع الشحن العقائدي الديني، وتميز أتباعها بالثوب الأسود والصليب الأبيض على الصدر، ومثلها طائفة أخرى عرفت باسم «الداوية»، أو «الإخوة الداوية» أو «فرسان المعبد». (انظر الموسوعة الفلسطينية ١/ ٢٠٥).

ربك فإن الله قد نظر إليك أنت واحد تريد تلاقي مائة حمار وجحش على بغلة. قال: وجئنا إلى حمص فجاءنا صاحبها أسد الدين وقدم له حصاناً من خيله فركبه ودخل معهم فعمل العجائب. قال أبو المظفر: وحدثني القاضي جمال الدين بن يعقوب قاضي كرك البقاع. قال: كنت يوماً عند الجسر الأبيض في مسجد هناك وقت الحر وإذا بالشيخ عبد الله قد جاء فنزل نهر ثورا يتوضأ وإذا بنصراني عابر على الجسر ومعه بغل عليه حمل خمر فعثر البغل عند الجسر ووقع حمل الخمر وليس في الطريق أحد فصعد الشيخ من النهر وصاح لي يا فقيه تعالى فجئت فقال: عاوني فعاونته حتى رفعنا الحمل على البغل وراح النصراني. فقلت في نفسي مثل هذا الشيخ يفعل كذا، ثم مشيت خلف البغل إلى العقيبة فجاء إلى دكان الخمار فحط الحمل وفتح الزقاق وقلب ليكيله وإذا به قد صار خلاً فقال له الخمار ويحك هذا خل فبكى وقال: والله ما كان إلا خمراً من ساعة وإنما أنا أعرف العلة ثم ربط البغل في الخان وعاد إلى الجبل؛ وكان الشيخ قد صلى الظهر في المسجد الذي عند الجسر وقعد يسبح؛ فدخل عليه النصراني وقال يا سيدي: أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأسلم وصار فقيراً قال أبو المظفر: وحكى لي جماعة من أهل بعلبك أنه كان جالساً يوماً في زاويته وإذا بامرأة طالعة وبين يديها دابة تسوقها عليها نحاس وثياب فربطتها وجاءت إليه فسلمت عليه فقال لها: من أنت؟ قالت: نصرانية من جبة المنيطرة. قال: وما الذي جاء بك إلى عندي؟ قالت: رأيت السيدة مريم في المنام فقالت لي: اذهبي فاخدمي الشيخ عبد الله اليونيني إلى أن تموتي. قالت: فقلت لها يا ستي فذاك مسلم. فقالت: مالك صحيح أنه مسلم ولكن قلبه نصراني. فقال لها الشيخ: أجادت مريم ما عرفني غيرها. فأعطاها بيتاً في الزاوية فأقامت تخدمه ثمانية أشهر فمرضت. فقال لها الشيخ: إيش تشتهين. فقالت: أموت على دين السيدة مريم. فقال: صيحوا بالقسيس. فجاء. فقال: خذ هذه إليك. وخذ قماشها، وكان يساوي خمسمائة درهم فماتت عند القسيس. قال: وحكى بعض أهل بعلبك أنها ما ماتت إلا مسلمة عند الشيخ وتصدق الشيخ بما خلفت. قال أبو المظفر: كنت اجتمعت به في الشام من ستمائة إلى سنة ثلاث وستمائة وكان له تلميذ اسمه توبة وكان من الصالحين الأجواد؛ وسافرت إلى العراق في سنة أربع وستمائة وحججت فلما كان يوم عرفة صعدت جبل عرفات وإذا بالشيخ عبد الله قاعد مستقبل الكعبة وعليه الثوب الخام وعلى رأسه القلنسوة السوداء فسلمت عليه فرحب بي وسألني عن طريقي وقعدت عنده إلى قريب الغروب ثم قلت له: ما تقوم نروح إلى المزدلفة. قال: اسبقني أنت فلي رفاق

ونزلت من الجبل وأتيت المزدلفة ووقفت بها وجئت إلى منى فدخلت مسجد الخيف وإذا بالشيخ توبة خارجاً من المسجد فسلم علي فقلت: أين نزل الشيخ؟ ظناً مني أنه قد حج معه فقال: أيما شيخ؟ قلت: عبد الله. قال: خلفته ببعلبك ففطنت فقلت: مبارك. فلزم بيدي وبكى وقال: بالله حدثني إيش معنى هذا. فقلت: رأيته البارحة على عرفات وحدثته الحديث ورجعت أنا على بغداد وجاء توبة إلى دمشق وحدث الشيخ عبد الله الحديث فحدثني توبة قال: قال لي الشيخ ما هو صحيح منك فلان فتى والفتى ما يكون غمازاً، فلما عدت إلى الشام عتبني الشيخ فقلت: توبة تلميذك. فقال: لا تعد إلى مثلها كأنه كره أن يتحدث له بكرامة في حال حياته. قال: حكى لي عبد الصمد خادمه. قال: لما كان يوم الجمعة في العشر الأول من ذي الحجة نزل فصلى الجمعة بجامع بعلبك وهو صحيح ليس به شيء ودخل الحمام قبل الصلاة واغتسل وكان عليه ثوبان قد سماهما لامرأتين وجاءه داود المؤذن وكان يغسل الموتى فقال له: ويحك يا داود انظر كيف غدا. فما فهم داود وقال: يا سيدي كلنا غدا في خفارتك. ثم صعد الشيخ إلى المغارة وكان قد أمر الفقراء أن يقطعوا صخرة عند اللوزة التي كان ينام تحتها ويقعد عندها وعندها قبره، وكان في نهار الجمعة قد نخرت الصخرة وبقي منها مقدار نصف ذراع. فقال لهم: لا تطلع الشمس إلا وقد فرغتم منها. قال: وبات طول الليل يذكر أصحابه ومعارفه ويدعو لهم ويقول: يا سيدي فلانة اجتزت بها في الموضع الفلاني أعطتني مشربه من الماء فشربتها وقليل ماء فتوضأت به رب اغفر لها وفلان أحسن إلي فأحسن إليه، وطلع الصبح فصلى وخرج إلى صخرة كان يجلس عليها فجلس عليها وفي يده مسبحته وقام الفقراء يتممون الصخرة وطلعت الشمس وقد فرغوا منها والشيخ قاعد نائم والمسبحة بيده وجاء خادم من القلعة إليه في شغل فرآه نائماً قاعداً بحاله فما تجاسر أن يوقظه فقعد ساعة وطال عليه. فقال: يا عبد الصمد ما أقدر أقعد أكثر من هذا. قال: فتقدمت إليه وقلت: سيدي سيدي. فلم يتكلم فحركته فإذا به ميتاً وقد فرغوا من الصخرة وعملوا فيها ساعة وهو ميت فارتفع الصياح وكان صاحب بعلبك في الصيد فأرسلوا وراءه فجاء فرآه على تلك الحال لا وقع ولا وقعت السبحة من يده وهو كأنه نائم. فقال: دعونا نبني عليه بنياناً وهو على حاله ليكون أعجوبة للدنيا أن الإنسان يموت وهو قاعد ولا يتغير. فقالوا: اتباع السنة أولى وطلع داود فغسله ودفع الثوبين إلى المرأتين ولما ألحدوه قال له الحفار يا شيخ عبد الله اذكر ما عاهدتنا عليه. قال: ففتح عينيه ونظر إليّ شذراً ودفن عند اللوزة يوم السبت وقد جاوز ثمانين سنة رحمه الله.

[اجتماع المعظم عيسى وأخيه الأشرف موسى]

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة[١]

ففيها: توجه المعظم عيسى إلى أخيه الأشرف موسى واجْتمعا على حران وكتب صاحب ماردين ناصر الدين إلى الأشرف يسأله أن يصعد المعظم إليه فسأله فسار إلى ماردين فنزل صاحب ماردين والتقاه في دنيسر وأصعده إلى القلعة وخدمه خدمة عظيمة وقدم له التحف والجواهر وتحالفا واتفقا على ما أراد وزوج المعظم إحدى بناته ناصر الدين صاحب ماردين. وزوج ناصر الدين ابنته الأخرى وخلع على جميع أصحابه وأعطاهم الأموال ورجع المعظم إلى حران.

[وصول التتار إلى كرمان]

وفيها: وصلت الأخبار بوصول التتار إلى كرمان شاه قريباً من بغداد فانزعج الخليفة وأمر الناس بالقنوت في الصلاة وحصن بغداد واستخدم العساكر.

[استرداد المسلمين دمياط]

وفيها: في جمادى الآخرة استرد المسلمون دمياط من الفرنج وكان المعظم عيسى من أحرص الناس على خلاص دمياط وعلى الغزاة، وكان مصافياً لأخيه الكامل وكان أخوهما الأشرف مقصراً في حق الكامل، وكان مبايناً له في الباطن فلما اجتمعت العساكر على حران قطع لهم المعظم الفرات وسار الأشرف في آثاره، وجاء المعظم فنزل حمص، ونزل الأشرف سلمية، قال أبو المظفر: وكنت قد خرجت من دمشق إلى حمص لطلب الغزاة فإنهم كانوا على عزم الدخول إلى طرابلس فاجتمعت بالمعظم على حمص في ربيع الآخر، فقال لي: قد سحبت الأشرف إلى هنا بأسناني وهو كاره وكل يوم أعتبه في تأخره وهو يكاشر، وأخاف من الفرنج أن يستولوا على مصر وهو صديقك فأشتهي تروح إليه فقد سألني عنك مراراً ثم كتب إلى أخيه كتاباً بخطه نحو ثمانين سطراً فأخذته ومضيت إلى سلمية وبلغ الأشرف وصولي فخرج من الخيمة والتقاني وعاتبني على انقطاعي عنه وجرى بيني وبينه فصول وقلت له المسلمون في ضائقة فإذا أخذ الفرنج الديار المصرية ملكوا إلى حضرموت، وعفوا آثار مكة، والمدينة؛ والشام وأنت بلغت. قم الساعة وارحل. فقال: ارموا الخيام والدهليز فسبقته إلى حمص والمعظم عينه إلى الطريق

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٨٠ ـ ٨٣، وشذرات الذهب ٥/ ٧٨ ـ ٨٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٢٦ ـ ٤٢٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

فلما قيل له وصل فلان ركب والتقاني وقال ما نمت البارحة ولا أكلت اليوم شيئاً. فقلت: غداً بكرة يصبح أخوك على حمص فدعا لي ولما كان من الغد أقبلت الأطلاب[١]، وجاءته طلب الأشرف والله ما رأيت أجمل ولا أحسن رجالاً ولا أكمل عدة، فسر المعظم سروراً عظيماً وجلسوا تلك الليلة يتشاورون فاتفقوا على الدخول في السحر إلى طرابلس يشوشون على الفرنج وكانوا على حال فأنطق الله الأشرف من غير قصد وقال للمعظم: يا خوند عوض ما ندخل الساحل وتضعف خيلنا وعساكرنا ونضيع الزمان ما نروح إلى دمياط ونستريح؟ فقال له المعظم: قول رماة البندق[٢]. قال: نعم. فقبل المعظم قدمه وقام الأشرف فخرج المعظم من الخيمة كالأسد الضاري يصيح الرحيل الرحيل إلى دمياط وكان يظن أن الأشرف ما يسمح بذلك وساق المعظم إلى دمشق وتبعته العساكر ونام الأشرف في خيمته إلى قريب الظهر وانتبه فدخل الحمام فلم ير حول خيمته أحداً. فقال: وأين العساكر؟ فأخبروه الخبر فسكت وساق إلى دمشق فنزل القصر يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى فأقام إلى سلخ جمادى وعرض العساكر تحت قلعة دمشق، وكان هو وأخوه المعظم في الطيارة في القلعة، وساروا إلى مصر غرة جمادى الآخرة قلت: كنت حاضراً تحت القلعة وتلك العساكر تمر أميراً بعد أمير والناس يتضرعون ويدعون لهما بالنصر، فاشتدت قوى المسلمين وأيقنوا بالظفر. ولأجل ما كان للملك المعظم من الآثار الجميلة في سفره إلى الشرق تجمع هذه العساكر وتيسر الوصول بها إلى مصر قال شيخنا أبو الحسن (السخاوي) رحمه الله من جملة قصيدة له عند فتح دمياط: [الطويل]:

سرى الملك المولى المعظم في الدجى ... فاطلع نجم النصر بعد مغيبه
ورد على الإسلام بعد كآبة ... سروراً وآوى الدين بعد شحوبه
تجلى بعيسى غمها[٣] واعتدى بها ... فريداً وأضحى بحرها من نصيبه

---

(١) الأطلاب: جمع طُلْب، بضم أوله، وهي وحدات صغيرة قد تبلغ أربعمائة يرأسها أمراء يعملون في وظائف البلاط أو الدولة، وكان للسلطان نفسه أطلاب من الفرسان في عدد صغير ويقول ابن إياس: إن هذا اللفظ ظهر في أيام صلاح الدين الأيوبي، ويذكر المقريزي أن الطلب في لغة الغزّ هو أمير له لواء وبوق ومائتا فارس إلى مائة إلى سبعين (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٣٦).

(٢) البندق: ويسمى أيضاً «الجلاهق» وسميت به أيضاً قوس البندق. استعملت أيام المماليك بمصر لإطلاق كرات الرصاص. وهي قوس يتخذ من القنا ويلف عليه الحرير ويغرى، وفي وسط وتره قطعة دائرة تسمى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرمي. وقد كان للبندق سوق خاص في مصر عرف باسم: البنداقيين (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٦٨).

(٣) تجلى بعيسى غمها: أي انجلى غم دمياط بعيسى الملك المعظم.

وسمعت ممن يوثق به في مجلس شيخنا أبي الحسن السخاوي رحمه الله يقول: إنه رأى في منامه في بعض تلك الليالي كأن هاتفاً يقول له: [الكامل]

لا تيأسن لعسرة فوراءها يسران وعد ليس فيه خلاف

كم كربة قلق الفتى لنزولها لله في أعطافها ألطاف

قلت: والبيتان لأبي الفتح البستي. قال أبو المظفر: وأما الفرنج الذين كانوا بدمياط فإنهم خرجوا بالفارس والراجل وكان البحر زائداً جداً فجاؤوا إلى ترعة فأرسوا إليها وفتح المسلمون عليهم الترع من كل مكان. وأحدقت بهم عساكر الكامل فلم يبق لهم وصول إلى دمياط وجاء أسطول المسلمين فأخذوا مراكبهم ومنعوهم أن يصل إليهم ميرة من دمياط، وكانوا خلقاً عظيماً، وانقطعت أخبارهم عن دمياط وكان فيهم مائة كند[1] وثمانمائة من الخيالة المعروفين، وملك عكّا والدوك، والدوكات، ونائب البابا، ومن الرجالة ما لا يحصى فلما عاينوا الهلاك أرسلوا إلى الكامل يطلبون الصلح والرهائن ويسلمون دمياط فمن حرص الكامل على خلاص دمياط أجابهم. ولو أقاموا يومين أخذهم برقابهم فبعث إليهم الكامل ابنه الصالح أيوب، وابن أخيه شمس الملوك وجاءت ملوكهم إلى الكامل فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام ووصل المعظم والأشرف في تلك الحال إلى المنصورة في ثالث رجب فجلس الكامل مجلساً عظيماً في خيمة كبيرة عالية ومد سماطاً عظيماً وأحضر ملوك الفرنج والخيالة ووقف في خدمته أخواه المعظم والأشرف وغيرهما وقام راجح الحلي الشاعر فأنشده: [الطويل]

هنيئاً فإن السعد راح مخلدا وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا

حبانا إله الخلق فتحاً بدا لنا مبيناً وإنعاماً وعزاً مؤيّدا

تهلل وجه الدهر بعد قطوبه وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا

ولما طغى البحر الخضم بأهله الـ ـطغاة وأضحى بالمراكب مزبدا

أقام لهذا الدين من سل عزمه صقيلاً كما سل الحسام مجردا

فلم تر إلا كل شلو مجدل ثوى منهم أو من تراه مقيدا

ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً عقيرته في الخافقين ومنشدا

أعباد عيسى إن عيسى وحزبه وموسى جميعاً ينصران محمدا

قلت: وبلغني أنه وقت الإنشاد أشار عند قوله عيسى إلى المعظم، وعند قوله

(١) الكند: من كبراء أمراء الفرنج.

موسى إلى الأشرف وعند قوله محمداً إلى الكامل. وهذا من أحسن شيء اتفق.

قال أبو المظفر: ووقع الصلح بين الكامل والفرنج يوم الأربعاء تاسع عشر رجب وسار بعض الفرنج في البر، وبعضهم في البحر إلى عكا، وتسلم الكامل دمياط ووصلت العساكر الشرقية والشامية وقد أخذ الكامل دمياط؛ وعاد المعظم إلى الشام، وأقام الأشرف بمصر عند الكامل فغير الله سبحانه القلوب فصارا متصادقين واتفقا على المعظم.

وفيها: حج بالناس من الشام أمير يقال له شقيقات، وحج أبي إسماعيل معه تلك السنة. وحج بالناس من العراق ابن أبي فراس ومعه كتاب الخليفة إلى مكة والمدينة بإعادة ولي العهد أبي نصر محمد إلى العهد وكتب إلى الآفاق بذلك.

وفيها: ولي المعظم جمال الدين المصري الوكيل[1] قضاء الشام وكان يكتب في السجلات قاضي قضاة الشام وذلك في رجب.

[وفاة محمد بن خلف بن راجح المقدسي]

وفيها: توفي الشيخ الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسي الحنبلي[2] أحد الشيوخ الصالحين الساكنين بالدير بسفح جبل قاسيون وكنت أراه يوم الجمعة قبل الزوال يجلس على درج المنبر السفلي بجامع الجبل وبيده كتاب من كتب الحديث وأخبار الصالحين يقرأه على الناس إلى أن يؤذن المؤذن للجمعة. قال أبو المظفر: وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، فاضلاً في فنون العلم وسافر إلى بغداد وسمع الكثير من شهدة وابن البطي، ومشايخ الشام وغيرهم. وحفظ مقامات الحريري في خمسين ليلة فتشوش خاطره وكان مما يغسل باطن عينيه قد قل نظره، وكانت وفاته يوم الأحد سلخ صفر ودفن بقاسيون عند أهله وكان سليم الصدر من الأبدال ما خالف أحداً قط، رأيته يوماً وقد خرج من جامع الجبل فقال له إنسان: ما تروح إلى بعلبك. فقال: بلى. فمشى من ساعته إلى بعلبك بالقبقاب. قلت: وسيأتي ذكر ولديه القاضي نجم الدين أحمد، والصلاح موسى.

[وفاة ضياء الدين القوصي]

وفيها: توفي صاحبنا ضياء الدين علي بن عبد السيد بن ظافر القوصي ابن

---

(١) الوكيل: أي وكيل بيت المال.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨١، وشذرات الذهب ٨/ ٨٢. وهو شهاب الدين محمد بن خلف بن راجح بن بلال بن هلال بن عيسى بن موسى بن الفتح بن زريق المقدسي ثم الدمشقي، الإمام أبو عبد الله الحنبلي.

أخت الشهاب القوصي. كان من أصحاب شيخنا السخاوي، وشيخنا فخر الدين بن عساكر، وله شعر حسن ومولده بقوص سنة سبعين وخمسمائة وأجازني من الشيخ علم الدين في القرآن عندي بخطه.

[وفاة خطيب بيت الآبار]

وفيها: في ليلة الجمعة الحادية والعشرين من رجب توفي خطيب بيت الآبار الشيخ موفق الدين أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن كامل المقدسي[(١)]، وكان شيخاً صالحاً وخطب على منبر دمشق مدة غيبة الخطيب جمال الدين الدولعي في الرسالة العادلية إلى بلاد الشرق رحمهما الله.

[وفاة ابن الأنماطي]

وفيها: أو في السنة التي بعدها في ثالث عشر رجب توفي الحافظ المحدث تقي الدين أبو طاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن المصري المعروف بابن الأنماطي[(٢)] كان في زمانه أحذق الناس بقراءة الحديث وكتابته وإفادة الشيوخ وحسن كتابة طبقات السماع وحصل كتباً كثيرة، وكتب بخطه أجزاء عديدة وكان سريع الكتابة والقراءة جداً مع معرفة بعلم الحديث واطلاع على دقائق فيه، وكانت كتبه تكون في البيت بالكلاسة الذي كان بيد الملك المحسن أحمد بن صلاح الدين قبله، ثم انتقل منه لما أريد إسكان الشيخ عبد الصمد الدكالي الزاهد به، ثم بقي أصحاب عبد الصمد إلى الآن، وسمعت الشيخ التقي عمر بن الصلاح رحمه الله يثني عليه بعد موته في معرفة الحديث ويتأسف لفقده على فوائد كانت تحصل من عنده، قال أبو المظفر: سمع الكثير ولقي الشيوخ وكانت وفاته بدمشق ودفن بمقابر الصوفية في طريق المنيبع وصلى عليه الموفق الحنبلي بجامع دمشق، والفخر بن عساكر بباب النصر والجمال المصري قاضي القضاة عند قبره، وكان سمع بمصر من البوصيري، وابن المقدسي وبدمشق من بركات بن إبراهيم الخشوعي، ورحل إلى العراق فسمع أبا الفتح بن الميداني؛ وابن عبد السميع الهاشمي وابن طبرزد، وابن سكينة، وابن الأخضر، وحنبلاً. وقرأ على الشيخ تاج الدين الكندي بدمشق تاريخ الخطيب، وطبقات ابن سعد وشيئاً كثيراً وكان ثقة. قلت: وقرأ على القاضي

(١) في البداية والنهاية ١٣/ ٨١ ـ ٨٢، هو موفق الدين أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل المقدسي، خطيب بيت الأبار.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٢، وذكره في شذرات الذهب ٥/ ٨٤، في وفيات سنة ٦١٩هـ.

أبي القاسم بن الحرستاني من كتب البيهقي كثيراً مثل السنن الكبرى ومعرفة السنن والآثار، والدلائل النبوية والآداب والدعوات.

[ظهور الجراد بالشام]

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة[1]

ففيها: ظهر بالشام جراد كثير لم يعهد مثله فأكل الزرع والشجر والثمر فأظهر المعظم أن ببلاد العجم طيراً يقال له السمرمر[2] يأكل الجراد فأرسل الصدر البكري محتسب دمشق ورتب معه صوفية وقال: يمضي إلى العجم فهناك عين تجتمع فيها السمرمر فتأخذ من مائها في قوارير وتعلقه على رؤوس الرماح فكلما رآه السمرمر تبعك وما كان مقصوده إلا أن يبعث البكري إلى جلال الدين خوارزم شاه واتفق معه لما بلغه اتفاق أخويه الكامل والأشرف عليه فاجتمع البكري بالخوارزمي وقرر معه الأمور وجعله سنداً له، وكان الجراد قد قل فلما عاد البكري كثر الجراد. قال الناس في ذلك أشعاراً وظهر فعل المعظم للناس وعلم الكامل والأشرف وشاع الحديث فقيل للمعظم لو كنت بعثت رسالة مع بعض التجار الذين يسافرون إلى خراسان كان أولى ولما عاد البكري من الرسالة ولاه المعظم مشيخة الشيوخ مضافة إلى الحسبة.

وفيها: حج من العراق ابن أبي فراس مستقلاً، ومن الشام كريم الدين الخلاطي ومعه الركن الفلكي وخلق كثير وكانت الوقفة الجمعة وازدحم الناس في المسعى فمات جماعة. قال أبو المظفر: وكنت على عزم الحج فخرجت على هجين إلى مسجد القدم فجاء حوراني عليه فروة ليصافحني فنفر منه الهجين فأقمت شهرين أداوي ظهري. وحج بالناس من اليمن أطسيس[3] بن الكامل ولقبه الملك المسعود في عسكر عظيم فجاء إلى الجبل وقد لبس هو وأصحابه السلاح ومنع علم الخليفة أن يصعد به إلى الجبل وأصعد علم أبيه الكامل وعلمه وقال لأصحابه إن اطلع البغاددة علم الخليفة فاكسروه وانهبوهم ووقفوا تحت الجبل من الظهر إلى غروب الشمس يضربون الكوسات ويتعرضون للحاج العراقي وينادون يا تارات ابن

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٨٣ ـ ٨٤، وشذرات الذهب ٥/ ٨٤ ـ ٨٧، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٣٠ ـ ٤٣٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) السمرمر: هو معروف إلى اليوم في بلاد الأناضول.

(٣) أطسيس: بمعنى ما له اسم. كان لا يعيش لوالده ولد فقيل له إذا خليته من غير اسم يعيش، ففعل فعاش واشتهر بهذا الاسم. ويقال في اللهجة الحديثة «آدسز» ويصحف إلى شتى الألفاظ (من هامش الأصل).

المقدم فأرسل ابن أبي فراس أباه وكان شيخاً كبيراً إلى أطسيس وأخبره بما يجب من طاعة الخليفة وما يلزمه في ذلك من الشفاعات. فيقال إنه أذن في صعود العلم قبيل المغرب. وقيل لم يأذن. قال: وبدا من أطسيس في تلك السنة جبروت عظيم. حكى لي شيخنا جمال الدين الحصيري رحمه الله قال: رأيت أطسيس قد صعد على قبة زمزم وهو يرمي حمام مكة بالبندق. قال: ورأيت غلمانه في المسعى يضربون الناس بالسيوف في أرجلهم ويقولون: اسعوا قليلاً. قليلاً. فإن السلطان نائم سكران في دار السلطنة التي في المسعى والدم يجري من ساقات الناس. قلت: واستولى أطسيس على مكة وأعمالها وأذل المفسدين فيها وشتت شملهم وهو الذي بنى القبة على مقام إبراهيم عليه السلام وكثر الجلب إلى مكة من مصر واليمن في أيامه فرخصت الأسعار، ولعظم هيبته قلت الأشرار وأمنت الطرق والديار.

[نقل تابوت العادل من قلعة دمشق إلى تربته]

وفيها: نقل تابوت العادل بن أيوب من قلعة دمشق إلى تربته المقابلة لدار العقيقي أخرجوا جنازته من القلعة والتابوت مغشى بمرقعة وأرباب الدولة حوله ومروا به على دار الحديث إلى باب البريد إلى الجامع ووضع في صحن الجامع قبالة حائط النسر وصلي عليه هناك، وأمهم في الصلاة عليه خطيب الجامع جمال الدين الدولعي، ثم حملوا الجنازة وخرجوا بها من باب الناطفانيين شمالي الجامع خوفاً من زحمة الناس في الطريق ولم يصل إلى تربته إلا بعد جهد لضيق السكك، وبقي القراء، والفقهاء يترددون إلى التربة غدوة وعشية كل يوم يقرؤون القرآن إلى أن رتب لهم الوقف عليها وعين لها قراء مخصوصون، ولم تكن المدرسة كملت عمارتها، وألقى فيها الدرس في هذه السنة القاضي جمال الدين المصري وحضر درسه أعيان الشيوخ. والقضاة، والفقهاء. وحضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل وتكلم في الدرس مع الجماعة وكان الاجتماع بإيوان المدرسة وجلس عن يمين السلطان إلى جانبه شيخ الحنفية جمال الدين الحصيري، ويليه شيخ الشافعية شيخنا فخر الدين بن عساكر، ثم القاضي محيي الدين بن الشيرازي، ثم القاضي محيي الدين بن يحيى بن الزكي، وجلس عن يسار السلطان إلى جانبه مدرس المدرسة قاضي القضاة جمال الدين المصري، وإلى جانبه شيخنا سيف الدين الآمدي، ثم القاضي شمس الدين بن سني الدولة، ثم القاضي نجم الدين خليل قاضي العسكر ودارت حلقة صغيرة والناس وراءهم متصلون ملء الإيوان، وكان في دور تلك الحلقة أعيان المدرسين، والفقهاء. وقبالة السلطان

فيها شيخنا تقي الدين بن الصلاح وغيره، وكان مجلساً جليلاً لم يقع مثله إلا في سنة ثلاث وعشرين وستمائة كما سيأتي ولكن كان قد فقد من الشيوخ الشافعية أجلهم وأكبرهم فخر الدين بن عساكر رحمه الله.

[عدد من الوفيّات هذه السنة]

وفيها: توفي قطب الدين بن العادل[1] بالفيوم ونقل إلى القاهرة قرأت على عمود قبره في تربة شمس الدولة توران شاه بن أيوب ظاهر القاهرة خارج باب النصر: إنه الملك المفضل قطب الدين أبو العباس أحمد بن الملك العادل بن أيوب توفي يوم الثلاثاء رابع عشر رجب من السنة المذكورة.

وفيها: توفي إمام الحنابلة بمكة نصر بن أبي الفرج المعروف بابن الحصري[2] أقام بمكة مجاوراً مدة ثم خرج إلى اليمن فمات بالمهجم ودفن به. سمع أبا الوقت، وابن البطي، وابن المقرب وغيرهم قال أبو المظفر: سمعت منه الحديث بمكة في سنة أربع وستمائة وكان متعبداً لا يفتر من الطواف، صالحاً ثقة.

وفيها: في ربيع الأول توفي بدمشق الشهاب عبد الكريم بن نجم الدين الحنبلي[3] أخو البهاء والناصح وهو أصغرهم والبهاء هو الأكبر بين كل واحد والذي قبله في الولادة تسع سنين، وكان الشهاب أبرعهم في الفقه والمناظرة، والمحاكمات، بصيراً بما يجري عند القضاة في الدعاوى والبينات لكنه كان تعصب على شيخنا أبي الحسن في إخراج مسجد الوزير المزدقاني[4] من يده، وجرت أمور ربما نذكر بعضها في ترجمته رحم الله الجميع وإيانا فهو ذو رحمة واسعة. قلت: وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر رجب من هذه السنة استقل القاضي جمال الدين أبو الفضائل يونس بن بدران بن فيروز الشافعي المعروف بالمصري بالقضاء في دمشق وما معها من البلاد الشامية، وصار يدعى قاضي القضاة وقد تقدم ذكره في سنة ست عشرة وستمائة.

---

(١) هو الملك المفضل أحمد بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي قطب الدين. انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٧٥، مفرج الكروب ٣/ ٢٧٥، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٤، البداية والنهاية ١٣/ ٨٤.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٤.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٨٥، وفيه: أبو الفضائل شهاب الدين عبد الكريم بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي الدمشقي الفقيه الحنبلي.

(٤) الوزير المزدقاني: هو الوزير طاهر بن سعد المزدقاني، نسبة إلى بليدة بالري، قتل سنة ٥٢٣هـ، ومسجده على «شرف البعل» شمالي دمشق (هامش الأصل).

وفيها: توفي المحدث أبو طاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنماطي[١] ليلة الاثنين ثالث عشر رجب بدمشق، ودفن من الغد بمقابر الصوفية خارج باب النصر.

[عودة الأشرف بن العادل من مصر إلى الشام]

ثم دخلت سنة عشرين وستمائة[٢]

ففيها: عاد الأشرف بن العادل من مصر إلى الشام قاصداً بلاده بالشرق فأبقاه أخوه المعظم ملك الشام وعرض عليه النزول بالقلعة فامتنع ونزل بجوسق أبيه وبدت الوحشة بين الإخوة الثلاثة الكامل، والأشرف، والمعظم وأصبح الأشرف في وقت السحر فساق ونزل ضمير ولم يعلم المعظم برحيله، وصار يطوي البلاد إلى حران، وكان الأشرف قد استناب أخاه شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين على خلاط لما سافر إلى مصر وجعله ولي عهده بعد أن عينه ومكنه في جميع بلاده فسولت له نفسه العصيان، وأعانه عليه قوم آخرون، أخوه المعظم وابن زين الدين صاحب إربل، والمشارقة وقالوا: نحن من ورائك ولما وصل الأشرف إلى حران سار إلى سنجار وكتب إلى أخيه شهاب الدين غازي يطلبه فامتنع من المجيء إليه فكتب إليه: يا أخي لا تفعل أنت ولي عهدي والبلاد والخزائن بحكمك لا تخرب بيتك بيدك وتسمع كلام الأعداء فوالله ما ينفعونك فأظهر العصيان فجمع الأشرف عساكر الشرق وحلب وتجهز للسير إلى خلاط وكان صاحب حمص قد مال إلى الأشرف فسار المعظم إلى حمص ووصل إلى حماة ونزل على نفرين قرية على بابها باتفاق كان بينه وبين صاحبها فلم ينزل إليه ولا فتح له الباب فأقطع بلاد حماة وعاد إلى حمص وخرج إليه العسكر فظهروا عليه ونهبوا أصحابه فعاد إلى دمشق ولم يظفر بطائل.

وفيها: حجّ بالنّاس من العراق ابن أبي فراس، ومن الشّام شرف الدين يعقوب صاحب شركس.

وفيها: توفيت والدتي رحمها الله ودفنتها بالجبل في طريق قريب الأماج والمغر إلى جانب الوادي وأرجو أن أدفن عندها، وكانت وفاتها يوم السبت سادس رجب وكانت دينة صالحة رضي الله عنها.

---

(١) تقدّم ذكره في وفيات سنة ٦١٨هـ، وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٨٤.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٨٤ ـ ٨٨، وشذرات الذهب ٥/ ٨٧ ـ ٩٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٣٥ ـ ٤٣٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

[وفاة مبارز الدين سنقر]

وفيها: توفي الأمير مبارز الدين سنقر الحلبي الصلاحي[١] والد الظهير بن سنقر. قال أبو المظفر: كان مقيماً بحلب ثم اتصل إلى ماردين فخاف الأشرف منه فبعث إلى أخيه المعظم وقال ما دام المبارز في الشرق ما آمن على نفسي، فأرسل المعظم ابنه الظهير غازي بن سنقر إلى أبيه وقال: أنا أعطيه نابلس وأي شيء أراد. فجاء الظهير إلى ماردين وعرف المبارز رغبة المعظم وأنه يقطعه من الشام أي شيء أراد فقال له صاحب ماردين: لا تفعل فهذه خديعة. فأبى وسار إلى الشام في سنة ثماني عشرة ووصل إلى دمشق وخرج المعظم للقائه ولم ينصفه، وجاء فنزل في دار شبل الدولة الحسامي التي انتقلت إلى الصوفية عند مدرسته بجسر كحيل فأقام بها والمعظم يعرض عنه ويماطله باليوم وغد حتى تفرقت عنه أصحابه وكان معه جملة من المال، والخيل العربية المنسوبة، والجمال، والبغال، والسلاح والمماليك شيء كثير ففرق الجميع في الأمراء والأكابر قال: وكان جاري لأني كنت مقيماً بتربة بدر الدين حسن على ثورا، وكان يزورني وأزوره ويشكو إلي إعراض المعظم عنه وما فعل به ولده الظهير وكيف خدعه وأنا أسليه وأهون عليه ووقع إليَّ كتاب فيه حديث ملوك اليمن فبينا أنا قاعد أقرأه دخل فقال: ايش تقرأ؟ قلت: أخبار ملوك اليمن. فقال: اقرأ عليّ. فقرأت فلان الملك عاش ألف سنة ومات بالغم، وفلان عاش سبعمائة سنة ومات بالغم، وذكرت من هذا الجنس. فقال: وأنا أموت بالغم وكان طول النهار يجلس مغموماً مهموماً ونما فيه العذل حتى انقطع أكله فأقام عشرين يوماً لا يدخل في فيه إلا الماء ومات كمداً في شعبان في دار شبل الدولة كافور. فقام كافور بأمره أحسن قيام وجهزه أحسن جهاز، وكان صديقه من أيام شمس الدولة أخي ست الشام لأبيها. ويقال إن المبارز كان مملوك شمس الدولة. اشترى له كافور تربة على رأس زقاق شبل الدولة عند المصنع بألف درهم، وحضر جنازته خلق كثير عظيم لأنه كان محسناً إلى الناس ولم يكن في زمانه من الصلاحية وغيرهم أكرم منه ولا أشجع، وكان له مواقف مشهورة مع صلاح الدين وغيره ولما مات وجدوا في صندوقه دستوراً فيه ما أنفق في نعال الخيل وذلك ثمانية عشر ألف درهم فسألت كاتبه عن ذلك فقال: ما يتعلق هذا بنعال دوابه. وإنما كان يستعرض الفرس السمين بخمسمائة دينار وأكثر فينعله أولاً قبل أن يركبه، ثم يركبه فإن صلح أعطى صاحبه ثمنه وخلع عليه وإن لم يصلح أعطى صاحبه مائتي درهم واعتذر إليه.

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٩٣.

قال أبو المظفر: وجرت عقيب ذلك واقعة اعترض بعض الأمراء فرساً وأنعله ثم ركبه فلم يصلح وجاء صاحبه يطلبه فقال الأمير لغلامه: اقلع نعاله وأعطه صاحبه. قال: وما كانت الدنيا تساوي عند المبارز قليلاً ولا كثيراً. ولقد حكى لي ابنه الظهير قال: وصل مع أبي إلى الشام ذهب، وجمال، وخيل، وغيرها ما قيمته مائة ألف دينار، ومات وليس له كفن. ما كفنه إلا شبل الدولة.

[وفاة ابن القلانسي]

وفيها: توفي عز الدين المظفر بن أسعد بن حمزة التميمي المعروف بابن القلانسي[١] من رؤساء الشام وجده أبو يعلى حمزة. هو صاحب ذيل التاريخ لملوك الشام إلى آخر زمنه. سمع عز الدين الحافظ أبا القاسم بن عساكر وغيره، وكان يصحب الشيخ تاج الدين الكندي ملازماً له وانتفع به، وكان كيساً متواضعاً وتوفي في شهر رمضان ودفن بجبل قاسيون.

[وفاة محمد بن سليمان بن قتلمش]

وفيها: توفي محمد بن سلمان بن قتلمش بن تركانشاه أبو منصور السمرقندي[٢] ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وبرع في علم الأدب وولي حجبة الباب للخليفة ومن شعره[٣]: [المتقارب]

سئمت تكاليف هذه الحياة ... وكر الصباح[٤] بها والمساء
وقد صرت كالطفل في عقله ... قليل الصواب كثير الهراء[٥]
أنام إذا كنت في مجلس ... وأسهر عند دخول الفناء
وقصر خطوي قيد المشيب ... وطالما عناني عناء
وغردت كالطفل في عيشه ... وخلفت حلمي ورائي وراء
وما جر ذلك غير البقاء ... فكيف ترى فعل سوء البقاء[٦]

وكانت وفاته في ربيع الآخر ودفن بالشونيزية.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٦.
(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٧، وفيه: محمد بن سليمان بن قتلمش بن تركانشاه بن منصور السمرقندي، وانظر أيضاً شذرات الذهب ٥/ ٩٣ ـ ٩٤. وفيه: محمد بن قتلمش السمرقندي.
(٣) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٨٧.
(٤) في البداية والنهاية «وكدّ الصباح» بدل: «وكرّ الصباح».
(٥) الهراء: الفساد والذي لا نفع منه ولا طائل من ورائه.
(٦) رواية عجز البيت في البداية والنهاية:
فكيف بدا سوء فعل البقاءِ

[وفاة الضياء بن الزراد]

وفيها: توفي الضياء بن الزراد الدمشقي[١] كان قارئاً طيب النغمة صيتاً عالماً بالقراءات، وكان فقيراً سافر من دمشق إلى ميافارقين واتصل بصاحبها شهاب الدين بن العادل وأقام عنده، ثم اتصل بالأشرف بن العادل قال أبو المظفر: واجتمعنا بخلاط سنة ثلاث عشرة وستمائة وكان يتردد إلينا ويقرأ طيباً صحيحاً ثم خلط ودخل معهم في ما هم فيه، جاءني يوماً وهو نادم حزين يبكي فسألته عن حاله فقال: البارحة حضرت عند الأشرف وناولني قدحاً من الخمر فامتنعت من شربه والأشرف ساكت ينظر إلي وما زالوا بي حتى شربته فلما حصل في جوفي عض الأشرف على يده بحيث كان يقطع أصابعه وقال: والله فعلتها خطيئة. الخمر على مائة وأربع عشرة سورة والله لو خيرت أن أحفظ القرآن كما تحفظ وأدع ملكي لاخترت حفظ القرآن. ثم نزلت حرمته بعد ذلك فكان يدور البلاد على أصحاب القلاع بعد ذلك لرسوم كانت له عليهم فخرج من حراب في هذه السنة قاصداً السويداء ومعه غلمان مردان ثلاثة فنام في واد وقت الظهيرة فقتلوه وأخذوا خيله وقماشه وماله فبلغ الحاجب علياً فأرسل خلفهم فجيء بهم فقتلهم.

[وفاة محمد بن عروة الموصلي]

وفيها: توفي الشرف محمد بن عروة الموصلي[٢] المنسوب إليه المشهد بغربي الجامع بدمشق وإنما نسب إليه لأنه كان مخزناً فيه آلات تتعلق بالجامع فعزله وبيضه وجدد في قبلته المحراب والخزانتين عن يمينه وشماله ووقف فيها كسباً وجعله دار حديث ووقف على الشيخ المسمع به وعلى السامعين وقفاً وذلك قبل سنة عشرين وستمائة، ثم بعد ذلك أمر المعظم بجمع الخزائن المفرقة في الجامع فنقل ما فيها من الكتب الموقوفة إلى المشهد المذكور وبنى لها خزائن في شرقه وغربه، وجدد ابن عروة المذكور في المشهد المذكور بركة على يمين الداخل إليه. قال أبو المظفر: كان ابن عروة مقيماً في القدس ويداخل المعظم وأصحابه ويعاملهم ويؤذي الفقراء والمشايخ وخصوصاً الشيخ عبد الله الأرمني فإنه انتقل عن القدس بسببه، لما خرب القدس نزل ابن عروة إلى دمشق فأقام بها يسيراً ومات ودفن عند قباب الأتابك طغتكين.

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٦.

[وفاة عبد الرحمن اليمني]

وفيها: توفي في المحرم الشيخ عبد الرحمن اليمني[(١)] الذي كان مقيماً بالمنارة الشرقية بجامع دمشق وكان أحد المشايخ القوالين للحق عند الملوك وغيرهم على وجهه أنوار الخير، ولقد بلغني أنه سنة خرجت الفرنج على بلاد المسلمين حضر عند السلطان العادل بن أيوب للإنكار عليه في عدم حفظ ثغور المسلمين.

وكان هذا اليمني أبلغ الجماعة كلاماً في ذلك. قال أبو المظفر: كان زاهداً، ورعاً، فاضلاً منقطعاً عن الناس وكان العادل يبعث إليه بالمال فلا يقبله ودفن بمقابر الصوفية.

[وفاة أبي الحسن الروزبهاري]

وفيها: في ربيع الآخر توفي الشيخ أبو الحسن الروزبهاري[(٢)] المدفون خارج باب الفراديس الأول في البرج المستجد رحمه الله.

[وفاة ابن عساكر وابن قدامة المقدسي]

وفيها: فجع الناس بوفاة إمامين كبيرين شيخي مذهبي الشافعية والحنابلة علماً وعملاً.

[مناقب فخر الدين ابن عساكر]

أما شيخ الشافعية فهو فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي المعروف بابن عساكر[(٣)] وليس في أجداده من اسمه عساكر وإنما هي تسمية اشتهرت عليهم في بيتهم ولعله من قبل أمهات بعضهم وهذا البيت بيت جليل كبير من الدمشقيين كثير الفضلاء والحفاظ والأمناء جمع هذا البيت رئاسة الدين والدنيا وأجلهم في زماننا ديناً وعلماً هذا فخر الدين بن عساكر وفي القرن الذي قبله عماه الضائن هبة الله، والحافظ أبو القاسم ثم ابن عمه الحافظ أبو محمد بن أبي القاسم وابنه العماد بن القاسم، وأخو الفخر تاج الأمناء أحمد، وزين الأمناء حسن، وأم الفخر أسماء بنت

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٦.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٦.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٦، وشذرات الذهب ٥/ ٩٢ ـ ٩٣، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٣٨، وكشف الظنون ٥/ ٥٢٣.

محمد بن الحسن بن طاهر القرشية المعروف والدها بأبي البركات بن الراني وهو الذي جدد عمارة مسجد القدم في سنة سبع عشرة وخمسمائة وبه قبر وقبر الواعظ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الراني وبهذا السبب كان الشيخ الفخر كثيراً ما يكون زائراً لمسجد القدم لأن به قبر جده لأمه ومن سلف من بيته ودفن به أيضاً أخوه تاج الأمناء وأسماء المذكورة هي أخت آمنة أم القاضي محيي الدين محمد بن علي بن الزكي فهو ابن خالتهم اهتم الشيخ فخر الدين رحمه الله من صغره بالعلم فاشتغل بالفقه على شيخه قطب الدين مسعود النيسابوري حتى برع في ذلك وانفرد بعلم الفتوى حتى كانت الفتاوى ترسل إليه من الأقطار وكان عند شيخه كالولد وزوجه ابنته فأولدها ابناً سماه باسم جده قطب الدين مسعود ولو عاش خلف جده ووالده لأنه كان مهتماً بالعلم وتحصيله وبرز فيه لكنه توفي قبل والده بزمان، ودرس فخر الدين مكان قطب الدين بالمدرسة الجاروخية وهي لها قاعتان **إحداهما**: التي كان هو ساكنها وبها توفي، وهي التي لها باب في الحائط الغربي من إيوان المدرسة، **والأخرى**: لزيقها بابها من الزقاق لزيق باب المدرسة كان يسكنها ولده المتوفى ووقفها بعد نسله على المدرسة ثم تولى التدريس بمدرسة القدس الناصرية وكان يقيم بدمشق أشهراً وبالقدس أشهراً، ويطوف تلك الزيارات بالأرض المقدسة إلى عسقلان ونحوها. ثم ولاه العادل بن أيوب التدريس بالمدرسة التقوية وكان عنده بها فضلاء الوقت من الفقهاء لجلالته حتى كانت تسمى نظامية الشام؛ وكان إذا فرغ من التدريس يظل بجامع دمشق في البيت الصغير بمقصورة الصحابة يخلو فيه للعبادة ومطالعة الكتب والفتاوى ومتى احتاج إلى طهارة خرج منه إلى المئذنة الشرقية فقضى حاجته بمكان الطهارة المجدد بها خارج حائطها القبلي وبها الماء الجاري ثم يرجع إلى مكانه والناس معتكفون عليه منتفعون به ولا يملون من النظر إليه لحسن سمته واقتصاده في لباسه ولطفه ونور وجهه وكان لا يخلو لسانه من ذكر الله تعالى في قيامه وقعوده ومشيه وكان يحضر تحت قبة النسر بالجامع بعد العصر في كل يوم اثنين ويوم خميس لسماع الحديث وهو المكان الذي كان يجلس فيه عمه الحافظ أبو القاسم إلى أن توفي عم أبيه الحافظ أبو محمد إلى أن توفي ثم ابنه العماد علي إلى أن سافر إلى العراق وخراسان فكان الشيخ الفخر يجلس فيه بعده، ثم سمعت عليه معظم كتاب «دلائل النبوة» للحافظ أبي بكر البيهقي وغيره وكان رحمه الله رقيق القلب سريع الدمعة فكنت أشاهده في أثناء قراءة تلك الأحاديث عليه يبكي عند سماع ما يبكي منها،

ويردد مواضع المواعظ منها نحو الشعر المنسوب إلى قس بن ساعدة[(١)(٢)]: [مجزوء الكامل]

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي بعدها تمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

فكان رحمه الله يرددها ويبكي سألته مسائل من الفقه وكتبت إليه أبياتاً أطلب منه فيها إجازة برواية ما يجوز له عنه روايته وذلك في سنة ست عشرة وستمائة فأجابني نظماً أيضاً بثلاثة أبيات وجدت بركة دعائه لي فيها وما أعلمه فعل ذلك مع غيري وكتبها بخطه وهي: [الطويل]

أجزت له قولي وفق الله قصده وأسعده بالعلم يوم معاده
رواية ما أرويه عن كل عالم بصير بما فيه طريق سداده
فهناه ربي بالعلوم وجمعها وبلغه فيها سني مراده

وكان أيضاً يسمع الحديث بدار الحديث النورية، وبمشهد أبي عروة أول ما فتح وكان السلطان العادل أبو بكر بن أيوب لما عزل القاضي زكي الدين الطاهر بن محيي الدين عن قضاء الشام أرسل إليه أن يتولاه فأبى فطلب عنده ليلاً فجاء فالتقاه وأقعده إلى جانبه فجلس محتسباً مستوفزاً فأحضر الطعام فلم يمد يده إليه ولم يأكل منه شيئاً فسأله أن يتولى القضاء وكثر عليه القول في ذلك. فقال: حتى أستخير الله تعالى. فأخبرني من كان معه ملازماً له. قال: فلما رجع إلى بيته جدد الوضوء ووقف يصلي ويتضرع ويبكي إلى الفجر فلما أصبح خرج إلى الجامع فصلى الصبح بالكلاسة ثم مضى إلى مقصورة الصحابة فصلى بها على عادته ثم دخل بيته الصغير الذي في الحائط وهو الباب الذي كان يخرج منه خلفاء بني أمية وأمراؤها إلى الصلاة من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان

---

(١) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد، من كبار الخطباء العرب وحكمائهم في الجاهلية، كان أسقف نجران، قيل: إنه أول عربي خطب وهو يتوكأ على سيف أو على عصا، وأول من استعمل في كلامه «أما بعد»، عمّر طويلاً، أدرك النبي ﷺ قبل النبوّة رآه النبي ﷺ في عكاظ (معجم الشعراء الجاهليين ص٢٩٣).

(٢) الأبيات في الأغاني ١٩٣/٥، وحماسة البحتري ص٩٩، وخزانة الأدب ١٨٨/٩، ولسان العرب (بصر) (محل)، وكتاب العين ١١٨/٧.

فلما أخذ الوليد من النصارى جهتهم الغربية وبنى القبة والنسر جعل المحراب في وسط ذلك فهو الذي مقصورة الخطابة اليوم، والباب الأصغر فيها الذي بين المحراب وخزانة مصحف عثمان رضي الله عنه هو الباب الذي كان يخرج منه الوليد ومن بعده من الخلفاء والأمراء إلى الصلاة بالناس، وأما الباب الكبير الخارج من المقصورة الذي منه الخطباء فهو كان لعموم الداخلين إلى دار الخلافة يؤذن لهم في ذلك من جهة الجامع وقد بينا ذلك أيضاً في مختصرنا لتاريخ دمشق فلما استقر الشيخ بذلك البيت جلس يذكر الله تعالى فلما طلعت الشمس إذ أرسل السلطان قد جاؤوا في كشف ما فارقهم الشيخ عليه. الجمال المصري، والنجم خليل وغيرهما فردهم وأصر على الامتناع وأشار بتولية الشيخ جمال الدين بن الحرستاني فولي وكان قد خاف أن يتأذى من جهة السلطنة فجهز أهله للسفر وخرجت المحائر إلى ناحية حلب فردها العادل وعز عليه ما جرى فقيل له احمد الله تعالى أن في بلادك وفي زمانك من امتنع من ولاية القضاء واختار الخروج من بلده على التولية ديناً وزهداً.

وكان رحمه الله كثيراً إذا قام من الليل يؤذن للفجر بنفسه كان في مدرسته أو خارج البلد من بستان وغيره. وبلغني أنه كان لا يأكل وحده وإذا قدم له غذاؤه استدعى من أهل مدرسته ممن حضر من يأكل معه، وكان يتورع من المرور في رواق الجامع الذي فيه حلقة الحنابلة خوفاً من أن يأثموا بالوقيعة فيه، وذلك أن الجهال منهم والعوام كانوا يبغضون شيوخ بني عساكر لأنهم كانوا أعيان الشافعية الأشعرية.

وكان إذا جاء إلى الجامع من ناحية باب البريد يمر في صحن الجامع أو في الرواق الأوسط إلى المقصورة. أو قام من إسماع الحديث تحت قبة النسر ينعطف ويخرج من باب البرادة ويقول لمن سأله عن ذلك يا ولدي: أخاف أن يأثموا بشيء وبلغني عنه أنه كان يقول: من طلب من غيره ما لا يعطيه من نفسه فهو داخل في المطففين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: ٢، ٣]. وهذا كلام في غاية الجودة.

وكان العادل لما أمر ببناء مدرسته المشهورة قد عزم على أنها تكون للشيخ الفخر واتفق أن العادل توفي قبل كمال عمارتها وكان ابنه المعظم حنفي المذهب وكان في نفسه من الشيخ الفخر لما أنكر عليه إظهار الخمور[١] وتضمينها فتركه حتى حج في ولايته فأخذ منه المدرسة التقوية، وأخذت منه قبيل ذلك الناصرية التي بالقدس، ولم يبق بيده إلا المدرسة الجاروخية على قلة جاريها مع كثرة

---

(١) لعله يريد بها النبيذ العراقي فإنه في حكم الخمور عندهم بخلاف أهل العراق (هامش الأصل).

مصروفها ثم لما تكاملت المدرسة العادلية فوضها إلى قاضيه الجمال المصري وتركه فسبحان من جعل فيه أسوة وعمدة لمن ظلم من المشايخ والفقهاء بعده. قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: ولد فخر الدين في سنة خمس وخمسمائة. وكان زاهداً، عابداً، ورعاً منقطعاً إلى العلم والعبادة، شيخاً حسن الأخلاق قليل الرغبة في الدنيا، وكانت وفاته يوم الأربعاء عاشر رجب ودفن على الشرف القبلي عند مقابر الصوفية[(١)] وكانت له جنازة عظيمة وقبره ظاهر يزار وصلى عليه الملك العزيز بن العادل ولم يتخلف عن جنازته إلا القليل سمع عميه أبا القاسم الحافظ. والصائن هبة الله، والقطب النيسابوري وغيرهم.

قلت: أخبرني من حضر وفاته. قال: صلى الظهر يوم توفي ثم جعل يسأل عن العصر فقيل له لم يقرب وقتها فدعا بماء ثم تشهد وهو جالس. وقال: رضيت بالله رباً. وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً لقنني الله حجتي، وأقال عثرتي، ورحم غربتي، وآنس وحدتي. ثم قال: وعليكم السلام فعلمنا أنه حضرته الملائكة حينئذ وسلموا عليه ثم انقلب على قفاه عقيب قوله وعليكم السلام ميتاً رحمه الله تعالى، وغسله فخر الدين بن المالكي ومعه ابن أخيه عبد الوهاب بن زين الأمناء وغيره، وكان قد اجتهد في مرضه في تملك المكان الذي دفن فيه من مستحقيه، حفر له القبر وهو حي، وكان مرضه بالإسهال، وكانت وفاته آخر يوم الأربعاء عاشر شهر رجب واحتشد الناس من الغد لجنازته، وخرجوا به من المدرسة الجاروخية على باب البريد إلى الجامع فإذا الناس في الجامع كهيئتهم يوم الجمعة فوضعت الجنازة ملاصقة الحائط القبلي قريب اللازوردة، وتقدم للصلاة عليه أخوه لأبويه أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله المعروف بزين الأمناء، ثم خرجوا بالجنازة إلى ناحية الميدان الأخضر بالشرف القبلي وقد امتلأت الطرق بالناس ومن الذي قدر على الوصول إلى حمل سريره ولولا كان الأمير عز الدين إيبك صاحب صرخد استاذ دار المعظم مع أصحابه وأجناد الملك العزيز بن العادل دائرين حول سريره بالدبابيس والعصي يمنعون الناس من قربه لتعذر وصوله إلى حفرته في يومه. وقبره على يسار المار مغرباً في طريق الشرف القبلي مقابل لرأس الميدان الأخضر قبل الوصول إلى

---

(١) ولم يكن بها غير قبره وقبر ابن تيمية حين زرت الشام سنة ١٣٤٧هـ وكانت سائر القبور أزيلت لبناء معهد للطب هناك، ولا أدري ماذا تم بعد ذلك مع أنه كانت في تلك المقبرة قبور أساطين أهل العلم من مفاخر الشام فكأن الأرض ضاقت لبناء معهد للطب غير هذه البقعة. ولو كان هذا العمل من الأجانب المستولين لكان هناك بعض عذر. لكن هذا العمل المزري من أحفاد رجال ذلك البلد التاريخي العظيم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (من هامش الأصل).

قبر شيخه قطب الدين مسعود النيسابوري بقليل، وجعل على قبره بلاطة فيها اسمه وتاريخ وفاته يقرؤها من كان خارج الشباك رحمه الله تعالى.

[مناقب ابن قدامة المقدسي]

وأما شيخ الحنابلة فهو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الملقب بموفق الدين[١] أخو الشيخ أبي عمر. كان إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين في العلم والعمل، صنّف كتباً كثيرة حساناً في الفقه وغيره[٢] ولكن كلامه فيما يتعلق بالعقائد في مسائل الصفات والكلام هو على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه فسبحان من لم يوضح الأمر له فيها على جلالته في العلم ومعرفته بمعاني الأخبار والآثار، وسمعت عليه مسند الإمام الشافعي رحمه الله وفاتني منه نحو ورقتين عند باب استقبال القبلة بسماعه من أبي زرعة، وسمعت عليه كتاب النصيحة لابن شاهين وغير ذلك، ومولده في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بأرض نابلس ووهم ابن الدبيثي في ذكر مولده وقال: سمع ببغداد سعد بن نصر بن الدجاجي، وأبا الفضل أحمد بن صالح بن شافع، وأبا الحسن علي بن عبد الرحمن بن تاج القراء، والكاتبة شهدة وغيرهم. وحصل طرفاً صالحاً من الفقه، والأصول، وعاد إلى دمشق وتوفر على الاشتغال بالفقه وتدريسه وحدث بشيء من مسموعاته.

قال أبو المظفر: ولد في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وسافر إلى بغداد مرتين. **إحداهما**: مع الحافظ عبد الغني سنة إحدى وستين. **والأخرى**: سنة سبع وستين وحج سنة ثلاث وسبعين وسمع خلقاً كثيراً، وتفقه على مذهب الإمام أحمد، وعاد إلى دمشق وكان إماماً في فنون ولم يكن في زمانه بعد أخيه أبي عمر والعماد أزهد ولا أورع منه، وكان كثير الحياء عزوفاً عن الدنيا وأهلها، ليناً

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٤ ـ ٨٥، وشذرات الذهب ٥/ ٨٨ ـ ٩٢، وكشف الظنون ٥/ ٤٥٩.

(٢) ذكر منها حاجي خليفة في كشف الظنون ٥/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠: «الاستبصار في نسب الأنصار»، «البرهان في مسألة القرآن»، «التبيين في أنساب القرشيين»، «ذم الوسواس»، «تحريم النظر في كتب أهل الكلام»، «ذم التأويل»، «روضة» في الأصول، «عمدة الأحكام» في الفروع، «غريب الحديث»، «فضائل الصحابة»، «قنعة الأريب في الغريب»، «كافي» في الفروع، «كتاب الاعتقاد»، «كتاب التوابين»، «كتاب الرقة»، «كتاب القدر»، «كتاب المتحابين»، «مختصر العلل للجلال»، «مسألة العلو»، «مغني شرح مختصر الخرقي» في الفروع، «مقدمة في الفرائض»، «المقنع في الفروع»، «منهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين».

متواضعاً؛ محباً للمساكين حسن الأخلاق جواداً سخياً من رآه فكأنه رأى بعض الصحابة. وكان النور يخرج من وجهه كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعاً من القرآن، ولا يصلي ركعتي السنة في الغالب إلا في بيته اتباعاً للسنة، وكان يحضر مجالسي دائماً في جامع دمشق وقاسيون.

وحكى أبو عبد الله بن فضل الأعناكي (؟) قال: قلت في نفسي لو كان لي قدرة لبنيت للموفق مدرسة وأعطيته كل يوم ألف درهم. قال: ثم جئت بعد أيام فسلمت عليه فنظر إلي وتبسم وقال: إذا نوى الشخص نية كتب له أجرها. وحكى أبو الحسن علي بن حمدان الجراحي قال: كنت أبغض الحنابلة لما شاع عنهم من سوء الاعتقاد فمرضت مرضاً شج أعضائي وأقمت سبعة عشر يوماً لا أتحرك وتمنيت الموت فلما كان وقت العشاء جاءني الموفق وقرأ عليّ آيات ورقاني وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ومسح على ظهري فأحسست بالعافية وقام. فقلت يا جارية: افتحي له الباب. فقال: أنا أروح من حيث جئت وغاب عن عيني فقمت من ساعتي إلى بيت الوضوء فلما أصبحت دخلت الجامع فصليت الفجر خلف الموفق وصافحته فعصر يدي وقال احذر أن تقول شيئاً فقلت: أقول. وأقول. وقال قوام جامع دمشق كان ليلة يبيت بالجامع تفتح له الأبواب فيخرج ويعود فتغلق على حالها. قلت: كان الموفق بعد موت أخيه أبي عمر هو الذي يؤم بالجامع المظفري ويخطب يوم الجمعة إذا حضر فإن لم يحضر فابنه عبد الله بن أبي عمر هو الخطيب والإمام وإمام محراب الحنابلة بجامع دمشق فيصلي فيه الموفق إذا كان في البلد، وإذا مضى إلى الجبل صلى العماد أخو عبد الغني، وبعد موت العماد كان يصلي فيه أبو سليمان عبد الرحمن ابن الحافظ عبد الغني ما لم يحضر الموفق وكان بين العشاءين يتنفل حذاء المحراب.

وجاءه مرة الملك العزيز بن العادل يزوره فصادفه يصلي فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته ثم اجتمع به ولم يتجوز في صلاته، وكان إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة يمضي إلى منزله بدرب الدولعي بالرصيف ويمضي معه من فقراء الحلقة من قدرة الله تعالى فيقدم لهم ما تيسر ليأكلوه معه، ومن أظرف ما حكي لي عنه أنه كان يجعل في عمامته ورقة مصرور فيها رمل يرمل به ما يكتبه للناس من الفتاوى والإجازات وغيرها فاتفق ليلاً أن خطفت عمامته فقال لخاطفها: يا أخي خذ من العمامة الورقة المصرورة بما فيها ورد العمامة أغطي بها رأسي وأنت في أوسع الحل مما في الورقة. فظن الخاطف أنها فضة ورآها ثقيلة فأخذها ورد العمامة، وكانت صغيرة عتيقة فرأى أخذ الورقة خيراً منها بدرجات، فخلص الشيخ

عمامته بهذا الوجه اللطيف وكانت وفاته يوم السبت يوم عيد الفطر أول شوال ودفن بجبل قاسيون خلف الجامع المظفري في مقبرتهم المشهورة؛ وكانت أيضاً جنازة عظيمة ذات جمع وافر امتد الناس في طرف الجبل فملؤوها.

قال أبو المظفر: حكى إسماعيل بن حماد الكاتب البغدادي قال: رأيت ليلة عيد الفطر كأن مصحف عثمان قد رفع من جامع دمشق إلى السماء فلحقني غم شديد فتوفي الموفق يوم العيد. قال: ورأى أحمد بن سعد أخو محمد بن سعد الكاتب المقدسي قال وكان أحمد من الصالحين. قال: رأيت ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جملة وقائل يقول: انزلوا بالنوبة فقلت: ما هذا؟ قال: ينقلون روح الموفق الطيبة في الجسد الطيب قال: وقال عبد الرحمن بن محمد العلوي: رأيت كأن النبي ﷺ مات وقبر بقاسيون يوم عيد الفطر. قال: وكنا بجبل بني هلال فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءاً عظيماً فظننا أن دمشق قد احترقت وخرج أهل القرية ينظرون إليه فوصل الخبر بوفاة الموفق يوم العيد ودفن بقاسيون.

وقال: وكانت وفاته بدمشق وحمل إلى قاسيون وكان له جمع عظيم، سمع الشيخ عبد القادر، وأبا الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان، وأبا زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي، وأبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور، وأبا محمد بن الخشاب، وجدي يعني أبا الفرج بن الجوزي وغيرهم ببغداد. وسمع بمكة أبا محمد المبارك بن الطباخ، وبالموصل أبا الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي الخطيب. وبدمشق والده أحمد، وأبا المكارم عبد الواحد بن المسلم بن هلال؛ وأبا المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن صابر السلمي وخلق كثير قال: وأنشدني لنفسه[1]: [الطويل]

أبعد بياض الشعر أعمر مسكناً ... سوى القبر إني إن فعلت لأحمق

يخبرني شيبي بأني ميت ... وشيكاً وينعاني إلي فيصدق

يخرق عمري كل يوم وليلة ... فهل مستطيع رفو ما يتخرق

كأني بجسمي فوق نعش ممدد ... فمن ساكت أو معول يتحرق

إذا سألوا عني أجابوا وأعولوا ... وأدمعهم تنهل هذا الموفق

وغيبت في صدع من الأرض ضيق ... وأودعت لحداً فوقه الصخر مطبق

ويحثو علي التراب أوثق صاحب ... ويسلمني للقبر من هو مشفق

(١) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٨٥، وشذرات الذهب ٥/ ٩١.

فيا رب كن لي مؤنساً يوم وحشتي فإني بما أنزلته مصدق
وما ضرني إني إلى الله صائر ومن هو من أهلي أبر وأوثق[(١)]

قال: وكان له أولاد. أبو الفضل محمد، وأبو العز يحيى، وأبو المجد عيسى ماتوا كلهم في حياته ولم أدرك منهم غير عيسى وكان من الصالحين. وأم الجميع مريم بنت أبي بكر بن عبد الله بن سعد المقدسي؛ وكان له منها بنات صفية، وفاطمة ولم يعقب من ولد الموفق سوى عيسى خلف ولدين صالحين وماتا وانقطع عقبه ونقلت من خطه[(٢)]: [مجزوء الكامل]

لا تجلسن بباب من يأبى عليك دخول داره
وتقول حاجاتي إليه يعوقها إن لم أداره
وأتركه وأقصد ربها يقضي ورب الدار كاره

[استرداد الملك الأشرف مدينة خلاط]

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة[(٣)]

ففيها: استرد الملك الأشرف خلاط من أخيه شهاب الدين غازي وسلمها إلى مملوكه أيبك وإلى الحاجب علي ونزل غازي إلى ميافارقين.

وفيها: ظهر جلال الدين خوارزم شاه في أذربيجان واستولى عليها فبعث إليه الملك المعظم عيسى رجلاً صوفياً من خانقاه السميساطي يقال له الملق في رسالة واتفق المعظم ومظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل مع الخوارزمي على الأشرف وبعث المعظم ولده الناصر داود إلى ابن زين الدين رهينة وعبر الفرات عند الحديثة ومضى إلى إربل.

[استيلاء بدر الدين لؤلؤ على الموصل]

وفيها: استولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل وأظهر أن محمود بن القاهر قد مات وقد أمر بخنقه كما سبق ذكره.

[بناء الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة]

وفيها: بنى الملك الكامل دار الحديث التي بين القصرين بالقاهرة وجعلها

---

(١) في البداية والنهاية وشذرات الذهب: «وأرفق» بدل: «وأوثق».
(٢) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٨٥، وشذرات الذهب ٥/ ٩٢.
(٣) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٨٨ ـ ٨٩، وشذرات الذهب ٥/ ٩٤ ـ ٩٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٣٩ ـ ٤٤٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

بيد الشيخ الحافظ أبي الخطاب بن دحية وقد اجتمعت به فيها في سنة ثمان وعشرين كما سنذكره.

وفيها: قدم الملك المسعود أطسيس من اليمن على أبيه الكامل بالقاهرة طامعاً في أخذ الشام من عمه المعظم وكان معه من الهدايا شيء عظيم من جملة ذلك ثلاثة من الفيلة أحدهما كبير ويدعى بالملك وعليه محفة بدرابزين يقعد فيها عشرة أنفس، وقباله راكب على رقبته وبيده كلاب حديد يضربه به كيفما أراد وخرج الكامل للقاء ولده فلما قربت الفيلة من الكامل أمرها سواسها فوضعت رؤوسها بين يدي الكامل خدمة له وكان في الهدية مائتا خادم وأحمال عود وند ومسك وعنبر وتحف اليمن.

[واقعة عجيبة بالعراق]

وفيها: جرت بالعراق واقعة عجيبة. ببغداد قرية يقال لها بعقوبا فيها نخل كثير ولها ناظر متشيع وكان بها رجل من أهلها له نخل فصادره الناظر وأخذ منه ألفي نخلة فجعل يسب الناظر ويدعو عليه؛ وبلغ الناظر فأحضره وأمر بضربه فقال له: بالله عليك انصفني. فقال: قل. قال: أنتم تسبون أبا بكر وتقولون أخذ فدك من فاطمة وإنما في فدك نخيلات يسيرة. تأخذ أنت مني ألفي نخلة وأسكت فضحك الناظر ورد عليه نخله، وفيها: حج بالناس من بغداد ابن أبي فراس ومن الشام شجاع الدين علي بن السلار.

[تأدية مؤلف هذا الكتاب لفريضة الحج]

وفيها: حججت من الشام مع والدي رحمه الله على طريق تبوك والعلاء وهي أول السنين الأربع المتصلة التي وجد الحج فيها هنيئاً مريئاً من رخص الأسعار والأمن في الطريق الشامية وبالحرمين. أما في المدينة فبسبب أن أميرها كان من أتباع صاحب الشام الملك المعظم عيسى فكان يدبر الحرس على الحاج الشامي ليلاً، وأما مكة فبسبب أنها صارت في المملكة الكاملية المسعودية فانقمع بها المفسدون وسهل على الحاج أمر دخول الكعبة فلم يزل بابها مفتوح ليلاً ونهاراً مدة مقام الحاج فيها، وكان الكامل قد أرضى بني شيبة سدنة الكعبة بمال أطلقه لهم عوضاً عما كانوا يأخذونه بإغلاق الباب وفتحه لمن أرادوا وكان الناس ينالون من ذلك شدة ويزدحمون عند فتح الباب ويتسلق بعضهم على رقاب بعض لأن الباب مرتفع عن الأرض بنحو قامة رجل فيقع بعضهم على بعض فيموت بعض وينكر بعض ويشج بعض فزال ذلك عن الناس بتلك السنة وما بعدها مدة بقاء مكة

في المملكة الكاملية، وكان قد بلغني صعوبة ذلك وكنت حاملاً همه فلما دخلت من باب بني شيبة ووقع نظري على البيت شرفه الله تعالى إذ الباب مفتوح والسلم منصوب والناس طالعون إليه ونازلون من غير ازدحام فمن فرحي بذلك وخوفي من أنه لا يدوم عجلت في طواف القدوم.

ودخلت البيت عظمه الله تعالى، وقضيت منه وطري اللائق بذلك الوقت، وعندي من الشوق المبرح ما كفى، ثم كررت الدخول إليه ليلاً ونهاراً فكنت أصادف فيه نحو العشرة وما دونها. ومن أعجب ما سمعت من بعض الحجاج أنه قال: دخلته ليلة فوجدت فيه امرأتين قاعدتين يتحدثان كأنهما في بيت لهما قد أمنتا ممن يزعجهما عن ذلك لا من سادن ولا من زحمة. واجتمعت في هذه السنة بالشيخ الحجة أبي طالب عبد المحسن بن أبي العميد خالد بن عبد الغفار الحنفي[1] الأبهري وسمعت عليه وعلى غيره بالمسجد الحرام وكان يقدم كل عام من بغداد على بعض سيلانات؟ الخليفة ثم بلغني أنه تولى إمامة المقام بمكة وتوفي بها رحمه الله واجتمعت بها أيضاً بالشيخ المقرئ عثمان بن أحمد بن يذال الأربلي الحنبلي وأنشدني بالمسجد الحرام: [المتقارب]

أيا نائماً في ظلام الدجى ... تيقظ فصبح الدجى قد أضا
أتاك المشيب ولوعاته ... وولى شبابك ثم انقضى
فلو كنت تذكر ما قد جنيت ... لضاق عليك اتساع الفضا

ونظمت في طريقي في تلك السفرة قصيدة ميمية ذكرت فيها المنازل من دمشق إلى عرفات ووصفت بها ما أمكن من أماكن الزيارات أولها: [البسيط]

ما زلت أشتاق حج البيت والحرم ... وأن أزور رسول الله ذا الكرم

وهي طويلة أقول فيها تعبيراً عن فتح باب الكعبة للحجيج مطاعاً.

وشرعوا نحو ذاك البيت حاسرة ... رؤوسهم بين مطواف ومستلم
والباب أطلقوه للحجيج فلم ... يروا به مانعاً طولي مقامهم

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: توفي ببغداد أحمد بن محمد بن علي القادسي الضرير الحنبلي[2] والد صاحب الذيل على تاريخ أبي الفرج ابن الجوزي. قال أبو المظفر: كان

(١) في شذرات الذهب أنه شافعي.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٨٩، وشذرات الذهب ٥/ ٩٤.

حنبلياً خشناً طلب الخليفة المستضيء من يصلي به التراويح في رمضان فاحضروا القادسي وقالوا إيش مذهبك؟ قال: حنبلي. قالوا: ما يمكن أن يصلي بدار الخلافة حنبلي. فقال القادسي: أنا حنبلي وما أريد أن أصلي بكم. وسمعه الخليفة فصاح صلي على مذهبك قال: وكان ملازماً لمجالس جدي ونراه هزه كثيراً ويستحسن الكلام وكلما ذكر جدي شيئاً يصيح والله إن ذا مليح فبعث إليه جدي يستقرض منه عشرة دنانير فاعتذر وقال ما هي عندي. وصار يحضر المجالس ولا يرى هزه فسمعت جدي يقول في داره هذا القادسي ما يقرضنا شيئاً ولا يقول والله إن ذا مليح وكانت وفاته في شوال ودفن بباب حرب.

وفيها: توفي بدمشق الشيخ عبد الرحمن اليمني[١] في المحرم ودفن بمقابر الصوفية وقد سبق ذكرنا له في سنة عشرين متابعة لأبي المظفر سبط ابن الجوزي وإنما كانت وفاته في سنة إحدى وعشرين.

[فتح خوارزم شاه لمدينة دقوقا]

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة[٢]

ففيها: في ربيع الأول وصل خوارزم شاه جلال الدين إلى دقوقا ففتحها عنوة وأوقع السيف في أهلها، ونهب أموالهم، وسبى حريمهم، وهتك نساءهم، وأحرق البلد، وهدم سوره وكانوا قد عصوا عليه وسبوه من الأسوار وبالغوا في شتمه، وعزم على قصد بغداد فانزعج الخليفة وأخرج المال وفرق في العساكر ألف ألف دينار ونصب المجانيق على الأسوار، وفرق السلاح، وفتح الأهراء قال أبو المظفر: حكى لي المعظم عيسى رحمه الله قال: كتب إلي يقول تحضر أنت ومن عاهدني واتفق معي حتى نقصد الخليفة فإنه كان السبب في هلاك أبي ومجيء الكفار إلى البلاد وجدنا كتبه إلى الخطا وتواقيعه لهم بالبلاد والخيل والخلع قال المعظم: فكتبت إليه أنا معك على كل أحد إلا الخليفة فإنه إمام المسلمين قال وبينا هو على قصد بغداد وكان قد جهز جيشاً إلى الكرج إلى تفليس فكتبوا إليه أدركنا فما لنا بالكرج طاقة وبعدها تفوت فسار إلى تفليس فخرج إليه الكرج فضرب معهم مصاف فقتل منهم سبعين ألفاً وفتح تفليس عنوة وقتل منهم سبعين ألفاً فصار مائة ألف وذلك في سلخ ذي الحجة.

---

(١) تقدّم ذكره في وفيات سنة ٦٢٠هـ، وقد ذكره في البداية والنهاية ١٣/ ٨٦، في وفيات ٦٢٠هـ.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٨٩ ـ ٩٥، وشذرات الذهب ٥/ ٩٦ ـ ١٠٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٤٣ ـ ٤٥٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠٩ ـ ٢١١.

[صلب ابن الكعكي بدمشق]

وفيها: صلب المعظم في سوق الغنم العتيق في طريق الميدان الأخضر شمس الدين بن الكعكي رأس حزب، وخلفه جماعة ورفيقاً له منكسين على رؤوسهما، وكانوا ينزلوا على الناس في البساتين ويقتلون وينهبون والمعظم في الكرك، وبلغه أن ابن الكعكي قال لأخي المعظم الصالح إسماعيل وكان صاحب بصرى أنا آخذ لك دمشق فكتب إلى والي دمشق بأن يصلب ابن الكعكي ورفيقه منكسين فصلبهما في العشر الأواخر من رمضان فأقاما أياماً في حر الشمس يسفي الريح والتراب على وجوههما ورؤوسهما ولا يقدران على طعام ولا شراب إلى أن ماتا. مات ابن الكعكي أولاً وكان يستغيث كثيراً ويقلق وكان رفيقه أجلد منه وأصبر وكان رجلاً خياطاً آدم اللون، وقيل إنه كان بريئاً مما رمي به فمات بعد ابن الكعكي بيوم أو نحوه، وكان ابن الكعكي من المترفين ذوي الثروة وله أملاك كثيرة ظاهر باب الجابية وغير ذلك. قال أبو المظفر: وقدم المعظم دمشق بعد ما ماتا فمرض مرضاً عظيماً أشفى منه ثم أبل ولم يزل ينتقص عليه حتى مات. وفيها حج بالناس من العراق ابن أبي فراس ومن الشام الشجاع علي بن السلار.

وفيها: حججت أيضاً راكباً في المحمل السلطاني المعظمي وكان أيضاً حجاً مباركاً كثير الخير والأمن في الطريق والحرمين وباب الكعبة مفتوح للحاج مدة مقامهم ليلاً ونهاراً، وخرجت يوم التروية وبت أنا ورفيقي الشهاب غازي الناسخ الفقيه رحمه الله ليلة يوم عرفة بمسجد الخيف بمنى؛ ثم أصبحنا وتوجهنا حين طلعت الشمس إلى نحو عرفات فمررنا على تلك الآبار بمنى والمزدلفة وحدود الحرم وحدود عرفة والمسجد الذي بعضه من أرض عرفة وبعضه من أرض عرنة ثم توجهنا إلى الموقف شرفه الله تعالى.

[وفاة الناصر بن المستضيء]

فنحن بعرفات وقد جاءنا الخبر مع حاج العراق بوفاة الخليفة الناصر أحمد بن المستضيء[١] في أواخر شهر رمضان وأقام في الخلافة ما لم يقم أحد من أهل بيته سبعاً وأربعين سنة إلا قليلاً، وتولى بعده ولده ولي عهده أبو نصر محمد ولقب بالظاهر بأمر الله. فأظهر العدل، وأحسن السيرة، ثم لم تطل مدته

---

(١) هو الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي الهاشمي العباسي. انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٩٠ ـ ٩١، وشذرات الذهب ٥/ ٩٧ ـ ٩٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٥١ ـ ٤٥٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١١.

فمات بعد تسعة أشهر كما سيأتي ذكره. ولما دخلنا مكة لطواف الإفاضة وقد ألبست الكعبة الكسوة السوداء التي يرسلها الخليفة كل سنة من بغداد وفي أعلاها الطراز الأبيض المكتوب فيه اسم الخليفة الذي نسجت في أيامه فتأملت الطراز فوجدت فيه اسم الناصر في جانبين من جوانب الكعبة الأربعة، وفي الجانبين الأخرى اسم الظاهر فعلمت أنهم كانوا قد فرغوا من نسج الجانبين عند وفاة الناصر، ثم استأنفوا ما بقي باسم الظاهر ونظمت في هذه السنة أيضاً قصيدة على قافية الهمزة وصفت فيها أمير الحج ومنازل الطريق التبوكية أيضاً أولها: [الكامل]

يا حبذا وطن الحبيب النائي

قال أبو المظفر: مولد الناصر عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وبويع بالخلافة غرة ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وكان له خادم اسمه رشيق قد استوى على الخلافة وأقام مدة يوقع عن الخليفة، وكان قد قل بصره وقيل ذهب جملة، وكانت به أمراض مختلفة منها عسر البول، والحصاة ولقي منه شدة، وشق ذكره مراراً، وما زال يعتريه حتى قتله. وغسله خالي أبو محمد يوسف وكان قد عمل له ضريحاً عند موسى بن جعفر فأمر الظاهر بحمله إلى الرصافة فحمل في تابوت ودفن عند أهله وكان قد خطب للظاهر بولاية العهد في سنة خمس وثمانين وخمسمائة وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة لأن مولده في المحرم سنة سبعين وخمسمائة؛ ثم عزل عن العهد في سنة إحدى وستمائة ثم أعيد إلى العهد في سنة ثماني عشرة وستمائة، ولما مات أبوه استدعى الأعيان إلى البدرية فشاهدوا الناصر ميتاً مسجى فبايعوا أبا نصر ولقبوه بالظاهر، وكان جميل الصورة أبيض مشرباً بحمرة حلو الشمائل شديد القوة أفضت الخلافة إليه وله اثنتان وخمسون سنة إلا شهوراً فقيل له: ألا يتفسح؟ فقال: قد فات الزرع. فقيل له يبارك الله في عمرك. فقال: من فتح دكاناً بعد العصر إيش يكسب. ولما بويع أحسن إلى الناس ولم يؤاخذ أحداً ممن سعى في خلعه فقابل الإساءة بالإحسان وصلى على أبيه بالتاج وفرق الأموال وأبطل المكوس وأزال المظالم.

[وفاة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين]

وفيها: توفي الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب[1] الذي

---

(١) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٥٦ ـ ٢٦٥، ومرآة الزمان ٨/ ٦٣٧، وفيات الأعيان ٣/ ٩٥، السلوك ١/ ٢١٦، مختصر أبي الفداء ٣/ ١٣٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٠، مفرج الكروب ٤/ ١٥٥، البداية والنهاية ١٣/ ٩١ ـ ٩٢، كنز الدرر ص٢٧٥، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٢، شذرات الذهب ٥/ ١٠١، الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٤٥.

كان ولي عهد أبيه ومملكته دمشق وأعمالها، والأرض المقدسة وأعمالها. ومولده بمصر سنة خمس وستين وخمسمائة. وكان فاضلاً شاعراً حسن الخط تقلبت به الأحوال إلى أن ألقاه الدهر في سميساط. وبها توفي في ربيع الأول ونقل إلى حلب فدفن بظاهرها.

[وفاة علي بن سليمان بن جندر]

وفيها: توفي بحلب في أواخر جمادى الأولى الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر[١] وكان من أكابر أمراء حلب، كثير الخير والصدقات الدارة، والبر الوافر، وبنى بحلب مدرستين إحداهما: لأصحاب أبي حنيفة بظاهر حلب، والأخرى: للشافعية داخل حلب. ووقف عليها الأوقاف وبنى الخانات في الطرقات وله الغزوات المشهورة والمواقف المذكورة رحمه الله.

[وفاة علي الكردي]

وفيها: توفي علي الكردي الموله[٢] الذي كان مقيماً ظاهر باب الجابية بدمشق واختلفوا فيه فبعض الدماشقة يزعم أنه كان صاحب كرامات وأنكر ذلك آخرون وقالوا: ما رآه أحد يصلي ولا يصوم ولا يلبس مداساً بل كان يدوس النجاسات ويدخل المسجد على حاله. وقال آخرون: كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه. قال أبو المظفر: وحكت لي امرأة صادقة قالت ماتت أمي باللاذقية ولم أصدق وجاء قوم فقالوا: ماتت، وجاء آخرون فقالوا: ما ماتت، قالت، فخرجت إلى باب الجابية وهو قاعد عند المقابر فوقفت عنده فرفع رأسه وقال: ماتت. ماتت: ايش تعملين. وكان كما قال وحكى لي عبد الله صاحبي قال جعت يوماً وما كان معي شيء فاجتزت به فدفع إليّ نصف درهم وقال: يكفي هذا للخبز والسعتر بس[٣] قال: ودخل يوماً على جمال الدين الدولعي خطيب دمشق المقصورة وكان يغشاه فقال له: يا شيخ علي قد أكلت اليوم كسيرات يابسة وشربت عليها الماء فكفتني. فقال له: وما تطلب نفسك شيئاً آخر قال: لا. قال: يا مسكين من يقنع بكسرة يابسة يحبس نفسه في هذه المقصورة ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج.

[وفاة الفخر ابن تيمية]

وفيها: توفي خطيب حران الفخر ابن تيمية وهو أبو عبد الله محمد بن

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٩٢.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٩٢.

(٣) في البداية والنهاية: يكفي هذا للخبز والفت بدبس.

القاسم بن محمد الحراني[١] فقيه حران بها ولد، وقدم بغداد وتفقه بها على أبي الفتح بن المني، ووعظ في رباط محمود النعال، وسمع الحديث الكثير ببغداد على شيوخ ذلك العصر، وصنف الخطب والتفسير وغير ذلك[٢]. وكان فاضلاً فصيحاً سمع شهدة، وابن المقرب، وابن البطي وغيرهم. قال أبو المظفر: وكان خطيباً بحران حتى إذا نبغ فيها أحد لا يزال وراءه حتى يخرجه منها ويبعده عنها ومات في خامس صفر وسمعته ينشد في جامع حران يوم الجمعة بعد الصلاة على المنبر[٣]: [السريع]

أحبابنا[٤] قد نذرت مقلتي ... ما نلتقي باليوم أو نلتقي
رفقاً بقلب مغرم واعطفوا ... على سقام الجسد المعرق[٥]
كم تمطلوني بليالي اللقا ... قد ذهب العمر وما نلتقي[٦]

[وفاة عبد المنعم بن علي القرشي الصقلي]

وفيها: توفي عبد المنعم بن علي بن عبد الغني القرشي الصقلي. كان رجلاً صالحاً خيراً، وكان مقرئاً حسناً قد قرأ على تاج الدين الكندي. وعلم الدين السخاوي وغيرهما وكان الشيخ فخر الدين بن عساكر كثيراً ما يطلبه ليصلي به من عقيدته في صلاحه، وكان قد حج معي في سنة إحدى وعشرين فلما رجع إلى دمشق توفي عقيب قدومه من الحج ودفن بجبل قاسيون وهو: أخو الزين الضرير. كان أخوه على غير طريقته مشتغلاً بعلوم الأوائل.

[وفاة صفي الدين ابن شكر]

وفيها: في شعبان توفي بمصر الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٩٢، وشذرات الذهب ٥/ ١٠٢ ـ ١٠٣، وكشف الظنون ٦/ ١١١، واسمه في البداية والشذرات وكشف الظنون: محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني، فخر الدين، أبو عبد الله الواعظ الحنبلي.

(٢) له من التصانيف: «بلغة الساغب وبغية الراغب» في الفروع، «تخليص المطلب في تلخيص المذهب» في الفروع، «ترغيب القاصد في تقريب المقاصد»، «تفسير القرآن»، «ديوان خطب»، «الموضح في الفرائض» (كشف الظنون ٦/ ١١١).

(٣) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ٩٢.

(٤) في الأصل: «أأحبابنا»، وحذفنا الألف الأولى لكي يستقيم الوزن.

(٥) في البداية والنهاية: «المحرق» بدل: «المعرق».

(٦) في البداية والنهاية: «ولم نلتق» بدل: «وما نلتقي».

عبد الخالق بن شكر أبو محمد[١] ومولده بالدميرة بين مصر والإسكندرية في سنة أربعين وخمسمائة ودفن بتربته التي أنشأها جوار مدرسته بالقاهرة حكى عنه القوصي في معجمه. وقد سبق من أخباره في حوادث سنة خمس عشرة وستمائة وهي سنة نكبته بعد وزارته وله بدمشق آثار حسنة منها: بناء مصلى العيدين، وتبليط الجامع، وعمارة مسجد الفوارة. وتجديد مسجد حرستا، وجامع المزة وغير ذلك. وبلغني أنه قال: أنشدنا الحافظ السلفي لنفسه: [البسيط]

مهما تهاون في أمري امرؤ وغدا مصارماً لا أرى إلا مبجله

وإن أساء مسيء فوق طاقته أحسنت مجتهداً حتى أخجله

وقال أنشدنا الحافظ السلفي لابن رشيق وقد قيل له: لم لا تركب البحر للحج؟ فقال معتذراً: [مخلع البسيط]

البحر صعب المرام هولاً لا جعلت حاجتي إليه

أليس ماء ونحن طين فهل ترى صبرنا عليه

ولعبد الجبار الكاتب: [المجتث]

لا أركب البحر إني أخاف منه المعاطب[٢]

طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

ولأبي الفتح البستي: [المجتث]

إن ابن آدم طين والبحر ماء يذيبه

لولا الذي فيه يتلى ما جاز عندي ركوبه

وله أيضاً: [الطويل]

واخضر لولا آية ما ركبته ولله تصريف القضاء بما شاء

أقول حذار من ركوب عبابه أيا رب إن الطين قد ركب الماء

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٩٢ ـ ٩٣، وشذرات الذهب ٥/ ١٠٠.

(٢) رواية البيت في الأصل:

لا أركب البحر خوفاً عليه من المعاطب

والبيت بهذه الرواية مكسور الوزن. ولكي يستقيم الوزن والمعنى يجب أن يكون:

لا أركب البحر إني أخاف منه المعاطب

[قدوم سبط ابن الجوزي رسولاً من بغداد إلى الملك المعظم]

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة(١)

ففيها: قدم من بغداد محيي الدين يوسف بن الجوزي رسولاً إلى المعظم ومعه الخلع لأولاد العادل من عند الخليفة الظاهر ومضمون رسالته طلب رجوع المعظم عن موالاة الخوارزمي. قال أبو المظفر: وحكى لي المعظم صورة الرسالة، قال: قال لي خالك: المصلحة رجوعك عن هذا الخارجي إلى إخوتك ونصلح بينك وبين إخوتك والمعظم قد بعث مملوكه الركين إلى الخوارزمي فرحله من تفليس فأنزله على خلاط والأشرف بحران ـ قال: فقلت لخالك: إذا رجعت عن الخوارزمي وقصدني إخوتي ينجدوني. قال: نعم. قلت: ما لكم عادة تنجدون أحداً هذه كتب الخليفة الناصر عندنا ونحن على دمياط ونحن نكتب نستصرخ به ونقول: أنجدنا. فيجيء الجواب بأن قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا. وقد اتفق إخوتي علي وقد أنزلت الخوارزمي على خلاط أن قصدني الأشرف منعه الخوارزمي، وإن قصدني الكامل كان في له.

[قدوم الملك الأشرف إلى دمشق]

وفيها: قدم الأشرف دمشق وأطاع المعظم وسأله أن يسأل الخوارزمي أن يرحل عن خلاط. وقال: نحن مماليكك وما أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أنت. فبعث المعظم فرحل الخوارزمي عن خلاط وكان قد أقام عليها أربعين يوماً ونزل الثلج وأقام الأشرف عند المعظم بدمشق، وكان المعظم يلبس خلعة الخوارزمي ويركب فرسه وإذا جلسوا على تلك الحال يحلف المعظم برأس خوارزم شاه وعنده الأشرف من هذا المقعد المقيم؟ وهو ساكت. قال: وتوجه خالي إلى مصر إلى الكامل وهذه أول سفرة سافرها خالي إلى الشام ومصر قال: وفيها: حج بالناس من العراق ابن أبي فراس، ومن الشام علي بن السلار.

وفيها: فوض المعظم تدريس مدرسة شبل الدولة بقاسيون إلي وقبلت وفي يوم جلوسي للتدريس بها توفي شمس الدين محمد ابن شيخنا علم الدين السخاوي رحمه الله بدمشق ودفن بالجبل.

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٩٥ ـ ٩٩، وشذرات الذهب ٥/ ١٠٧ ـ ١١٢، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٦٠ ـ ٤٧١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢.

[وفاة يونس بن بدران]

وفيها: في آخر ربيع الأول توفي بدمشق قاضي قضاتها جمال الدين يونس بن بدران بن فيروز المصري[١] ودفن بداره بدرب الريحان، وكان فقيهاً كثير الاشتغال واختصر كتاب «الأم» للشافعي رحمه الله وصنف فرائض كثيرة تحتوي على مسائل كثيرة وكان قد اعتنى به الوزير صفي الدين بن شكر فجعله وكيل بيت المال، وفوض إليه التدريس بالمدرسة الأمينية بعد تقي الدين الضرير ثم صار يترسل عن العادل إلى الخليفة وإلى الملوك بالروم وبلاد الشرق وحلب وغيرها، ثم ولاه المعظم بعد الزكي الطاهر قضاء قضاة الشام وفوض إليه التدريس بالمدرسة العادلية، فهو أول من ذكر قبل الدرس وكان يذكر بها قبل درس الفقه درساً من تفسير القرآن طويلاً ويجري فيه مباحث حسنة فإنه كان يحضره معنا جماعة من الفضلاء فاتفق أن فرغ من ذكر التفسير من أول القرآن إلى آخره فلما تم له ذلك توفي بعد ذلك بقليل رحمه الله.

وكان في ولايته عفيفاً في نفسه نزهاً ملازماً لمجالس الحكم بالشباك الكمالي بالجامع وغيره، وكان إذا جلس فيه بعد العصر لا يزال إلى أن يصلي المغرب، وفي بعض الليالي يصلي العشاء الآخرة فكان إذا فرغ من الحكم بين الخصوم تجري بحضرته المذاكرة في العلم إلى حين انفصاله، ويجلس بكرة كل يوم جمعة ويوم الثلاثاء بإيوان المدرسة العادلية لإثبات الكتب. ويصطف شهود البلد في جوانب الإيوان. وكان مجلساً عليه جلاله، ولم يكن يضيع فيه الزمان في غير ما هو بصدده بل هو ملازم لما ذكرنا من الأيام كلها السبت وغيره ولم ينقم عليه شيء في ولايته سوى أنه كان إذا ثبت عنده وراثة شخص لما وضع نواب بيت المال أيديهم عليه يأمره بمصالحة بيت المال فيقتطع منه قطعة لبيت المال، وأما لنفسه فلم يشتهر عنه شيء من ذلك، ونقم عليه أيضاً استنابته لولده التاج محمد ولم تكن طريقته مستقيمة وكان يذكر أنه قرشي فتكلم الناس في ذلك.

وتولى القضاء بعده شمس الدين أحمد بن الخليل الخويي والمدرسة العادلية والله أعلم. قلت: وشمس الدين الخويي هو أبو العباس أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى باشر الحكم بدمشق يوم الأحد سادس شهر ربيع الأول

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ٩٧/١٣، وشذرات الذهب ١١٢/٥، واسمه في شذرات الذهب: جمال الدين أبو الوليد يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد بن محمد بن علي الشيبي الشافعي.

سنة ثلاث وعشرين وستمائة نقلت من خط بعض من له عناية بجمع التاريخ أن جمال الدين المصري المذكور باشر الحكم مع بقية النواب لما انفصل الزكي المذكور ثم استقل بالحكم في يوم الثلاثاء ثامن عشري رجب سنة تسع عشرة وستمائة.

[وفاة خزعل بن عسكر]

وفيها: في شهر رجب أو شعبان توفي الشيخ تقي الدين خزعل بن عسكر بن خليل الثنائي المصري النحوي(١) ودفن بباب الصغير وكان رحمه الله شيخاً حسناً فاضلاً مفتياً متواضعاً قاضي الحاجة لكل من يقصده أقام بالقدس الشريف زماناً يقرئ الناس به حتى كان يعرف بنحوي القدس، ثم قدم دمشق سنة خرب القدس المعظم وهي سنة خمس عشرة فأعطي إمامة مشهد علي بن الحسين رضي الله عنهما بالجامع وأنزل في المدرسة العزيزية فكان يقرئ بها ويتولى عقود الأنكحة وكنت إذ ذاك ساكناً بالمدرسة وأتردد إليه فقرأت عليه عروض الناصح بن الدهان الموصلي. أخبرني عن مصنفه، وقرأت أيضاً عليه جدل الكمال الأنباري. وأخبرني به أيضاً عن مصنفه. وأنشدني لنفسه ميمية في حصر أقسام الواو وغير ذلك، وكان يحثني على حفظ الحديث والتفقه فيه خصوصاً صحيح مسلم. ويقول: إنه أسهل من حفظ كتب الفقه وأنفع وأصدق رحمه الله، وحث على مسح جميع الرأس في الوضوء احتياطاً وبحث في دليله فأعجبني واستقر في نفسي فما أعلم أني تركته من ذلك الزمان إلى الآن والله المستعان فيما بقي لنا من الزمان.

وكنت أرى منه مروءة تامة في توليه عقود الأنكحة وفي فسخها وفي فعله فيما يحصل منها فكان إذا غلب على ظنه فقر أهل الواقعة لا يأخذ منهم شيئاً، وأما عند الطلاق والفراق فلا يأخذ شيئاً أصلاً سواء كانوا فقراء أو أغنياء وكان ما يتحصل له من ذلك يتصدق بجملة منه فلا يرد سائلاً، وربما جاءه من يطلب منه شيئاً فيقول اقعد فما يأتي فهو لك فأول شغل يأتيه يعطي ذلك القاصد ما يحصل منه كائناً ما كان، ومن مروءته أنه فوض إليه المسجد الذي قبلي قيسارية الفرش وكان لصاحبنا شمس الدين محمد بن عبد الجليل واتفق أنه فارقه وسافر عنه متزهداً إلى العراق ثم اتفق رجوعه فنزل له عن المسجد ورده إليه فاستحسن ذلك منه.

[وفاة ابن رواحة]

وفيها: توفي في رجب زكي الدين أبو القاسم هبة الله المعروف بابن

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

رواحة[١] من أكابر العدول والتجار أولي الثروة وبنى بحلب مدرسة للشافعية، وبدمشق مثلها داخل باب الفراديس. ووقف عليهما أوقافاً حسنة وقنع بعد ذلك باليسير وكان يسكن في بيت المدرسة الدمشقية وهو الذي في إيوانها من الشرق ويقابله من الغرب خزانة الكتب التي وقفها وهي كتب جليلة، وكان رحمه الله تام الخلقة طويلاً وعريضاً إلا أنه كان لا لحية له أصلاً، وكان مبجلاً عند القضاة، وكان قد أسند النظر الذي في مدرسته التي بدمشق إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح ثم إنه بعد موته شهد عليه بالعزل له الشيخان تقي الدين خزعل المقدم ذكره ومحيي الدين محمد العربي وكانا ساكنين قريباً من المدرسة فزعما أنه استدعى بهما ليلاً وأشهدهما عليه بعزل ابن الصلاح عن نظر المدرسة وجرت في ذلك فصول لا حاجة إلى ذكرها وكأنه كان قد ألهمه الله تعالى المصلحة في ذلك فإن ابن الصلاح أسند النظر إلى شخص أسنده ذلك الشخص إلى ولد له فغلب على وقف المدرسة وتدريسها بغير أهلية ولا استحقاق، ولا أمانة، ولا عدل؛ ولا إشفاق والأمر على ذلك إلى الآن والله المستعان ودفن الزكي بن رواحة بمقابر الصوفية.

[وفاة الظاهر بأمر الله]

وفيها: توفي في رجب أيضاً الخليفة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر أحمد[٢] ولي تسعة أشهر وأيام قام فيها بالعدل حسب طاقته وغسله محمد الخياط الشاعر. قال أبو المظفر: وحكي لي أنه دخل يوماً إلى الخزائن فقال له خادم: في أيامك تمتلئ. فقال له: ما جعلت الخزائن لتمتلئ بل لتفرغ وتنفق في سبيل الله فإن الجمع شغل التجار. وولي بعده ابنه جعفر منصور بن محمد ولقبه المستنصر بالله فبنى المدرسة المستنصرية ببغداد للمذاهب الأربعة وتوفي سنة أربعين وسيأتي ذكره.

[وفاة كافور الحسامي]

وفيها: في رجب أيضاً توفي شبل الدولة كافور الحسامي[٣] نسب إلى حسام الدين محمد بن لاجين ولد ست الشام بنت أيوب. كان خادماً، عاقلاً، ديناً،

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٩٨.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٩٥ ـ ٩٦، وشذرات الذهب ٥/ ١٠٩ ـ ١١٠، وهو الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي العباسي. وانظر أيضاً الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٢.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٩٨، وشذرات الذهب ٥/ ١٠٩.

صالحاً، مهيباً له حرمة وافرة في الدولة ومنزلة عالية عند الملوك اعتمدت عليه سيدته ست الشام في بناء تربتها، ومدرستها الشافعية بمحلة العونية، وكان حنفي المذهب فبنى مدرسة لأصحاب أبي حنيفة عند جسر كحيل في طريق الجبل ولصقها تربته والخانقاه، ووقف عليها أوقافاً جليلة، وبنى المصنع قبالة ذلك والقناة والساباط المظلل للطريق والمصنع الآخر الذي برأس الزقاق الطويل، وفتح للناس طريقاً للجبل من عند المقبرة التي غرب المدرسة الشامية تفضي إلى عين الكرش، ولم يكن إليها طريق قبل ذلك إلا من جهة مسجد الصفي المجاور لمقبرة باب الفراديس، وله صدقات دارة، وإحسان كثير. ودفن بتربته إلى جانب مدرسته المذكورة. وكان قد سمع الحديث على الشيخ تاج الدين الكندي وغيره رحمه الله.

[وفاة المعتمد والي دمشق]

وفيها: توفي المبارك إبراهيم بن موسى المعروف بالمعتمد[1] والي دمشق. ولد بالموصل وقدم الشام فخدم فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وتقلبت به الأحوال واستنابه أخو فرخشاه لأمه بدر الدين مودود الشحنة بدمشق ثم ولاه العادل الشحنكية استقلالاً فأحسن السياسة، ولطف بالرعية، وكان بين يديه نقيب له يعرف بسويد من أحذق الناس وأعرفهم بتدبير وقائع الولاية، وكان المعتمد ديناً، ورعاً، عفيفاً، نزهاً اصطنع عالماً عظيماً من النساء والرجال، وستر عليهم كبائر الأحوال، وكانت دمشق وأعمالها في أيام ولايته لها حرمة ظاهرة وهي حسنة.

قال أبو المظفر: ومما جرى له أنه كان في دمشق رجل فاتك وإلى جانب بيته قوم لهم ولد صغير في آذانه حلق من ذهب فاغتاله الرجل يوماً فخنقه وأخذ الحلق من أذنه وأخرجه في قفة ودفنه في باب الصغير. وفقدته أمه فاتهمت الرجل به فعذبه المبارز عذاباً أليماً فلم يقر وأطلق. وفي قلب المرأة النار من ولدها. فطلقت زوجها وتزوجت الرجل القاتل وأقامت معه مدة. فقالت له يوماً وهي تداعبه: قد مضى الابن وأبوه وكان منهما ما كان، وكان الزوج قد مات أنت قتلت الصغير؟ فقال: نعم وأخذته ودفنته في الباب الصغير. فقالت: قم فأرني قبره فأخذها وخرج بها إلى المقابر وحفر القبر فرأت ولدها فلم تتمالك وضربت القاتل بسكين أعدتها له فشقت بطنه ودفعته فألقته في القبر. وجاءت إلى المبارز فحكت له الحكاية فقام وخرج معها إلى القبر فكشفته له. فقال لها: أحسنت والله ينبغي لنا كلنا أن نشرب لك فتوة.

قال: وحكى لما حرم العادل الخمور ركبت يوماً وخرجت من باب الفرج

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٩٧ ـ ٩٨.

وإذا برجل في رقبته طبل وهو يتمايل تحته فقلت امسكوه وشقوا الطبل فشقوه وإذا فيه ركوة خمر فبددتها وضربته الحد قال: فقلت له من أين علمت؟ قال: رأيت رجليه وهي تلعب فعلمت أنه قد حمل شيئاً ثقيلاً. قال: وكان لداره بابان الباب الكبير عليه الغلمان والبواب؛ وباب السر في زقاق آخر.

فكان البواب إذا مسكوا في الليل امرأة من بيت معروف وحملوها إليه على حالها يقول لهم انزلوا حتى أقررها. ثم يقول لها يا بنتي أنت من بيت كبير وأهلك رجال معروفون فما الذي حملك على هذا؟ فتقول يا سيدي قضاء الله. فيقول لها ستر الله عليك. ويبعث معها الخادم من باب السر إلى بيتها فأقام على هذا نحواً من أربعين سنة. قال: وكان في قلب المعظم له شحناء لأنه كان يشفق عليه ويحفظه في أماكن يدخلها إليها بدمشق في الليل وهو شاب فأمر غلمانه أن يتبعوه من بعيد، وكان العادل من مصر يكتب إليه بذلك. فلما مات العادل أظهر ما كان في قلبه منه فاعتقله مدة في القلعة فلم يظهر عليه وعلى أحد من أولاده وحاشيته أنه أخذ من الرعية ما مقداره مثقال حبة من خردل ولا غير ما كان عليه من العفة، والأمانة، والصلاح، والديانة. ثم أنزل من القلعة إلى داره وحجر عليه فيها وبالغ في التشديد عليه وكانت وفاته يوم السبت الحادي والعشرين من ذي القعدة وعمره نحو ثمانين سنة، ودفن بجبل قاسيون في التربة التي أنشأها في الجبل.

قال: وحكي لي أنه ولي دمشق نيابة عن بدر الدين الشحنة أول ولاية صلاح الدين، ثم اشتغل بالولاية إلى أن عزل في سنة سبع عشر وستمائة، وكانت ولايته نيابة واستقلالاً قريباً من خمسين سنة. قالوا: ولم يؤخذ على المبارك شيء إلا أنه كان يحبس وينسى فعوقب بمثل ذلك وأقام محبوساً خمس سنين إلا أياماً. قال: وجرت لي معه واقعة عجيبة كنت في كل ليلة جمعة أزوره وانقطعت عنه مدة بسبب إغلاق باب داره في بعض الأوقات فرأيت في المنام كأن قبره في روضة خضراء والقبر معمول بالفص الأخضر وليس هو من جنس فصوص الدنيا فطربت لحسنه وورنق المكان فهتف بي هاتف لو رأيت ما في باطن القبر. قلت: وما في باطنه؟ قال: الدر، والياقوت، والمرجان وما يستغني عن قراءة كتاب الله. فانتبهت وفهمت الإشارة فأنا في كل ليلة أقرأ ما تيسر من القرآن وأهديه إليه وإلى أهلي وأصحابي ومعارفي رحمهم الله.

[وفاة البدر الجعبري]

وفيها: توفي البدر الجعبري والي قلعة دمشق أقام واليها مدة في أيام المعظم وخدم الظاهر بحلب وغيره وحمل إلى نابلس فدفن عند أهله.

[قدوم رسول ملك الفرنج على الملك المعظم]

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة(١)

ففيها: قدم رسول الانبرور ملك الفرنج البحرية على المعظم بعد اجتماعه بالكامل يطلب منه البلاد التي كان فتحها عمه صلاح الدين رحمه الله. فأغلظ له وقال: قل لصاحبك ما أنا مثل العزيز ما له عندي إلا السيف.

وفيها: في آخر شعبان سافرت أنا إلى البيت المقدس صحبة الفقيه عز الدين بن عبد السلام وغيره على سبيل الزيارة للأقصى والخليل وما بتلك الديار من الآثار ورجعنا إلى دمشق بعد أربعة عشر يوماً.

وفيها: حج بالناس من الشام الشجاع بن السلار وهي آخر إمرته على الحاج وآخر السنين التي كان الحج فيها رضياً طيباً وانقطع ركب الحج بعدها مدة بسبب ما وقع بالشام من الاختلاف والفتن.

وفيها: حج من ميافارقين سلطانها شهاب الدين غازي بن العادل. قال أبو المظفر: وكان ثقله على ستمائة جمل ومعه خمسون هجيناً على كل هجين مملوك وجهزه الأشرف جهازاً عظيماً وسار غربي الفرات، على قرقسيا، والرحبة، وعانة، والكبيسات، والمعمر، والعين، وشفاتا وكلها قرى فيها عيون جارية ونخل كثير. ومنها يجلب التمر إلى الشام وعبر على كربلاء فزار المشهد، ثم الكوفة وزار مشهد أمير المؤمنين. وحج بالناس من العراق شمس فيزار مملوك الخليفة وبعث الخليفة لشهاب الدين فرسين وبغلة وألفي دينار. وقال: هذه من ملكي أنفقها في طريق الحج. وأوصى أمير الحاج بخدمته، وتصدق في مكة والمدينة وعاد إلى العراق ولم يصل الكوفة بل سار غربي الطريق التي سلكها وكاد يهلك هو ومن معه عطشاً حتى وصل إلى حران.

[وفاة الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب]

وفيها: توفي بدمشق سلطانها الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب(٢).

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٩٩ ـ ١٠٤، وشذرات الذهب ٥/ ١١٣ ـ ١١٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٧٢ ـ ٤٧٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٢ ـ ٢١٥.

(٢) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٧٦ ـ ٢٩٠، مرآة الزمان ٨/ ٦٤٤، مفرج الكروب ٤/ ٢٠٨، وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٤، السلوك ١/ ٢٢٤، تاريخ أبي الفداء ٣/ ١٣٨، الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٥٧٩، كنز الدرر ٧/ ٢٨٧، الجواهر المضيئة ١/ ٤٠٢، القلائد الجوهرية ص١٤٣، شذرات الذهب ٥/ ١١٥، البداية والنهاية ١٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣، الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٣.

ملك الشام بعد أبيه من العريش إلى حمص وما بين الأرض المقدسة ومدينة النبي ﷺ من الكرك، والشوبك، والعلاء وكان قد سير في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهي السنة التي حججت فيها ثانياً من مسح الأرض من باب الجابية إلى جبل عرفات وكتبها له منزلة منزلة وسهل في طريق الحاج مواضع كانت وعرة كثيبة الصوان وكثر المير لهم في أراضي الكرك، والشوبك، وتبوك، والعلاء، والمدينة على ساكنها السلام. وكان الحجاج يجدون بذلك رفقاً عظيماً وبالجملة تفرد من بين الملوك بالجمع بين مواظبة الغزو والاشتغال بأنواع العلوم والحج إلى الحرمين بنفسه، وإعانة غيره عليه وكان عديم الالتفات إلى ما يرغب فيه الملوك من الأبهة والتعظيم والمدح وغير ذلك، فكان ينهى نوابه عن إمرة الحاج الشامي من مزاحمة الملوك في اطلاع الأعلام إلى رأس جبل عرفات. فكنت ترى عليه مركوزاً إلى جانب محمله تحت الجبل، وكان يركب وحده مراراً كثيرة ثم يتبعه من شاء من غلمانه طاردين خلفه وكان إذا كان بدمشق يأتي كل جمعة في الساعة الرابعة أو نحوها إلى تربة والده قبالة دار العقيقي يجلس فيها هو ومن معه من أمرائه وخواصه إلى أن يؤذن المؤذن لصلاة الجمعة فيخرج حينئذٍ ماشياً إلى تربة عمه صلاح الدين رحمه الله المجاورة للكلاسة فيصلي الجمعة بها مع الناس. أقام على ذلك زماناً. وكان جميل الصحبة مكرماً لأصحابه، منصفاً لهم، كأنه واحد منهم. أنشدني المحب بن أبي السعود البغدادي الحجازي وكان من الملازمين خدمته قال: نظمت فيه لما توفي رحمه الله تعالى[1]: [الطويل]

لئن غودرت تلك المحاسن في الثرى ... بوال فما وجدي عليك ببال

ومذ غبت عني ما ظفرت بصاحب ... أخي ثقة إلا خطرت ببالي

[غزو المسلمين لمدينة صور]

ثم دخلت سنة خمس وعشرين[2]

في دولة المستنصر بالله. ففي ثامن عشر صفر جاء منشور الولاية لداود من عمه الكامل محمد بن أبي بكر، وكانت الفرنج لعنهم الله وخذلهم قد تحركوا وانبثوا ببلاد الساحل لأن الهدنة كانت قد تمت وبقي المسلمون منهم في خوف، فرأيت في المنام ليلة الثلاثاء تاسع صفر كأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد

(١) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ١٠٣، ومرآة الزمان ٨/ ٦٤٦.

(٢) وستمائة. انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٠٤، وشذرات الذهب ٥/ ١١٦ ـ ١١٨، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٧٦ ـ ٤٨٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦.

جاء للنصرة وعليه برد يمان فرجية مفتوحة. وقال: سنأمر من ينادي بالرحيل إلى الساحل، ووعد بأن يستخلف على الشام إذا عاد رجلاً شريفاً شجاعاً فاستبشر الناس لهذه الرؤيا. فلما كان أواخر ربيع وذلك في أيام عيدهم الذي بعد صيامهم أغار المسلمون على بلاد صور فغنموا غنيمة كبيرة من إبل، وبقر، وغنم مقدار ستة آلاف رأس وغير ذلك، وخرج إليهم من الفرنج نحو مائتين فكانوا بين قتيل وأسير وغريق في البحر وما نجا إلا القليل ومن جملة الأسرى ابن والي صور وقيل الوالي وقيل خلصه المركب، وخبرت أن بعد الوقعة خرج جماعة من الكفار لأخذ قتلاهم فأخذوا.

[نزول العزيز عثمان على بعلبك]

وفي هذه السنة نزل العزيز عثمان بن أبي بكر بن أيوب على بعلبك ليأخذها وفيها ابن عمه الأمجد بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب فأعان الناصر داود الأمجد على العزيز وأمره بالرحيل عنها فرحل واشتد حنقه على الناصر. قالوا: وكاتب العزيز الكامل وحثه على الإتيان إلى بلد دمشق ليتسلمه وأوهمه أنه في يده فجاء الكامل وانضاف إليه العزيز وجاءهم صاحب حمص المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي وقد كانت له بمحاصرة والده ضغينة على عيسى بن أبي بكر لأنه كان نازل بلدة حمص وخرب ما حولها ونهبه فأراد استيفاء ما جرى على بلده بمحاصرة ولده فحسن ذلك في رأي الكامل واستنجد الناصر بعمه الأشرف أبي الفتح موسى بن أبي بكر فجاءه وأكرمه غاية الإكرام، وذلك في أواخر رمضان.

ثم دخل الأشرف إلى الكامل واجتمع به بالقدس فاتفقا على أخذ البلاد من داود بن عيسى وأن دمشق تكون للأشرف وانضاف إليهما من عسكر الناصر عمه الصالح إسماعيل بن أبي بكر وابن عمه شهاب الدين محمود بن المغيث عمر بن أبي بكر بن أيوب وجماعة من الأمراء مثل: عز الدين أيدمر، والكريم الخلاطي وغيرهما.

وجاء أخو الأشرف المظفر شهاب الدين غازي بن أبي بكر واجتمع الجميع بأرض فلسطين وقد كان الناصر خرج لأجل عمه الكامل وخدمته وظن أن الأشرف عنده قد أصلح أمره فوصل إلى الغور وسمع باجتماع أعمامه عليه وأنهم عازمون على القبض عليه فرجع إلى دمشق وأخذ في الاستعداد خوف الحصار وسنذكر ما جرى من ذلك في سنة ست وعشرين.

[عدد من الوفيات في هذه السنة]

وفي هذه السنة في المحرم توفي جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن

شيث بن إسحاق الكاتب[١] بدمشق ولد بأسنا من أعمال قوص سنة سبع وخمسين وخمسمائة ونشأ بقوص وتأدب فيها بفنون العلوم. كان ديناً حسن النثر والنظم وتولى الديوان ببلاد قوص، ثم بالإسكندرية، ثم ببيت المقدس، ثم بكتابة الإنشاء للملك المعظم عيسى حكى عنه القوصي في معجمه.

وفي هذه السنة توفي الشيخ الصوفي هندولا في السابع والعشرين من إحدى شهري ربيع ودفن بمقابر الصوفية. وفي أواخر جمادى الأولى توفي الشمس أحمد بن القواص، والشريف البهاء كاتب الحكم ودفنا بالجبل. وفي أوائل رجب توفي الشيخ الفقيه الصالح أبو الحسن علي المراكشي[٢] المقيم بمدرسة المالكية ودفن بالمقبرة التي وقفها الرئيس خليل بن زويزان قبلي مقابر الصوفية وكان أول من دفن بها.

وفي سادس عشر رجب توفي المحب اللبلي المعروف بالمغربي[٣] ودفن بمقبرة ابن زويزان أيضاً. وفي سادس عشر رمضان توفي الفقيه ضياء الدين بن عبد الكافي ودفن بالجبل. وفي يوم عيد الفطر توفي التقي أبو عبد الله المغربي الجابري ودفن في مقبرة ابن زويزان وقد كان معنا في المدرسة. وفي مستهل ذي القعدة توفي القابسي عبد الرحيم الذي كان يحفظ الوجيز ودفن بالجبل. وفي سادس عشر ذي الحجة توفي الجمال بن القفصي المعروف ودفن بالجبل.

وفي هذه السنة توفي الفقيه عبد المحسن الحنبلي، وموسى الموصلي بمصر ومعرفتنا شهوان السواق في الدقيق بدمشق وخلق كثير غيرهم رحمهم الله.

[عزل الصدر بن البكري عن مشيخة الشيوخ بدمشق]

وفيها: في صفر عزل الصدر بن البكري عن مشيخة الشيوخ بدمشق ووليها العماد بن صدر الدين شيخ الشيوخ، وفي سادس رمضان عزل ابن البكري عن الحسبة أيضاً ووليها الرشيد بن عبد الهادي.

وفيها: في شعبان توفي الأمين نفيس الدين أبو محمد الحسن بن علي بن

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١١٧.
(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٠٤.
(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١١٦، وفي الشذرات: اللبلي (بالباء الموحدة نسبة إلى لبلة بلد بالأندلس)، المحدث الرحال محب الدين أحمد بن تميم بن هشام الأندلسي.

الحسن بن الحسن بن محمد الأسدي المعروف بابن اللين[١] حكى عن جده الحسن وغيره. ولم يدخل ركب الحجاز في هذه السنة من طريق الشام.

وفيها: قدم قاضي البلقاء عبد الحق المالكي في أول رمضان واجتمعت به.

[وفاة ابن صصري التغلبي]

ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة[٢]

في دولة المستنصر بن الظاهر بن الناصر وسلطان دمشق داود بن عيسى. ففي أواخر المحرم منها مات الشيخ شمس الدين الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن صصري التغلبي[٣]، وكان له روايات كثيرة وعمر وأجاز لي جميع ما يرويه ولم أسمع عنه شيئاً.

[عزل القاضي نجم الدين أحمد بن محمد بن خلف المقدسي]

وفيها: في أواخر صفر عزل القاضي نجم الدين أحمد بن محمد بن خلف المقدسي، وكان نائباً وتولى استقلالاً مشاركاً لشمس الدين الخويي، وتولى القاضي محيي الدين أبو الفضائل يحيى بن محمد بن يحيى القرشي، وجلس بالكلاسة في الشباك الذي يلي المحراب الشرقي منها إماماً. قلت: كان ذلك يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر المذكور، ثم جلس في داره وكل من ذكرت من آبائه تولوا قضاء القضاة بدمشق. وكذا من قبله أخوه زكي الدين الطاهر بن محمد بن علي.

[إخلاء الملك الكامل بيت المقدس من المسلمين وتسليمه إلى الفرنج]

وفيها: في أول ربيع الآخر جاء الخبر بأن الكامل أخلى البيت المقدس من

---

(١) في شذرات الذهب ٥/ ١١٧: النفيس بن البن أبو محمد الحسن بن علي بن أبي القاسم الحسين بن الحسن الأسدي الدمشقي.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٠٤ ـ ١٠٦، وشذرات الذهب ٥/ ١١٨ ـ ١٢٢، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٨١ ـ ٤٨٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٦ ـ ٢١٩.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١١٨ ـ ١١٩، وفيه: أبو القاسم بن صصري مسند الشام شمس الدين الحسن (بدل الحسين) بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد التغلبي الدمشقي الشافعي، وكذلك اسمه في كشف الظنون ٥/ ٢٧٩، وفي كشف الظنون توفي سنة ٥٨٦هـ، صنّف «رباعيات التابعين في الحديث»، «عوالي ابن عيينة»، «فضائل بيت المقدس»، «فضائل الصحابة»، «معجم الشيوخ».

المسلمين وسلمه إلى الفرنج وصالحهم على ذلك وعلى تسليم جملة من القرى فتسلموه ودخلوه مع ملكهم الانبرور، وكانت هذه من الوصمات التي دخلت على المسلمين وكانت سبباً في أن توغرت قلوب أهل دمشق على الكامل ومن معه، ووجد بها الناصر طريقاً في الشناعة عليهم، وفي هذا الشهر تقدمت جيوش الكامل مع إخوته الأشرف والمظفر، والعزيز، والصالح، وابني أخيه الجواد بن محمد. وداود بن المغيث ومعهم صاحب حمص وعسكر حلب وحماة فنزلوا عند الجسور وراء مسجد القدم، وقطعوا عن دمشق أنهارها بانياس، والقنوات، ثم يزيد، وثورا، ونهبت البساتين، وأحرقت الجواسق، وخربت رباع، وبادت الأشجار بانقطاع الماء، وجرت وقعات فقتل قوم وجرح آخرون، وهدم كثير من الرباع والخانات حول البلد من خارج لا سيما على كل باب.

ولما كان يوم السبت الرابع والعشرون من جمادى الأولى وقعت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير وجرح جم غفير، ونهب قصر حجاج والشاغور، وأطلق فيها النيران ووصلت خيل المحاصرين إلى دور البلد من جوانبه ودخلوا الميدان الأخضر، ثم رجعوا آخر النهار إلى خيامهم وقد كثرت القتلى والجرحى في الفريقين، وكثر الحريق والنهب، ثم تسلموا حصن عزتا بما فيه من سلاح وغيره صلحاً مع متوليه. وفي يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة وصل الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب إلى دمشق، ونزل بالقرب من مسجد القدم، وأمر بإجراء نهري يزيد، وثورا لأجل سقي الأراضي، وخرج إليه الفاضل أحمد بن عبد الرحيم بأمان منهما، وأنفذ الناصر من جهته في أواخر النهار جماعة من كبراء البلد من العلماء، خطيب الجامع جمال الدين الدولعي، وقاضي القضاة شمس الدين الخويي والقاضي شمس الدين الجويني بن الشيرازي، وجمال الدين الحصيري شيخ الحنفية إلى الكامل نيابة عنه في الخدمة والسلاح ثم عاودوا من الغد. وخرج يوم الثلاثاء حادي عشر الشهر عز الدين أيبك أستاذ الدار إلى الكامل باستدعائه وجرى الحديث في الصلح وعاد ليلاً ومضى وعاد مرات، وكان يأتي إليه عماد الدين شيخ الشيوخ فلم ينظم صلح في الظاهر.

ولما كان خامس عشر جمادى يوم السبت وقعت بينهم وقعة قبالة باب الحديد وفي الميدان وما بين ذلك وكان النصر فيه لأهل البلد. وفي الغد يوم الأحد وقع الحريق والنهب من ناحية باب توما، وأحرقت الطاحونة الأحد عشرية والحرشنية، والتي في مرج الشيخ، وطاحونة الأشنان أحرق بعضها ثم أطفئ، ونهبت الدور حول ذلك ووقع الجرح والقتل.

وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين من الشهر خربوا قريات من قرى الغوطة وأخرجوا أهلها منها: جوبر، وجديا، وزملكا، ثم خربت سقبا وغيرها والأسعار كلما مرت تغلوا، والخوف حول البلد، وقد انقطع عنه الجلب، وبلغت أوقية الاشنان تسعة أفلس.

وحكى لي والدي أن شخصاً اشترى أوقية بأربعة عشر فلساً، وبلغت أوقية الخبز نصف درهم، ورطل اللحم ستة دراهم. وأما الخبز فكان بحمد الله موجوداً كثيراً، وكان أطيب شيء فيه وهو المثلث يباع رطله بثلاثة عشر قرطاساً، وسمعت والدي وجماعة من المشايخ الذين شاهدوا الحصارات المتقدمة في دولة أولاد صلاح الدين يحكون أنهم ما رأوا أشد من هذا الحصار، ووصل الخبر بأن نائب الناصر بحصن الكرك وهو الأمير سعد الدين بن صارم الدين أخرج الأجناد الذين معه مع من انضاف إليهم من العرب وكبس العسكر الذي نازلهم من جهة الكامل فأخذوهم برقابهم وفازوا بأسلابهم، ثم إنهم زحفوا من ناحية الميادين مراراً والكرة عليهم، واتخذوا مسجد خاتون ومسجد الشيخ إسماعيل وخانقاه الطاحون، والجوسق، الذي في الميدان الأخضر حصوناً وظهوراً لهم، وأحرق الناصر لأجل ذلك مدرسة أسد الدين وخانقاه خاتون وما يليها من الخانات والدور وبستان ابن يمن والحمام وخربت خانقاه الطواويس وذلك في أوائل رجب وزحفوا يوم الأحد تاسع رجب آخر النهار إلى أن وصلوا محاذاة الباب الحديد.

ورأى شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ليلة السبت خامس عشر رجب كأن قائلاً يقول له بعد شهر تكون دمشق كأنها جنة الخلد وكان تمام الشهر ليلة نصف شعبان وكان الناس فيها في أطيب عيش لأن الصلح انتظم أول شعبان وما زال البلد والناس في ترف من زوال الشعث وكثرت الخيرات، ولهم في ليلة النصف من شعبان موسم معلوم يحتفلون فيه ويكثرون الوقيد في المساجد لكن عادتهم كل سنة تكثر الرجمة والضراب والنهب والعياط ولم يكن في هذا النصف مثل ما كنا نعرف في غيره بل كان الناس في سكون مع قلة زحمة وهم في سرور والصلح والرخص. فقلت: هذه الجنة التي أشار إليها المنام.

وكان سبب الصلح أن الناصر خرج ليلة الأربعاء رابع عشر رجب إلى الكامل واجتمع به ثم اجتمعا مرات حتى تقرر الصلح بينهما على أن يبقى له مما كان في يده بلاد الكرك، وبلد نابلس، وقرايا من الغور والبلقاء. ودخل عسكر الكامل دمشق يوم الاثنين مستهل شهر شعبان، ورحل الناصر يوم الجمعة ثاني عشر شعبان من دمشق إلى بلاده التي بقيت عليه، ودخل الكامل وأخويه يوم الثلاثاء سادس

عشر الشهر فزار قبر والده ثم خرج إلى مقامه بجوسق العادل ثم دخل هو والأشرف القلعة يوم الخميس ثامن عشر شعبان، ثم توجهت عساكر الكامل صوب حماة فنزلوا عليها يحاصرونها ومعهم صاحب حمص شيركوه والمظفر والمنصور بن تقي الدين وهو أخو سلطانها حينئذٍ، وتسلم الأشرف دمشق في أواخر شعبان وأعطى الكامل عوضها جملة من بلاد الشرق منها. حران، والرها، ورأس عين، والرقة، والمؤزر. ثم دخل الكامل في تاسع رمضان صوب الشرق فنزل إلى خدمته صاحب حماة المحاصر بها حينئذٍ وهو الناصر صلاح الدين قليج أرسلان بن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وتسلم نواب الكامل حماة في آخر رمضان، وسار الكامل إلى بلاده التي جعلت له في الشرق وانتقل عسكره فنزل على بعلبك ورحل الأشرف من دمشق إليها وحاصروها.

وفيها: قدم الأمجد بن فرخشاه وهو ابن عم الكامل فتسلموا البلد وبقي الحصار على القلعة ثم رجع الأشرف إلى دمشق. وفي هذه السنة أهين جماعة من المتجبرين. ففي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة علق هبة الله النصراني الذي كان متولي خزانة السلطان علق بيده اليمنى على باب كنيسة مريم وفي رجليه لبنة من حديد وكان قد عزل عن الخزانة وحبس، ثم اركب على بغل وأتي به من الحبس مهاناً والحديد في رجليه والناس حوله ليشهدوا عذابه، فعلق على باب الكنيسة وطلب منه أموال عظيمة وهرب أهله وقد كان الملعون تمكن من المسلمين وآذاهم ورفع منار النصارى وتسلطوا بجاهه على المسلمين، وجدد لهم بناء كنيسة مريم، وشيد بنيانها. ورفع بابها، وحسن عمارتها، ثم هدم ما زاده وأعيدت الكنيسة إلى ما كانت عليه في شعبان بأمر السلطان الكامل؛ وحضر ذلك جماعة من العلماء، والعدول، والشيوخ وخلق كثير من العامة وتولى النصارى هدم ذلك بأنفسهم، وكتب لهم بذلك مكتوب وقد كان اشتهر الاشتغال بعلوم الأوائل بدمشق في أواخر دولة المعظم بن أبي بكر، وفي دولة ابنه داود وكثر ذلك حتى أخمده الله بالدولة الأشرفية.

وفيها: يوم الثلاثاء تاسع شعبان قدم علينا دمشق الشيخ الإمام الزاهد الورع رشيد الدين عبد العزيز بن محمد بن الطاهر المعروف بابن عوف من ذرية عبد الرحمن بن عوف صاحب رسول الله ﷺ من فقهاء الإسكندرية ومفتيها في مذهب مالك بن أنس رحمه الله لشغل عرض له، واجتمعت به الغد من مجيئه بالمدرسة العادلية مع شيخنا أبي عمر، وحكى لنا أن عمره إذ ذاك ستون سنة؛ وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً كصيام داود عليه السلام وأتى معه بدقيق من الاسكندرية فلم يزل يأكل منه حتى رجع ولا يتناول من غيره.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: مات جماعة من أصحابنا ومعارفنا وغيرهم فمنهم: سبعة كانوا من سكان مدرستنا، وجماعة من الفقهاء المالكية ومن جملة من توفي من أصحابنا اثنان كانا من أعزهم علي، وأكثرهم لي اجتماعاً **أحدهما**: زين الدين بن أحمد بن يوسف الفرغاني أصابته نشابة في كتفه يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأولى ومات يوم الاثنين السادس والعشرين منه ودفن في مقابر الصوفية المشرفة على نهر بانياس. وكان رحمه الله فاضلاً ديناً خيراً حسن الأخلاق من أحسن ما رأينا من الأصحاب، وكان قد زار كثيراً من البلاد وهو في زي الفقراء لا يرجع إلى معلوم مع عرضه عليه وقدم علينا دمشق في سنة خمس وعشرين وكان قد حج من العراق فلما قضى حجه أتى مصر ثم جاء إلى الشام وكان رحمه الله قد عزم معي على المجاورة بالحجاز وكنا على هذا العزم في هذه السنة فاخترمته المنية وكان مولعاً كثيراً بإنشاد الأشعار الرقيقة أنشدني في عشية يوم أصابه السهم قال سمعت الشيخ شهاب الدين السهروردي ينشده: [الطويل]

شربت الهوى والخمر صرفاً كليهما ... فكان الهوى عندي أشدهما سكرا
أما والهوى لو ذقت طعماً من الهوى ... لما كنت من بعد الهوى تشرب الخمرا

والثاني: ظهير الدين عبد الغني بن حسان بن عطية بن يخلف الكناني المصري النحوي توفي عاشر شوال ودفن الغد في مقابر ابن زويزان وكان من خيار من صحبت من الأصحاب له أخلاق حسنة وتعصب وقيام في حق من يعرفه ولديه فضل وعلم وعبادة وأما كرمه وسخاؤه وجوده وأفضاله فشائع عنه مشتهر يعرفه الخاص والعام رحمه الله ورضي عنه أردت في طريق الحجاز في رجوعي منه سنة اثنتين وعشرين وستمائة أن أسير إليه كتاباً في أوله: [الكامل]

أنت الظهير على المكارم كلها ... من رد ذلك فهو عين معاند
عبد الغني ولست عبداً للغنى ... بحر الفرائد حبر كل فوائد

ولم يكن لي صاحب أخص منه كنت آنس به وبحديثه وفي أضيق ما أكون من الهم أجتمع به فيزول عني برحمة الله وكان اشتغل بالعربية على شيخنا أبي عمر وصحبه في الديار المصرية وفي سفره إلى الشام ولم يزل يعلق عنه ويشتغل عليه بالعربية والأصول إلى أن توفي وكان كثير الاعتناء بكلامه علق عنه أشياء كثيرة لم يعلقها أحد وقد حصلت والحمد لله بخطه في ملكي.

ومن جملة من توفي من أصحابنا مؤذن مدرستنا الشيخ الصالح أبو الحسن

علي المغربي المالقي وكان لديه علم وعمل رحمه الله توفي في الثالث والعشرين من رمضان ودفن بمقبرة ابن زويزان وكان عازماً على الرجوع إلى المغرب إلى أهله ثم على الإقامة بمدينة رسول الله ﷺ والآذان في منارته.

وفي التاسع والعشرين من شعبان توفي فخر الدين علي بن بكمش التركي النحوي تلميذ الشيخ العلامة تاج الدين أبي اليمن الكندي.

وقال غيره: توفي الشيخ فخر الدين أبو الحسن علي بن بكمش بن عبد الله التركي النحوي البغدادي يوم الاثنين سلخ شعبان من السنة بدمشق والله أعلم.

وفي رابع عشر رمضان مات أبو الحسن علي بن أبي بكر الشاطبي التجيبي المقرئ ودفن بباب الفراديس وكان كثير التعبد وكان قد اشتغل بالقراءات والنحو بالمغرب ثم صحب بمصر الشيخ الإمام الحافظ أبا القاسم بن فيرة الشاطبي صاحب القصيدة وكان يكرمه لأجل أنه من بلده.

وفي يوم الأربعاء السادس والعشرين من جمادى الآخرة مات الرجل الصالح محمد السبتي النجار[١] ودفن بالجبل وكان الجمع في تشييعه متوفراً وكان رحمه الله كثير الإحسان لا سيما في حق الغرباء والواردين ساعياً في مصالحهم وكان محباً لأهل الخير متقرباً إليهم وجدد المسجد في أول الشارع الذي هو غربي دار الركوة على يسار الداخل إلى الشارع من ماله. وأخبرني صاحبنا أبو حفص عمر بن محمد الموصلي. قال: حدّثني الشيخ أبو الحسن علي المصمودي الضرير أنه سمع الشيخ عبد الصمد الدكالي كان مجاوراً بالكلاسة، وكان معدوداً من الصالحين يقول كلاماً ما معناه: هاهنا رجلاً من الأبدال[٢]. يعني محمد السبتي، ولم يبينه المصمودي لعمر الموصلي إلا بعد موت السبتي قال: وكان الشيخ عبد الصمد أوصاه أن لا يعلم به أحداً.

وفي هذه السنة جاءنا الخبر بوفاة المسعود أطسيس بن الكامل[٣] صاحب مكة واليمن ودفن بالمعلى وكان عسوفاً لكنه قمع الخوارج. ونفى الزيدية من مكة وأمن الحاج بها، وكان الناس بمكة في أيام دولتهم في أمن وخصب، وكان ملكها سنة تسع عشرة وستمائة وبنى القبة التي على المقام.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٠٥.

(٢) الأبدال: جمع بديل، وهم قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر.

(٣) في البداية والنهاية ١٣/ ١٠٥: الملك المسعود أقسيس بن الكامل صاحب اليمن، وفي شذرات الذهب ٥/ ١٢٠: الملك المسعود أفسيس بن الكامل، وأفسيس بلغة اليمن: موت.

وجاءنا الخبر من المدينة شرفها الله في آخر رمضان بموت الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد الغماري، وكان مجاوراً بالحرمين من صغره؛ وكان كثير الإحسان إلى الفقراء.

وجاءنا الخبر من مصر بوفاة أبي الحسن علي بن صالح القليني من قرية بمصر يقال لها قلين وكان من أصحاب الشيخ الشاطبي وحج مع شيخنا أبي الحسن السخاوي وهو الذي أنشد النبي ﷺ قصيدة شيخنا الميمية وإياه عنى شيخنا بقوله:

(واغفر لمنشدها على ذنبه)

وانقطع الحاج هذه السنة أيضاً من الشام ومصر.

وفيها: توفي البهاء بن الحنبلي[1] أخو الناصح والشهاب وهو الأكبر والناصح بعده بتسع سنين، والشهاب بعد الناصح بتسع سنين. ومات الشهاب سنة تسع عشرة وستمائة في شهر ربيع الأول.

[وفاة زين الأمناء بن عساكر وتسلم الأشرف قلعة بعلبك]

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة[2]

في خلافة المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر وسلطان دمشق الأشرف أبو الفتح موسى بن العادل بن أيوب.

ففي ليلة الجمعة سادس عشر صفر توفي الشيخ أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة بن عبد الله بن الحسن الشافعي المعروف بزين الأمناء بن عساكر[3] رحمه الله. وكان شيخاً صالحاً كثير الصلاة والذكر وعمره نحو ثلاث وثمانين سنة إلا شهراً وأربعة عشر يوماً لأني رأيت بخطه أن مولده سلخ ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة وكانت له روايات كثيرة لكتب الحديث وغيرها عن غير الحافظ أبي القاسم علي، والصائن أبي الحسن هبة الله بن الحسن، وأمه أسماء بنت أبي البركات محمد بن الحسن بن الدان خالة محيي الدين القاضي ولم يزل الناس ينتفعون عليه بالسماعات حتى توفي. وكان قد أقعد

---

(١) هو بهاء الدين أبو العباس أحمد بن نجم بن عبد الوهاب بن الحنبلي الدمشقي (انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١١٩).

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨، وشذرات الذهب ٥/ ١٢٢ ـ ١٢٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٨٦ ـ ٤٩٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٠٨، وشذرات الذهب ٥/ ١٢٣.

في آخر عمره وكان يحمل في محفة إلى الجامع وإلى دار الحديث التي أنشأها نور الدين بن زنكي رحمه الله ليسمع عليه. أجاز لي جميع ما يرويه وسمعت عليه طائفة من كتب الحديث ودفن رحمه الله عند قبر أخيه الفقيه المفتي أبي منصور عبد الرحمن بن محمد المعروف بالفخر بن عساكر بالشرف القبلي ظاهر دمشق واجتمع في جنازته خلق كثير حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله.

وفيها: في ربيع الآخر تسلم الأشرف بن العادل بن أيوب قلعة بعلبك من ابن عمه بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وقد كان حصارها قد طال ثم دخل الأشرف إلى بلاد الشرق واستخلف على دمشق أخاه الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب.

[وفاة بيرم المارديني]

وفيها: في حادي عشر شهر جمادى الأولى توفي الشيخ بيرم المارديني(١) صليت عليه بجامع دمشق وخرجت في جنازته إلى الجبل فدفن شرقي مقبرة ابن شيث على تل هناك. وكان شيخاً صالحاً، محباً للعزلة والانفراد، صابراً على الفقر والجوع، كثير الصوم والمجاهدة، وكان مقيماً بالزاوية الغربية بجامع دمشق المعروفة بزاوية الدولعي؛ وتعرف قبله بزاوية القطب النيسابوري، وقبله بزاوية نصر المقدسي، واسمه: بيرم أوله باء معجمة بواحدة من تحتها وهي مفتوحة وبعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها. وبعدها راء مفتوحة.

[استيلاء خوارزم شاه على خلاط]

وفي جمادى الآخرة جاء الخبر بأن خوارزم شاه ملك بلاد خلاط واستولى عليها، وقتل كثيراً من أهلها. وجاء الخبر بأن الفرنج خذلهم الله استولوا على جزيرة ميورقة وقتلوا خلقاً كثيراً، وأسروا كذلك وقدموا ببعض الأسرى إلى ساحل الشام فاستفك منهم طائفة فقدموا علينا دمشق وأخبروا بما جرى عليهم.

وفي آخر شعبان المعظم حوط أحمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن أحمد البيساني المعروف بابن القاضي الفاضل درابزيناً شمالي بركة الكلاسة شمالي جامع دمشق وجعل داخله مكاناً يقرأ فيه القرآن والسنة، ووقف خزانة كتب في المقصورة التي تليها التي أنشأها والده ثم خرب ذلك جميعه وأضيف إلى المسجد لما بنيت التربة الأشرفية وبقي ذلك يقرأ فيه الحديث وفيه خزائن الكتب.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/١٠٨.

وفي سابع عشر شهر شوال المكرم جاء كتاب الأشرف بن العادل بن أيوب بأنه التقى الخوارزمي وكسره وذلك في أواخر رمضان، وقد كان الخوارزمي قد استولى على بلاد خلاط فسار الأشرف من دمشق واتفق هو وملك الروم على لقائه فجمعوا العساكر والتقوا معه والتقى الجمعان للقتال يوم السبت ثامن عشر رمضان. وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه: أن ذلك كان في الثامن والعشرين وانكسرت الخوارزمية ووقع منهم في واد خلق فهلكوا، وهبت عليهم رياح، ونهبوا وأخذوا وتتبعوا إلى يوم عيد الفطر، وانبثت البشائر في البلاد لأن هذا الخوارزمي كان لا يأخذ بلد إلا قتل أهله وسبى وسلب الأموال، وفسقوا بنسائهم وأولادهم، وقد كان الأشرف قد رأى قبل الكسرة النبي ﷺ في المنام فوعده بالنصر عليهم. فقال: يا موسى أنت منصور عليهم، ومظفر بهم. أو كما قال رسول الله ﷺ. ثم سار الأشرف فاسترد بلاد خلاط وأوغل في طلب الخوارزمي في بلاده ثم رجع وانقطع الحاج هذه السنة أيضاً من الشام فصارت ثلاث سنين متوالية لانقطاع الحاج من الشام.

[ظهور الغلاء بالديار المصرية]

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة[1]

وفيها: في خلافة المستنصر بالله أبي جعفر بن الظاهر وسلطان دمشق الأشرف بن العادل بن أيوب ونائبه فيها أخوه الصالح بن العادل ففي أولها: أحدثت الإمامة للصلوات الخمس بمشهد أبي بكر شرقي جامع دمشق جعل له إمام راتب.

وفيها: ظهر الغلاء بالديار المصرية فإن نيلها نقص في شوال سنة سبع وعشرين وهو الموافق لشهر مسرى من شهور القبط.

[وفاة مهذب الدين الدخوار]

وفيها: في صفر توفي الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار[2] شيخ الأطباء بدمشق في زمانه. وهو الذي وقف داره مدرسة

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/١٠٨ ـ ١١٢، وشذرات الذهب ٥/١٢٦ ـ ١٢٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٩٠ ـ ٤٩٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢٦.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/١٠٩ ـ ١١٠، وشذرات الذهب ٥/ ١٢٧ ـ ١٢٨، وكشف الظنون ٥/ ٥٦٠، له من الكتب: «اختصار الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني»، «اختصار الحاوي للرازي» في الطب، «تعاليق ومسائل» في الطب، «شكوك طبية وأجوبتها»، «كتاب الجنين وأيضاً الحنينة»، «كتاب الرد على شرح ابن أبي صادق لمسائل حنين بن إسحاق»، «مقالة في الاستفراغ»، «مقالة يرد فيها على رسالة ابن الحجاج يوسف الإسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة» وغير ذلك.

للأطباء وهي بنواحي الصاغة العتيقة. ومولده بدمشق سنة خمس وستين وخمسمائة. قال القوصي أنشدني الحكيم الفاضل أبو الحسن بن التلميذ[١] في الإسرائيلي صاحب المعتبر[٢]: [البسيط]

لنا صديق يهودي حماقته ... إذا تكلم تبدو فيه من فيه

يتيه والكلب خير منه منزلة ... كأنه بعد لم يخرج من التيه

[وفاة مجد الدين البهنسي]

وفي صفر هذه السنة توفي أيضاً مجد الدين البهنسي. واسمه: الحارث بن مهلب بن حسن المهلبي[٣] حكى عن والده مقطعات من شعره وغير ذلك. وكان والده نحوياً أديباً فقيهاً، وكان قد وزر للأشرف بالشرق، ثم نكب بحران واعتقل مدة وكشف عليه في حلب نعمته ثم أفرج عنه وأقام بدمشق إلى أن توفي بها ودفن في التربة التي وقفها عليه أخوه بجبل قاسيون.

وفيها: في آخر ربيع الآخرة سافرت إلى الديار المصرية فدخلت دمياط في جمادى الأولى، والقاهرة ومصر في جمادى الآخرة، والإسكندرية في ذي الحجة.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: ولد أخي أبو محمد بن إسماعيل.

وفيها: في مستهل ذي الحجة توفي الزين النحوي يحيى بن معطي الزواوي[٤] رحمه الله بالقاهرة وأنا بها وصلي عليه بجنب القلعة عند سوق الدواب

---

(١) هو أمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن هبة الله بن إبراهيم البغدادي الطبيب المسيحي المعروف بابن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠هـ، صنف من الكتب: «اختصار شرح جالينوس لكتاب تقدمة المعرفة لأبقراط»، «اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول»، «اختيار كتاب الحاوي للرازي»، «اختيار كتاب مسكويه في الأشربة»، «أقرباذين»، «تتمة جامع الإسكندرانيين لكتاب حيلة البرء لجالينوس»، «تعاليق استخرجها من كتاب المائة للمسيحي»، «التعاليق على كتاب المنهاج»، «الحواشي على قانون ابن سينا»، «الحواشي على كتاب المائة للمسيحي»، «شرح أحاديث نبوية تشتمل على الطب»، «شرح مسائل حنين بن إسحاق»، «كتاب التوقيعات والمراسلات»، «كناش مختصر»، «مختار كتاب أبدال الأدوية لجالينوس»، «مقالة في الفصد»، «المقالة الأمينية في الأدوية البيمارستانية».

(٢) الأبيات ليست لابن التلميذ بل لابن أفلح كما في أخبار الحكماء (هامش الأصل).

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١١٠.

(٤) في البداية والنهاية ١٣/ ١٠٩: يحيى بن معطي بن عبد النور النحوي صاحب الألفية، ويلقب زيد الدين، وفي شذرات الذهب: ابن معطي النحوي الشيخ زين الدين أبو الحسين =

وحضر الصلاة عليه السلطان الكامل بن العادل ودفن بالقرافة في طريق قبة الشافعي رحمه الله على يسار المار إليها على حافة الطريق محاذياً لقبر أبي إبراهيم المزني رحمه الله. حضرت دفنه والصلاة عليه، وكان آية في حفظ كلام النحويين.

وفيها: توفي الزين الكردي أبو عبد الله محمد المقرئ[١] وكان من أصحاب الشيخ أبي القاسم الشاطبي رحمه الله توفي بدمشق وأخذ مكانه في الجامع شيخنا أبو عمرو بن الحاجب. وحج الناس في هذه السنة من الشام، ومصر. وفيها حج شيخنا ابن الصلاح ثم انقطع الحاج بعد هذه السنة.

وفيها: توفي الملك القاهر تاج الملوك إسحاق بن العادل[٢] والله أعلم.

[وفاة العماد المحلي]

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة[٣]

وأنا بالإسكندرية في خلافة المستنصر بن الظاهر بن الناصر وسلطان دمشق الأشرف بن العادل، وفي الديار المصرية أخوه الكامل بن العادل.

ففيها: رجعت إلى دمشق في سابع ربيع الآخر فوجدت العماد المحلي مريضاً ومات في تلك الأيام ليلة الأربعاء عاشر شهر ربيع الآخر واسمه: حسام بن غزي بن يونس[٤] وكان ظريفاً شاعراً حسن المحاضرة ودفن في مقابر الصوفية حضرت دفنه وله ترجمة حسنة في معجم القوصي. وفي مستهل جمادى الأولى مات صاحبنا أبو القاسم بن إبراهيم المعروف بالعلم بن النحاس ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه وكان شاباً حسناً ديناً حسن الخلق والسمت رحمه الله.

= يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي. وفي كشف الظنون ٦/ ٥٢٣: زين الدين أبو زكريا يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الأصل، المصري المولد والدار، الفقيه النحوي الحنفي الشهير بابن معط. صنّف: «الدرة الألفية في علم العربية» في النحو مشهور، «حواش على أصول ابن السراج»، «ديوان خطب»، «شرح أبيات كتاب سيبويه»، «شرح الجمل في النحو»، «العقود والفوائد» في النحو، «قصيدة في القراءات السبع»، «كتاب العروض نظماً»، «كتاب المثلث»، «نظم الجمهرة لابن دريد» في اللغة، «نظم صحاح الجوهري».

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٢٧، وفيه: الزين الكردي محمد بن عمر المقرئ.

(٢) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٣٢٧، مفرج الكروب ٣/ ٢٧٤، النجوم الزاهرة ٦/ ١٧٢، ترويح القلوب ص٦٢.

(٣) انظر البداية والنهاية ١٣/ ١١٢ ـ ١١٤، وشذرات الذهب ٥/ ١٢٩ ـ ١٣٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٤) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١١٣.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: في تاسع جمادى الأولى توفي القاضي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الشيباني الحنفي المعروف بابن الموصلي[١] ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق ومولده في رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسمائة وأجاز لي جميع ما يرويه وكان شيخاً ديناً لطيفاً.

وفيها: في إحدى الجمادين عزل القاضيان الشمسان الخويي وابن سني الدولة وولي مكانهما قاضي القضاة العماد عبد الكريم بن الحرستاني وعزل في سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وتولى ابن السني.

وفيها: وصل إلينا الخبر بوفاة الشيخ ابن عيسى[٢] بالإسكندرية وكانت له مسموعات كثيرة على الحافظ السلفي وغيره وأجاز لي جميع ما يرويه.

وفيها: توفي الجمال ابن الحافظ عبد الغني الحنبلي[٣] ودفن بالجبل.
وفيها: توفي ضياء الدين عيسى بن الفقيه أبي الحسن بن سيدهم المصري[٤] ويعرف أبوه بصمد يعقوب بدمشق عند يوسف بن أبي الحسن. وكان كما أخبرني أديباً فاضلاً ومن شعره: [البسيط]

أرسلت من كبد لما رميت به ... ما سار من كبد إلا إلى كبد

وهذان المستنصر بن الظاهر بن الناصر وأنا بدمشق. ففيها أنشئت دار تعرف أولاً بدار قايماز النجمي وولي الاشتغال فيها مستهل رمضان قدومه من الحاج ولبث إذ ذاك بمصر وكان قد أنشدني لأخيه: [الكامل]

القوس ابنها فغدت تهن ... والأم قد تحنو على الولد

من الأبيات الفائقة.

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) في شذرات الذهب ٥/ ١٣٢ ـ ١٣٣: عيسى ابن المحدث عبد العزيز بن عيسى اللخمي الشريشي ثم الإسكندراني المقرئ، سمع من السلفي وقرأ القراءات على أبي الطيب عبد المنعم بن الخلوف. ولعله هو.

(٣) في البداية والنهاية ١٣/ ١١٢: الجمال عبد الله ابن الحافظ عبد الغني المقدسي. وفي شذرات الذهب: أبو موسى الحافظ جمال الدين عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي الحافظ ابن الحافظ.

(٤) لعله عيسى ابن المحدث عبد العزيز بن عيسى اللخمي الشريشي المقدم ذكره قبل قليل.

[إتمام بناء دار الحديث الجديدة]

ثم دخلت سنة ثلاثين وستمائة(١)

في خلافة المستنصر وفيها: تم بناء دار الحديث الجديدة التي أنشأها الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي هذه السنة توفي جماعة من السلاطين منهم: المغيث بن المغيث بن العادل(٢)، والعزيز عثمان بن العادل(٣) وابنه. توفي العزيز عثمان ليلة الحادي عشر من رمضان وتوفي المغيث في حصار حصن كيفا في المحرم ومظفر الدين صاحب أربل(٤) وغيرهم. مولد العزيز عثمان في ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ومات بالنعيمة.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة(٥)

ففيها: توفي بهاء الدين بن أبي اليسر في خامس عشر المحرم ومولده سنة خمس وستين وخمسمائة.

وفيها: مات الشيخ أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي المعروف بالسيف الآمدي(٦) ودفن بجبل قاسيون رابع صفر وكان حسن الأخلاق،

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ١١٤ ـ ١١٨، وشذرات الذهب ٥/ ١٣٤ ـ ١٤٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٢) المغيث بن المغيث بن العادل: كذا بالأصل، والصحيح المغيث بن العادل، وهو محمود بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، شهاب الدين، توفي في هذه السنة، انظر شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٣٢٦، ومفرج الكروب ٣/ ٢٧٣، وترويح القلوب ص٦١.

(٣) انظر ترجمته في مرآة الزمان ٨/ ٤٧٨، والبداية والنهاية ١٣/ ١١٦، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨١، والدارس في تاريخ المدارس ١/ ٥٤٩، وشفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٣٢٠ ـ ٣٢١، وشذرات الذهب ٥/ ١٣٦.

(٤) هو الملك مظفر الدين صاحب أربل الملك المعظم أبو سعيد كوكبري ابن الأمير زين الدين علي كوجك التركماني، وكوجك بالعربي: اللطيف (انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٣٨ ـ ١٣٩)، وفي البداية والنهاية ١٣/ ١١٦: الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن تبكتكين. وانظر أيضاً تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٨.

(٥) انظر البداية والنهاية ١٣/ ١١٨ ـ ١٢١، وشذرات الذهب ٥/ ١٤٣ ـ ١٤٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠.

(٦) في البداية والنهاية ١٣/ ١١٩: السيف الآمدي أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن =

كبير القدر في معرفة الأصولين، والجدل. والخلاف، والمنطق، وعلوم الأوائل، وصنف فيها كتباً كثيرة[(١)].

وفيها: في شعبان توفي القاضي عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر[(٢)]. روى عن محمد وغيره ومولده سنة تسع وخمسين وخمسمائة بدمشق في رمضان المبارك.

وفيها: في شعبان أيضاً توفي بالموصل العز علي بن محمد بن عبد الرحيم الجزري المعروف بابن الأثير المؤرخ[(٣)] صاحب المصنفات[(٤)] ولد سنة خمسين وخمسمائة. وفيها: ولدت أم الحسن فاطمة بنت عبد الرحمن بن إسماعيل في الثالث والعشرين من شوال جعلها الله ذرية مباركة.

وفيها: جاءنا الخبر إلى دمشق بوفاة الشيخ العالم الزاهد أبي عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي[(٥)] بمدينة رسول الله ﷺ في شهر صفر من هذه السنة وصلى عليه الشرف محمد بن أبي الفضل المرسي وأخبرني بدمشق أن وفاته

= سالم الثعلبي. الشيخ سيف الدين الآمدي، ثم الحموي ثم الدمشقي. وانظر أيضاً شذرات الذهب ٥/ ١٤٤ ـ ١٤٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٠، وكشف الظنون ٥/ ٧٠٧.

(١) ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ٥/٧٠٧، منها: «أبكار الأفكار» في الأصول، «الإحكام في أصول الأحكام»، «تعليقة الصغيرة» في الخلاف، «تعليقة الكبيرة» في الخلاف، «خلاصة الإبريز تذكرة للملك العزيز» في العقائد، «دقائق الحقائق» في الحكمة، «دليل متحد الائتلاف وجار في جميع مسائل الخلاف»، «رموز الكنوز» في الحكمة، «شرح كتاب الجدل للشريف المراغي»، «طريقة في الخلاف»، «غاية الأمل في علم الجدل»، «غاية المرام في علم الكلام»، «الغرائب وكشف العجائب في الاقترانات الشرطية»، «فرائد الفوائد» في الحكمة، «كتاب الترجيحات» في الخلاف، «كتاب المبين في معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين»، «كشف التمويهات في شرح التنبيهات»، «لباب الألباب» في المنطق، «منائح القرائح»، «منتهى السالك في رتب المسالك»، «منتهى السول في علم الأصول»، «المؤاخذة [المآخذ] الجلية في المؤاخذات الجدلية»، «النور الباهر في الحكم الزواهر».

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٤٦.

(٣) في البداية والنهاية ١٣/١١٨، وشذرات الذهب ٥/١٣٧، وكشف الظنون ٥/٧٠٦، توفي ابن الأثير الجزري سنة ٦٣٠هـ.

(٤) من مصنفاته: «أداب السياسة»، «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، «تاريخ دولة الأتابكية بموصل»، «تحفة العجائب وطرفة الغرائب» في التاريخ، «الجامع الكبير في علم البيان»، «كامل التواريخ» وهو «الكامل في التاريخ»، «كتاب الجهاد»، «اللباب في تهذيب الأنساب»، وهو تلخيص أنساب السمعاني (كشف الظنون ٥/ ٧٠٦).

(٥) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٤٥.

كانت مستهل شهر صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة ودفن بالبقيع قريباً من قبر عثمان رضي الله عنه. وكنت اجتمعت به بالمدينة وبمصر وأجاز لي رواية ما يصح عنه روايته، وكان إماماً قدوة له قبول عند أهل الآخرة وأهل الدنيا.

وفيها: توفي عندنا بدمشق النجم التفليسي واسمه ثابت بن ناوان وكان كبير المحل، حسن الأخلاق مشتغلاً بعلم الشريعة والطريقة ودفن في مقابر الصوفية. وفيها: توفي الزين بن قفرجل والشمس بن قوام. وكانا من خيار عدول البلد. وفي ليلة الجمعة خامس شوال توفي البرهان أبو الحسن إسماعيل بن أبي جعفر بن علي القرطبي إمام الكلاسة، ودفن من الغد بجبل قاسيون عند قبر والده وكانت له جنازة عظيمة. سمع على الحافظ أبي القاسم بن علي وعلى غيره وحضرت دفنه والصلاة عليه، وكان في حياته منقطعاً بالمنارة الشرقية مشتغلاً بالطهارة والصلاة. ثم مات الشيخ عبد الله الأرمني[1] وكان شيخاً صالحاً منقطعاً بالجبل بعد البرهان بخمس عشر ليلة أو نحوها. وكانت له جنازة حفلة رحمه الله. ثم جاءنا الخبر في هذه السنة من حلب بوفاة الفقيه العالم نجم الدين بن الخباز، وكان مشهوراً بالعلم، واللطف، والتواضع رحمه الله.

وفي هذه السنة أحدثت القيسارية التي وراء سوق النحاسين بفتح بابها إلى الزيادة ونقل إليها سوق الصاغة وكذلك ما أحدث من الدكاكين في وسط الزيادة وكان في هذه السنة.

وفيها: وقعت وقعة بين سلطان الروم وبين ابن أيوب، ولم يحج في هذه السنة إلا من اليمن أو من ركب البحر من مصر.

[وفاة الشهاب ابن عصرون والبدر الوكيل]

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة[2]

ففيها: توفي الشهاب ابن عصرون في ليلة الثامن والعشرين من المحرم وهو: أبو العباس عبد الله بن المطهر بن شرف الدين أبي سعد. وفي المحرم توفي البدر الوكيل بمجلس الحكم واسمه: عبد المولى بن عبد السيد بن إبراهيم ودفن بالجبل. روى عنه القوصي في معجمه.

---

(١) في شذرات الذهب ٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦: الشيخ عبد الله بن يونس الأرموي الزاهد صاحب الزاوية بجبل قاسيون. وانظر ترجمته أيضاً في البداية والنهاية ١٣/ ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٢١، وشذرات الذهب ٥/ ١٤٧ ـ ١٥٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣٤.

[وفاة بهاء الدين بن شداد]

وفيها: توفي القاضي بهاء الدين بن شداد بحلب واسمه يوسف بن رافع بن تميم[١]، وكان من رؤسائها وكان للناس به نفع، وكنت قد اجتمعت بابن شداد بدمشق وأجاز لي جميع ما يرويه، ثم سمعت عليه بمصر وعند قبة الشافعي رحمه الله تعالى سنة ثمان وعشرين وستمائة.

وفي هذه السنة جاءنا الخبر بموت صاحبنا صفي الدين حسن بن أبي طالب البغدادي المقيم بمدينة رسول الله ﷺ، وكان شاباً فاضلاً، أديباً. كتب لصاحب المدينة ثم وزر له. واشتد على قمع المفسدين بها فوثب عليه ليلة العشر من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين جماعة من السفهاء على باب مسجد المدينة على ساكنها السلام قبيل العشاء الآخرة فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه وهو داخل من باب المسجد. أخبرني بذلك الشيخ أبو الفضل المرسي قدم علينا في هذه السنة. وكنت قد اجتمعت بهذا الشهيد رحمه الله بدمشق مراراً وبالمدينة في حجتي سنة إحدى وعشرين واثنتين وعشرين وستمائة.

[وفاة الشهاب السهروردي]

وفي مستهل سنة اثنتين وثلاثين توفي الشهاب السهروردي[٢] ببغداد، وكان كبير القدر والشأن؛ وله تصانيف في علم التصوف[٣] وقدم دمشق مراراً وأنا بها صغير، وعقد بها مجلس الوعظ ولم أره رحمه الله ومولده سنة تسع وثلاثين وخمسمائة. واسمه: عمر بن محمد بن عبد الله البكري.

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٥٨ ـ ١٥٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢١، وكشف الظنون ٦/ ٥٥٣، من مصنفاته: «الأعلاق الخطيرة في تاريخ الشام والجزيرة»، «دلائل الأحكام فيما يتعلق بالأحاديث المستنبعة منها الأحكام»، «فضائل الجهاد»، «ملجأ الحكام عند التباس الأحكام»، «الموجز الباهر» في الفروع، «النوادر السلطانية في سيرة صلاح الدين الأيوبي».

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٥٣ ـ ١٥٤، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢١، وكشف الظنون ٥/ ٧٨٥.

(٣) له من المصنفات: «أدلة العيان والبرهان»، «إرشاد المريدين واتحاد الطالبين»، «الأسماء الأربعون»، ويقال «الأسماء الإدريسية في الأوراد»، «أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى»، «بهجة الأبرار في المناقب الغوثية»، «رسالة السير والطير»، «رسالة في السلوك»، «الرحيق المختوم لذوي العقول والفهوم»، «الرسالة العاصمية» ذكر فيه ما شاهده في مسيره إلى ما وراء النهر، «رشف النصايح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية»، «عقيدة أرباب التقى»، «عوارف المعارف» في التصوف، «مناسك الحج»، «بغية البيان في تفسير القرآن» وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦).

وفيها: في ثالث جمادى الأولى ولد أخي عبد الحليم بن إسماعيل جعله الله مباركاً.

وفيها: في سادس عشر شهر رجب المرجب توفي الشيخ العدل أبو علي الحسن بن يحيى بن صباح المصري(١) ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه بظاهر دمشق خارج باب الفراديس سمعت عليه أكثر الخلعيات ولي منه إجازة ومولده بمصر في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. وكانت له ديانة؛ وأصالة، وأمانة، وعدالة رحمه الله.

وفي هذا الشهر خرب خان بالعقيبة. كان كثير الفسق والفساد ليجعل مسجداً يصلى فيه الجمعة فتم جامعاً كبيراً حسناً سمي بجامع التوبة وذلك في أيام الأشرف أبي الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب. وهو المجدد أيضاً لمسجد جراح خارج باب الصغير.

وفي ليلة الأحد تاسع شعبان توفي التقي بن ماسويه واسمه: أبو الحسن علي بن أبي الفتح المبارك بن الحسن بن أحمد بن ماسويه(٢) بدمشق ودفن بباب الصغير وكنت مريضاً تلك الأيام فلم يقدر لي شهود جنازته وكان شيخاً خيراً حسن الأخلاق متواضعاً لطيفاً مشهوراً بالقراءات سمع من الحازمي وغيره وأجاز لي رواية جميع ما يرويه، وذكر لي أنه ولد سنة ست وخمسين وخمسمائة رحمه الله.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة(٣)

ففيها: توفي أبو الخطاب عمر بن دحية المحدث(٤) في ليلة الثلاثاء رابع ربيع الأول بالديار المصرية ولي منه إجازة.

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ١٤٨/٥.

(٢) في شذرات الذهب ١٤٩/٥: ابن باشوية، تقي الدين علي بن المبارك بن الحسن الواسطي الفقيه الشافعي المقرئ المجود.

(٣) انظر شذرات الذهب ١٥٩/٥ ـ ١٦٢، البداية والنهاية ١٢٢/١٣ ـ ١٢٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦.

(٤) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٢٢/١٣ ـ ١٢٣. وفيه: ابن دحية أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف بن قومس بن مزلال بن بلال بن بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة الكلبي شيخ الديار المصرية في الحديث. وفي شذرات الذهب ٥/ ١٦٠ ـ ١٦١: العلامة الحافظ ابن دحية أبو الخطاب عمر بن حسن بن محمد الحميل بن فرج بن خلف الكلبي الداني ثم البستي، وانظر ترجمته أيضاً في كشف الظنون ٧٨٦/٥. ولابن دحية من المصنفات: «الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء النبي ﷺ من =

وفيها: توفي البهاء الأراني واسمه عبد الخالق بن الشافعي وكان شيخاً متديناً عالماً مشهوراً ببلاده ثم انتقل إلى دمشق في آخر عمره ومات بها في خامس عشر شوال من هذه السنة ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه وشيعته إلى المصلى بباب الفراديس.

وفيها: في ذي القعدة وصل إلينا خبر موت خطيب جامع مصر الشيخ الفقيه الدين أبو الطاهر محمد بن عبد الرحمن الجابري من ولد جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه. واشتهرت نسبته بالمحلى وكان من أصحاب الشيخين الشاطبي، والقرشي وكنت اجتمعت به في مصر غير مرة رحمة الله عليه. ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة.

وفيها: مات أبو علي الحسن بن إسماعيل المعروف بالقيلوي البغدادي(١) ذكره القوصي في معجمه.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة(٢)

ففي ثالث منها توفي الناصح بن الحنبلي الواعظ. واسمه عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب(٣) من ولد سعد بن عبادة الأنصاري. وكان واعظاً متفنناً، وله مصنفات(٤). وله بنيت المدرسة التي بالجبل(٥) للحنابلة رحمه الله ومولده سنة أربع وخمسين وخمسمائة. ومات أخوه شهاب الدين عبد الكريم بن نجم ثامن ربيع الأول سنة تسع وعشرين وستمائة ومولده سنة سبع وخمسين وخمسمائة.

= المعجزات»، «الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين»، «التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق»، «تعليق على شهاب الأخبار للقضاعي»، «تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر»، «التنوير في مولد السراج المنير»، «الصارم الهندي في الرد على الكندي»، «العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور»، «مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين»، «المستوفى في أسماء المصطفى ﷺ»، «المطرب من أشعار أهل المغرب»، «النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس»، «نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ».

(١) في شذرات الذهب ٥/ ١٥٩: القليوبي المؤرخ أبو علي الحسن بن محمد بن إسماعيل.

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ١٦٢ ـ ١٧٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٦٤ ـ ١٦٦، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤، وكشف الظنون ٥/ ٥٢٤.

(٤) صنّف: «الاستسعاد فيمن لقي من صالحي العباد» في التراجم، «تاريخ الوعاظ»، «كتاب الأنجاد في الجهاد»، «المقامات» (كشف الظنون ٥/ ٥٢٤).

(٥) في الصالحية بنتها الصاحبية ربيعة خاتون أخت العادل وبها دفنت.

وفيها: جاءنا الخبر بموت أبي عمرو عثمان بن دحية[1] بالقاهرة وهو أخو أبي الخطاب المقدم ذكره رحمه الله.

وفيها: قدم دمشق الشيخ الفاضل الأصيل القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن سريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمي الأندلسي الإشبيلي من بيت كبير من الأندلس يعرف ببيت الباجي مشهور به. كثير العلماء والفضلاء. أصلهم من ناحية القيروان وليس منهم أبو الوليد الباجي الفقيه ذاك بيت آخر من ناحية الأندلس. قدم أبو مروان حاجاً من بلاده في البحر إلى عكا من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان من هذه السنة ونزل عندنا بالمدرسة العادلية وجده الأعلى أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي قدم الديار المصرية وحج منها ومعه ولده محمد بن أحمد ويعرف بصاحب الوثائق وسمعوا بها جماعة من العلماء.

وذكر أبو عبد الله الحميدي أحمد بن عبد الله هذا في تاريخه «جذوة المقتبس» وكناه أبو عمر وذكر أنه سكن إشبيلية وأثنى عليه كثيراً وقال مات في حدود الأربعمائة. روى عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره، وأبوه عبد الله بن محمد بن علي يعرف بالراوية. وذكره الحميدي أيضاً. وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة: عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم وأثنى عليه وقال: توفي في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. وكان هذا أبو مروان سلمه الله حسن الأخلاق، فاضلاً، متواضعاً، محسناً. وسمعته يقول وقد سئل في إعارة شيء فبادر الله بنفسه ثم قال: أنا عندي في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٧] هو كل شيء.

واستفدنا من هذا الباجي فائدة جليلة وهو معاينة قدر مد النبي ﷺ فإنه عندهم متوارث. وقد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم في كتابه «المحلى» عايرته الحمد لله أنا بدمشق حينئذٍ وهو الكيل الكبير فوجدت مدنا يسع صاعين إلا يسيراً ووجدته ممسوحاً يسع صاعاً ونصفاً أو شيئاً فيكون مدان ممسوحان ثلاثة آصع زائدة. عندي طاسة بيضاء صغيرة عايرتها به فوجدتها تسع مدين وهما نصف صاع. قرأت في كتاب «المحلى» لابن حزم: وخرط لي مد على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن علي الباجي، وهو عند أكبرهم لا يفارق داره. أخرجه إليّ يعني الذي كلفته ذلك عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي المذكور. وذكر أنه مد أبيه؛ وأن جده أخذه وخرطه على مد أحمد بن خالد وأخبر أحمد بن

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٢٤، وشذرات الذهب ٥/ ١٦٨.

خالد أنه خرطه على مد يحيى الذي أعطاه إياه ابنه عبيد الله بن يحيى. وخرطه يحيى على مد مالك.

قال أبو محمد: ولا شك أن أحمد بن خالد صححه أيضاً على محمد بن وضاح الذي صححه ابن وضاح بالمدينة. قال أبو محمد: ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلاً واحداً ونصف رطل بالفلفلي لا يزيد حبة وكلته بالشعير إلا أنه لم يكن بالطيب فوجدته رطلاً واحداً ونصف أوقية سألت عن الرطل الفلفلي فقيل له هو ست عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم وفي تقدير ابن حزم نظر والله أعلم توفي هذا الشيخ رحمه الله بمدينة القاهرة سنة خمس وثلاثين بعد رجوعه من الحج أتانا خبره بدمشق.

[امتلاك التتار لمدينة أربل ومحاربة الخليفة لهم وتشريدهم]

وفي هذه السنة جاءنا الخبر بأن الكفار من الترك وهم التتار خذلهم الله ملكوا مدينة أربل وفعلوا فيها ما هي عادتهم في البلاد التي أخذوها قبل وكان دخولهم أيضاً في التاسع والعشرين من شوال سنة أربع وثلاثين، ثم هزمهم الله وشردهم على يدي عسكر الخليفة المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر.

وفيها: في الساعة الأولى من يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولد لي مولود سميته محمد وكنيته أبا الحزم جعله الله مباركاً ذرية طيبة. ثم مات في أواخر جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة وله ثماني سنين ونصف رحمه الله.

[وفاة جماعة من الملوك]

وفي هذه السنة: توفي جماعة من الملوك منهم: ملك حلب وأعمالها الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب[1]، ومنهم: صاحب بلاد الروم علاء الدين[2] في خامس شوال. وانقطع الحاج هذه السنة من

---

(١) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٣٤٠ ـ ٣٤٢، مرآة الزمان ٨/ ٧٠٣، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٠٦، السلوك ١/ ٢٥٣، تاريخ أبي الفداء ٣/ ١٥٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٦، البداية والنهاية ١٣/ ١٢٣، شذرات الذهب ٥/ ١٦٨، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٧، كنز الدرر ٧/ ٣١٨.

(٢) هو صاحب الروم السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقي، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٦٨، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٧.

ناحية العراق، وخرج الحاج من الشام وجرت عليه نكبة شديدة من جهة العطش بأرض بسيط قبل وصولهم شحر بنحو ثلاث مراحل.

[وفاة الملك الأشرف بن الملك العادل أبي بكر]

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة[1]

ففي رابع المحرم منها توفي بقلعة دمشق السلطان الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب[2] ودفن بالقلعة إلى أن بنيت تربته جوار كلاسة الجامع فنقل إليها وتولى دمشق بعده بعهد منه أخوه الملك الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب.

وفيها: توفي الشمس محمد بن عبد الكريم بن رزمين البعلبكي النحوي فجأة رحمه الله ورضي عنه.

وفي أواخر ربيع الأول حوصرت دمشق وفيها الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب حاصره الكامل أخوه وابن أخيه الناصر داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب فجرى نحو الحصار المتقدم سنة ست وعشرين إلا أن هذا الحصار كان أكثر خراباً في ظاهر البلد وحريقاً ومصادرة وأقل غلاء ولم تطل مدته فإن الصلح جرى في أوائل جمادى الأولى من السنة يوم الأربعاء ووافق اليوم الذي كسرت فيه الفرنج على دمياط، واليوم الذي فتحت فيه آمد. كل ذلك يوم الأربعاء.

وفي يوم الأحد الآتي بعد يوم الصلح توفي خطيب دمشق جمال الدين محمد بن أبي الفضل بن ياسين الدولعي[3]. قلت: وتوفي الدولعي يوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى من السنة. ودفن بجيرون في مدرسته التي أنشأها وتولى

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ١٧٠ ـ ١٧٠، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٤ ـ ١٢٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٩.

(٢) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٩٠ ـ ٢٩٩، ومرآة الزمان ٨/ ٧١١، وفيات الأعيان ٥/ ٣٣٠، السلوك ١/ ٢٥٦، تاريخ أبي الفداء ٣/ ١٥٩، الحوادث الجامعة ص ١٠٥، البداية والنهاية ١٣ ١٢٤ ـ ١٢٥، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٠٠، الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٢٩٢، كنز الدرر ٧/ ٣٢٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨، وشذرات الذهب ٥/ ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٢٧، وفيه: الخطيب الدولعي محمد بن زيد بن ياسين الخطيب جمال الدين الدولعي. وانظر أيضاً شذرات الذهب ٥/ ١٧٤، وفيه: خطيب دمشق الدولعي (نسبة إلى الدولعية قرية بالموصل)، جمال الدين محمد بن أبي الفضل بن زيد بن ياسين، أبو عبد الله الثعلبي الشافعي.

مكانه في التدريس بالزاوية الغربية الشيخ الفقيه عبد العزيز بن عبد السلام وولي الخطابة بعد الكمال بن طلحة في أواخر شعبان.

[وفاة شمس الدين بن الشيرازي]

وفيها: في ليلة الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة توفي القاضي شمس الدين محمد بن هبة الله بن الشيرازي[1] ودفن من الغد في الجبل وقد بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة أو نحوها. وكان آخر المشهورين بالرواية عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته إلى مصلى باب الفراديس عند مسجد فيروز رحمه الله ورضي عنه. ولقد كان حسن الأخلاق، طلق المحيا. عالماً بمذهب الشافعي مفتياً فيه. تولى القضاء ببيت المقدس ثم بدمشق مراراً.

وفي ليلة الاثنين سادس جمادى الآخرة أمر السلطان الملك الكامل أن لا تصلى في المسجد الجامع صلاة المغرب إلا خلف إمام واحد وهو خطيب الجامع وأبطل ما عداه من أئمة الحنفية والحنابلة والمشهدين. وذلك لما كان في إمامتهم من التشويش على المصلين في صلاة المغرب لأنهم يسرعون في الصلاة جملة بخلاف غيرها من الصلوات لأنهم يكونون فيها متروين.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: جاءنا الخبر بوفاة العز بن الماسح توفي ليلة التاسع من جمادى الأولى وهو: أبو الحسن علي بن نصر الله بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد الكلالي الدمشقي بمصر. وكان فقيهاً. فاضلاً من أهل بيت علم دمشقي الأصل، وكان قد ولي التدريس بجامع السراجين بالقاهرة.

وفيها: يوم الجمعة سادس رجب توفي أمين الدين بن قوام وكان من خيار عدول البلد وأصله من الرصافة.

وفيها: ليلة الخميس الثاني والعشرين من رجب توفي بقلعة دمشق السلطان الملك الكامل بن العادل محمد بن أبي بكر بن أيوب[2] وكان مدة ملكه بدمشق

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٧٤، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٧، واسمه: أبو نصر بن الشيرازي القاضي شمس الدين محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن يحيى الدمشقي الشافعي.

(٢) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٩٩ ـ ٣٢٠، مرآة الزمان ٨/ ٧٠٥، مفرج الكروب ٣/ ٢٧٤، وفيات الأعيان ٥/ ٧٩، الحوادث الجامعة ص١٠٧، الوافي بالوفيات ١/ ١٩٣، الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٢٧٧، العبر للذهبي ٥/ ١٤٤، النجوم =

شهرين ونصف شهر تقريباً وكان بينه وبين موت أخيه الملك الأشرف ستة أشهر وسبعة عشر يوماً فسبحان من لا يزول ملكه. ودفن بقلعة دمشق إلى أن بنيت تربته جوار الجامع شماليه بين دويرتي السميساطي. ونقل إليها ليلة الجمعة الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة. وتولى دمشق والديار المصرية بعده ولده العادل. وكان نائبه بدمشق الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل بن أبي بكر بن أيوب، وتولى بلاد الجزيرة، وديار بكر، وربيعة ولد الكامل الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد.

وفيها: في سادس عشر شعبان توفي القاضي زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي. عرف بابن الأستاذ[1] بحلب وهو قاضيها يومئذ بعد القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد الموصلي رحمه الله، وكان فاضلاً، عالماً، رئيساً حسن السمت والخلق عفيفاً قدم دمشق مرات وكان أبوه من الصالحين.

وفيها: في خامس ذي القعدة توفي القاضي شمس الدين يحيى بن هبة الله المعروف بابن سني الدولة[2] قاضي قضاة دمشق يومئذ ودفن بالجبل وكان كبير السن وله جنازة حفلة حضرت الصلاة عليه بالجامع وشيعته إلى مصلى باب الفراديس رحمه الله وكان تولى القضاء بالقدس الشريف قديماً. ثم تولى نيابة القضاء بدمشق مرات من قبل الزكي الطاهر بن محمد بن علي ومن قبل الجمال عبد الصمد بن الحرستاني. ثم وليه شركة مع الشمس الخويي مدة، ثم عزلا وولي العماد عبد الكريم بن عبد الصمد بن الحرستاني، ثم عزل ابن الحرستاني وولي ابن سني الدولة استقلالاً فلم يزل قاضياً حتى توفي في التاريخ المذكور. وتولى بعده استقلالاً شمس الدين أحمد بن الخليل الخويي فعدل جماعة من أهل البلد منهم كاتب هذه الأحرف أي منشئ الكتاب، تولى الخويي يوم الاثنين سابع ذي القعدة المذكورة.

= الزاهرة ٦/ ٣٠١، البداية والنهاية ١٣/ ١٢٦، تاريخ ابن إياس ١/ ٧٧، السلوك ١٩٤ ـ ٢٦٠، كنز الدرر ٧/ ٣٢٦، أخبار الأيوبيين ص١٤٤، شذرات الذهب ٥/ ١٧٢.

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٧٠.

(٢) في البداية والنهاية ١٣/ ١٢٨: القاضي شمس الدين يحيى بن بركات بن هبة الله بن الحسن الدمشقي بن سنا الدولة. وفي شذرات الذهب ٥/ ١٧٧ ـ ١٧٨: شمس الدين بن سني الدولة قاضي القضاة أبو البركات يحيى بن هبة الله بن سني الدولة الحسن بن يحيى بن محمد بن علي بن صدقة الدمشقي الشافعي.

وفيها: توفي الشيخ أبو العباس بن القسطلاني[(١)] بمكة شرفها الله تعالى ودفن بالمعلاة رحمه الله:

وفيها: تولى كمال الدين بن طلحة الخطابة بجامع دمشق وخطب يوم الجمعة الحادي والعشرين من شعبان.

وفي آخر سنة خمس قبض على الصفي إبراهيم بن مرزوق واستصفي جميع ماله وأودع السجن ثم نقل إلى سجن حمص وانقطع خبره إلى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة. ثم إنه أخرج من سجن حمص وقدم إلى دمشق.

وفيها: قدم دمشق أبو الفضل جعفر الهمذاني من أهل الإسكندرية من أصحاب السلفي وسمع عليه بها.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة[(٢)]

وسلطان دمشق الجواد يونس بن مودود بن أبي بكر بن أيوب وبالأراضي المقدسة وأعمالها الناصر داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب. وبالديار المصرية العادل أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن أيوب.

وفيها: توفي شيخ أصحاب أبي حنيفة بدمشق جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري المعروف بالحصيري[(٣)] وكان رحمه الله مسناً فقيهاً ديناً متواضعاً مولده ببخارى في جمادى سنة ست وأربعين وخمسمائة. وقدم دمشق فتولى تدريس النورية في سنة إحدى عشرة وكان بها الشرف داود بعد برهان الدين مسعود وتوفي ثامن صفر من هذه السنة ودفن بمقابر الصوفية على حافة الطريق وبني قبره بحجارة حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق تحت النسر بصحن الجامع المعمور، وكانت له جنازة حفلة رحمه الله.

وفيها: في السادس والعشرين من صفر توفي بدمشق الشيخ أبو الفضل جعفر بن علي بن أبي البركات بن جعفر بن يحيى الهمذاني المقرئ المحدث[(٤)]

---

(١) ذكره في شذرات الذهب ٥/ ١٧٩ في وفيات سنة ٦٣٦هـ. وهو: أبو العباس القسطلاني ثم المصري الفقيه المالكي الزاهد القدوة أحمد بن علي.

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ١٧٩ ـ ١٨٢، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤١.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٢٩، وشذرات الذهب ٥/ ١٨٢.

(٤) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٢٩، وشذرات الذهب ٥/ ١٨٠.

من أصحاب الشيخ الحافظ أبي الطاهر السلفي، وكان قدم دمشق في صحبة الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب وبلغ رحمه الله من السن نحو تسعين سنة ودفن بمقابر الصوفية قريباً من قبر النجم ثابت بن تاوان التفليسي رحمهما الله. حضرت الصلاة عليه خارج باب النصر وشيعته إلى المقبرة المذكورة المطلة على وادي البردى، وكنت قد رأيته بجامع الإسكندرية عمرها الله سنة كنت بها وهي سنة ثمان وعشرين وستمائة في آخرها، ثم رأيته بدمشق وأجاز لي ولولدي محمد وفاطمة رواية جميع مروياته.

وفيها: في السادس والعشرين من جمادى الأولى توفي الشيخ عماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ صدر الدين علي بن حمويه[1] قفز عليه ثلاثة نفر داخل قلعة دمشق فقتله أحدهم ودفن في الغد بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته إلى مسرح سوق الخيل والغنم. وكانت له جنازة حفلة. وكان من بيت علم وتصوف وإمرة رحمه الله، وكان من أعيان المتعصبين لمذهب الأشعري ومولده يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بدمشق.

وفيها: في مستهل جمادى الآخرة قدم دمشق مالكاً لها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب واستوزر الصاحب جمال الدين علي بن حريز وحاصر حمص وقصد الديار المصرية.

وفيها: توفي السديد أبو الفتيان بن عبد الرزاق الموصي إلي في حق ولده عبد الله يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة ودفن على أبيه بباب الصغير، وكان حج سنة عشر وستمائة صحبة والدي رحمه الله، وهي حجة والدي الأولى من أربع حجات. ومولده على ما رأيته بخط عمي أبي القاسم رحمه الله قال: ولد أبو الفتيان ابن الشيخ الأمين السديد أبي القاسم بن عبد الرزاق في العشر الأولى من رجب سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وفي الليلة المذكورة حج والده إلى مكة حرسها الله.

وفيها: يوم الجمعة سابع وعشرين جمادى الآخرة توفي الصاحب جمال الدين علي بن سلامة بن البطين بن جرير الرقي[2]، وكان وزيراً للأشرف ثم وزر للصالح بن الكامل ودفن بمقابر الصوفية.

وفيها: ظهر بدمشق غلاء شديد لم يعهد بمثله قبلها على ما ذكره المشايخ

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٨١.

(٢) في شذرات الذهب ٥/ ١٨١: الصاحب جمال الدين علي بن جرير الرقي، وفي البداية والنهاية ١٣/ ١٢٩: الوزير جمال الدين علي بن حديد الرقي.

بلغت غرارة الحنطة خمسة وعشرين ديناراً بالمصرية وذلك مائتا درهم وخمسة وعشرون درهماً، وزاد رطل الخبز الخرجي على درهم وجميع أنواع المطعومات غلت، ثم إن الأسعار أخذت في الارتخاء في أواخر هذه السنة والحمد لله تعالى.

وفيها: توفي الحافظ زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الإشبيلي(١) بحماة رابع عشر رمضان جاءنا خبره إلى دمشق، وكان رحمه الله معتنياً بعلم الحديث، مفيداً لأصحابه متواضعاً أقام بدمشق سنين كثيرة بمسجد فلوس وغيره، وكان شيخ الزاوية بمشهد ابن عروة في الحديث ثم سافر في هذه السنة إلى حلب فلما رجع توفي رحمه الله.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة(٢)

وسلطان دمشق الملك الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب، وبمصر أخوه لأبيه العادل أبو بكر سيف الدين.

ففيها: في أولها مات الشيخ شمس الدين أبو طالب محمد بن عبد الله بن صابر السلمي. عرف بابن سيده(٣) من أهل بيت كبير من دمشق من أهل العلم والحديث والتصوف وصحب الشيخ عتيقاً وغيره رحمه الله كان يخضب.

وليلة عاشوراء مات التقي محمد بن طرخان بن أبي الحسن الصالحي الحنبلي(٤). وكان من المشهورين برواية الحديث.

وفيها: توفي الضياء بن الأثير(٥) بالمورفة من بغداد وهو مرسل إليها،

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٨٢، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٩، وهو الزكي البرزالي أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يداش الإشبيلي.

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ١٨٣ ـ ١٨٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٩ ـ ١٣١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٣) هو أبو طالب بن صابر الدمشقي، محمد بن أبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر السلمي الصوفي (انظر شذرات الذهب ٥/ ١٨٦).

(٤) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٨٦.

(٥) هو ضياء الدين ابن الأثير الصاحب العلامة أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الكاتب، له من المصنفات: «الاستدراكات»، «البرهان في علم البيان»، «ديوان الترسل»، «رسالة في الضاد والظاء»، «رسالة في أوصاف مصر»، «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، «المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء»، «الوشي المرقوم في حل المنظوم» (انظر شذرات الذهب ٥/ ١٨٧ ـ ١٨٨، كشف الظنون ٦/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣).

وهو صاحب «المثل السائر» و«الوشي المرقوم» وكان قد وزر للأفضل.

وفيها: نقل الملك الكامل من مدفنه بقلعة دمشق إلى تربته شمالي الجامع في ليلة الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الأول.

[دخول الصالح إسماعيل والمجاهد شيركوه دمشق]

وفيها: يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من صفر قدم دمشق صاحب بعلبك وحمص الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، والمجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي فدخلاها بعسكر وجند عنوة من غير حصار، وفي الغد ملكا القلعة، وخربت بذلك دار الحديث الأشرفية وغيرها من الدور والحوانيت تحت القلعة؛ وكان بقلعة دمشق المغيث بن الصالح بن الكامل بن العادل بن أيوب، وكان أبوه الصالح ببلاد فلسطين نازلاً بنابلس في عسكر له تقدم أوله إلى غزة على عزم أخذ الديار المصرية من أخيه العادل بن الكامل، فانفض عنه جمعه لما بلغهم أخذ دمشق من ولده ورجعوا إلى دمشق وبقي في جمع قليل فأخذه ابن عمه الناصر لداود بن عيسى بن أبي بكر فسجنه بقلعة الكرك إلى أواخر رمضان من هذه السنة فأخرجه الناصر واتفقا وقصدا الديار المصرية فأخذاها وقبضا على العادل بن الكامل وكان دخولهما مصر في ذي القعدة من هذه السنة ثم رجعوا إلى دمشق في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وستمائة.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: توفي في المدرسة العادلية الفصيح محمد بن أبي النجم بن البطريق الشاعر الجزري الأديب وله شعر حسن فائق رحمه الله.

وفيها: في شهر رجب المرجب توفي صاحب حمص الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي[1] بحمص وجاء الخبر إلى دمشق وعمل له العزاء بها بجامع دمشق في الحادي والعشرين من رجب رحمه الله.

وفيها: توفي بعد صلاة الظهر من يوم السبت سابع شعبان قاضي القضاة

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٨٤، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٠ ـ ١٣١، وهو الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي. انظر أيضاً ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٣١ ـ ٢٣٢، مرآة الزمان ٨/ ٧٣١، وفيات الأعيان ٢/ ١٧٥، الحوادث الجامعة ص١٣٧، السلوك ١/ ٢٩٣، تاريخ أبي الفداء ٣/ ٦٧، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٠ ـ ١٣١، النجوم الزاهرة ٦/ ٣١٦، أخبار الأيوبيين ص١٥١، شذرات الذهب ٥/ ١٨٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤٢.

بالشام يومئذ شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الخويي الشافعي[(١)] بالمدرسة العادلية ودفن من الغد بجبل قاسيون، حضرت دفنه والصلاة عليه وكان مولده سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فيما قرأته بخط ولده محمد وكان رحمه الله حسن الأخلاق لطيفاً كثير الإنصاف عالماً فاضلاً في علوم متعددة جمة محققاً عفيفاً متواضعاً كثير المداراة محبباً إلى الناس، وكانت له جنازة حفلة، وصنف تصانيف من جملتها عروض هو عندي بخطه فقلت فيه[(٢)]: [الخفيف]

أحمد بن الخليل أرشده الله ... لما أرشد الخليل بن أحمدْ

ذاك مستخرج العروض وهذا ... مظهر السر منه والعود أحمد

ومن لطفه ما قاله بالمئذنة الشرقية من اجتماع الفقر والقناعة أنه قال: ما أقدر على إمساك المناصب. وتولى القضاء بعده بدمشق والتدريس بالمدرسة العادلية رفيع الدين عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل بن عبد الهادي بن عبد الله الجيلي الشافعي. وكان قاضي بعلبك قبل ذلك لكن ظهر منه سوء سيرة وعسف وفسق وجور ومصادرة في الأموال لا سامحه الله.

وفيها: في العشر الآخر من ربيع الآخر تولى الخطابة بدمشق أحق الناس بالإمامة يومئذ الشيخ الفقيه عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي مفتي الشام يومئذ، ناصر السنة، قامع البدعة. قلت: ذكر العز بن عساكر في المقامات أنه تولى ابن خلكان خطابة دمشق في يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة والله أعلم. وفي ربيع الآخر يوم الأحد رابع عشره كانت وقعة الهيجاوي مع الفرنج على غزة وقتل ابن علكان.

وفيها: توفي العلم العطار الأشبيلي المحدث وكان فاضلاً ديناً في شوال من هذه السنة، والصفي بن المركب في يوم واحد، ودفنا بمقبرة الصوفية حضرت دفنهما والصلاة عليهما.

وفيها: في سادس عشر ذي القعدة في شهر حزيران في أيام المشمش جاء مطر عظيم نهاراً جرت منه سيول عظيمة هدمت كثيراً من الحيطان والبيوت، وكنت يومئذ بأرض المزة. وفيها: توفي بمكة الفقيه علي الطبري خطيب مكة وإمام المقام رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ١٨٣، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣١، وفي البداية والنهاية: «الحوبي» بدل: «الخويي» وهو تصحيف.

(٢) البيتان في شذرات الذهب ٥/ ١٨٣، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣١.

[تسليم سلطان دمشق حصن شقيف إلى الفرنج]

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة[١]

في خلافة المستنصر بالله وسلطان دمشق الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب، وبمصر ابن أخيه الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب.

ففيها: سلم حصن شقيف أرنون إلى الفرنج خذلهم الله تعالى سلطان دمشق وأنكر ذلك عليه شيخا الشافعية والمالكية بدمشق ابن عبد السلام وأبو عمرو فعزل ابن عبد السلام عن خطابة دمشق بذلك السبب وسجنا بقلعة دمشق وتولى الخطابة بجامع دمشق، والتدريس بالزاوية الغربية خطيب بيت الآبار عماد الدين داود بن عمر بن يوسف المقدسي الشافعي.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: في ثاني عشر ربيع الأول توفي الملك المظفر أبو الخطاب تقي الدين عمر بن الملك الأمجد[٢] صاحب بعلبك بأرض نوى وحمل إلى دمشق ودفن بتربة والده وجده بالشرف الشمالي وكان له نظم حسن كأبيه. ذكره القوصي في معجمه.

وفيها: في ثالث عشر ربيع الأول توفي والدي رحمه الله ودفن على أبيه بباب الفراديس. وفيها: في الثاني والعشرين من ربيع الآخر توفي بدمشق المحيي بن العربي واسمه: محمد بن علي بن محمد بن العربي أبو عبد الله الطائي الحاتمي[٣] قرأته من خطه وذكره الزيني في تاريخه ودفن بمقبرة القاضي محيي الدين بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق يوم الجمعة وشيعته إلى الميدان بسوق الغنم، وكانت له جنازة حسنة، وله تصانيف كثيرة[٤]، وكانت عليه سهلة، وله شعر حسن، وكلام طويل على طريق التصوف وغيره، وهو من بلاد الأندلس طاف البلاد شرقاً وغرباً وأقام بمكة مدة. وفي ثالث شعبان كسرت الخوارزمية بنواحي حلب.

وفيها: أسمعت ولدي محمد الحديث في مستهل ذي الحجة من هذه السنة.

وفيها: توفي القاضي نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف بن

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ١٨٩ ـ ٢٠٢، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣١ ـ ١٣٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٦.

(٢) لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٣٢، وشذرات الذهب ٥/ ١٩٠ ـ ٢٠٢، وكشف الظنون ٦/ ١١٤ ـ ١٢١.

(٤) له أكثر من ٢٥٠ مصنفاً ذكرهما حاجي خليفة في كشف الظنون ٦/ ١١٤ ـ ١٢١.

راجح المقدسي الشافعي المعروف بابن الحنبلي[١] بدمشق في يوم الجمعة سادس شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة ودفن بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق، وكان شيخاً، فاضلاً، ديناً عارفاً في علم الخلاف وفقه الطريقة حافظاً للجمع بين الصحيحين للحميدي وكانت له رحلة في طلب العلم إلى بلاد خراسان والعراق، وكان متواضعاً حسن الخلق رحمه الله. وكانت ولايته لقضاء دمشق نيابة عن يونس بن بدران المصري، وأحمد بن الخليل الخويي، وعبد الكريم بن أبي الفضل الحرستاني، ويحيى بن هبة الله بن سني الدولة، وعبد العزيز الجيلي إلى أن مات. ودرس بالمدرسة العذراوية، والصارمية، والحسامية، والصالحية.

وفيها: توفي الشيخ سالم المغربي الهكوري الهيلاني هيلان نجد من قبيلة هكورة المقيم ببيت الأبار، ودفن بها في الرابع والعشرين من ذي الحجة وكان من الصالحين، وفي آخر هذه السنة وأول التي بعدها ظهر نقصان المياه من السماء والأرض، نقصت الأنهار؛ ونقصت الآبار وهلك الزرع والثمار.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة[٢]

في دولة المستنصر بالله وسلطان دمشق الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب، وبمصر الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب وعلى الأرض المقدسة الناصر داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب.

ففيها: توفي العفيف بن يسار بن خلف بن سراج الشاغوري وكان شيخاً مسناً، عدلاً، مرضياً، فقيهاً رحمه الله. وذلك في عاشر شهر صفر المظفر. وفي ذلك اليوم أيضاً توفي العفيف عرب بن عمر بن علي الشافعي ودفنا في مقبرة باب الصغير بعد صلاة الظهر، حضرت دفنهما والصلاة عليهما.

وفيها: في نصف ربيع الآخر توفي المعلم الذي كان بمكتب جاروخ جوار المدرسة العادلية وكان يروي الثمانين للآجري عن الحافظ أبي الطاهر السلفي سماعاً، وقرأها لابني فسمعها عليه بقراءتي. وكان شيخاً، أديباً، شاعراً له شعر لا بأس به رحمه الله.

وفيها: في الثالث والعشرين من جمادى الأولى توفي المجد سليمان بن

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٣٢، وشذرات الذهب ٥/ ١٨٩.

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٠٢ ـ ٢٠٧: والبداية والنهاية ١٣ ١٢٣ ـ ١٣٤، وتاريخ ابن الوردي ٢ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

سالم بن مفلح العدل الفقيه الشافعي ودفن بمقبرة الصوفية رحمه الله تعالى.

وفيها: وصل إلى الديار المصرية شيخنا عز الدين بن عبد السلام وحصل له من سطانها الصالح بن الكامل قبول عظيم على ما بلغنا وتولى الخطابة والقضاء بمصر.

وفيها: توفي الشيخ أبو طاهر إسماعيل بن ظفر بن أحمد النابلسي(١) بجبل قاسيون في رابع شوال وكان رحمه الله عنده سند عن اللبان عن أبي علي الحداد؛ وعنده عن أبي سعيد الصفار، عن الفراوي أسمعت ولدي عليه من الطريقين في ثاني شوال ثم توفي بعد الغد منه رحمه الله.

وفيها: توفي بالموصل الشمس بن الخباز النحوي الضرير(٢) في سابع رجب المرجب، والكمال بن يونس الفقيه(٣) في النصف من شعبان رحمهما الله، وكانا فاضلي بلدهما في فنهما.

وفيها: توفي بدمشق عبد الواحد الصوفي(٤) الذي كان قساً راهباً بكنيسة مريم نحو سبعين سنة أسلم قبل موته بأيام ثم توفي شيخاً كبيراً بعد أن أقام بخانقاة السميساطي أياماً ودفن بمقابر الصوفية وكانت له جنازة حفلة حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله.

وفيها: في يوم عرفة تولى قاضي القضاة بمصر الشيخ عز الدين بن عبد السلام؛ وجمع له بين الخطابة والقضاء وذلك بعد وفاة القاضي شرف الدين الموقع ثم عزل نفسه مرتين وانقطع في بيته.

---

(١) في شذارات الذهب ٥ ٢٠٣ ـ ٢٠٤، أبو الطاهر إسماعيل بن مظفر بن أحمد بن إبراهيم بن مفرج بن منصور بن ثعلب بن عيينة بن ثابت بن بكار بن عبد الله بن شرف بن مالك بن المنذر بن النعمان بن المنذر المنذري النابلسي الدمشقي المولد، المحدث الحنبلي.

(٢) هو أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور بن علي الضرير النحوي الموصلي المعروف بابن الخباز، له من المصنفات: «التوجيه في النحو»، «شرح اللمع لابن جني»، «شرح المقدمة الجزولية»، «شرح ميزان العربية لابن الأنباري»، «الغرة المخفية في شرح درة الألفية لابن معط»، «مناقب الشيخ ابن قدامة»، «نظم الفريد في نثر التقييد»، «النهاية في النحو» (انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٣، كشف الظنون ٥/ ٩٥).

(٣) هو موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العقيلي، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٠٦، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٣.

(٤) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٣٣.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة أربعين وستمائة[١]

في خلافة المستنصر أبي جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر. وسلطان دمشق الصالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب، وبمصر ابن أخيه الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر، وبالأراضي المقدسة ابن أخيه الناصر داود بن عيسى بن أبي بكر.

ففيها: في سابع عشر ربيع الأول توفيت الأتابكية زوجة الأشرف. واسمها: بركات خاتون ابنة عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي[٢]، وفي ليلة وفاتها كان وقف تربتها والمدرسة بالجبل.

وفيها: توفي الشيخ الصالح عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن الحسن يعرف بابن الدجاجية[٣]، ويعرف جده بابن أبيه، توفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من المحرم أحد الرواة عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر محدث الشام سمع منه وهو ابن خمس ونحوها. سمعت منه أنا وولدي محمد أشياء من تصانيف الحافظ أبي القاسم ومروياته بسماعه لها منه ولله الحمد.

وفي ثالث عشر صفر توفي كمال الدين بن أحمد ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه بأرض غزة؛ وكان مقدم العساكر الصالحية يومئذ. جاءنا خبره إلى دمشق.

[الخطبة بالمساجد باسم المستعصم بالله لوفاة أبيه]

وفي يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة أربعين وستمائة خطب بدمشق للإمام المستعصم بالله أحمد بن المستنصر بالله أبي جعفر المنصور لوفاة أبيه وعقد له مجلس العزاء يومئذ رحمه الله.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: توفي زين الدين أبو زكريا المالقي بمدينة غزة رحمه الله، وكان أديباً فاضلاً وأسمعت عليه ولدي محمد صحيح مسلم.

وفيها: توفي يوم الجمعة سلخ رجب الشيخ الزكي أبو إسحاق إبراهيم ابن

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٤ ـ ١٣٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٢) انظر ترجمتها في شذرات الذهب ٥/ ٢٠٧، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٦.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٠٨.

الشيخ المسند أبي طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي القرشي[١] ودفن بعد صلاة الجمعة بمقبرة باب الفراديس على أبيه وجده حضرت الصلاة عليه وشيعته إلى قبره رحمه الله. وكان شيخاً مسنداً صالحاً، ولم يخلف بعده من يروي عن الصائن بن أبي الحسن هبة الله بن الحسن بإجازة، ولا من يروي عن أخيه الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن مثله في الكثرة، سمعت عليه أنا وولداي أبو الحرم محمد وأم الحسن فاطمة أشياء من آمالي الحافظ وغيرها ولله الحمد.

[استيلاء التتار على بلاد الروم]

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة[٢]

في خلافة المستعصم بالله. ففيها: استولت التاتار لعنهم الله على بلاد الروم سهل الله عودها إلى المسلمين.

وفيها: خطب بدمشق يوم الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب ثم قطع ذلك من السنة المذكورة.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: في سابع عشر ربيع الآخر توفي الشمس بن المنجى واسمه: أبو الفتوح عمر بن أسعد بن المنجى الحنبلي[٣] قاضي حران قديماً وكان فقيهاً يدرس بالمدرسة السمسارية وتولى خدماً ديوانية في الأيام المعظمية، وكان يروي عن أبي المعالي بن صابر. والقاضي الشهرزوري، وابن أبي عصرون. أسمعت عليه ولدي محمداً عنهم.

وفيها: في ثامن عشر ربيع الآخر توفي الشيخ أبو البركات ميمون الدموري المغربي الضرير وكان من عباد الله الصالحين، فاضلاً، عالماً بعلم الطريقة، حسن المحاضرة وصلي عليه بجامع دمشق ودفن بجبل قاسيون شمالي مقبرة الشيخ

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٠٧.

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٠٩ ـ ٢١٣، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٦ ـ ١٣٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٣) في شذرات الذهب ٥/ ٢١٠: شمس الدين أبو الفتوح وأبو الخطاب عمر بن أسعد بن المنجا بن بركات المؤمل التنوخي المعري الحراني المولد الدمشقي الدار والوفاة، وفي البداية والنهاية ١٣/ ١٣٧: الشيخ شمس الدين أبو الفتوح أسعد بن المنجى التنوخي المعري الحنبلي، وهو تصحيف.

عبد الصمد الدكالي في مغارة الدم وتعرف تلك المقبرة بفقراء المغاربة حضرت الصلاة عليه رحمه الله.

وفيها: توفي العز بن المنجى أخو الشمس في ذي القعدة من السنة ودفن بمدرسته بالجبل. ففيها: في خامس عشر جمادى الأولى توفي الشيخ الحافظ تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفني(١) رحمه الله ودفن بجبل قاسيون حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته إلى مصلى باب الفراديس، وكان عالماً بالحديث ديناً. متواضعاً رحمه الله. سمع عليه ابني محمد.

وفيها: توفيت الشيخة أم الفضل كريمة بنت عبد الوهاب(٢) في خامس عشر جمادى الآخرة. سمع عليها ابني محمد صحيح البخاري وغيره بقراءتي وقراءة غيري.

وفيها: في الحادي والعشرين من رجب توفي المخلص عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن هلال العدل الدمشقي(٣) بها وكان أحد أصحاب الحافظ أبي القاسم وتوفي بجبل قاسيون سمع عليه ابني محمد أجزاء بقراءتي عليه وقراءة غيري.

[القبض على أعوان الرفيع الجيلي]

وفيها: يوم الجمعة بعد الصلاة صبيحة عيد الأضحى قبض على أعوان القاضي الرفيع الجيلي الظلمة الأرجاس وكبيرهم الموفق حسين بن عمر بن عبد الجبار الواسطي المعروف بابن الرواس لا رحمهم الله وسجنوا ثم عذبوا بالضرب، والعصر، والمصادرات ولم يزل ابن الرواس في الحبس والعذاب إلى أن فقد في أواخر جمادى الأولى من سنة اثنتين وأربعين وستمائة. وبلغني أنه أخرج ليلاً وخنق عند تل اليهود والنصارى ورمي ثم.

وفي يوم الجمعة ثامن عشر ذي الحجة تحقق صرف هذا القاضي الظالم وعزله ثم أخرج من داره وسجن بالمدرسة المقدمية بباب الفراديس ثم اخرج ليلاً وذهب به فسجن في مغارة أفقه من نواحي البقاع ثم انقطع خبره. وذكروا أنه توفي لا رحمه الله، فمنهم من قال: ألقي من شاهق، ومنهم من قال: خنق. وفي يوم

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/١٣٨، وشذرات الذهب ٥/٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٢) في شذرات الذهب ٥/٢١٢: كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر مسندة الشام، أم الفضل القرشية الزبيرية، وتعرف ببنت الحبقبق.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/٢١٢.

الجمعة الآتي الخامس والعشرين من ذي القعدة قرئ منشور ولاية القضاء لمحيي الدين محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي بالجامع في الشباك الكمالي.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة[1]

في خلافة المستعصم بالله. ففيها: توفي شيخ الشيوخ أبو محمد عبد الله بن حمويه[2] رحمه الله في سادس صفر ودفن على أبيه بمقبرة الصوفية، حضرت دفنه والصلاة عليه بجامع دمشق. وكانت له جنازة حفلة، وكان رحمه الله سخياً، متواضعاً، عالماً، فاضلاً، ديناً صحيح الاعتقاد. سمع الحافظ أبا القاسم ابن عساكر، والفقيه مسعود النيسابوري وأبا الفرج الثقفي. وأبا طاهر الخشوعي وغيرهم. سمعت عليه أنا وابني محمد كثيراً وأجاز لنا جميع ما يرويه رحمه الله.

وفيها: تحقق موت القاضي الظالم الوضيع الملقب بالرفيع وأعوانه على ما سبق ذكره.

وفيها: مات جماعة من أصحابنا ومعارفنا منهم: الكمال مسعود بن أحمد الحوراني الفقيه الشافعي توفي في خامس جمادى الأولى ودفن في مقبرة الصوفية. وبعده بيومين توفي الشمس محمد بن الجابي ودفن بمقبرة الصوفية أيضاً حضرت دفنهما والصلاة عليهما رحمهما الله تعالى.

[انكسار الفرنج]

وفي هذا الشهر من السنة المذكورة كسرت الإفرنج لعنهم الله ومن انضم إليهم من منافقي المسلمين كسرة عظيمة من عسقلان وغزة وغنم منهم أموال عظيمة وأسر من الفرنج خلق من ملوكهم وكبرائهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وذهب برؤوس المقتولين

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢١٣ ـ ٢١٦، والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٨ ـ ١٤٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥١.

(٢) في شذرات الذهب ٥/ ٢١٤: تاج الدين بن حمويه، شيخ الشيوخ أبو محمد عبد الله ويسمى أيضاً عبد السلام بن عمر بن علي بن محمد الجويني الصوفي، وفي البداية والنهاية ١٣/ ١٣٩: تاج الدين أبو عبد الله بن عمر بن حموية وهو تصحيف، وفي كشف الظنون ٥/ ٤٦١: عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، تاج الدين أبو محمد السرخسي الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٥٧٣، وتوفي سنة ٦٥٣هـ، له من الكتب: «الرحلة المغربية»، «السياسة الملوكية» صنفها للملك الكامل، «عصف الذيل» في التاريخ، «كتاب أصول الأشياء» ثمان مجلدات، «المسالك والممالك» وغير ذلك.

والمأسورين إلى مصر ووقع الرعب في قلب صاحب دمشق فتهيأ للحصار وخرب رباعاً كثيرة حول البلد، وغرقت المساكن التي على حافة بردى بين جسري بابي توما والسلامة بسبب خراب جسر باب توما وسده فرجع الماء وارتفع وصار بحراً فوقع لما كان على حافته والله المستعان. قلت: كانت هذه الوقعة بين عسكر مصر ومقدمه ركن الدين بيبرس الصالحي وبين عسكر الشام ومقدمه المنصور صاحب حمص ومعهم إفرنج الساحل يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: في نحو النصف من شعبان توفي الجمال سليمان بن عبد الكريم ابن أخت عبد العزيز الشيباني، والشمس أحمد بن محمد بن عمارة البرجي رحمهما الله.

وفيها: في خامس شهر رمضان توفي تاج الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا القاضي شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي[1] رحمه الله ودفن بالجبل، وكان خيراً، متواضعاً، فاضلاً، أميناً ثقة. سمع جده هبة الله بن محمد بن جميل، وأبا عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن صدقة الحراني وغيرهما، وأجاز له الحافظ أبو طاهر السلفي، قرأت لولدي محمد عليه أشياء من ذلك فسمعها عليه وحضرت الصلاة عليه بجامع دمشق صلى الإمام عليه؛ وعلى المؤذن المعروف بديك العرش مؤذن بيت المقدس في ساعة واحدة. وكان هذا المؤذن مسناً وابتلي بمرض طويل رحمه الله وقبره بمقابر الصوفية. ومما سمعه ابني محمد على ابن الشيرازي المذكور صحيح مسلم، بسماعه من الحراني، عن أبي عبد الله الفراوي، عن الفارسي، عن الجلودي، عن إبراهيم، عن مسلم.

[حصار دمشق
من قبل العساكر المصرية والخوارزمية]
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة[2]

في خلافة المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر، ومدينة دمشق يومئذ محاصرة.

ففي الثامن من المحرم ضويقت مضايقة شديدة وقد اجتمع عليها عساكر

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢١٣.
(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢١٦ ـ ٢٢٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٠ ـ ١٤٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٣.

عظيمة من المصريين والخوارزمية وغيرهم. ففي تلك الليلة أحرق قصر حجاج، والشاغور واستولى الحريق على مساجد وخانات، ودور عظيمة ومن ذلك مسجد جراح خارج باب الصغير، وكان جامعاً تقام فيه الجمعات، ثم نصبت على دمشق المجانيق ورميت به بين بابي الجابية والصغير، ونصبت أيضاً مجانيق داخل البلد وترامى الفريقان وأمر بتخريب حارة العقيبة خارج باب الفراديس، وباب السلامة، وباب الفرج، وأحرق حكر السماق خارج باب النصر، واشتد الغلاء، وعظم البلاء وزادت أوقية الخبز على نصف درهم وبلغ التبن أن بيع كل أوقية بقرطاس، ثم أحرقت العقيبة في أول ربيع الأول.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: في يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر توفي صاحبنا المحدث شرف الدين أحمد بن الجوهري[1] رحمه الله؛ وكان فاضلاً خيراً متواضعاً مفضلاً مفيداً حريصاً على تحصيل المسموعات، رحل في طلب الحديث وسمع وحصل الأصول ثم توفي رحمه الله ودفن بالجبل صلينا عليه بجامع دمشق وشيعناه إلى داخل باب الفرج ولم يمكن الخروج لوجود الحصار المذكور.

ثم توفي بعده في سادس شهر ربيع الأول القوام الأصبهاني، وكان كاتباً، فاضلاً، شاعراً، والمعين الأرموي وكان شيخاً ظريفاً، معمراً في ثامن ربيع الأول، ثم توفي في ثالث عشر ربيع الأول المنتخب الهمذاني المقرئ بالمدرسة الزنجبيلية رحمه الله، وكان مقرئاً مجوداً قرأ على الشيخ أبي الجود بمصر. وانتفع بشيخنا أبي الحسن في معرفة قصيدة الشاطبي ثم تعاطى شرح القصيدة فخاض بحراً عجز عن سباحته، وجحد حق تعليم شيخنا له وإفادته فالله يعفو عنا وعنه. حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته إلى داخل باب الفرج ولم يمكن الخروج معه لأجل حصار البلد.

ثم توفي في الثالث والعشرين منه التاج عبد الجليل الأبهري الصوفي وكان من أهل الحديث ذو سماعات كثيرة، وبخطه طبقات جمة، ونسخ كثيراً من كتب الحديث والفقه أسمعت عليه ابني محمداً وله إجازة.

وفي ذلك اليوم مات الصفي القارئ إمام الجنائز، وقبلهما بيوم توفي الناصح سالم قيم دار الحديث النورية رحمهم الله، ثم توفي الشيخ حسن الصقلي القزاز وكان من المشهورين بالصلاح كل ذلك في ربيع الأول.

---

(١) هو ابن الجوهري الحافظ أبو العباس أحمد بن محمود بن إبراهيم بن نبهان الدمشقي (شذرات الذهب ٥/ ٢١٨).

وتوفي في ربيع الآخر سابع عشره الشيخ الفقيه الصوفي كمال الدين أبو العباس أحمد بن كاتب الزماري رحمه الله وكان شيخاً، صالحاً، فقيهاً؛ مشهوراً، من أصحابنا الشافعيين متضلعاً من نقل وجوه المذهب وفهم معانيه. وهو أحد من قرأت عليه المذهب في صباي وكان كثير الحج والخير. وقف جميع كتبه وفيها مصنفات جليلة تقبل الله منه، وهو الذي ذكره شيخنا أبو الحسن في خطبة تفسيره وأثنى عليه وكان ملازم حلقة شيخنا وقت سماع التفسير وفي أيام ختمات الطلبة رحمه الله.

وفي يوم الأربعاء السادس والعشرين من ربيع الآخر توفي الشيخ الفقيه الإمام مفتي الشام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح رحمه الله بدار الحديث الأشرفية، وحمل على الأصابع إلى الجامع فصلي عليه بعد صلاة الظهر، وكانت على جنازته هيبة ووقار، وجمع متوفر، ورقة شديدة وإخبات وخشوع ثم خرج به إلى باب الفرج ورجع الناس بسبب الحصار وخرج معه نفر دون العشرة إلى مقابر الصوفية فدفن بها رحمه الله وانضاف إليهم بعد ذلك جماعة حضرت الصلاة عليه بالجامع وشيعته إلى باب الفرج. ومنه استفدت على الحديث والفقه صغيراً وكبيراً وسمع عليه ابني محمد جملة من تصانيفه ومعظم السنن الكبير للبيهقي وغير ذلك.

وبعده بيومين توفي التقي أحمد بن العز محمد ابن الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي[1] بجبل قاسيون. وتوفي قبله بنحو من شهر ابن عمه أبو سليمان عبد الرحمن بن عبد الغني وكانا من أئمة الحنابلة بدمشق وبالجبل، وكان أبو سليمان من الصالحين.

وفي جمادى الأولى توفي شرف الدين بن قريش بدمشق، والقاضي الأشرف بن الفاضل بمصر بينهما سبعة أيام، وفي ثالث جمادى الأولى لما فتح دمشق توفي العز محمد بن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن عساكر، وكان كبير بيته يومئذ، وله عناية بعلم التاريخ، ومات في ذلك اليوم العز محمد بن الخيسي شاب من المشتغلين بالعلم المحصلين له المجتهدين فيه من أصحاب شيخنا أبي الحسن وأعزهم عليه رحمه الله. شهدت الصلاة عليهما وشيعتهما إلى داخل باب الفرج وذهب به إلى الجبل. وبابن عساكر إلى مقبرة جده بباب الصغير.

وفي خامسه يوم الجمعة توفي الشيخ المسند تاج الدين أبو الحسن محمد بن أبي جعفر إمام الكلاسة كان مسند وقته ذو سماعات جمة صحيحة، وأصول جليلة. وكان متواضعاً خيراً ديناً رحمه الله.

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/٢١٧، والبداية والنهاية ١٣/١٤٣.

سمعت عليه أنا وابني محمد كثيراً. سمع من عبد المنعم الفراوي، وأبي البركات الخشوعي، وأبي الفرج الثقفي. والحافظ أبي محمد؛ وعبد الوهاب بن سكينة، وابن طبرزد، وحنبل، والقاضي أبي القاسم، وأبي اليمن الكندي وغيرهم حضرت الصلاة عليه بالجامع بعد صلاة الجمعة وشيعته إلى باب الفرج وكانت له جنازة حفلة وحمل على الأيدي ودفن بجبل قاسيون عند أبيه وأخيه.

[خروج سلطان دمشق منها ودخول نائب صاحب مصر إلى دمشق]

وفي ثامنه تحقق الصلح وزال الحصر عن البلد ورحل ليلتئذٍ عن دمشق سلطانها الصالح إسماعيل بن العادل بن أبي بكر بن أيوب. وصاحبه المنصور إبراهيم بن أسد الدين إلى بعلبك وحمص، ودخل البلد من الغد في تاسع الشهر نائب صاحب مصر وهو الصاحب معين الدين حسين شيخ الشيوخ صدر الدين ونزل في دار أسامة وهي الدار المعظمية الناصرية. وزال الخوف والظلم عن البلد والمصادرات والوجل جعله الله فتحاً مباركاً برحمته.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي يوم الجمعة آخر جمعة في الشهر توفي ولدي أبو الحرم محمد جمعني الله وإياه في الجنة ودفنته عند أمه بمقبرة ابن زويزان المجاورة لمقبرة الصوفية على حافة الطريق إليها رحمهما الله وإيانا وأنا كنت قابله وغاسله وبلغ من العمر ثماني سنين ونصفاً وسمع من كتب الحديث وأجزائه ومن سائر العلوم شيئاً كثيراً على جملة من المشايخ نحو مائة وأربعين شيخاً. ثم توفيت أخته زينب بعده بأربعة أيام.

وفي ثالث جمادى الآخرة توفي الشهاب محمد بن علي بن منصور اليمني المعروف بابن الحجازي رحمه الله وكان من فضلاء الشبان. هو وأبوه من أصحاب شيخنا أبي الحسن المختصين به ودفن بجبل قاسيون ولم أشهده لأني كنت مريضاً.

وفيها: ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة توفي شيخنا علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي[1] رحمه الله علامة زمانه، وشيخ عصره وأوانه بمنزله بالتربة

(١) هو الشيخ علم الدين أبو الحسن السخاوي علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الواحد بن عبد الغالب الهمذاني المصري، له من التصانيف: «إفضاح الموجز في إيضاح المعجز»، «الإفصاح وغاية الإشراح» في القراءات السبع، «أقوى العدد في معرفة العدد»، «تحفة الفراض وطرفة المرتاض»، «تفسير القرآن إلى سورة الكهف»، «تنوير الظلم في الجود والكرم»، «جمال القراء وكمال الإقراء»، «الجواهر المكللة في الأخبار =

الصالحية وصلي عليه بعد الظهر بجامع دمشق ثم خرج بجنازته في جمع متوفر إلى جبل قاسيون فدفن بتربته التي في ناحية تربة بني صصري خلف دار ابن الهادي حضرت الصلاة عليه مرتين بالجامع وخارج باب الفرج وشيعته إلى سوق الغنم ثم رجعت لضعف كان من أثر مرض قريب العهد. وكان يوماً مطيراً وفي الأرض وحل كثير. وكان على جنازته هيبة، وجلالة، ورقة، وإخبات وختم بموته موت مشايخ الشام يومئذ، وفقد الناس بموته علماً كثيراً ومنه استفدت علوماً جمة، كالقراءات والتفسير، وعلوم فنون العربية وصحبته من شعبان سنة أربع عشرة، ومات وهو عني راض والحمد لله على ذلك رحمه الله وجمع بيننا وبينه في جنته آمين.

وفي يوم الأربعاء خامس جمادى الآخرة توفي الفقيه زين الدين يوسف بن إبراهيم بن يوسف الكردي والشيخ أيوب المعروف بالمراوحي، والعماد علي بن الحجة الحنفي، والصدر إبراهيم بن الليث وغيرهم وصلينا على الجميع جملة بعد الظهر بالجامع وشيعت جنازة الزين الكردي إلى نحو باب الصغير رحمهم الله ثم توفي خطيب الجبل شرف الدين عبد الله ابن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة، والضياء محمد بن عبد الواحد. والضياء محاسن، والسيف أحمد بن عيسى ابن شيخنا الموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، وغيرهم من مشايخ الجبل. توفي الضياء محمد يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة من السنة وهو: محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، وفي ليلة ثامن عشر شعبان توفي الفخر محمد بن عمر بن عبد الكريم الحميري عرف بابن المالكي الساكن بالمنارة الشرقية في بيت أبي جعفر ودفن من الغد في مقبرة الصوفية رحمه الله.

وفيها: توفي النجم بن سلام وكان متولي ديوان دمشق بالقلعة بعد الشمس بن النفيس في سنة اثنتي عشرة وستمائة ودام عليه وله إحسان وخير، وصدقة، وتعصب، وضيافة. وفي شهر شعبان أيضاً من سنة ثلاث وأربعين وستمائة توفيت الصاحبة ربيعة خاتون ابنة نجم الدين أيوب[1] أخت صلاح الدين والعادل وغيرهما من الملوك وعمة

= المسلسلة»، «ذات الأصول في مدح الرسول ﷺ»، «ذات الدرر في معجزات سيد البشر»، «شرح مصابيح السنة للبغوي»، «القصائد السبعة في مدائح نبوية»، «القصيدة الناصرة لمذهب الأشاعرة»، «متشابهات الكتاب»، «مناسك الحج»، «هدية المرتاب وغاية الحفظ والطلاب» منظومة في القراءات (انظر: كشف الظنون ٥/ ٧٠٨ ـ ٧٠٩، شذرات الذهب ٥/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٣).

(١) انظر ترجمتها في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٢٣٠، مرآة الزمان ٨/ ٧٥٦، مختصر أبي الفداء ٣/ ١٧٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥١، الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٨٠، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٣، شذرات الذهب ٥/ ٢١٨، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٣.

الكامل، والأشرف؛ والمعظم وغيرهم من الملوك. زوج مظفر الدين صاحب إربل رحمهم الله ودفنت بتربتها بالجبل. وتوفي فيه أيضاً الأمير سيف الدين قليج[١] ودفن بمدرسته التي وقفها بمسكنه بدار الفلوس.

وفي السابع والعشرين من شعبان توفي الفقيه الشيخ الصالح علاء الدين بن الكردي عمر بن أبي بكر بن جعفر وكان جاري بالمدرسة العادلية ودفن بمقابر ابن زويزان حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله.

وفي ليلة الأحد الثاني والعشرين من شهر رمضان توفي بدمشق الصاحب معين الدين ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه[٢] وكان نائب السلطنة بها وهو الذي فتحها للملك الصالح أيوب بن الملك الكامل وأخذها من عمه إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب صاحب بعلبك وصلى عليه بجامع دمشق جمال الدين بن محيي الدين بن الجوزي ودفن بالجبل عند أخيه عماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ رحمهم الله. ومولد معين الدين في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وفي يوم الجمعة العشرين من رمضان توفي شرف الدين محمد ابن القاضي شرف الدين أبي طالب عبد الله بن زين القضاة ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه بالجامع. وفي ثاني شهر شوال توفي الأمير نجم الدين القيمري عمر بن ناصر الدين ودفن بالجبل.

[اشتداد الغلاء بدمشق]

وفيها: اشتد الغلاء بسبب قطع الخوارزمية الطرقات. ففي ثامن عشر شوال بلغت غرارة القمح ستمائة درهم ناصرية نصفها بثلاثمائة درهم، وبيع الخبز كل رطل بثلاثة دراهم أو بأربعة دراهم على تفاوت الأخبار والله يكشف هذا الضر برحمته وكان ذلك في تاسع شهر آذار وبقيت الصعاليك مرميين في الطرقات. كانوا يطلبون لقمة، ثم صاروا يطلبون فلساً يشترون به نخالة يبلونها ويأكلونها كما تطعم الدجاج؛ وشاهدت ذلك بعيني، ثم اشتد الغلاء زيادة على ذلك فبلغ في آخر شهر شوال المذكور كل غرارة حنطة بمائة دينار صورية ثم ناصرية، ثم سمعت أنه بيع عشرة غرائر بعشرة آلاف درهم وكتب بها وثيقة على المشتري إلى أجل شهرين، واشتريت أنا الخبز كل رطل بأربعة دراهم غير مرة، ثم تفاقم الأمر في حادي عشر ذي القعدة فبيع الخبز الأسود كل أوقيتين بدرهم، وخبز الشعير كل أوقيتين ونصف بدرهم، وبلغت الغرارة في ثاني عشر ذي القعدة ألفا ومائتي درهم وخمسين درهماً

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٤٤.

(٢) هو معين الدين الصاحب الكبير أبو علي الحسن ابن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر الجويني، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢١٨، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٤.

فضة ناصرية، وبيع الدقيق كل أوقية وربع أوقية بدرهم كل رطل بنحو عشرة دراهم وبيع الشعير كل كيل بخمسين درهماً الغرارة بستمائة درهم، والزبيب كل أوقيتين بدرهم ثم بيع أوقية ونصف بدرهم، وكذا الدبس بلغت الحلاوة الجوزية من الدبس كل أوقية بدرهم، وسمعت من ينادي عليها وقد نزل السعر بباب الجامع الغربي من باب البريد يقول أرخص الله أسعار المسلمين كل أوقية بستة عشر قرطاساً. فقال بعض السامعين: كنا نأخذها بعشرة فلوس الوقية واليوم نفرح كيف وصلت إلى ستة عشر قرطاساً وبيع الباقلا الأخضر كل رطل بدرهم وربع، والرز باللبن ثلاث أواق ونصف بدرهم، والأرز اليابس كل أوقيتين، والفحم الردي كل رطل بستة دراهم، ولم تزل الأسعار في اشتداد وارتفاع إلى أن بيع مد الحنطة بعشرين درهماً ونحوها وبلغت الغرارة ألفاً وخمسمائة درهم وبيع الخبز كل أوقيتين إلا ربع بدرهم والرطل بسبعة دراهم في يوم عيد النحر وقبله: ثم إن الله تعالى نفس عن الناس بنزول السعر من بعد عيد الأضحى. ولم يزل يأخذ في النزول إلى أن بيع الخبز آخر السنة كل رطل بدرهمين، واللحم كذلك وفي سلخ المحرم بيع كل رطل وثلث بدرهم: وفي جمادى الآخرة رطل ونصف بدرهم.

[كسر الخوارزمية]

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة(١)

أولها يوم الجمعة، ففيه كسرت الخوارزمية أشد كثرة وقتلت ملوكهم وسبيت نساؤهم وغنمت أموالهم بين أرض بعلبك وحمص كسرهم الملك المنصور إبراهيم بن المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص ومعه جيوش حلب وحماة وغيرها من البلاد، وجاءنا الخبر بذلك يوم السبت ثاني الشهر إلى دمشق فبيع الخبز كل رطل بدرهم ونصف، والحمد لله على هذه النعمة ونسأله المزيد بفضله ثم تسلمت قلعة بعلبك من نواب الصالح إسماعيل، ثم تسلمت قلعة بصرى منهم. وممن قتل في تلك المعركة بركة خان مقدم الخوارزمية وسلطانهم وحمل رأسه إلى حلب.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي حادي عشر صفر توفي الملك المنصور إبراهيم بن المجاهد صاحب

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

حمص[1] بالبستان الأشرفي بالنيرب ظاهر دمشق ونقل إلى حمص. وقبله بأيام توفي الضياء محمد بن حسان بن رافع العامري[2] بقصر حجاج. وكانت له سماعات كثيرة بالحديث. سمع الخشوعي، والحافظ أبا محمد، وأبا اليمن الكندي، والقاضي أبا القاسم، وأبا حفص بن طبرزد، وحنبلاً وغيرهم. وسمع شيء من حديثه رحمه الله تعالى ثم توفي الركن بن سلطان الحنفي، والقاضي شرف الدين الحنفي الحوراني؛ والكمال إبراهيم بن البانياسي وغيرهم في العشر الأوسط من صفر.

وفي ثامن عشر ربيع الأول توفي العز الأربلي عبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر إمام دار الحديث النورية بدمشق بقرية جوبر وحمل إلى مقابر الصوفية، وكان شيخاً حسناً مسنداً مكثراً عن أبي طاهر الخشوعي، وأبي محمد الحافظ، وأبي اليمن الكندي، وأبي حفص بن طبرزد، وأبي القاسم القاضي، وفاطمة بنت سعد الخير وغيرهم. أسمعت عليه ابني محمداً كثيراً من الكتب والأجزاء.

وفي ربيع الآخر توفي الفقيه الحنفي المعروف بالعز عرفة مدرس الصادرية، والمجد بن البعلبكي، والجمال بن البلان وفي أول جمادى الآخرة توفي الحكيم سعد الدين الطبيب، وبعده بثلاثة أيام توفي البدر العلائي الأشرفي الخادم. وفي الخامس والعشرين من جمادى الآخرة توفي الفقيه الإمام تقي الدين محمد بن محمود بن عبد المنعم المراتبي الحنبلي[3] رحمه الله ودفن بالجبل حضرت الصلاة عليه وشيعته إلى خارج باب الفرج؛ وكان عالماً، فاضلاً، ذا فنون ولي به صحبة قديمة وبعده لم يبق في مذهب أحمد مثله بدمشق.

وفي رجب ولد بمنزلي عبد العزيز بن أحمد بن عبد الجبار الزينبي أخو ابنتي من أمها جعله الله موفقاً سعيداً.

وفي أول شعبان توفي الضياء عبد الرحمن المالكي العمادي[4] الذي جلس مكان الشيخ أبي عمرو في حلقته بالجامع، وفي زاوية المالكية ومدرستهم رحمه الله وكان كريماً شاعراً.

وقبله الأمير عماد الدين داود بن موسك بن جكر. وجاءنا الخبر بوفاة الفقيه

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٤٥، وشذرات الذهب ٥/ ٢٢٩.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٤٥، وشذرات الذهب ٥/ ٢٣٠.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٣٠، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٥، وفيه: «المرامي» بدل: «المراتبي» وهو تصحيف.

(٤) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٤٥.

تاج الدين إسماعيل بن جهبل رحمه الله بحلب وكان فقيهاً ديناً كريماً سليم الصدر. وتوفي في ثامن عشر شعبان الشيخ إسماعيل الكوراني[١] المقيم بمقصورة ابن سنان الحنفية بجامع دمشق، وفي شهر رمضان توفي النجم عبد الكافي، والشريف هاشم بن الشريف البهاء، وجمال الدين محمد القلعي، والمخلص أبو بكر بن حماد الحنبلي، وفي ذي القعدة توفي الناسخ أحمد الصيداوي المشتغل بعلوم الفقه والحديث والرقائق.

[دخول السلطان الصالح نجم الدين أيوب دمشق]

وفي تاسع عشر ذي القعدة يوم الخميس سابع ساعة فيه دخل دمشق صاحبها الصالح نجم الدين أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب وكان يوماً عظيماً بكثرة الخلق والزينة ونزل عندنا بالمدرسة العادلية الشيخ الفاضل الأمير ضياء الدين أبو الحسين محمد بن إسماعيل بن عبد الجبار يعرف بابن أبي الحجاج المقدسي؛ وصهره الأمير العالم الفاضل شمس الدين بن الجناب فأقام بها خمسة عشر يوماً ثم رحل إلى بعلبك فكشفها ثم رجع ومضى نحو صرخد وتسلمها من صاحبها عز الدين أيبك المعظمي؛ ورحل إلى بلاد بانياس وتسلم حصن الصبيبة من الملك السعيد بن العزيز بن العادل وهو ابن عم السلطان وفي خدمته ثم تسلم حصن الصلت من ابن عمه داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب، وفرق بدمشق نحو تسعين ألف درهم على الفقراء فخان فيها المفرقون فنظمت فيهم قصيدة نحو أربعمائة بيت في شرح حالهم فيها.

[رجوع السلطان الصالح إلى مصر]

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة[٢]

أولها يوم الأربعاء فرجع السلطان الصالح أيوب إلى مصر وأبقى العسكر بالساحل محاصرين لبلاد الفرنج خذلهم الله تعالى بعسقلان وطبرية، فجاء الخبر بفتح طبرية في عاشر صفر من هذه السنة، وجاء الخبر بفتح عسقلان في أواخر جمادى الآخرة.

وفيها: توفي النظام عبد الله بن زين الأمناء بن عساكر، وفي العام قبله توفي أخوه الركن عبد اللطيف وكان متزهداً ذا وسواس.

---

(١) هو إسماعيل بن علي الكوراني الزاهد، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٣٠.

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٥ ـ ١٤٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٦.

[عزل عماد الدين خطيب بيت الآبار من خطابة جامع دمشق]

وفيها: عزل الخطيب عماد الدين داود بن خطيب بيت الآبار من خطابة دمشق وإمامته ومن التدريس بزاويته الغربية وولي ذلك القاضي عماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني وذلك في أواخر رجب.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي سلخه توفي المجد بن نظيف، وفي شعبان توفي الشمس بن هلال، وفي رمضان توفي الكمال علي بن يعقوب الدولبي القاضي الشافعي وكان فقيهاً أديباً، تولى القضاء ببعلبك، ثم بصرخد ثم برزة وبها توفي. قلت: وجدت بخط الدولبي المذكور أنه علي بن يعقوب بن إسحاق بن عبد الله بن أبي الحسن وهو كردي الجوزقاني رحمه الله تعالى، وكان شيخاً في الفقه.

وفي رمضان أيضاً توفي الشيخ علي المعروف بالحريري[1] المقيم بقرية بسر في زاويته وكان يتردد إلى دمشق، وتبعه طائفة من الفقراء وهم المعروفون بالحريرية أصحاب الزي المنافي للشريعة، وباطنهم شر من ظاهرهم إلا من رجع إلى الله منهم، وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون بها من إظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير وانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كبراء دمشق، وصاروا على زي أصحابه وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار ويجمع مجلسه الغناء الدائم، والرقص والمردان وترك الاحتجار على أحد فيما يفعله، وترك الصلوات، وكثرة النفقات فأضل خلقاً كثيراً. وأفسد جماً غفيراً، وقد أفتى في قتله جماعة من علماء المسلمين ثم أراح الله منه.

[استيلاء صاحب حلب على حمص وصلب مملوك تركي]

ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة[2]

ففيها: استولى صاحب حلب على حمص، وفي يوم الجمعة سادس عشر

---

(١) هو أبو محمد علي بن أبي الحسن بن منصور الدمشقي الفقير، المعروف بالحريري، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٣١ ـ ٢٣٢، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٦.

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٣٣ ـ ٢٣٧، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٧ ـ ١٤٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥٦ ـ ٢٥٩.

ربيع الآخر صلب مملوك تركي صبي بالغ كان لبعض الأمراء الصالحية النجمية يدعى السقسقيني زعموا أنه قتل سيده لأمر ما فصلب على حافة نهر بردى تحت القلعة في آخر سوق الدواب وجعل وجهه مقابل الشرق، وسمرت يداه، وعضداه؛ ورجلاه وبقي من ظهر يوم الجمعة إلى ظهر يوم الأحد ثم مات، وكان يوصف بشجاعة، وشهامة، ودين وأنه غزا بعسقلان وقتل جماعة من الفرنج، وقتل أسداً على صغر سنه وكان منه في صلبه عجائب. فمن ذلك أنه جاد بنفسه للصلب غير ممتنع ولا جازع، بل مد يديه فسمرتا؛ ثم سمرت رجلاه وهو ينظر لم يتأوه ولم يتغير وجهه، ولا حرك شيئاً من أعضائه. أخبرني من شاهد ذلك منه جماعة وبقي إلى أن مات صابراً ساكناً لم يئن؛ ولم يزد على نظره إلى رجليه وجانبيه، تارة يميناً وتارة شمالاً، وتارة ينظر إلى الناس. قيل إنه استسقى ماء فلم يسقى؛ وتألمت قلوب من عندهم رحمة وشفقة على خلق الله تعالى من أنه صبي صغير وقد ابتلي بمثل هذا البلاء والمياه تتدفق بجوانبه وهو ينظر إليها ويتحسر على قطرة منها وهو صابر على ذلك فسبحان من له الأمر والحكم.

وأخبرت أنه رؤيت له منامات صالحة ونور غشاه قبل موته، وإن شكواه للعطش كان في أول يوم ثم سكن ذلك فقواه الله تعالى وثبته وصبره. وأخبرني من سمعه يقول في اليوم الثاني: سقيت البارحة ما أذهب عني العطش. ثم لم يطلب الماء حتى مات. وصار يبصق بصقة رجل ريان الكبد ويحذف بها بعيداً: وبقي بعد موته معلقاً تمام يوم الأحد وأنزل ضحوة يوم الاثنين من الغد رأيته اتفاقاً وأنا مار إلى المدرسة الحسامية حالة إنزاله، فشاهدته وقد اسودت أعضاؤه، وتغيرت محاسنه وكثر الترحم والدعاء له. ولعله كان شهيداً رحمه الله، فإني أخبرت أنه دافع عن نفسه أمراً لم يرض وقوعه به والله يغفر لنا أجمعين. ومنها: أنه أسرع إليه الموت تخفيفاً من الله تعالى عليه فإنه بقي يومين وليلتين. وأخبرت أن جماعة من الرجال جرى لهم مثل هذا الصلب والتسمير وأن المنية تأخرت عنهم أياماً زيادة في عذابهم وكان قد أصابه في اليوم الثاني اختلال فلم يبق يحس بالألم والعطش ولم ينتظم كلامه بل صدرت منه ألفاظ دالة على اختلاله خفف الله تعالى بذلك عنه، وقد كان يغفي أحياناً، ثم ينتبه مرعوباً لشدة الألم فتتقطع لذلك قلوب الناظرين إليه غير أنه يذكر الله تعالى.

وأخبرت أن بعض الموكلين به سأله عن حاله في غداة يوم الأحد أو السبت وكان جوابه أن قال: طيب مع الله. وبلغني لما سمر لم يسمع منه سوى كلمة واحدة وذلك أن الذي سمره لما وضع المسمار في العضد صادف العظم فقال له: يا فتى تجنب العظم. وبلغني أن الذي سمره توفي ذلك اليوم أو الذي

بعده وهذا من عجائب ما اتفق، فأخبر الصبي بذلك إرادة إعلامه أن الله تعالى جازاه بفعله. فقال الصبي وهو في تلك الشدة: هو في حل لا ذنب له لكن الذنب لمن أمره بذلك.

وكان رحمه الله من أجمل الصبيان، وأحسنهم وجهاً، وأطولهم شعراً، قد كان ثمنه ألوفاً من الدراهم، وكان في قتلته مكشوف الرأس، والذؤابة من شعره مسترسلة خلفه، ولعبت به الرياح فأدارتها إلى صدره فبقي يتناولها يولع بها ويتشاغل بالعبث بها.

وبلغني أنه قال: لي يومان ما صليت كالمتأسف على ما فاته من الصلاة وبعضهم قال يوم علقوه كان صائماً، وأخبرني من أثق به أنه سمعه يلتمس من الناظرين إليه أن يبعدوا عنه ليريق الماء ففعلوا فأراقه، وكانت له نفس أبية، وقوة شديدة أخبرني جماعة أنه كان يحرك رجليه وهما مسمرتان فلم يزل يولع بتحريكهما إلى أن اتسع نخش المسمارين عليهما وصار يديرهما بمساميرهما لولا شدة تعلق المسامير بالخشب لقلعهما البتة ومما قيل فيه: [الطويل]

ومنفرد من فوق أعواد حتفه ... يجود بنفس صانها خوف ربه
تسمرت الأعضاء منه فلم يطق ... سجوداً فأومأ للسجود بقلبه
تمكنت الآلام منه مسمراً ... كئيباً وكان الموت أيسر خطبه
يرى واحداً والناس من حوله جذعه ... وعطشان والأمواه تجري بتحته
فيا حسرة منه على شرب قطراً ... لقد طار ذياك الشراب بلبه
وعريان إلا في غلالة حسنه ... ومكشوف رأس سائبات برحبه
تحول رياح الجو فيه وتعصف السـ ... ـوافي عليه كل ترب بقربه
وتشرق شمس الصيف من حر وجهه ... لقد زال ذاك الحسن مذ أشرقت به
مغيرة تلك المحاسن إذ غدا ... أحق بها منها فنادت بحربه
فيا لك ممنوعاً من الماء ضلة ... تفتت الأكباد من عظم كربه
ويا لك مصلوباً بظلم وقسوة ... تقطعت الأحشاء من سوء صلبه
ويبرد في الليل البهيم فيشتكي ... نهاراً فلا يسلي المقر بذنبه
فيا عجباً ممن أشار بصلبه ... ألا اعجب وأخبر عن قساوة قلبه
صبي صغير فائق الحسن ناسك ... شجاع له الإقدام في يوم حربه
صبور على هذي الشدائد كلها ... إلى أن أتاه الموت قاض لنحبه

[سقوط قنطرة عظيمة رومية بدمشق ووقوع حريق في المئذنة الشرقية بجامع دمشق]

وفي سنة ست وأربعين وستمائة سقطت قنطرة عظيمة رومية كانت على علو سوق الرقيق بالسوق الكبير فانهدم بسببها حوانيت ودور كثيرة كانت عليها ومتصلة بها وقعت نهاراً. وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع الحريق في المئذنة الشرقية بجامع دمشق فأحرق أعلاها وجميع ما فيها من البيوت والمطلع جميعه فإنه كان سقالات من خشب وسلم الجامع بفضل الله تعالى ورحمته. وبعده بأيام يسيرة قدم السلطان الصالح أيوب بن الكامل مدينة دمشق فأقام بها وجهز العساكر إلى حمص.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي شعبان توفي القاضي عز الدين محمد بن أبي الكرم الحنفي السخاوي وكان نائباً في الحكم زمن الجمال المصري قاضي القضاة إلى أن مات.

وفي الخامس من شهر رمضان توفي بمصر الأفضل الخونجي[١] قاضي قضاة مصر وكان حكيماً منطقياً، وكان الحديث عنه في مدة ولايته القضاء حسناً، سمعت الشيخ ابن أبي الفضل وغيره يثني عليه في ذلك رحمه الله.

وجاءنا الخبر في ذي القعدة أن الشيخ أبا عمرو عثمان بن الحاجب[٢] رحمه الله توفي بالإسكندرية في شعبان فساء ذلك من سمعه من البرية فإنه رحمه الله كان ركناً من أركان الدين في العلم والعمل، بارعاً في العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية، متقناً

---

(١) هو أفضل الدين الخونجي، محمد بن ناماور بن عبد الملك، قاضي القضاة، أبو عبد الله الشافعي، وفي كشف الظنون: محمد بن نامور ويقال ماماء ورد بن عبد الملك، أفضل الدين أبو عبد الله الشافعي له من الكتب: «أدوار الحميات في الطب»، «الجمل في مختصر نهاية الأمل» في المنطق، «شرح مقالة ابن سينا في النبض»، «كشف الأسرار عن غوامض الأفكار» في المنطق، «مقالة في الحدود والرسوم»، «الموجز في المنطق» وغير ذلك (انظر: كشف الظنون ٦/ ١٢٣، شذرات الذهب ٥/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٧).

(٢) هو أبو عمرو بن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الرويني ثم المصري. المعروف بابن الحاجب، من تصانيفه: «أمالي»، «الإيضاح في شرح المفصل»، «جامع الأمهات في الفقه»، «جمال العرب في علم الأدب»، «شافية في التصريف»، «شرح كتاب سيبويه»، «عقيدة ابن الحاجب»، «كافية ذوي الأرب في معرفة كلام العرب» «معجم الشيوخ»، «المقصد الجليل في علم الخليل»، «المكتفي للمبتدي شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي» في النحو «منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل»، وغير ذلك (انظر كشف الظنون ٥/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥، شذرات الذهب ٥/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٨).

لمذهب مالك بن أنس رحمه الله. وكان من أذكى الأمة قريحة، وكان ثقة حجة متواضعاً، عفيفاً، كثير الحياء، منصفاً، محباً للعلم وأهله ناشراً له، محتملاً للأذى، صبوراً على البلوى. قدم دمشق مراراً آخرها سنة سبع عشرة فأقام بها مدرساً للمالكية، وشيخاً للمستفيدين عليه في علمي القراءات والعربية. ثم خرج هو والشيخ ابن عبد السلام بسبب تغير الوقت عليهما فسكنا مصر وكان خروجهما من دمشق سنة ثمان وعشرين وستمائة وأخبرني صهره الكمال أحمد بن سليمان أنه دفن خارج الإسكندرية في المقبرة التي بين المنارة قريب قبر الشيخ ابن أبي شامة رحمه الله.

[وصول الفرنج إلى الديار المصرية]

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة[١]

في خلافة المستعصم. وسلطان دمشق الصالح أيوب بن الكامل مقيم بها. قدم إليها في أول شعبان من سنة ست فأقام بها خمسة أشهر ورحل منها يوم الاثنين رابع المحرم طالباً الديار المصرية، وأمر ببناء المنارة الشرقية بالجامع وهي التي احترقت فعمرت على ما هي عليه الآن. وفي ذلك العام[٢] وصلت الفرنج خذلهم الله تعالى إليها[٣] في البحر ونزلوا على ساحلها من جهة بر دمياط، واستشهد من المسلمين جماعة منهم النجم ابن شيخ الإسلام ودخل الأمير جمال الدين موسى بن يغمور دمشق نائباً للسلطنة في عاشر ربيع الأول[٤] منها ونزل بدرب الشعارين ووصل الخبر بإخلاء دمياط من المسلمين ودخول الفرنج خذلهم الله إليها في البحر واستيلاؤهم على ما كان فيها من المؤنة والإقامة. وجرت وقعة عظيمة هلك فيها داوية[٥] الفرنج؛ ثم ورد كتاب من مصر إلى بعض أصحابنا تاريخه حادي عشر ربيع الأول قرأت فيه: وصل

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦١.

(٢) يعني في صفر.

(٣) إليها: أي إلى الديار المصرية.

(٤) في البداية والنهاية، في صفر.

(٥) الداوية: طائفة مشهورة من الرهبان المرابطين، كان مركزهم الأساسي في قلعة رباح بأسبانيا، التي كانت حداً فاصلاً بين أرض النصارى وأرض المسلمين، وقد جاء قسم منهم إلى المشرق مع الحملات الصليبية، ويقال لهم في فرنسا: فرسان المعبد، وهم طائفة عسكرية متدينة تأسست سنة١١١٩م، وكان لها دور بارز في الحملات على فلسطين، وقد جمعوا ثروات طائلة من غزواتهم. أصبحوا بفضلها ممولي البابا وعددٍ من الأمراء، ومنذ العام ١٣١٢م ألغى البابا كليمان الخامس شرعية هذه الطائفة بطلب وتحريض من ملك فرنسا (انظر دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٣٧٩، سيرة الملك المنصور ص٢٠، الحلة السيراء ٢/ ١٧٨).

الفرنج في العشرين من صفر ونزلوا في الحادي والعشرين إلى البر، وفي الثاني والعشرين أخليت دمياط ودخلها الفرنج وهم فيها إلى الآن.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي ربيع الآخر توفي العدل صفي الدين عمر بن محمد بن عبد الوهاب يعرف بابن البرادعي[1] وكان أحد من يروي عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر رحمه الله. وتوفي فيه أيضاً الشيخ إسماعيل مقدم الخدام النبوية. وجاءنا الخبر بوفاة ابن أمية العبدري بالقاهرة رحمه الله.

وفي خامس جمادى الأولى توفي بدمشق الشريف عبد الصمد الحجازي الزاهد المقيم بالمسجد الذي بين القصاعين والفيسيقار رحمه الله وشهد جنازته خلق كثير، وحمل على أيدي الرجال وأصابعهم، وكان على طوية حسنة حضرت الصلاة عليه بعد الظهر بالجامع وشيعته إلى المقبرة بين باب الجابية وباب الصغير رحمه الله. وعبر بسببه الأمير جمال الدين بباب البريد وشاهد ما أحدث من الحوانيت بطريق المسلمين في رحبة الجامع فأمر بإزالته والاقتصار على الصفين المجاورين للحائطين من الجانبين، وكان قد أزيل ذلك مرة أخرى في زمن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ثم رد بعد ثم أزيل هذا الوقت المذكور والله تعالى يجري الخير على يد من يشاء من عباده.

وفيها: شرع في بناء المسجد خارج دمشق على نهر يزيد عند جسر ابن البعلبكي المسامت للجسر الأبيض.

وفي ليلة النصف من شعبان من هذه السنة توفي بمصر السلطان الملك الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب[2] وأخفى بها وأرسل إلى ولده المقيم بحصن كيفا وهو الملك المعظم توران شاه بن أيوب فتنكر وقدم مع النجابين على زيهم وعبر على البلاد ولم يزل ملوك الأطراف حوله حتى وصل عانة وعدا الفرات ودخل البرية ودخل دمشق يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رمضان فنزل بالقلعة وأقام بها وأحسن إلى أهلها ثم سافر إلى مصر يوم الاثنين في السادسة والعشرين من شوال فوصل المنصورة ثامن عشر ذي القعدة وبها عسكر المسلمين

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٣٨.

(٢) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٣٦٧ ـ ٣٨٢، مرآة الزمان ٦/ ٣٦١، الحوادث الجامعة ص٢٤٥، السلوك ١/ ٢٩٦، تاريخ أبي الفداء ٣/ ١٣٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٦٠، أخبار الأيوبيين ص١٥٩، خطط المقريزي ٢/ ٢٣٦، تاريخ ابن إياس ١/ ٨٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦١، شذرات الذهب ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٩.

في قبالة الفرنج الذين استولوا على دمياط وقبل وصول السلطان بأيام ركب الفرنج وحملوا على المسلمين سحراً على غرة فدهموهم في بيوتهم وخيامهم وتفرقوا في أزقة المنصورة وبين بيوتها. وأيقظ الله تعالى المسلمين فاجتمعوا عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة منها ألف وخمسمائة فارس ولم يفقد من المسلمين المعروفين سوى ثلاثين نفساً.

وفيها: قتل فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ(١) وهو آخر إخوته موتاً، وقتل أيضاً صاحبنا الشيخ الفاضل ضياء الدين محمد بن أبي الحجاج صاحب ديوان الجيش رحمه الله ختم الله له بالحسنى وهي الشهادة على ما كان فيه من فضل وتواضع ولم ألق أحداً يعرف علم التاريخ مثله، وحصل كتباً عظيمة وكانت له همة عظيمة في تحصيل الكتب، والفوائد، والفضائل إلى آخر عمره رحمه الله، وقدم دمشق مرات في زمان شبيبته وحياة والده وفي زمان شيخوخته، وكان قدم بغداد وسمع العلامة تاج الدين الكندي، وأبا حفص عمر بن طبرزد، والقاضي أبا القاسم الحرستاني وغيرهم وأنشدني لنفسه ولغيره.

[انتصار الملك المعظم توران شاه على الفرنج]

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة(٢).

ففي ثاني المحرم وهو يوم الأربعاء كسر السلطان المعظم توران شاه بن الصالح بن الكامل الفرنج الذين كانوا استولوا على دمياط وحاصروه بالمنصورة كسرة عظيمة قتل فيها وأسر قريب من ثلاثين ألفاً، وأسر ملك الفرنسيس وأخوه وجماعة من خواصه كانوا اختفوا في منية عبد الله من ناحية شرمساح فأخذوا برقابهم، وفي سادس عشر المحرم وصل إلى دمشق غفارة الملك فرنسيس المأسور أرسلها السلطان المعظم إلى نائبه بدمشق الأمير جمال الدين موسى بن يغمور فلبسها ورأيتها عليه وهي اسكر لاط(٣) أحمر تحته فرو سنجاب وفيها بكلة ذهب فنظم صاحبنا الفاضل الزاهد نجم الدين محمد بن إسرائيل مقطعات

---

(١) هو فخر الدين أبو الفضل يوسف ابن الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٣٩ ـ ٢٤٤، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٠ ـ ١٥٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٨.

(٣) ملابس صوفية مدفئة.

ثلاثاً ارتجالاً كل مقطعة بيتين في مدح السلطان والأمير إحداهما: [الخفيف]

إن غفارة الفرنسيس التي ... جاءت حباء لسيد الأمراء

ببياض القرطاس في اللون لكن ... صبغتها سيوفنا بدماء

والثانية مخاطبة للأمير: [الخفيف]

يا واحد العصر الذي لم يزل ... يحوز في نيل المعالي المدى

لا زلت في عز وفي رفعة ... تلبس أسلاب ملوك العدى

والثالثة كتبها الأمير مقدمة كتاب إلى السلطان: [الخفيف]

أسيد أملاك الزمان بأسرهم ... تنجزت من نصر الإله وعوده

فلا زال مولانا يبيح حمى العدى ... ويلبس أسلاب الملوك عبيده

وفي العشرين من المحرم دخل الناس كنيسة مريم بفرحة وسرور ومعهم مغاني ومطربون فرحاً بما جرى وهموا بهدم الكنيسة، وبلغني أن النصارى ببعلبك سودوا وسخموا وجوه الصور في كنيستهم حزناً على ما جرى على الفرنج فعلم بهم الوالي فجناهم جناية شديدة وأمر اليهود بصفعهم وضربهم وإهانتهم.

[قتل السلطان توران شاه]

وفي صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة وصل الخبر بقتل المعظم توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل(1) في دهليز الخيمة بعد مده السماط ضرب بسيف فانهزم ودخل برج الخشب فأحرق، فرمى نفسه إلى ناحية النيل فأدرك وقطع ثم بقرية فارسكور وكان ذلك من غلمان أبيه البحرية واستبدوا بالأمر بعده وأمروا عليهم أم ولد لأبيه الصالح، وأخبرني من شاهد قتله أنه ضرب أولاً فتلقى الضربة بالسيف فجرحت يده واختبط الناس وذلك بعد فراغهم من الأكل على السماط فأظهر أن ذلك من بعض الحشيشية فأشار بعضهم على الباقين بإتمام الأمر فيه وقالوا: بعد جرح الحية لا ينبغي إلا قتلها. فركبوا ولبسوا السلاح وأحاطوا بخيمته وبرجه الخشب لأنه كان في الصحراء بإزاء الفرنج خذلهم الله فدخل البرج خوفاً منهم فأمروا زراقاً بإحراق البرج فامتنع فضربت عنقه ثم أمروا زراقاً آخر فرمى البرج بنفط فأحرقه فخرج من بابه وناشدهم الله في الكف عنه والإقلاع عما نقموا

(1) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٤٢٦ ـ ٤٣١، مرآة الزمان ٨/ ٧٨١، فوات الوفيات ١/ ٢٦٣، السلوك ١/ ٣٥٩، مختصر أبي الفداء ٣/ ١٨١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٦٢، البداية والنهاية ١٣/ ١٥١، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٤، كنز الدرر ٧/ ٣٨١، شذرات الذهب ٥/ ٢٤١.

عليه وطلب تخلية سبيله فلم يجب إلى شيء من ذلك فدخل في البحر إلى أن وصل الماء إلى حلقه فرجع فضربه البندقداري بالسيف فوقع في الماء ثم ضربه بالسيف ضربة أخرى على عاتقه فنزل السيف من تحت إبط اليد الأخرى فوقع قطعتين.

وكان قتله في أواخر المحرم يوم الاثنين، فبقي مكانه ذلك اليوم والغد إلى ليلة الأربعاء ونقل إلى الجانب الآخر من النيل مجروراً بطرف ثوبه في الماء فحفر له في الرمل ودفن وتغيب قبره. فانظر إلى هاتين الوقعتين العظيمتين الغريبتين كيف اتفقتا في شهر واحد إحداهما في أوله: وهي الكسرة العظمى الذي استأصلتهم. والثانية: قتل السلطان على هذا الوجه الشنيع.

وأخبرنا السيف بن الشهاب جلدك والي القاهرة كان أبوه: أنه لما قتل رمي في جوف على حافة البحر وأردم عليه التراب فبقي هناك ثلاثة أيام ثم كشفه الماء فنقل من ثم إلى الجانب الآخر من البحر فدفن هناك.

وحكي لي قصة قتله عجباً وهو: أنه جر في الماء بصنارة والجار له راكب في مركب والصنارة بيده تجره في الماء كأنه حوت إلى أن عدا به إلى الجانب الآخر فدفنه هناك. فكان قتله والناس في غفلة وبهتة من أمرهم وعوجل فلم يجد ناصراً. ولقد حكى لي المذكور أنه بقي يستغيث من أعلى البرج برسول الخليفة يا أبا عز الدين أدركني وتكرر ذلك فركب في أمره وكلمهم فيه فتركوه وخوفوه من القتل وخرق حرمة الخلافة فرجع، ولما فرغ من قتله نادوا لا بأس، الناس على ما هم عليه إنما كانت حاجة فقضيناها. واستبدوا بالأمر وأمروا عليهم عز الدين أيبك التركماني[1] الملقب الآن بالملك المعز صاحب الديار المصرية وهو واحد منهم، ورجعوا إلى القاهرة وكاتب أمراء الشام باتباعهم فجرت في ذلك فصول استقرت آخراً على أن قدمت العساكر الحلبية بمن معهم من الملوك من بني أيوب مع سلطانهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز بن محمد بن الظاهر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله لأخذ البلاد والانتقام ممن أفسد هذا الأمر وقتل السلطان فنزلوا على الغوطة والبلد في أوائل ربيع الآخر.

وفي يوم الأحد سابع ربيع الآخر دخل العسكر الحلبي مدينة دمشق ضحوة النهار، وفي يوم الأربعاء عاشر الشهر دخل السلطان وأمن الناس وأزال عنهم البأس

---

(١) وفي خطط المقريزي (٣/ ٣٨٥): كان قد انتقل إلى الملك الصالح من أولاد ابن التركماني فعرف بالتركماني اهـ فيكون تركمانياً ولاء لا نسباً لكن أستاذه المعروف بالتركماني كان يدعي أنه غساني النسب، راجع تاريخ آل رسول في اليمن فلا يكون تركمانياً لا نسباً ولا ولاء، فيكون تركياً بالمعنى الأعم والنسب الواسع (ز).

وهو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي ابن السلطان الكبير المجاهد صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس، ثم أرسل إلى القلاع المجاورة لها فسلمت كبعلبك. وبصرى، وصرخد وأعمالها ثم سلمت عجلون والسلط وتقدمت العساكر إلى صوب غزة. وامتنع حصنا الكرك والشوبك بالمغيث بن العادل بن الكامل وكان قبل ذلك في حبس الصالح أيوب بن الكامل بحصن الشوبك وأطلق في أيام هذه الفتنة وتسلم الحصنين.

وبلغني أنه طلب فأبى وخاف مما جرى على ابن عمه المعظم بن الصالح ثم سار الملك الناصر يوسف لأخذ الديار المصرية ووصل سلخ شوال إلى العريش وخرج إليه عسكر الترك الذين بمصر فوقعت بينهم وقعة بسموط بين الخشبي[١] والعباسة فانهزم منها العسكر المصري ونهب ثم انقطعت منهم طائفة وانهزم الشامي وذلك في ذي القعدة وسلم السلطان وفقد جماعة كثيرة من أقاربه وأمرائه بين قتل وأسر وهرب ووصلوا إلينا في أواخر الشهر. وممن قتل ضياء الدين القيمري، وشمس الدين لؤلؤ، وحسام الدين القيمري، وتاج الملوك، وأسر المعظم[٢]، والنصرة[٣] ابنا صلاح الدين، والصالح بن العادل والأشرف بن المنصور بن أسد الدين، ثم خلص المأسورون وفقد الصالح إسماعيل ليلة الأحد عشرين ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وستمائة ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي تاسع عشر ذي القعدة توفي المجد الإسفرايني قارئ دار الحديث الأشرفية من أول ما فتحت وإلى الآن. وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر بن الصفار[٤] من أهل بيت كبير بأسفراين وكان المجد رحمه الله من أهل العلم والدين مقيماً بخانقاه السميساطي سمع المؤيد الطوسي وغيره. حضرت جنازته والصلاة عليه ظاهر باب النصر ومضوا به إلى مقابر الصوفية رحمه الله ورجعت لأني كنت ناقهاً من مرض والحمد لله على العافية وعلى كل حال.

وفي الثالث والعشرين من ذي القعدة توفي عندنا بالمدرسة العادلية بدمشق الشيخ الصالح العالم أبو الحسن علي بن عبد الله بن الهادي الضرير الأندلسي

---

(١) انظر السلوك للمقريزي ١/ ٣٧٤.

(٢) المعظم: هو تورانشاه.

(٣) النصرة: هو نصرة الدين محمد.

(٤) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٤٣.

الأشبيلي رحمه الله وكان ساكناً بالبيت الملاصق لباب السقاية وكان رجلاً، صالحاً، تقياً، فاضلاً في علوم شتى مقبلاً على شأنه مشتغلاً بأوراده رحمه الله ودفن بمقبرة الصوفية حضرت دفنه والصلاة عليه وكان ذلك بعد العصر من يوم الخميس، ورد من الأندلس في سنة إحدى وعشرين وستمائة في البحر فأسرته الفرنج ثم نجاه الله منهم ووصل إلى الديار المصرية وحج وجاور وسافر إلى بلاد اليمن ثم ورد مكة ومنها إلى الشام، وسكن دمشق وأقرأ بها القرآن وحفظ التنبيه في مذهب الشافعي وفهمه وعمل بعلمه رحمه الله.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة[١]

في خلافة المستعصم وسلطان دمشق الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب.

ففيها: توفي سعيد بن عبد الله بن جهير القرشي صاحبنا في ربيع الأول، ونجم الدين عثمان بن عمر بن عمر المراغي الشيخ الصالح في ربيع الآخر. ودفنا بمقابر الصوفية رحمهما الله.

وفيها: مات الموفق الخويي في خامس شعبان ودفن بالجبل. وفيها: في الثاني والعشرين من ذي القعدة توفي الحسام أبو بكر الحموي الواعظ بمسجد أبي اليمن ودفن بالجبل، وقبلها مات أخوه البدر بن الحموي الواعظ. وبلغ الحسام نيفاً وتسعين سنة. وفي ذي الحجة مات الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الكافي الربعي وكان قد درس بالكلاسة والأمينية وناب في القضاء مدة بدمشق وحمص ودفن بالجبل.

وفيها: ولدت ابنتي رقية في جمادى الأول بالنصف منه. وفيها: فرغ أسماعي التاريخ والروضتين.

وفيها: مات بالديار المصرية خطيب القاهرة الشيخ بهاء الدين علي بن هبة الله[٢]. وكان أولاً معيداً لشهاب الدين الطوسي بمنازل، ودرس بزاوية الإمام الشافعي بجامع مصر، وهو ابن بنت الفقيه أبي الفوارس بن الجميزي رحمه الله وكان سمع من الحافظين ابن عساكر والسلفي بالشام ومصر، ومن شهدة ببغداد.

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٦٨ ـ ٢٧١.

(٢) هو بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة الحميري. انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣.

وفيها: مات صاحبنا العفيف يعقوب المهيوني بمنية ابن خصيب؛ وكان قاضيها ومدرسها. وفيها: مات الرشيد عبد الظاهر المقيم بمسجد باب الزهومة رحمه الله.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة خمسين وستمائة(١)

ففيها: توفي الرشيد بن مسلمة(٢) في ثامن عشر ذي القعدة ودفن بالجبل، وفيها: توفي بمصر ابن مطروح(٣)، وفي الثالث والعشرين من ذي القعدة توفي الشريف عدنان، والفقيه كمال الدين إسحاق بن أحمد المقرئ(٤) المقيم، كان بالمدرسة الرواحية، وكان رحمه الله جامعاً بين العلم والعمل، زاهداً، مؤثراً، متواضعاً حسن الأخلاق، ودفن عند قبر شيخه تقي الدين بن الصلاح رحمه الله بالصوفية بالشرف القبلي بدمشق.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة(٥)

ففي سادس المحرم توفي الفقيه كمال الدين أبو المكارم عبد الواحد(٦) خطيب زملكا رحمه الله، وكان فاضلاً. عالماً، خبيراً، متميزاً في علوم متعددة، وتولى قضاء صرخد، ودرس ببعلبك ثم توفي بدمشق ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله.

وفيها: في شوال توفيت ابنتي رقية رحمها الله وعمرها سنتان وخمسة أشهر ودفنت بمقابر الصوفية عند قبر الجمال أبي الزهر خال أمها، وكان أبوه الخطيب

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٤٩ ـ ٢٥٣، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٣ ـ ١٥٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧٠.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٤٩، وفيه: الرشيد بن مسلمة، أبو العباس أحمد بن مفرج بن علي بن الدمشقي.

(٣) هو جمال الدين ابن مطروح، انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٥٣.

(٤) هو كمال الدين إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٥) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٦) هو ابن الزملكاني العلامة كمال الدين عبد الواحد ابن خطيب زملكا، أبي محمد عبد الكريم بن خلف الأنصاري السماكي الشافعي، من تصانيفه: «التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن»، «المفضل على المفصل ودراية المفصل»، «المنهج المفيد في أحكام التوحيد»، «نهاية التأسيل في أسرار التنزيل» في تفسير القرآن. (انظر: كشف الظنون ٥/ ٦٣٥، شذرات الذهب ٥/ ٢٥٤).

يعني أبوه كمال الدين يسمى عبد الكريم هو ابن خلف بن نبهان بن سلطان بن أحمد بن خليل بن حسن بن سعيد الأنصاري السماكي توفي الخطيب المذكور في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة هكذا وجدت في تاريخ وفاته وقيل في سنة خمس وثلاثين وستمائة.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وستمائة[١]

ففيها: توفي السديد بن علان[٢] وهو آخر من روى عن الحافظ أبي القاسم سماعاً بدمشق.

وفيها: توفي بحلب النصرة بن صلاح الدين[٣]، والشيخ كمال الدين بن طلحة[٤] وكان فاضلاً، عالماً، تولى القضاء ببلاد بصرى، والخطابة بدمشق، ثم طلب لمنصب الوزارة فأيقظه الله تعالى وزهد في رئاسات الدنيا وتزهد وانقطع وحج في هذه السنة ولما رجع من الحج أقام بدمشق قليلاً، وسمع عليه فيها رسالة القشيري ثم سافر إلى حلب فتوفي بها في السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة رحمه الله.

وفيها: توفي فارس الدين يوسف بن السلار بدمشق؛ وقيل بمصر فارس الدين أقطاي[٥] الذي تغلب على البلاد وقهر أهلها وتقدم على البحرية الذين

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٥٥ ـ ٢٦٠، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٥ ـ ١٥٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٥.

(٢) هو السديد بن مكي بن المسلم بن مكي بن خلف بن علان القيس الدمشقي المعدل، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦٠، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٦، وفيه: السيد بن علان، وهو تصحيف.

(٣) هو نصرة الدين محمد ابن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب، انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦.

(٤) هو محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن، كمال الدين أبو سالم القرشي العدوي النصيبي الشافعي المفتي الرحال (كذا في شذرات الذهب وفي كشف الظنون: الحفار)، من تصانيفه: «تحصيل المرام في تفضيل الصلاة على الصيام»، «الجفر الجامع ومصباح النور اللامع»، «الدر المنظم في الاسم الأعظم»، «زبدة المصنفات في الأسماء والصفات»، «زبدة المقال في فضائل الأصحاب والآل»، «العقد الفريد للملك السعيد»، «مطالب السول في مناقب الرسول ﷺ»، «مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصلاح»، «نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر» أي صلاح الدين، وغير ذلك (انظر كشف الظنون ٦/ ١٢٥، شذرات الذهب ٥/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠، البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦).

(٥) هو الأمير فارس الدين أقطاي التركي الصالحي النجمي، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٥٥.

أهلكوا الناس واستقر ملك الديار المصرية لأيبك التركماني ويلقب بالملك المعز.

وفيها: توفي العفيف أحمد الصيداوي وكان شيخاً مشتغلاً بالبحث في أخبار النبي ﷺ، والفقه، وكتب الرقائق إلى أن مات رحمه الله في شعبان. وفيها: توفي الكمال بن تميم. وفيها: في رابع شوال توفي الناصح فرج بن عبد الله الحسيني المعروف بفتى الشيخ أبي جعفر رحمه الله وكان يسند كثير السماع، خبيراً، صالحاً، مواظباً على سماع الحديث وإسماعه إلى أن مات بدار الحديث النورية.

وفيها: في الخامس والعشرين من شوال توفي بدمشق الشيخ شمس الدين عبد الحميد بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب(١) وكان شيخاً نبيهاً، فاضلاً، متواضعاً حسن الظاهر.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة(٢)

ففيها: ليلة الاثنين ثامن عشر صفر توفي بحلب الشهاب الفقيه ضياء الدين سقر بن يحيى بن سقر(٣) رحمه الله وكان فاضلاً، ديناً، ورعاً ومن شعره(٤): [السريع]

من ادعى أن له حاجة ... تخرجه عن منهج الشرعِ

فلا تكونن له صاحباً ... فإنه ضر بلا نفع

وله معجم حكى فيه عن شيوخه وعمل فيه بعض الفضلاء: [البسيط]

كم معجم طالعته مقلتي فبدا ... للحظها منه فضل غير منقوص

فلا سمعت ولا عاينت في زمني ... أتم في فضله من معجم القوصي

---

(١) هو الخسرو شاهي شمس الدين أبو محمد عبد الحميد بن عيسى بن عمريه بن يوسف بن خليل بن عبد الله بن يوسف التبريزي الشافعي (كذا سماه في شذرات الذهب)، له من المصنفات: «تلخيص الآيات البينات لفخر الدين الرازي»، «مختصر الشفاء لابن سينا» في المنطق، «مختصر المهذب لأبي إسحاق الشيرازي» في الفروع (انظر: كشف الظنون ٥/ ٥٠٦، شذرات الذهب ٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦، البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦).

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦٣، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٣) سقر بن يحيى بن سقر: كذا بالسين، وهو صقر بن يحيى بن سالم بن يحيى بن عيسى بن صقر المفتي الإمام المعمر الكلبي الحلبي الشافعي. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦١، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٧.

(٤) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ١٥٧.

قلت: طالعته فرأيت فيه أغاليط كثيرة وتصحيف أسماء وتبديلها، وأول ذلك في نسب نفسه بأنه انتسب إلى سعد بن عبادة الأنصاري، وظن أن عبادة هذا هو عبادة بن الصامت، وإنما هو عبادة بن دليم، وعبادة بن الصامت صاحب كبير غير هذا. وصحف في سند خرقة التصوف حبيباً أبا محمد حسيناً رأيت كل ذلك بخطه.

وفيها: يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول توفي الشهاب القوصي بدمشق أبو العرب إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري[1] ودفن بداره بالقرب من الرحبة وكان قد وقفها دار حديث رحمه الله. وكان ظريفاً حسن المحاضرة.

وفيها: في الثالث والعشرين من شوال توفي الشمس محمد بن عبد العزيز بن خلدون الشاعر الكاتب ولجده ذكر في تاريخ دمشق رحمه الله.
وفيها: بعد صلاة الصبح من يوم السبت الخامس والعشرين من شوال ولد لي ولد ذكر وأمه قرشية من بني عبد الدار بن قصي فأسميته أحمد وكنيته أبا الهدى جعله الله بفضله هادياً مهدياً وجاءني بعد خمس مرضات فدعوت الله أن يرزقني ولداً ذكراً. وجاءنا الخبر من حلب بوفاة الشريف المرتضى نقيب الأشراف بها رحمه الله. ومن مصر بموت أبي العباس بن ثابت المقرئ.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة[2]

ففيها: توفي الشيخ عماد الدين عبد الله بن الحسن بن الحسين المعروف بابن النحاس[3] بمسكنه بالجبل رحمه الله، وكان زاهداً، خيراً من كبار الناس ونبلائهم وكان في أذنيه صمم فانتفع بذلك وخلص من استماع أحاديث الناس، فانتفع بالعبادة معتكفاً بمسجده، تالياً في مصحفه، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من صفر رحمه الله تعالى.

وفيها: في ربيع الآخر توفي الزكي بن الفويرة[4] أحد المعدلين بدمشق يوم

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦١، وكشف الظنون ٥/ ٢١٣، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٧، وللشهاب القوصي: «تاج المعاجم في معجم الشيوخ».

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٦٣ ـ ٢٦٧، والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٧ ـ ١٦٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٨.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦٥، والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٢.

(٤) هو زكي الدين السلمي المعروف بابن الفويرة، كان من أعيان عدول دمشق (انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٨).

الجمعة. وفي غد يوم السبت توفي الشمس عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن إبراهيم المقدسي الشافعي[١] مدرس الرواحية بعد شيخه التقي بن الصلاح ودفن في أول مقابر الصوفية في ثامن الشهر المذكور. وبلغني أنه كان له جنازة حفلة وكنت غائباً عنها رحمه الله. وكثر موت الفجأة في تلك الأيام فمات بها جماعة منهم: مؤذن مدرستنا العادلية الشمس الخوارزمي وغيره.

وفيها: توفي صاحبنا الأمير مظفر الدين إبراهيم ابن الأمير عز الدين أيبك المعظمي[٢] أستاذ الدار لصاحب صرخد رحمه الله. وتوفي أبوه قبله بالديار المصرية ثم نقل إلى تربته في القبة التي بناها بمدرسته التي على طريق الميدان الأخضر الكبير الشمالي وله مدرسة أخرى داخل دمشق بالكشك تعرف قديماً بدار ابن منقذ.

[خسوف القمر وكسوف الشمس]

وفيها: ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل وكان شديد الحمرة ثم انجلى وكسفت الشمس في غده احمرت وقت طلوعها وقريب غروبها وبقيت كذلك أياماً متغيرة اللون ضعيفة النور والله تعالى على كل شيء قدير. واتضح بذلك ما صوره الشافعي رحمه الله من اجتماع الكسوف والعيد[٣] واستبعده أهل النجامة.

وجاء إلى دمشق كتب من المدينة على ساكنها السلام بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة وكتبت الكتب في خامس رجب والنار بحالها ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان.

وفي أول يوم رمضان شنق العز الخلاطي نفسه في بيته بالمدرسة العادلية أعاذنا الله تعالى من البلاء. بسم الله الرحمن الرحيم ورد إلى مدينة دمشق حرسها الله تعالى في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول الله ﷺ فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦٥، والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٤، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٩ ـ ٢١.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٦٤، وذيل مرآة الزمان ١/ ١٥ ـ ١٧.

(٣) قول الفلكيين مبني على الواقع في جاري العادة. وقول الإمام على الاحتمال العقلي المجرد، وأما قول المؤرخ في حادثة الخسوف والكسوف هنا ففي حاجة إلى حسن ضبط وتوثيق بل ظن بالنيرين الكسوف والخسوف، من نار الحجاز الخارجة في تلك المدة.

تضيء أعناق الأبل ببصرى»[١]. فأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها بالمدينة بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب. قال وكنا في بيوتنا تلك الليالي، وكأن في دار كل واحد منا سراجاً ولم يكن لها ضوء بقدر عظمها وإنما كانت آية من آيات الله تعالى وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها:

لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة رجفت منها المدينة، والحيطان، والسقوف؛ والأخشاب، والأبواب ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة نبصرها من دورنا بداخل المدينة كأنها عندنا. وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منائر وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادي شظا سيل الماء. وقد سدت سبيل شظا وما عاد بسيل، والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسير نيراناً وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي فسارت إلى أن وصلت الحرة فوقفت بعد أن أشفقنا أن تجيء إلينا ورجعت تسير في الشرق ويخرج من وسطها سهول وجبال نيران تأكل الحجارة، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز فقال عز من قائل: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣]. وقد أكلت الأرض وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمائة والنار في زيادة ما تغيرت وقد عادت إلى الحرار في قريظة طريق عير الحاج العراقي إلى الحرة كلها نيران تشتعل نبصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعيل الحاج. وأما أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حمر والأم الكبيرة التي سالت النيران منها من قريظة وقد زادت وما عاد الناس يرون أي شيء بعد ذلك والله يجعل العاقبة إلى خير وما أقدر أن أصف هذه النار.

وفي كتاب آخر: ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة في شرقي المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ثم وقفت وعادت إلى الساعة ولا ندري ماذا نفعل، ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين إلى ربهم وهذه دلائل القيامة.

وفي كتاب آخر: لما كان يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وقع صوت يشبه الرعد البعيد تارة وتارة أقام على هذه الحال يومين فلما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذي كنا نسمعه

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب ٢٤، ومسلم في الفتن حديث ٤٢.

زلازل فتقيم على هذه الحالة ثلاثة أيام يقع في اليوم والليلة أربع عشرة زلزلة فلما كان في يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انبجست الحمرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله ﷺ وهي برأي العين من المدينة نشاهدها وهي ترمي بشرر كالقصر كما قال الله تعالى وهي بموضع يقال له أجلين، وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربع فراسخ وعرضه أربعة أميال، وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض ويخرج منها أمهاد وجبال صغار ويسير على الأرض وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الإفك، فإذا خمد صار أسود، وقبل الخمود لونه أحمر، وقد حصل بطريق هذه النار إقلاع عن المعاصي والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات، وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة إلى أهلها.

ومن كتاب شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن تميلة الحسيني قاضي المدينة إلى بعض أصحابه: لما كان ليلة الأربعاء ثالث شهر جمادى الآخرة حدث بالمدينة في الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها وباتت باقي تلك الليلة تزلزل كل يوم وليلة قدر عشر نوبات والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله ﷺ اضطرب لها المنبر إلى أن أوجسنا[1] منه صوتاً للحديد الذي فيه واضطربت قناديل الحرم الشريف النبوي ودامت الزلزلة إلى يوم الجمعة ضحى ولها دوي مثل دوي الرعد القاصف، ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس أجلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وما بانت لنا إلا ليلة السبت وأشفقنا منها وخفنا خوفاً عظيماً، وطلعت إلى الأمير وكلمته وقلت له: قد أحاط بنا العذاب أرجع إلى الله فاعتق كل مماليكه ورد على جماعة أموالهم فلما فعل هذا قلت له أهبط الساعة معنا إلى النبي ﷺ فهبط وبتنا ليلة السبت والناس جميعهم، والنسوان وأولادهم ولا بقي أحد لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي ﷺ، وأشفقنا منها وظهر ضوؤها إلى أن أبصرت من مكة ومن الفلاة جميعها. ثم سال منها نهر من نار وأخذ في وادي أجلين وسد الطريق ثم طلع إلى بحرة الحجاج وهو بحر نار يجري وفوقه جمر يسير إلى أن قطعت النار الوادي وادي الشظاة، وما عاد يجيء في الوادي سيل قط لأنها حرة تجيء قامتين وثلث علوها.

وبالله يا أخي إن عيشتنا اليوم مكدرة والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي تسمع فيها رباب، ولا دف، ولا شرب. وتمت النار تسير إلى أن سدت بعض

---

(١) أوجس فلانٌ: وقع في نفسه الخوف، وفي القرآن الكريم **﴿فأوجس منهم خيفة﴾** [الذاريات:٢٨]. وتوجّس بالشيء: أحسّ به، أو خافه، والواجس: الهاجس، وهو الخاطر. والوجْس: الصوت الخفي.

طريق الحاج وبعض بحرة الحاج وجاء في الوادي منها إلينا قتير وخفنا أنها تجيئنا، واجتمع الناس ودخلوا على النبي ﷺ وباتوا عنده جميعهم ليلة الجمعة. وأما قتيرها الذي مما يلينا فقد طفئ بقدرة الله سبحانه وتعالى وإنها إلى الساعة ما نقصت إلا ترمي مثل الجمال حجارة من نار ولها دوي ما يدعنا نرقد، ولا نأكل، ولا نشرب، وما أقدر أصف لك عظمها، ولا ما فيها من الأهوال، وأبصرها أهل ينبع وندبوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعدا إليها وما أصبح يقدر أن يصفها من عظمها. وكتب الكتاب يوم الخميس من رجب وهي على حالها، والناس منها خائفون، والشمس والقمر من يوم طلعت ما تطلعان إلا كاسفين فنسأل الله العافية.

قلت: بان عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورهما على الحيطان وكنا حيارى من ذلك إلى أن جاءنا الخبر عن هذه النار.

ومن كتاب آخر من بعض بني الفاشاني بالمدينة يقول فيه: وصل إلينا في جمادى الآخرة نجابة من العراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من أسوار بغداد إلى البلد وغرق كثير من البلد ودخل الماء دار الخليفة وسط البلد، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون داراً، وانهدم مخزن الخليفة، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير بل تلف كله، وأشرف الناس على الهلاك وعادت السفن تدخل إلى وسط البلد وتخترق أزقة بغداد. قال: وأما نحن فإنه جرى عندنا أمر عظيم لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين عاد الناس يسمعون صوتاً مثل الرعد ساعة بعد ساعة وما في السماء غيم حتى نقول إنه منه يومين إلى ليلة الأربعاء، ثم ظهر الصوت حتى سمعه الناس، وتزلزلت الأرض ورجفت بنا رجفة لها صوت كدوي الرعد فانزعج لها الناس كلهم وانتبهوا من مراقدهم وضج الناس بالاستغفار إلى الله تعالى وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه ودامت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى الصبح وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس كلها، ويوم الخميس وليلة الجمعة.

وصبح يوم الجمعة الخامس من الشهر ارتجت الأرض رجة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بعضه ببعض وسمع لسقف المسجد صرير عظيم وأشفق الناس من ذنوبهم وسكنت الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر، ثم ظهرت عندنا بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفجر من الأرض فارتاع الناس لها روعة عظيمة، ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء ينعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة، ثم ظهرت لها ألسن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنها العلقة

وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي وأقروا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله سبحانه، واستجاروا بنبيه عليه السلام، وأتى الناس إلى المسجد من كل فج ومن النخل، وخرج النساء من البيوت والصبيان واجتمعوا كلهم فأخلصوا لله وغطى حمرة النار السماء كلها حتى بقي الناس في مثل ضوء القمر، وبقيت السماء كالعلقة، وأيقن الناس بالهلاك منها أو العذاب، وبات الناس تلك الليلة بين مصل، وتال للقرآن، وراكع، وساجد، وداع إلى الله، ومتنصل من ذنبه، ومستغفر وتائب، ولزمت النار مكانها، وتناقص تضاعفها ذلك ولهيبها، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه، فطرح المكس، وأعتق مماليكه كلهم وعبيده، ورد علينا كل ما لنا تحت يده وعلى غيرنا. وبقيت تلك النار على حالتها تلتهب التهاباً وهي كالجبل العظيم، وكالمدينة العظيمة ارتفاعاً وعرضاً، تخرج منها حصى يصعد في السماء ويهوي فيها، ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمي كالرعد وبقيت كذلك أياماً، ثم سالت سيلاناً في وادي أجيلين تنحدر مع الوادي إلى الشظاة حتى كادت تقارب حرة العريض. ثم سكنت ووقفت أياماً، ثم عادت النار تخرج وترمي بحجارة خلفها وأمامها حتى بنت لها جبلين خلفها وأمامها، وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياماً. ثم إنها عظمت الآن وسناها إلى الآن وهي تتقد كأعظم ما يكون، ولها كل يوم صوت عظيم من آخر الليل إلى ضحوة، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على الكمال. وإنما هذا طرف منها كبير يكفي، والشمس والقمر كأنهما منكسفان إلى الآن، وكتبت هذا الكتاب ولها شهر وهي في مكانها ما تتقدم ولا تتأخر حتى قال فيها بعضهم أبياتاً[1]: [البسيط]

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا ... لقد أحاطت بنا يا رب بأساءُ
نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها ... حملاً ونحن بها حقاً أحقاء
زلازلا تخشع الصم الصلاب لها ... وكيف يقوى على الزلزال شماء[2]
أقام سبعاً ترج الأرض فانصدعت ... عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار يجري فوقه سفن ... من الهضاب لها في الأرض أرساء
يرى لها شرر كالقصر طائشة ... كأنها ديمة[3] تنصب هطلاء
ينشق منها قلوب الصخر إن زفرت ... رعباً وترعد مثل السيف أضواء

(١) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ١٦٠.
(٢) في البداية والنهاية: «صماءُ»، بدل: «شماء».
(٣) الديمة: الغيمة المعطاء.

منها تكاثف في الجو الدخان إلى أن عادت الشمس منه وهي دهماء[١]
قد أثرت سفعة في النار لفحتها قليلة التم بعد النور ليلاء
تحدث النيرات السبع ألسنها بما يلاقي بها تحت الثرى الماء
وقد أحاط لظاها بالبروج إلى أن كاد يلحقها بالأرض إهواء
فيا لها آية من معجزات رسول اللـ ـه يعقلها القوم الألباء
فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت منا الذنوب وساء القلب أسواء
فاسمح وهب وتفضل وأمح واعف وجد واصفح فكل لفرط الجهل خطاء
فقوم يونس لما آمنوا كشف الـ ـعذاب عنهم وعم القوم نعماء
ونحن أمة هذا المصطفى ولنا منه إلى عفوك المرجو دعاء
هذا الرسول الذي لولاه ما سلكت محجة في سبيل الله بيضاء
فارحم وصل على المختار ما خطبت على علا منبر الأوراق ورقاء[٢]

ونظم بعضهم في هذه النار وغرق بغداد بيتين[٣]: [المنسرح]

سبحان من أصبحت مشيئته جارية في الورى بمقدار
أغرق بغداد بالمياه كما أحرق أرض الحجاز بالنار

قلت: كان ينبغي أن ينبه على أن الأمرين في سنة واحدة وإلا فالإغراق والإحراق يقعان كثيراً فالصواب أن يقال: [المنسرح]

في سنة أغرق العراق وقد أحرق أرض الحجاز بالنار

[احتراق المسجد النبوي الشريف]

وفيها: في ليلة الجمعة أول ليلة من شهر رمضان هذه السنة وهي سنة أربع وخمسين وستمائة احترق مسجد المدينة على ساكنها السلام، ابتدأ الحريق من زاويته الغربية من الشمال وكان دخل أحد القومة إلى خزانة ثم ومعه نار فعلقت في الآت ثم واتصلت بالسقف بسرعة ثم دبت في السقوف آخذة قبلة فأعجلت الناس عن قطعها فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد جميعها، ووقع أساطينه وذاب رصاصها وكل ذلك قبل أن ينام الناس، واحترق سقف الحجرة النبوية على ساكنها السلام، ووقع ما وقع منه في الحجرة وبقي على حاله لما شرع في عمارة

(١) في البداية والنهاية: «وهي ديماءُ» بدل: «وهي دهماء». والدهماء: المظلمة.
(٢) الورقاء: الحمامة.
(٣) البيتان في البداية والنهاية ١٣/ ١٦١.

سقفه وسقف المسجد، وكان ذلك ليلة الجمعة وأصبح الناس فعزلوا مواضع للصلاة وعدوا ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات وكأنها منذرة بما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره إنشاء الله تعالى. ونظمت في حريق مسجد رسول الله ﷺ: [الكامل]

لم يحترق حرم النبي لحادث ... يخشى عليه ولا دهاه العار

لكنما أيدي الروافض لامست ... ذاك الجناب فطهرته النار

وقلت أيضاً لسبب السنة[1]: [الخفيف]

بعد ست من المئين وخمسين ... لدى أربع جرى في العام

نار أرض الحجاز مع حرق ... المسجد مع غريق دار السلام

ثم أخذ التتار بغداد في ... أول عام من بعد ذاك العام

لم يفن أهلها وللكفر أعوان ... عليهم يا ضيعة الإسلام

وانقضت دولة الخلافة منها ... صار مستعصم بغير اعتصام

رب سلم وصن وعاف بقايا ... المدن يا ذا الجلال والإكرام

فحناناً على الحجاز ومصر ... وسلام على بلاد الشام

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي ذي القعدة توفي مجير الدين يعقوب بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب[2] في يوم الأربعاء سادس عشر الشهر المذكور ودفن بمقبرة والده بالمدرسة العادلية.

وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة توفي معين الدين محمد بن عبد الله بن عصرون، وكان أيضاً شاباً حسناً فاضلاً متميزاً أحد من اشتغل عليَّ رحمه الله. ومات قبله بأيام ابن عمه مجير الدين بن محيي الدين بن عصرون. وكان أيضاً شاباً حسناً من أولاد الأكابر بدمشق.

وفي يوم الجمعة ثالث ذي الحجة توفي العز عبد العزيز بن أبي طالب بن عبد الغفار التغلبي يعرف بابن الحنوي[3] وجده لأمه هو القاضي جمال الدين أبو القاسم الحرستاني الأنصاري رحمه الله تعالى.

---

(١) الأبيات في البداية والنهاية ١٣/ ١٦٢.

(٢) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٣٢٦، والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٣، الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٢٦٨، شذرات الذهب ٥/ ٢٦٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧ ـ ٣٩.

(٣) لعله عبد العزيز بن عبد الرحمن بن قرناص الحموي انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٦٥.

وفي يوم الخميس تاسع ذي الحجة وهو يوم عرفة توفي شمس الدين محمد بن المبارك السنجاري وكان سخياً فاضلاً، سمع معي كثيراً من كتب الحديث وغيرها لما أسمعت ولدي محمداً رحمه الله. واسمه نعمة في طباق كثيرة. ثم سافر إلى مصر وحج وجاور سنين كثيرة بالحرمين، ثم قدم دمشق فأقام بها نحو عامين وتوفي رحمه الله تعالى.

وفيها: ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة توفي الشيخ شمس الدين يوسف سبط الإمام أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ(١) رحمه الله بمنزله بالجبل ودفن هناك وحضر جنازته خلق عظيم سلطان البلد فمن دونه وكنت مريضاً حينئذٍ فلم يقدر لي حضورها، ورأيت موته مناماً تلك الليلة قبل أن أسمع به يقظة إلا أني رأيته في حالة منكرة ورأى غيري كذلك نسأل الله العافية. ودرس بالمدرسة الشبلية مدة كان سكنه يومئذٍ بالتربة البدرية الحسنية قبالتها على ثوراء. وكان فاضلاً، عالماً، ظريفاً منكراً على أرباب الدولة ما هم عليه من المنكرات لزم آخر عمره سنين كثيرة ركوب الحمار طالعاً عليه إلى منزله بالجبل ونازلاً عليه إلى مدرسة العزبة بالشرف الشمالي وإلى غير ذلك مقتصداً في لباسه، مواظباً على المطالعة والاشتغال والجمع والتصنيف منصفاً لأهل العلم والفضل مبايناً لأولي الجبرية والجهل يأتي الملوك وأرباب الدول إليه زائرين وقاصدين، وربى طول زمانه في جاه عريض عند الملوك والعوام نحو خمسين سنة، وكان مجلس وعظه مطرباً وصوته فيما يورده فيه حسناً طيباً رحمه الله ورضي عنه.

وفيها: يوم الأربعاء الثاني والعشرين من ذي الحجة توفي الشيخ بدر الدين المراغي شيخ خانقاه الطاحون وقع به سلم من أعلاها إلى الوادي، وكان شخصاً حسناً صالحاً فقيهاً تولى العقود مدة، والقضاء بوادي بردى، ثم انقطع في هذه الخانقاه في آخر عمره إلى أن توفي بها رحمه الله ورضي عنه.

---

(١) هو يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله، شمس الدين، أبو المظفر، الحنفي البغدادي ثم الدمشقي سبط ابن الجوزي، (وفي كشف الظنون وشذرات الذهب «فرغلي» بدل «قزأوغلي»)، ولد سنة ٥٨١هـ، له من المصنفات: «الانتصار لإمام أئمة الأمصار» أي أبي حنيفة، «إيثار الإنصاف»، «الإيضاح لقوانين الاصطلاح»، «تذكرة الخواص من الأمة في ذكر مناقب الأئمة»، «تفسير القرآن»، «تلخيص الجامع الكبير للشيباني» في الفروع، «جوهرة الزمان» «شرح الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج»، «كنز الملوك في كيفية السلوك»، «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، «معادن الإبريز» في التاريخ، «المقتصر اللامع في أحاديث المختصر والجامع»، «منتهى السول في سيرة الرسول ﷺ» «نهاية الصنائع في شرح المختصر والجامع»، (انظر كشف الظنون ٦/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥، شذرات الذهب ٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٩ ـ ٤٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٦٣).

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة[١]

ففي أول ربيع الأول توفي الأمير بدر الدين بن الحسن المعزي الميروقي، وكانت له بنت عندنا بالمدرسة العادلية ودفن بالجبل بمقبرة ابن يغمور رحمه الله وهو من أقارب الميروقي الملك المشهور ببلاد الغرب.

وفيها: في ثامن ربيع الأول توفي الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني[٢] بقرية يلدا ودفن بها. وكان شيخاً صالحاً مشتغلاً بالحديث سماعاً إلى أن توفي وله نحو من مائة سنة. أخبرني أنه كان مراهقاً في سنة سبع وستين رحمه الله حين طهر نور الدين بن زنكي[٣] ولده وأنه حضر الطهور ولعب الأمراء بالميدان في فرشة مع الصبيان. وأخبرني أنه رأى رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله بالله ما أنا رجل جيد؟ فقال: بلى أنت رجل جيد. أسمعت عليه ولدي أبا الحرم محمداً رحمه الله كثيراً بقراءتي عليه وقراءة غيري، وأجاز لابني أبي الهدى أحمد أنشأه الله صالحاً رواية جميع ما يجوز له عنه روايته رحمه الله.

وفيها: في منتصف ربيع الأول توفي الشيخ شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرسي[٤] رحمه الله في طريقه من مصر إلى الشام ودفن بمنزلة الزعقه بين العريش والداروم، وكان شيخاً فاضلاً مفتياً كثير الحج محقق البحث مقتصداً في أموره، كثير الكتب معتنياً بالنفيس منها محصلاً لها، وقد كان أعطى قبولاً بالبلاد الإسلامية، لا يحل في بلد إلا ويكرمه رؤساؤها وأهلها وأكثر مقامه بالحجاز ومصر والشام.

وفي أوائل شهر ربيع الآخر جاءنا الخبر من ديار مصر بموت ملكها حينئذٍ عز الدين أيبك التركماني[٥] أحد مماليك نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل بن

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩، البداية والنهاية ١٣/ ١٦٤ ـ ١٦٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٩، ذيل مرآة الزمان ١/ ٤٥ ـ ٨٥.

(٢) هو اليلداني المحدث المسند تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم عبد المنعم بن عبد الرحمن القرشي الدمشقي أبو محمد اليلداني الشافعي. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦٩، البداية والنهاية ١٣/ ١٦٥، ذيل مرآة الزمان ١/ ٧٠.

(٣) طهر نور الدين بن زنكي ولده: أي ختنه.

(٤) هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي الأندلسي، المرسي، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦٩، البداية والنهاية ١٣/ ١٦٥، ذيل مرآة الزمان ١/ ٧٦.

(٥) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦٨، والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٤.

أيوب وهو الذي غلب عليها بعد قتل ابنه المعظم بن الصالح بن الكامل ويلقب بالملك المعز وكثر الظلم والقتل بتلك الديار من المماليك المعروفين بالبحرية في أموال المسلمين ونسائهم وأولادهم إلى أن قتل رفيقه فارس الدين آقطاي ثم مات هذا التركماني بداره بغتة لا يعلم سبب موته وتعصب أصحابه لإقامة ابنه مقامه ولقبوه بالملك المنصور نور الدين علي وضرب الدراهم باسمه واتهموا زوجة التركماني أنها قتلته فأعدموها وكانت جارية لسيدهم الملك الصالح أيوب بن الكامل تكنى أم خليل بابن له منها درج ويلقب شجرشاه. الله يصلح أمور المسلمين. وكانت أيضاً قد خنقت وزيرها القاضي الأسعد شرف الدين الفائزي.

[قصيدة للمؤلف في زوجته ست العرب]

وفي هذه السنة نظمت قصيدتي في أم ولدي أحمد ست العرب ابنة شرف الدين محمد بن علي بن دنو القرشي العبدري الأندلسي المرسي وكان من أهل الفضل والرئاسة في الدنيا ومن وجوه بلده: [الطويل]

تزوجت من أولاد دنو عقيلة ... بها من خصال الخير ما حير العقلا
مكملة الأوصاف خلقاً وخلقه ... فأهلاً بها أهلا وسهلا بها سهلا
ولود ودود حرة قرشية ... مخدرة مع حسنها تكرم البعلا
وباذلة نظيفة ولطيفة ... من أظرف إنسان وأحسنهم شكلا
صبور شكور حلوة وفصيحة ... ومتقنة أي تتقن القول والفعلا
تغار من أسباب النقائص كلها ... وتحفظ مال الزوج والنفس والأهلا
حصان رزان ليس فيها تكبر ... قنوع فلا شرب يدوم ولا أكلا
مطاوعة للبعل يقظى أديبة ... موافقة قولاً وفعلاً فما أعلا
صغيرة سن في الكلام كبيرة ... نهاها يرى بالها الحلم والجهلا
يشرن عليها بالتفرج مرة ... فتأبى وقعر البيت في عينها أحلى
مدارية للأهل إن عتبت وإن ... أحبت فلا عقد لديها ولا غلا
رقيقة قلب مع سلامة دينها ... فلست ترى شبهاً لها في النسا أصلا
خدوم بقلب في جميع أمورها ... مباشرة للكل ما دق أو جلا
ملازمة للشغل في البيت دائماً ... على صغر من سنها لا تني فعلا
مطرزة خياطة ذهبية ... مفصلة خطاطة تحكم الغزلا
تنقل في الأشغال من ذا وذا وذا ... وتفعل حتى الكنس والطبخ والغسلا
وما ذاك من عدم فلم يخل بيتها ... من امرأة يكفي إذا شاءت الفعلا

ولكنها اعتادت نظافة شغلها ... فعافت فعال الكل واحتملت فعلا
خفيفة روح مع وقار ذكية ... فتفهم ما يلقى لديها وما يتلى
وإن نظرت ما لم تعرفه صممت ... عليه إلى أن تحتويه وما اختلا
لها همة عليا تطول روحها ... على صعب الأشغال تتركه سهلا
مربية حنانة ذات رحمة ... فكل يتيم واحد عندها فضلا
نفور إذا ارتابت ألوف لأهلها ... فمهلا إذا قيس النساء بها مهلا
كذلك كان الحظ لما تعرضت ... له حاصلاً فيها صحيحاً وما اعتلا
سريعة دمع العين من رقة بها ... فيا بعد أن تلقى لها في النسا مثلا
عديمة لفظ والتفات إذا مشت ... صموت فلا قطعا ترد ولا وصلا
ولم ينكشف منها بنان يحار من ... مشى معها في حفظها يدها قبلا
يعز على من يطرق الباب لفظها ... جواباً فلا عقد تراه ولا حلا
يطيل وقوفاً لإيجاب محرم ... عليها كلام الأجنبي وإن قلا
تميز حتى في الكلام فلا ترى ... لها لفظة إلا وقد وقعت فصلا
ولست ترى من لثغة في كلامها ... فألفاظها در ينضد أو أغلا
إذا أبصرت ما فيه عيب لها أبت ... وتفعل ما تهوى طريقتها المثلى
وحافظة للغيب صالحة أتت ... لحق إذا كانت مناقبها تتلى
وقانتة صوامة ومدلة ... بعقل وتدبير تراه العدا بخلا
يقر لها بالفضل في العقل كل من ... يراها من النسوان ما تعرف الهزلا
من المحصنات الغافلات فمن رمى ... حصانتها يلعن وذاك به أولى
تجمع فيها عفة ونزاهة ... وعزة نفس فهي تكلا ولا تقلا
وأحسن من ذا كله أن هذه ... الخصائل طبع لم تكلف لها حملا
تقل نظير في نساء زماننا ... فلا تعذلوني في محبتها عذلا
بنيت بها بنتا لأربع عشرة ... وهذه الخصال الغر في ذاتها تحلا
وأوصافها في كل عام تزايدت ... ولم تتغير قط سيرتها الأولى
وحسبك عشر من سنين لها انقضت ... معي لم أقل أف لديها ولا كلا
لقد جملت لا غير الله ما بها ... عشيرتها والأمر من بعد ذا أعلى
فلله حمد دائم ونسائله ... مزيد الذي أسدى وتتميم ما أولى
ولكن فيها نفرة وتغيضا ... وسرعة غيظ عند لفظ لها يعلا
فوالله ما أدري إذ لك مسقط ... مناقبها عند الجحود لها أم لا

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي خامس عشر جمادى الآخرة توفي بدمشق الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف التلمساني المقيم بالمنارة الشرقية بالجامع من سنين كثيرة، وكان شيخاً معمراً منقطعاً عن الناس محباً للعزلة ودفن بالجبل وكان يروي كتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي عن البرهان بن غلوش مدرس المالكية بدمشق عن المصنف رحمه الله.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة عمل صلاة الغائب عن الشيخ نجم الدين البادرائي هو: أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن الحسن بن عبد الله بن عثمان بن أبي الحسن حسون[1] مولده يوم الجمعة بعد العصر سلخ المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة. وتوفي يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة خمس وخمسين وستمائة ببغداد ودفن قريباً من الجنيد رضي الله عنه. درس بالنظامية وبمدرسته التي أنشأها بدمشق في موضع دار أسامة، وكان شيخاً فاضلاً صالحاً، فقيهاً، كريماً. متواضعاً وكان يقدم الشام والديار المصرية رسولاً من قبل آخر خلفاء بغداد وهو: المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء، وبنى بدمشق المدرسة المذكورة وهي مدرسة حسنة للفقهاء الشافعية، ووقف عليها وقوفاً حسنة، وجعل بها خزانة كتب جيدة ثم رجع إلى بغداد في هذه السنة فولى قضاة القضاة بها على كره منه لذلك. وأخبرني من حضر موته ببغداد أن وفاته كانت أول يوم من ذي الحجة ودفن بمقبرة الشونيزي وبقي في القضاء سبعة عشر يوماً.

وبعد موت البادرائي بأيام قلائل نزلت التتار خذلهم الله على بغداد والخليفة بها يومئذٍ هو المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن المستضيء بن المستنجد واستولوا عليها في السنة الآتية كما سيأتي ذكره.

وفي ذي الحجة من هذه السنة توفي الشيخ يوسف الواسطي الأعرج المقرئ كان بجامع دمشق تحت قبة النسر وكان أحد القراء بالتربة الأشرفية وكان أحد الشيوخ الصلحاء الصابرين على البلاء كان مصاباً بيديه ورجله ومع ذلك هو مرابط على الطهارة، والصلاة، وقراءة القرآن وإيثار الفقراء، وهو من أصحاب الطائفة الرفاعية الواسطية ومن مشايخهم بدمشق، وكانت وفاته بالمدرسة الصادرية بحضرة باب الجامع من جهة باب البريد رحمه الله.

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ٧٠.

- ومات سيف الدين المشد (علي بن عمر بن قزل الشاعر صاحب الديوان)[١] في تاسع المحرم.

[استيلاء التتار على بغداد]

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة[٢]

ففي أولها في المحرم استولى التتار خذلهم الله على بغداد فقتلوا ونهبوا وفعلوا ما جرت عادتهم عند استيلائهم على بلاد العجم على ما ذكرناه في كتاب السيرة العلائية والجلالية والأخبار في تفصيل ذلك كثيرة استولى على الخليفة وأهله بمكيدة دبرت مع وزير بغداد فمن أحسن ما أنشد في ذلك بيت لابن التعاويذي: [الكامل]

بادت وأهلوها معاً فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب

وجاء كتاب من بعض من سلم منهم ببغداد يقول: والأمر أعظم مما بلغكم من الأخبار اللهم عافنا وبلادنا من كل سوء.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي صفر توفي صاحبنا الشيخ شمس الدين محمود النابلسي وكان شيخاً صالحاً مرتاضاً حسن الصحبة والأخلاق فقيراً فاضلاً ناب عني في الصلاة بالمدرسة العادلية مدة في مرضي، وفي غيبتي زمن الخروج إلى البساتين ثم قرأ القرآن بجامع التوبة بالعقيبة إلى أن توفي ودفن بمقبرة ابن زويزان حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله.

وفي صفر أيضاً توفي الشيخ الصالح خليل يعرف بالشيخ يوسف الكردي كان أكثر مقامه بمسجد الربوة ويدخل إلى الجامع بدمشق ويخرج إلى الربوة عشية منفرداً دائم الذكر والصلاة والانقطاع عن الناس، وكان الله قد ألبسه الهيبة والوقار وذلك من علامات الأبرار رحمه الله ورضي عنا به وبأمثاله.

وفي أوائل ربيع الأول توفي علاء الدين حمزة بن الحجاج أحد الشهود المعدلين بدمشق من أهل البيوتات وكان فقيهاً ديناً بقي عندنا بالمدرسة العادلية مدة بعد مقامه بحلب ثم صار من الشهود المرتبين بباب الجامع رحمه الله.

---

(١) في البداية والنهاية ١٣/ ١٦٥: المنشد الشاعر الأمير سيف الدين علي بن عمر بن قزل منشد الديوان في دمشق.

(٢) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٧٠ ـ ٢٨٧، والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٧ ـ ١٧٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٧، وذيل مرآة الزمان ١/ ٨٥ ـ ٣٤٢.

وفي هذا الشهر توفي الموفق محمد ابن بنت البكري شاب شريف حسني صالح فقيه بار بوالديه رحمه الله.

وفيها: توفي عون الدين بن العجمي ناظر ديوان الجيش. والنور الأسعردي الشاعر[1]. والمجير الكتبي وعبد الله البعلبكي أحد رجال الحكم وكان يبذل نفسه لقضاء حاجة من يندبه بالمدرسة رحمه الله.

وفي أول ربيع الأول توفي الشمس علي بن النشبي نائب الحسبة كان في زمن ولاية الصدر البكري لها. وكان من أهل سماع الحديث وإسماعه وقرأ منه كثيراً على شيوخ ابن العساكر العماد ابن الحافظ، وشيخنا الآخران الفخر وزين الأمناء وغيرهم. ومات أيضاً القاضي أحمد من باب شرقي. والبرهان السويدي بمدرسة العادلية ووقف كتبه بمدرسة ابن رواحه. ومات النجم أخو البدر؛ وكان يسمع برواية ابن الفاضل بالكلاسة بإجازته من السلفي. وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر توفي الخطيب بدر الدين يحيى ابن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام خطيب جامع التوبة بالعقيبة ودفن بباب الصغير على قبر جده وكان الجمع في جنازته كثيراً. وفي ذلك اليوم مات الفخر بن عوضة.

وجاءنا الخبر من حلب بموت الشيخ أبي عبد الله الفاسي. وكان صالحاً. عالماً، فاضلاً، وشرح قصيدة الشيخ الشاطبي شرحاً حسناً. وفي شهر جمادى الأول توفي الشمس أبو القاسم بن اللهيب متولي الحشرية بدمشق ودفن بجبل قاسيون حادي عشره. وقال فيه صاحبنا الكمال علي بن الظهير لما كان ينال الناس منه: [الكامل]

اليوم زار ابن اللهيب أباه ... ورأى الذي قد قدمته يداه
لم ينتفع بالظلم لكن ضره ... إذ كان حسب الظالمين الله

وفي ثاني عشرة توفي الكمال بن الأريسي أحد متولي الدواوين السلطانية بقلعة دمشق كان مشكوراً فيها. وفي ثالث عشر توفي الفخر الياس عتيق الشيخ تاج الدين الكندي وكان مشرفاً بالجامع على فرشه وزيته، وكان لنا رفيقاً عام حجنا سنة اثنتين وعشرين وستمائة رحمه الله. ووقع وباء كثير في زمن الربيع وهو من أعجب ما يؤرخ فعم الناس المرض وكثر الموت. فممن مات فيه الفقيه البغدادي المعروف بالنكرة الشافعي، والزين بن عبد الملك المقدسي الحنبلي وكيل المجير بن صارم

(١) هو نور الدين محمد بن محمد بن رستم الإسعردي الشاعر، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٨٤، وفي البداية والنهاية ١٣/ ١٧٧: النور أبو بكر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم بن رستم الأشعري الشاعر المشهور الخليع.

الدين، والمنتجب عباس الحنفي الساكن بالمدرسة الصادرية، ومكي خطيب زملكا، وسيف الدين بن صبرة والي شرطة دمشق، وذكروا أن حية عظيمة خرجت عليه عند موته فضربته بين أفخاذه وقيل غير ذلك. وقيل إنها اندرجت معه في أكفانه. وسألت عنه فقيل لي كان نصيرياً، رافضياً، خبيثاً، مدمن خمر نسأل الله تعالى العافية.

ومات أيضاً أبو كامل محمد الحوراني جارنا بحارة الخاطب، ومحمد بن الزين خالد. والشيخ إبراهيم الأسود خادم قبر الشيخ رسلان، والملك الصالح ابن أخي صاحب الجزيرة المعظم شجرشاه وكان أبوه يلقب الناصر شجرشاه بن مودود بن زنكي. والملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بكر بن أيوب[1] وكان سلطان دمشق بعد أبيه نحواً من سنة ثم اقتصر له على الكرك وأعماله ثم سلب ذلك كله وصار منتقلاً في البلاد موكلاً عليه وتارة في البراري إلى أن مات موكلاً عليه بالبويضا قرية قبلي دمشق كانت تكون لعمه مجير الدين بن العادل وحمل منها فصلي عليه عند باب النصر ودفن بجبل قاسيون عند أبيه بالمقبرة المعظمية بدير مران. وخلف أولاداً كثيرة واتباعاً من أهله. ومات أيضاً النجم ابن أخي نقيب الأشراف يومئذٍ بهاء الدين علي وكان متجاهراً بالرفض.

وفي مستهل جمادى الآخرة توفي محتسب دمشق فتح الدين بن العدل بمنزله بالجبل، وكان خيراً وقوراً متواضعاً رحمه الله. وتولى مكانه الحسبة أخوه ناصر الدين. وفي ذلك اليوم أيضاً توفي سعد الدين محمد ابن الشيخ محيي الدين محمد بن العربي[2] رحمه الله وكان من الفضلاء العقلاء كتب إليَّ من نظمه يستعير مني الروضتين الذي صنفته: [الكامل]

بك ملة الإسلام عاد شبابها ... يا من بفتياه استبان صوابها
هذي ثمار الروضتين زكاتها ... وجبت عليك غداة تم نصابها
فامنن علي بها لعلي أجتلي ... ثمرات علم راحتاك سحابها
وأنا الكفيل بحفظها وبحفظها ... ويكون أسرع من نداك إيابها
وأجل قدرك أن أرى متحيراً ... طلباً لها وتكون أنت شهابها

---

(١) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٣٤٦ ـ ٣٥٨، فوات الوفيات ١/ ٣١٢، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٢٦، الحوادث الجامعة ص٧٧، تاريخ أبي الفداء ٣/ ١٩٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٨٣، السلوك ١/ ٤١٢، البداية والنهاية ١٣/ ١٧٩، شذرات الذهب ٥/ ٢٨٥.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٨٣.

وفي ثالث جمادى الآخرة توفي نظام الدين المولى الحلبي وكان كاتب الإنشاء لدمشق وحلب الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي ابن السلطان الكبير صلاح الدين يوسف بن أيوب كان كاتبه وصاحب سره، وكان عاقلاً، ثابتاً متواضعاً مشكوراً فيما كان فيه ودفن بالجبل.

ومات في الشهر الماضي جمادى الأول شخص زنديق يعرف بالشهاب النقاش، وكان يتعانى الكلام على طريقة الحكماء وانكار النبوات والإزراء بما أهل الإسلام عليه، وكان يسكن بالمدرسة النورية ويجلس كثيراً على باب مشهد علي في قبة يزيد بالجامع ويجتمع إليه عدد من جنسه الزنادقة لا رحمه الله.

وفي سادس جمادى الآخرة توفي النجيب بن الشقيشقة أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني المعروف بابن الصفار[1] أيضاً، كان قد سمع كثيراً لكنه لم يكن بحال أن يؤخذ عنه. كان مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك نعوذ بالله من شرور أنفسنا. وهو أحد الشهود المقدوح فيهم، فممن استشهده أحمد بن يحيى بن هبة الله الملقب بالصدر بن سني الدولة في حال ولايته قضاء القضاة بدمشق، وكان مراعياً لأرباب الجاهات كثيراً. فإنما استشهده لأجل جاه كان النجيب متصلاً به، وميزه بأن جعله عاقداً للأنكحة باب جامع دمشق فعجب الناس منه وأنكروا ما فعله وأنشدني البهاء الحافظ لنفسه في ذلك أبياتاً منها[2]: [الكامل]

جلس الشقيشقة الشقي ليشهدا بأبيكما ماذا عدا مما بدا
هل زلزل الزلزال أم قد أخرج الـ ـدجال أم عدم الرجال ذوو الهدى
عجباً لمحلول العقيدة جاهل بالشرع قد أذنوا له أن يعقدا

وفي سادس عشر جمادى الآخرة توفي النجم محمد بن خضر المعروف بابن طاوس، كان نقيب القاضي صدر الدين بن سني الدولة فأثري بعد فقر كحال مخدومه. ومات الشيخ يوسف النوزري الذي كان مقيماً بشرقي الكلاسة ويقرأ عليه القرآن وكان منسوباً إلى الصلاح رحمه الله.

وفي أواخر شهر رمضان توفي جمال الدين إبراهيم المعروف بصهر المكرم وكان يومئذٍ خطيب دومة توفي بها وحمل إلى جامع التوبة فصلي عليه به وذهب به إلى الجبل وكان شيخاً بهياً متودداً رحمه الله. وفي آخر رمضان توفي العز بن

---

(١) هو نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العز مظفر بن عقيل الشيباني الدمشقي الصفار، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٨٥.

(٢) الأبيات في شذرات الذهب ٥/ ٢٨٥.

القيسراني متولي ديوان المظالم بالقلعة بدمشق. ومات أيضاً الرشيد النهاوندي الصوفي الذي كان مقيماً بالكلاسة قديماً زماناً طويلاً. وفي ثالث ذي القعدة توفي الشرف الأربلي واسمه الحسين بن إبراهيم[١]، وكان شيخاً مسنداً له سماعات كثيرة عن الخشوعي، والحرستاني، والكندي والحافظ البهاء وغيرهم.

وفي رابع ذي القعدة توفي الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري[٢] بالقاهرة رحمه الله ورضي عنه. وفي العشرين منه توفي الأمير سيف الدين أستاذ الدار الناصري. والتاج الساوي بعده بيومين. وجاءنا الخبر من مصر بموت صدر الدين الحسني بن محمد البكري توفي في حادي عشر ذي الحجة. وبهاء الدين زهير الكاتب[٣]. والمعين بن وردان وكثرت الرجعات بقصد التتار بلاد الشّام ونزولهم على الفرات إلى بلاد آمد وغيرها. وفتك فيهم صاحب ميافارقين الكامل بن شهاب الدين غازي بن العادل أيده الله بنصره لما حاصروها وصبر على مجاهدتهم أكثر من سنة ونصف ورحلوا عنها بالخيبة والعجز.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة[٤]

ففي رابع المحرم توفي البهاء ابن الحافظ المعروف بابن الدجاجية[٥] وكان شيخاً فاضلاً؛ شاعراً رحمه الله. وفي سابع صفر توفي المعين المؤذن العادلي وكان

---

(١) هو الشرف الأربلي العلامة أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الهدناني الشافعي اللغوي، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٢) هو زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري الشامي ثم المصري الشافعي، له من التصانيف: «الأمالي في الحديث»، «الترغيب والترهيب»، «زوال الظما في ذكر في استغاث برسول الله ﷺ من الشدة والعما»، «شرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي»، «الفوائد السفرية» في الحديث، «كفاية المتعبد وتحفة المتزهد»، «المعجم المترجم» وغير ذلك. انظر ترجمته في كشف الظنون ٥/ ٥٨٦، شذرات الذهب ٥/ ٢٧٧، البداية والنهاية ١٣/ ١٧٧.

(٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسين بن جعفر المهلبي العتكي المصري، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٧٦، كشف الظنون ٥/ ٣٧٥، البداية والنهاية ١٣/ ١٧٧، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٨٤.

(٤) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٨٧ ـ ٢٩٠، البداية والنهاية ١٣/ ١٧٩ ـ ١٨٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩، ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٩.

(٥) هو بهاء الدين محمد بن مكي القرشي الصالحي عرف بابن الدجاجية، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٨٩، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٨.

معمراً ممن أدرك دولة نور الدين زنكي رحمه الله، وخدم صلاح الدين فمن بعده من الملوك إلى أن قعد في بيته زمناً قبل موته بسنين، ثم توفي وقد جاوز المائة.

وفي خامس عشر صفر توفي المجد الأربلي النحوي المعروف بالمحلي(١) وكان يشهد بباب الجامع ويقرئ في حلقة ابن طاوس جوار البرادة بالجامع وهو الموضع الذي كان يقرئ فيه قبله الفخر بن المالكي وقبله الجمال الشاطبي، وقبله الوجيه بن البوني رحمه الله وكان موته فجأة. اللهم عافنا من بلائك.

وفي سابع عشر صفر توفي الشمس أبو الفتح الذي كان يقرئ بالتربة الصالحية. هو: الشمس أبو الفتح محمد بن علي بن موسى بن معمر الأنصاري الدمشقي مولده سنة خمس عشرة وستمائة تقريباً ودفن من الغد رحمه الله.

وفي العشرين من صفر توفي العماد يحيى بن عمر الحموي إمام مسجد حارة الخاطب وكان قرأ معي القرآن العظيم على الشرف أبي منصور الضرير في سنة ثلاث عشرة وستمائة ونحوها رحمهما الله وتولى إشراف السبع مرة. وتوفي أيضاً شخص زنديق يتعاطى الفلسفة والنظر في علوم الأوائل ويسكن مدارس فقهاء المسلمين، وقد أفسد عقائد جماعة من الشباب المشتغلين فيما بلغني، وكان يتجاهر باستنقاص الأنبياء عليهم السلام لا رحمه الله ولا رضي عنه ولا عن أمثاله وهو يعرف بالفخر بن البديع البندهي. كان أبوه يزعم أنه من تلامذة الفخر الرازي بن خطيب الري صاحب المصنفات وفي حياة والده مات.

وفي عاشر جمادى الأولى توفي الزين بن مزهر الساكن بجبل قاسيون قبالة المدرسة البهنسية رحمه الله وكان قبل ذلك هو وأخوه المجد تاجرين معروفين وكان له لسان وبيان وقوة جنان وحسن توصل إلى أغراضه، وفي خامس عشره توفي التقي يونس الأسود إمام مسجد درب الحبالين وكان فقيهاً بالشامية ويتولى القرايا الموقوفة على المدينة النبوية واشتغل بعلم الفقه والنحو ودفن بباب الصغير رحمه الله، وفي جمادى الآخرة مات النجم بن القيلوي وجدت بخط الحافظ اليغموري سألت النجم أبا القاسم علي بن القيلوي عن مولده فقال: يوم السبت ثاني المحرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالمأمونية من أعمال بغداد والمجد الواسطي والنجم الكنجي المولد وكلاهما من سكان المدرسة العادلية؛ والمخلص الصوفي بخانقاه السميساطي مات فجأة ونظمت في آخر جمادى الآخرة: [السريع]

الثوب واللقمة والعافية ... لقانع من عيشة راضيه

---

(١) هو مجد الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أبي غالب الأربلي النحوي الحنبلي، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٨٨.

وما يزد فالنفس ليست به وإن تكن مملكة راضيه

وفي شهر رجب تولى القاضي محيي الدين بغزة تدريس المدرسة الناصرية بالقدس الشريف وتولى شهاب الدين محمد ابن القاضي شمس الدين أحمد بن الخليل الخويي قضاء القدس الشريف وسافرا من دمشق إلى ولايتيهما.

وفي سادس عشر شعبان توفي بدمشق شخص يعرف بيوسف القميني[١]. كان يأوي دائماً إلى القمامين والمزابل وغالب مأواه قمين حمام نور الدين الذي بسوق القمح العتيق بدمشق ويلبس ثياباً طوالاً تكنس الأرض وهو حاف حاسر طويل الصمت قليل استعمال الماء وللناس فيه اعتقاد صلاح ويحكون عنه عجائب لم يظهر لي أنا منه شيء غير ملازمته لهذه الطريقة الشاقة على النفس مدة سنين كثيرة وعقله ثابت. وعوام الناس يتقربون إليه بالمأكول والمشروب فيتناول بعد جهد مقدار حاجته ويترنح في مشيته مسبلاً أكمامه مع طولها وفي الجملة كان أمره عجيباً. اللهم انفعنا بعبادك الصالحين، وتوفنا مسلمين ودفن رحمه الله بالجبل بمقبرة المولهين.

وفي أول شهر رمضان جاء الخبر بموت صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ مملوك بنت أتابك زنكي[٢]. وفي تاسع عشر رمضان توفي سيف الدين بن الغرس خليل وكان أحد حجاب السلطان مشكوراً في ذلك وكان أبوه والي شرطة دمشق في زمن المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب. وفي ذلك اليوم أيضاً توفي صدر الدين أسعد بن المنجا الحنبلي[٣] أحد عدول دمشق المتمولين بها وبنى مدرسة للحنابلة بدمشق مقابلة لتربة سيف الدين قليج مجاورة لتربة القاضي جمال الدين المصري.

وفي عاشر شوال توفي الجمال عثمان بن يوسف، والقاضي عز الدين محمد ابن القاضي الأشرف أحمد ابن القاضي عبد الرحيم البيساني رحمهما الله. وفي رابع عشره توفي الفخر بن هلال رحمه الله تعالى. وفي رابع ذي الحجة توفي الرضا بن النجار أحد أعوان القضاة المذكور في قصيدة الصدقات منهم ابن النجار

(١) في البداية والنهاية ١٣/ ١٨١: الشيخ يوسف الأقميني، انظر ترجمته أيضاً في شذرات الذهب ٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٤٨.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٨٩، وذكره في البداية والنهاية ١٣/ ١٧٩، في وفيات سنة ٦٥٦هـ.

(٣) هو صدر الدين أبو الفتح أسعد بن عثمان بن المنجا التنوخي الدمشقي الحنبلي. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٨٨، والبداية والنهاية ١٣/ ١٨٠ ـ ١٨١، وفيه: واقف الصدرية صدر الدين أسعد بن المنجاة بن بركات بن مؤمل التنوخي المغزي ثم الدمشقي الحنبلي.

الأعرج سمار القضايا في دار قاضي القضاة. وفي سابع عشر ذي الحجة توفي الشيخ صالح الأمشاطي أبو سعيد صهر الشيخ عثمان الرومي الساكن بالجبل رحمه الله. وفي سلخ ذي الحجة توفي نجم الدين المظفر بن محمد بن إلياس الشيرجي أحد العدول الكبار من الدمشقيين، وتولى الحسبة بها ونظر الجامع رحمه الله.

[القبض على ملك مصر نور الدين التركماني]

وفيها: ورد الخبر من مصر بالقبض على ملكها الصبي نور الدين علي الملقب بالمعز بن التركماني واستيلاء مملوك أبيه قطز على الملك. وفي هذه السنة كثرت الأراجيف بدمشق بسبب التاتار أهلكهم الله وردت الأخبار بأنهم قطعوا الفرات وأغاروا على بلاد حلب فهرب كثير من الدمشقيين وباعوا حواصلهم وخرجوا على وجوههم متفرقين في البراري والجبال والحصون وصادف ذلك أيام الشتاء وقوة البرد فمات كثير منهم ونهب آخرون، وثبت في البلد من قوى الله قلبه وإيمانه وبالله التوفيق.

[استيلاء التتار على حلب]

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة[١]

يوم الخميس. ففي يوم الأحد بعد العصر ثامن عشر المحرم ولد لي مولود ذكر سميته باسم والدي إسماعيل وكنيته أبا العرب جعله الله مباركاً ووافق يوم مولده كانون الثاني في قوة البرد وكانت تلك الأيام كثيرة الأراجيف والتخويف من جهة التاتار خذلهم الله.

وفي منتصف صفر ورد الخبر إلى دمشق باستيلاء التاتار على حلب بالسيف وهرب صاحبها من دمشق بأمرائه الموافقين له على سوء تدبيره وزال ملكه عن تلك البلاد، وكان نزول التاتار على حلب في ثاني صفر واستولوا عليها بعد سبعة أيام في تاسع صفر وأمنوهم ثم غدروا بهم فقتلوهم وكان رسل التاتار عندنا بقرية حرستا فأدخلوا دمشق ليلة الاثنين سابع عشر صفر وقرئ في غدها يوم الاثنين بعد صلاة الظهر بالجامع فرمان جاء من عند ملكهم معهم فيه أمان أهل دمشق وما حولها، وشرع أكابر أهل دمشق في تدبير أمرهم معهم. وفي يوم قرئ الفرمان صلّي بالجامع على جنازة الشريف بن عصرون.

وفي سابع عشر ربيع الأول وصل إلى دمشق نواب التاتار ولقيهم كبراء البلد

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٩٠ ـ ٢٩٦، والبداية والنهاية ١٣/ ١٨٢ ـ ١٩١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٨٩ ـ ٣٠٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٤٩ ـ ٤٣٤.

بأحسن ملقى وقرئ ما معهم من الفرمان المتضمن للأمان بالميدان الأخضر ووصلت عساكرهم من جهة الغوطة مارين من وراء الغوطة إلى جهة الكسوة وأهلكوا في مرهم جماعة كانوا تجمعوا وتحزبوا، وعدم بسبب ذلك غيرهم منهم: جماعة من أهل قرية حزرما، وشجاع أبو هرماس المؤذن، وصالح، وقاسم وغيرهم.

[منشور من هولاكو بتولية عمر بن بندار التفليسي قضاء القضاة]

وفي السادس والعشرين جاء منشور من هولاكو ملك التاتار للقاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي بتفويض قضاء القضاة إليه بمدائن الشام، والموصل، وماردين، وميافارقين، والأكراد وغيره. كتب له بحلب في خامس عشر الشهر، وقرئ المنشور المذكور بالميدان الأخضر وفيه تفويض جميع الوقف إلى نظره وخاصة وقف الجامع المعمور بدمشق المحروسة، وكان قاضي قضاة دمشق وأعمالها قبله أحمد بن السني وليه من جمادى سنة ثلاث وأربعين إلى الآن وذلك خمس عشرة سنة إلا شهرين أو نحوها. وكان كمال الدين هذا نائبه ويفعل الله في خلقه ما يشاء.

وفي الثالث والعشرين من ربيع الأول توفي بالجبل الشيخ عماد الدين عبد المجيد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي[١] رحمه الله وكان شيخاً حسناً لطيفاً، علم جماعة كثيرة كتاب الله العزيز وابتلي بمرض مزمن في آخر عمره وكان له رواية للحديث عن الثقفي وغيره. وقد أجاز أولادي رواية ما يجوز له عنه روايته. وهم محمد رحمه الله، وأحمد، وإسماعيل، وفاطمة جبرهم الله.

[قتل التتار للأمير مجير الدين]

وفي الخامس والعشرين توفي الجمال بن الخطيري الذي كان مصاهراً المحيي القاضي، وجاءنا الخبر بوفاة جمال الدين بن قوام[٢] قتلته التاتار بأرض الغور رحمه الله. وفي أوائل ربيع الآخر في العشرين من آذار توفي الأوحد الدوتي بحلب الذي كان قبل مدرساً بمنبج وقاضياً وكان مشهوراً.

وفي ربيع الآخر رجعت عساكر التاتار التي كانت عبرت على دمشق بعدما عاثت في بلاد حوران، وأرض نابلس وما حولها وقيل بلغت غاراتهم أرض غزة

---

(١) في شذرات الذهب ٥/ ٢٩٣: عماد الدين عبد الحميد (بدل عبد المجيد) بن عبد الهادي بن يوسف المقدسي الجماعيلي الحنبلي الصالحي المؤدب.

(٢) لعله أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦

وبيت جبريل، والخليل، والصلت، وبركة زيزي، وموجب الكرك ونحو ذلك فقتلوا على عادتهم الرجال، وسبوا الصبيان والنساء واستاقوا من الأسارى والغنائم من البقر والغنم والأسلاب شيئاً كثيراً ووصلوا بذلك إلى دمشق فاشترى من الأسرى شيء كثير وهرب بعضهم واستحيوا خلقاً كثيراً، والله تعالى يديم علينا ستره وعافيته بمحمد وآله. الحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به غيرنا.

وممن قتل في هذه الكرة بنابلس الأمير مجير الدين بن سيف الدين بن أبي زكري وكان شجاعاً بلغني أنه قتل من التاتار قبل أن يقتل جماعة بسيفه وما زال يضرب به حتى خطف النصل من يده فصار يقاتلهم بنفسه يضرب بالدبوس ويتقي به الضرب ويرفس برجله من يصل إليه من الفرسان حتى قتل سبعة عشر أو تسعة عشر ثم قتل رحمه الله. وكان التاتار يتعجبون منه وأتوا بنصل سيفه إلى دمشق ووقف عليه أمراؤهم وقد كانت قلعة دمشق امتنع بها الوالي والنقيب في جمع كثير بها فاحتيج إلى حصارها فجاءها من التتار خلف كثير وصلوا يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى فباتوا تلك الليلة حتى قطعوا من الأخشاب ما احتاجوا إليه وكانوا استصحبوا معهم المجانيق تجرها الخيل وهم ركاب عليها، وقدموا قبل ذلك أسلحة تجرها البقر على العجل، وأصبحوا يوم الاثنين يجمعون الحجارة لرمي المجانيق فأخربوا حيطاناً كثيرة وأخذوا الحجارة من أساسها، وأخربوا طرقاً من القنوات بسبب الحجارة وهيؤوها للرمي ونصبت المجانيق في ليلة الثلاثاء وكانت أكثر من عشرين منجنيقاً وأصبحوا يرمون بها رمياً متتابعاً كالمطر فأخرب كثيراً من القلعة من غربها فما أمسوا حتى طلبوا الأمان فأومنوا وخرجوا من الغد ونهب ما في القلعة وأحرق فيها مواضع كثيرة وهدم من أبراجها أعاليها ثم ساروا إلى بعلبك فتسلموها وحاصروا القلعة وأخذوها، وساروا إلى نابلس وغيرها ووكلوا بخراب كل مدينة بين برجين من قلعة دمشق ففعل ذلك. الحكم لله العلي الكبير.

وأما السلطان الملك الناصر يوسف كان بعساكره بغزة فلما بلغه خبر نابلس توجه إلى مصر فنزل العريش ثم قطيا ثم تفرق عسكره فتوجه الترك إلى مصر مع الأثقال وتوجه هو مع خواصه إلى وادي موسى ثم نزل بركة زيزي وكبسه نائب التاتار كتبغا بها فهرب ثم استأمن له بعض أصحابه هو حسين الطبردار وصار إليهم وكان معهم في ذل وهوان ثم قتلوه ببلادهم.

وجاءنا الخبر عن الهاربين من دمشق إلى مصر بموت الجمال يوسف الدبابيسي أحد المعدلين؛ وشرف الدين بن العز المؤذن، وقبض على خواص السلطان، وفي يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأولى طيف بدمشق برأس

مقطوع مرفوع على رمح قصير معلق بشعره فوق قطعة شبكة زعموا أنه رأس الكامل محمد بن شهاب الدين غازي بن العادل[١] صاحب ميافارقين الذي دام التاتار على حصاره أكثر من سنة ونصف ولم يزل ظاهراً عليهم إلى أن فني أهل البلد لفناء زادهم وبلغني أنه دخل عليه البلد فوجد مع من بقي من أصحابه موتى أو مرضى فقطع رأسه وحمل إلى البلاد فطيف به بدمشق ثم علق على باب الفراديس الخارج رحمه الله وقلت في ذلك: [الخفيف]

ابن غاز غزا وجاهد في الله قوماً أثخنوا في المشرقين

والعراقين ظاهرا غالباً وبها ما ت شهيداً بعد صبر عليهم عامين

لم يشنه أن طيف بالرأس منه فله أسوة برأس الحسين

وافق السبط في الشهادة والحمـ ـل لقد حاز أجره مرتين

جمع الله حسن دين الشـ ـهيدين على قبح ذينك الفعلين

ثم واروا في مشهد الرأس ذاك الـ ـرأس فاستعجبوا من الحالتين

وارتجوا أنه يحيى لدى البعـ ـث رفيق الحسين في الحسنيين

رضي الله عنه ثم وقع من الاتفاق العجب أن دفن في مسجد الرأس داخل باب الفراديس شرقي المحراب في أصل الجدار. وغربي المحراب طاقة يقال إن رأس الحسين رحمه الله دفن بها.

وفي غده يوم الأربعاء قرئ فرمان القاضي محيي الدين بالجامع تحت قبة النسر وفيه توليته القضاء من قنسرين إلى العريش ونائبه أخوه لأمه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن حبش وحضر قراءة الفرمان نائب ملك التاتار من المغل (ايل سبان) وزوجته قعدت معه على طراحة نصبت لهما بين زوجها والقاضي إلى جانب العامود الشرقي الكبير الأوسط من أبواب النسر بالجامع وشرع القاضي في جر الأشياء إلى نفسه وأولاده ومن يتعلق به عدم الأهلية، وأضاف إلى نفسه، وأولاده وأخيه ونحوهم عدة من المدارس، كالعذراوية، والسلطانية، والفلكية، والركنية، والقيمرية، والكلاسة انتزعها من الشمس الكردي، وانتزع منه أيضاً الصالحية، وسلمها إلى العماد بن العربي، ونزع الأمينية من العلم القاسم وسلمها إلى ولده عيسى، ونزع الشومانية من الفخر النقجواني وسلمها إلى الكمال بن النجار، ونزع

---

(١) انظر ترجمته في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٣٨٧ ـ ٣٨٨، السلوك ١/ ٤٤١، تاريخ أبي الفداء ٣/ ٢٠٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٩٣، ذيل مرآة الزمان ٢/ ٧٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٩١، شذرات الذهب ٥/ ٢٩٥، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٠٧.

الربوة من الجمال محمد اليمني وسلمها إلى الشهاب محمود ابن القاضي شرف الدين عبد الله ابن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان وهو ابن عمه كل هذا مع ما عرف منه من التقصير في حق الفقهاء في المدرستين اللتين كانتا بيده من قديم الزمان العزيزية والتقوية، وعدم انصافه فيهما، وولى ابنه عيسى مشيخة الشيوخ بخوانق الصوفية واستناب أخاه لأمه في القضاء ومعه من المدارس، الرواحية، والشامية البرانية مع أن شرط واقفها أن لا يجمع المدرس بينها وبين غيرها. وبقي كذلك إلى أن ملك المسلمون في أواخر رمضان فبذل أموالاً كثيرة على أن يقر القضاء والمدارس المذكورة في يده ويد أخيه وولديه ففعل ذلك فبقي نحو شهر ثم سافر مع السلطان إلى مصر وتولى القضاء نجم الدين أبو بكر بن صدر الدين رحمه الله ابن سني الدولة وقرئ منشوره بشباك الحكم بالجامع يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة.

[وفاة ابن الحموي وابن سني الدولة]

وفي عاشر جمادى الآخرة توفي الفقيه شرف الدين عبد الواحد بن الحسام الواعظ المعروف بابن الحموي ودفن من الغد بالجبل رحمه الله. وفي يوم الاثنين صبيحة الأحد جاءنا الخبر من بعلبك بوفاة القاضي صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله المعروف بابن سني الدولة[(١)] وكان قد سافر مع القاضي محيي الدين المذكور إلى ملك التاتار ثم رجعا على طريق بعلبك فمرض صدر الدين فأقام بها وتوفي بعد صلاة الجمعة ثامن جمادى الآخرة رحمنا الله وإياه وأخبرني العلاء علي بن الشيرازي أنه رآه في المنام فسأله عن حاله فقال: لما وصلت قيل هاتوا الدرة. اللهم عفوك وعمل عزاؤه بالجامع يوم الثالث عشر من جمادى الآخرة.

ووصل الخبر باستيلاء التتار على قلاع الصلت، وعجلون، وصرخد، وبصرى والصبيبة وهدم الجميع ووقعوا على العرب عند زيزي وحسبان فهزموهم وغنموا أولادهم، ونساءهم، وأنعامهم شيئاً كثيراً واستاقوا الجميع وهرب سلطان البلاد الناصر يوسف بن محمد إلى البراري فساقوا خلفه فأخذوه وقد بلغ شربة الماء نحو مائة دينار وأتوا به إلى نائب التاتار كتبغا فوقفه وأهانه وقرعه ثم أتوا به دمشق مع من قدم من الكرك من الدمشقيين الذين كانوا هربوا إليها قدم بهم القاضي كمال الدين التفليسي بعد مشقة شديدة وجدوها في الطريق من ترددهم مع التاتار كيفما داروا فبقوا في الطريق من

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٩١ ـ ٢٩٢، والبداية والنهاية ١٣/ ١٨٦ ـ ١٨٧، وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٠.

الكرك إلى دمشق نحواً من خمسة وثلاثين يوماً ثم وصلوا في سادس رجب، وسار جماعة من التاتار بالملك الناصر صاحب الشام إلى هولاكو وذلك في رابع عشر رجب ومعه ابنه العزيز فأقام عندهم إلى أن قتلوه في سنة تسع وخمسين الآتي ذكرها لما بلغ هولاكو كسرة التاتار الذين كانوا بالشام مع ملكهم كتبغا فضربوا رقبته، ورقبة أخيه، والصالح بن شيركوه وغيرهم على ما بلغنا.

وفي أواخر جمادى الآخرة توفي النجيب بن النحاس نقيب القاضي نجم الدين بن الصدر سني الدولة، ثم توفي المهمندار سيف الدين غلام النظام بن المولى.

وفي نصف شعبان أغارت العرب على خيل الجشار[١] التي للتاتار ومن يتعلق بهم فاستاقوها وكانت ترعى بالمرج بتل راهط وما حوله. وخرج التاتار من دمشق وما حولها خلفها، وكان قد وصل دمشق الأشرف بن المنصور ابن المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي صاحب حمص كان نزل في داره وقرئ فرمانه بتسليم نظره في البلاد فخرج مع التاتار خلف خيل الجشار ثم رجعوا ولم يقعوا عليها.

وفي شعبان ضربت رقبة والي قلعة دمشق بدر الدين بن قراجا، ورقبة النقيب جمال الدين بن الصيرفي الحلبي بالمعسكر وغيرهما. وجاءنا الخبر من مصر في شهر رمضان بوفاة الحكيم جمال الدين بن الرحبي الطبيب ابن الطبيب وكان ديناً خيراً فاضلاً في المعالجة الطبية مصلياً جيد العقيدة رحمه الله. وفي خامس رمضان توفي الشيخ محمد المعروف بالأكال. قلت: هو محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر البيطار[٢] من جبل بني هلال مولده بقصر حجاج خارج دمشق سنة ستمائة كما ذكر وهو الذي كان يأكل من أطعمة الناس بالأجرة، وكان يتم له في ذلك نوادر وعجائب قد ذكرت طرفاً منها في موضع غير هذا. وكان حسن الأخلاق محسناً إلى الفقراء صالحاً رحمه الله.

وتوفي أيضاً النجم بن الوجيه بن البوني. وكان رجلاً حسناً، صالحاً، وأبوه شيخ مشهور بالقراءات، قرأت عليه في صغري الجزء الأول من سورة البقرة وكان إمام مقصورة الحنفية التي خلف مقصورة الخضر رحمهما الله.

ومات أيضاً في رابع رمضان الشيخ سليمان المعري المقيم بالكلاسة في زاوية الشيخ عبد الصمد الدكالي شيخ المغاربة وكانا من أهل الخير رحمهما الله.

---

(١) الجشار: هو مكان رعي الماشية من خيل وغيرها (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٨٥).
(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٩٤.

[استيلاء التتار على صيدا]

ووصل الخبر في ثامن رمضان باستيلاء التتار على صيدا من بلاد الفرنج ونهبها وثلاثمائة أسير منها. وفي أواخر شهر رمضان مات الرشيد من بني الحنبلي، وجاءنا الخبر من بعلبك بوفاة الشيخ محمد اليونيني[١] شيخ الحنابلة ببعلبك وكان شيخاً ضخماً واسع الوجه كبير اللحية يلبس على رأسه قبع فرو أسود صوفه إلى الخارج بلا عمامة ونفق على جماعة من الملوك والأمراء وحصل منهم دنيا واسعة ورفاهية عيش وهو الذي صنف أوراقاً فيما يتعلق بإسراء النبي ﷺ ليلة المعراج وأخطأ فيه أنواع من الخطأ الفاحش، فصنفت أنا في الرد عليه كتاباً سميته «الواضح الجلي في الرد على الحنبلي» وكان موته على ما أخبرني به ولده يوم السبت تاسع عشر رمضان رحمه الله. والله تعالى يرحمنا وإياه وسائر المسلمين.

تمام ما جرى في سنة ثمان وخمسين وستمائة

من ذلك كسرة التاتار خرج عساكر أهل مصر مع من انضوى إليهم من العرب وغيرهم لقصد التاتار الذين بالشام وملكهم يومئذٍ الملك المظفر قطز بن عبد الله التركي مملوك التركماني الذي كان قبله ملك مصر فاجتمع معه خلق عظيم، ولما كان ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان جاءنا بدمشق الخبر بأن عسكر المسلمين وقع على عسكر التاتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عند عين جالوت وما قاربها من البلاد فهزموهم وقتلوهم وأخذوهم ومعهم ملكهم كتبغا فقتل وأخذ رأسه وأسر ابنه فانهزم تلك الليلة من كان بدمشق من التاتار ايل سبان نائب الملك وأتباعه وتبعهم الناس وأهل الضياع ينهبونهم ويقتلون من ظفروا به منهم ولله الحمد والشكر.

وممن قتل بعد المعركة الملك السعيد بن العزيز بن العادل[٢] صاحب الصبيبة وبانياس بقي محبوساً بقلاع الشام بعد موت الصالح أيوب وابنه تورانشاه وكسر الفرنج بالديار المصرية سنين كثيرة وآخرها بقلعة البيرة على الفرات. فلما وصلت التاتار إليها أخرجوه وصار معهم ثم قدم مع مقدمهم كتبغا دمشق وحضر

---

(١) هو شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق. اليونيني. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٩٤، البداية والنهاية ١٣/ ١٨٩ ـ ١٩٠، ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٨ ـ ٧٢.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٨٧، السلوك ١/ ٤٤١، النجوم الزاهرة ٧/ ٩٢، شفاء القلوب ص٣٦٠ ـ ٣٦١، شذرات الذهب ٥/ ٢٩٢، ترويح القلوب ص٧١.

فتح قلعتها وتسلم بلاده فلما قدم العسكر المصري في هذه الكرة قاتل مع التتار فلما وقعت الكسرة عليهم جاء إلى الملك المظفر قطز وفي ظهر تاريخ الأحد سابع عشري رمضان ورد كتاب وهو أول كتاب ورد منه إلى أهل دمشق يخبرهم بهذه الكسرة الميمونة وبمواصلة الزحف إليهم بعدها.

وفي التاسع والعشرين من رمضان قتل بالجامع الفخر محمد بن يوسف الكنجي وكان من أهل العلم بالفقه والحديث لكنه كان فيه كثرة كلام وميل إلى مذهب الرافضة جمع لهم كتباً توافق أغراضهم ويقرب بها إلى الرؤساء منهم في الدولتين الإسلامية والتاتارية. ثم وافق الشمس القمي فيما فوضه إليه من تخليص أموال الغائبين وغيرهم فانتدب له من تأذى منه وألب عليه بعد صلاة الصبح فقتل وبقر بطنه كما قتل أشباهه من أعوان الظلمة مثل: الشمس بن الماسكيني وابن البغيل الذي كان يسخر الدواب، ومن العجائب أن التتار كسروا وأهلكوا بأبناء جنسهم من الترك وقلت في ذلك: [الكامل]

غلب التاتار على البلاد فجاءهم ... من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شملهم ... ولكل شيء آفة من جنسه

[وفاة الأمير حسام الدين بن أبي علي]

وجاءنا الخبر بوفاة الأمير حسام الدين بن أبي علي[1] بالديار المصرية في أواخر شعبان من هذه السنة وقد كان النصارى بدمشق قد شمخوا بسبب دولة التاتار وتردد ايل سبان وغيره من كبارهم إلى كنائسهم وذهب بعضهم إلى الملك هولاكو وجاء من عنده بفرمان لهم اعتناء بهم وتوصية في حقهم ودخلوا به البلد من باب توما وصلبانهم مرتفعة وهم ينادون حولها بارتفاع دينهم واتضاع دين الإسلام، ويرشون الخمر على الناس وبأبواب المساجد فركب المسلمين من ذلك هم عظيم فلما هرب التاتار من دمشق ليلة الأحد السابع والعشرين من رمضان أصبح الناس إلى دور النصارى ينهبونها ويخربون ما استطاعوا منها وكانت النصارى قد عبروا من باب توما قاصدين درب الحجر ووقفوا عند رباط الشيخ أبي البنان ونادوا بشعارهم ورشوا الخمر بباب الرباط وفعلوا مثل ذلك على باب مسجد الحجر الصغير والمسجد الكبير وألزموا الناس من دكاكينهم بالقيام للصليب ومن لم يفعل ذلك أخرقوا به وأقاموه غصباً وشقوا به السوق إلى عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم،

(١) في شذرات الذهب ٥/ ٢٩٦: حسام الدين الهدباني أبو علي محمد بن علي الكردي، وفي ذيل مرآة الزمان ٢/ ٧٧: أبو علي بن محمد بن أبي علي بن باساك الأمير حسام الدين الهذباني.

فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربي بين القناطر وخطب وبجل دين النصارى ووضع من دين الإسلام ثم عطفوا من خلف السوق إلى الكنيسة التي أخربها الله بعد ذلك وكان ذلك في ثاني عشري رمضان.

وفي الغد صعد المسلمون مع قضاتهم وشهودهم إلى ايل سبان بالقلعة فأهانوهم ورفعوا قسيس النصارى عليهم وأخرجوهم من القلعة بالضرب والإهانة وفي غد حضر ايل سبان في الكنيسة وفي الغد كانت الكسرة وأخرب المسلمون من كنيسة اليعاقبة وأحرقوا كنيسة مريم حتى بقت كوماً والحيطان حولها تعمل النار في أخشابها وقتل منهم جماعة واختفى الباقون وجرى عليهم أمر عظيم اشتفى به بعض الاشتفاء صدور المسلمين وهموا بنهب اليهود فنهب قليل منهم ثم كفوا عنهم لأنهم لم يصدر منهم ما صدر من النصارى.

وفي يوم الجمعة ثاني شوال خطب بجامع دمشق الأصيل المسعودي الذي كان خطيباً به أول دولة نجم الدين أيوب ثم عزل بالشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم خطب عماد الدين ابن خطيب بيت الأبار، ثم خطب القاضي عماد الدين بن الحرستاني نحو ثلاث عشرة سنة ثم عزل بهذا الأصيل.

وكان له صوت حسن في الخطابة والقراءة فبقي متولياً للخطابة والإمامة بجامع دمشق إلى سلخ شوال مدة شهر واحد، ثم سافر مع السلطان الملك المظفر إلى مصر وأعيد منصب الخطابة والإمامة إلى القاضي عماد الدين بن الحرستاني الذي كان به من قبل، وجاءنا الخبر بأن المنهزمين من رجال التاتار ونسائهم لحقهم الطلب من المسلمين بأرض حمص ونحوها فسيبوا ما كان معهم من أسرى المسلمين وتبعجت خيولهم فتخففوا مما معهم حتى أنهم رموا أولادهم وضربوا رقاب من عجزوا عن حمله من نسائهم وعرجوا نحو طريق الساحل وخطف منهم خلق وقتل ناس وأسر جمع والطلب خلفهم ليستأصلوهم إن شاء الله.

[وفاة الحافظ ابن عساكر]

وجاءنا الخبر في سادس شوال بموت العماد أبي حامد الحسين بن عماد الدين علي بن الحافظ بهاء الدين القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسين المعروف بالحافظ ابن عساكر[1]، وكان قد خرج من دمشق إلى مصر أيام الجفلة من التاتار ولما بلغه استقامة الشام وأمنه خرج مع غيره من مصر على طريق

---

(١) انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧ ـ ١٨.

الشوبك والكرك فمرض وتوصل إلى نحو زرع فمات رحمه الله. وفي رابع عشر رمضان جرت علي حكاية من نائب التاتار المذكور واسمه ايل سبان لعنه الله وإياهم إهانة وتهديداً بضرب الرقبة على أن وضعت خطي لهم بمبلغ كبير من المال ظلماً وقهراً فلم تمض بعد ذلك اليوم إلا عشرة أيام حتى كسر التاتار بأرض كنعان بعين جالوت[1] وما والاها كسرة عظيمة مشهورة كسرهم الملك المظفر المذكور كما تقدم وهرب ايل سبان ومن كان بدمشق معهم ليلة جاءهم الخبر وعجب الناس من سرعة هذا الفرج وقيل في ذلك: [الطويل]

تفرق جمع الكفر لما تعرضوا ... أبا شامة ظلماً وكدر ورده
أرادوا به كيداً وما هيب علمه ... فغار له الرحمن إذ هو عبده
فما كان بين الجور منهم وكسرهم ... لدى رمضان غير عشر نعده
فحاشى لمفتي الشام يهمل أمره ... ويخفض ذو علم ويرفع ضده
له أسوة بالأنبياء وصالحي الـ ... ـبرية فيه ليس يخلف وعده
يعز علينا ما جرى غير أننا ... نسر به حيناً فلا كان فقده

والحمد لله على النصرة عليهم والله المستعان.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي شهر رمضان توفي الحاج سليم الفقيه كان بالمدرسة الشامية رحمه الله واسمه: سليم بفتح السين وكسر اللام. وفي ثاني ذي القعدة توفي إمام المدرسة الحسامية جمال الدين النابلسي أخو الزين خالد المحدث ودفن بالجبل رحمه الله. وفي ثاني عشر ذي القعدة توفي علي بن حديد بن عبيد السبنسي المصري الفقيه المقرئ وكان من سكان المدرسة الأمينية وهو من أصحاب الشيخ أبي عمرو بن الحاجب رحمه الله وممن خدمه كثيراً من حين جاء معه من مصر سنة سبع عشرة وستمائة إلى أن توفي وكان رجلاً حسناً مشتغلاً بنفسه صالحاً ديناً ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله.

وفي الحادي والعشرين منه قرئ منشور نجم الدين بن سني الدولة بولاية القضاء بدمشق. وفي الثامن والعشرين من ذي القعدة توفي الجمال أبو الحرم مكي بن محمد بن المسلم بن أبي الخوف رحمه الله، وقبله توفي من أهل حارة الخاطب أيضاً القطب بن الليواني وكان من مشايخ الفقراء منقطعاً بمسجد الحارة

---

(١) وقعة عين جالوت، كانت في العشر الأخير من رمضان سنة ٦٥٨هـ. انظر البداية والنهاية ١٣/ ١٨٣ ـ ١٨٥.

ظريفاً لطيفاً كريماً رحمه الله، وجاءنا الخبر بوفاة الزكي اللبني ببعلبك وكان قاضياً بها وكان قبلها تولى القضاء ببانياس ثم ببصرى رحمه الله.

[قتل الملك المظفر قطز]

ووصل الخبر بأن الملك المظفر قطز[١] الذي ملك مصر والشام وكسر التاتار قتل في رجوعه من الشام إلى مصر قبل دخوله مصر بين الغرابي والصالحية وكان مدة ملكه منذ قبض على ابن أستاذه التركماني إلى أن قتل نحو من سنة واحدة والله تعالى يولي على المسلمين من يهتم بنصرة الإسلام وإقامة شريعة النبي ﷺ، وكان قطز هذا موصوفاً بمواظبة الصلاة والشجاعة وتجنب شرب الخمر رحمه الله، واتفق بين كسره لجيش التاتار وبين قتله قريب مما كان بين قتل المعظم بن الصالح بن الكامل وكسره الفرنج الذين كانوا بدمياط على ما سبق ذكره في أخبار سنة ثمان وأربعين هاتين الأعجوبتين المتشابهتين نحو من عشرة سنين إلا أن السابقة كانت في أوائل سنة ثمان وأربعين وهذه المتأخرة كانت في أواخر سنة ثمان وخمسين والله تعالى يحسن العاقبة.

وتولى السلطنة بدمشق عقيب ذلك الأمير علم الدين سنجر المعروف بالحلبي التركي وكان قطز قد استنابه فيها فلما بلغه قتل قطز استحلف الناس وتسلطن وسكن القلعة.

وفي رابع ذي الحجة توفي الشيخ إبراهيم الفارقي أبو صالح وكان شيخاً كبيراً صالحاً ملازماً أكثر أوقاته المجاورة بالزاوية التي فيها الشباك الكمالي بجامع دمشق وهو الشباك الذي اعتاد القضاة الصلاة فيه يوم الجمعة وأصله كان من أسعرد وكان يرعى جانبه من جهة السلطان الأشرف بن العادل وإخوته وبيتهم ودفن بالجبل رحمه الله.

وفي سادس ذي الحجة يوم الجمعة خطب بدمشق لمن تولى السلطنة بالديار المصرية بعد قطز وهو: بيبرس البندقداري التركي الموصوف بالشجاعة والإقدام ولقب بالملك الظاهر ركن الدين. وذكر بعده الذي تولى دمشق علم الدين سنجر الحلبي ولقب بالملك المجاهد وضربت الدراهم باسمهما. وفي سابع عشر ذي الحجة توفي العفيف بن رحمه شيخ صالح مجاور بالجامع يخيط فيه. وهو والد الشرف بن رحمة المشتغل بسماع الحديث ودفن بمقابر الصوفية العليا. صليت عليه إماماً خارج باب النصر وحضرت دفنه، ولما رجعت مررت بدار الحديث الأشرفية فرأيت ما هي عليه من الشعث والخراب صورة ومعنى بسبب قلة الاشتغال بها وخراب وقفها فتذكرت ما

---

(١) هو الملك المظفر قطز بن عبد الله سيف الدين التركي. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤، البداية والنهاية ١٣/ ١٨٧ ـ ١٨٩، ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٨ ـ ٣٣.

كانت عليه زمان كنا بها في سني نيف وثلاثين وستمائة وشيخها يومئذٍ شيخنا الفقيه الحافظ تقي الدين عثمان بن الصلاح فقلت بديها مشيراً إليها: [الطويل]

من بعد ما مات رنطار والتقي بن الصلاح هذاك للوقف والشيخ للعلوم الصحاح

رنطار هذا كان يعرف بالحاج رنطار كان الملك الأشرف واقف دار الحديث قد اعتمد عليه في عمارتها ووقفها والنظر في ذلك في خدمة الأثر الشريف النبوي بها وكان رزقها في أيامه متوفراً. واختل ذلك بموته كما اختل الاشتغال في الدار المذكورة بعد موت الشيخ ابن الصلاح رحمهم الله، ونظير ذلك لأن نجم الدين بن سلام كان ناظر التربة الصلاحية، وكان الجماعة في أيامه دارة أرزاقهم فلما توفي قال فيها شيخنا علم الدين السخاوي رحمه الله وكان يتولى الإقراء بها يومئذٍ مخاطباً للجماعة المشتغلين بها: [البسيط]

والله والله لا أفلحتم أبداً من بعد ما قد هوى النجم بن سلام

وكان الأمر على ما ذكر اختل الوقف بعده والله المستعان.

[وفاة قايماز الإقبالي]

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي المجاهد قايماز الإقبالي أحد معتقي جمال الدولة إقبال صاحب المدرستين بدمشق، وكان هذا المجاهد رجلاً ديناً خيراً رحمه الله ودفن بالجبل صليت عليه إماماً بجامع بني أمية بدمشق وشيعته إلى مقبرة باب الفراديس ثم مضي به إلى الجبل. وفي هذا الشهر توفي الحاج علي الجمال المعروف بدويخ وكان أحد المقومين في طريق الحج.

[تولية الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري]
[الدّيار المصريّة]

وفي هذه السنة كثر تغير الدول ومتولي الحكم بالشام فكان الشام أول السنة إلى نصف صفر في مملكة الناصر يوسف بن محمد بن غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي، ثم صار في مملكة التاتار إلى الخامس والعشرين من رمضان، ثم صار في مملكة المظفر قطز صاحب الديار المصرية إلى أن قتل في ذي القعدة، ثم صار في سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ويفعل الله ما يشاء. وكان القضاء في أول السنة تولاه الصدر أحمد بن سني الدولة مستقلاً به من خمس عشرة سنة إلى أن ولى التاتار كمال الدين محمود بن بندار التفليسي، ثم ولوا محيي الدين يحيى بن الزكي، ثم ولى قطز نجم الدين بن الصدر بن

السني وابتلي الناس في هذه السنة بغلاء شديد عام في جميع الأشياء من المأكول والملبوس وغيرهما. بلغ رطل الخبز درهمين، ورطل اللحم خمسة دراهم، وأوقية القنبريس درهماً، والجبن درهماً ونصف، والثوم أوقية بدرهم، والعنب رطل بدرهمين، ومن أكثر أسبابه ما أحدثه الفرنج من ضرب الدراهم المعروفة باليافية وكانت كثيرة الغش بلغني أنه كان في المائة منها خمسة عشر درهماً فضة والباقي نحاس؛ وكثرت في البلد كثرة عظيمة، وتحدث في إبطالها مراراً فبقي كل من عنده شيء حريصاً على إخراجه خوفاً من بطلانها فتراه يدأب في شراء أي شيء كان فيتزايد في السلع بسبب ذلك إلى أن بطلت في أواخر السنة فعادت تباع كل أربعة منها بدرهم ناصري مغشوش أيضاً بنحو النصف.

[جفلة أهالي حلب إلى دمشق]

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة(١)

أولها يوم الاثنين لأيام خلون من كانون الأول ففي أول المحرم جاءنا الخبر بجفلة أهل حلب وما والاها إلى دمشق بسبب تجمع التاتار الذين كانوا بحران وغيرها من بلاد الجزيرة، وانضم إليهم من انهزم من وقعة كسرتهم وضعفوا بما كان عندهم من شدة الغلاء بحران وكانت البلاد قد خربت فاضطروا إلى الإغارة على بلاد حلب فانجفل الناس منهم، ثم جاءنا الخبر في سابع المحرم بأنهم كسروا بأرض حمص كسرة عظيمة فضربت البشائر بذلك وكانت الكسرة عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى قريب الرستن وذلك يوم الجمعة خامس المحرم وقتل منهم نحو ألف رجل ولم يقتل من المسلمين سوى واحد، وفي ثالث عشر المحرم طيف برؤوس طائفة منهم في أسواق دمشق من القتلى مرفوعة على عصي بأيدي الصبيان يجبى عليها بالفلوس.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي يوم تاسوعاء توفي الشرف حسن بن الجمال عبد الله ابن الحافظ عبد الغني المقدسي(٢) رحمه الله وكان رجلاً خيراً.

ثم جاءنا الخبر في نصف المحرم برجوع التتار ونزولهم على حماة فجفل الناس

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٩٦ ـ ٣٠٠، والبداية والنهاية ١٣/ ١٩١ ـ ١٩٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠٥، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٨٧ ـ ١٥١.

(٢) هو شرف الدين أبو محمد حسن بن عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ثم الصالحي الفقيه الحنبلي، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٩٨، وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٢٨.

إلى دمشق وقدم صاحب حمص وصاحب حماة في طلب النجدة واجتماع المسلمين على القتال، ونزل المجاهد الحلبي الذي كان قد تسلطن بدمشق عن السلطنة وانقاد الجميع لسلطنة صاحب مصر لقوته بالمال والرجال ثم ورد الخبر برجوع التاتار وتخطف صاحب صهيون منهم جماعة وقتل الحشيشية لصاحب سيس لعنه الله ووقع السيف بين التاتار وابن صاحب سيس الله يصدق ذلك ويتمم نصر المسلمين.

وفي خامس صفر توفي جمال الدين يوسف بن الناصح علي بن مرتفع بن أفتكين وكان هو وأبوه وأخوه من عدول البلد ويتولون المدرسة السرورية رحمه الله ودفن على أبيه بالجبل.

وفي ليلة الأحد ثاني عشر صفر هرب سنجر الحلبي الذي كان تسلطن بدمشق ونزل في قلعة بعلبك وقبض على أعوان الظلمة الذين كانوا منصوبين لمصادرة الناس. فمنهم: المجاهد سليمان، وغلامه سيف الدين، والأسعد المسلماني، ثم قبض عليه من بعلبك وأرسل تحت الحوطة إلى مصر. وفي العشرين من صفر توفي الكمال القزويني أحد القراء بالتربة الأشرفية وكان شيخاً صالحاً ومقرئاً حسناً رحمه الله تعالى.

وفي الحادي والعشرين درس القاضي نجم الدين بن الصدر بن سني الدولة بالمدرسة العادلية وعزل الكمال التفليسي عنها واعتقل بسبب الحياصة الناصرية التي تسلمها التاتار وكانت رهناً بمخزن الأيتام على الدين الذي اقترضه الناصر صاحب دمشق من ورثة عرفة الدنيسري فبقي الكمال في الاعتقال خمسة عشر يوماً، ثم ألجئ في السنة الآتية إلى التحول من دمشق إلى مصر ففارق ما كان فيه وسكن مصر.

وفي يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول توفي الخطيب زين الدين خطيب حماة رحمه الله وكان له معروف كثير ووقف أوقافاً حسنة وكان حسن الخطابة كثير الخير والصدقة. وفي هذا الشهر تجمع الفرنج وخرجوا على المسلمين وهم تسعمائة فارس قنطارية، وألف وخمسمائة تركلي ونحو ثلاثة آلاف راجل وأخذ الجميع قتلاً وأسراً ولم يفلت منهم سوى واحد وبعض من كان معهم وانضاف إليهم من رجالة تلك الضياع من ضعاف المسلمين في الدين وأسر جماعة من ملوكهم.

وفي يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر توفي ابني الصغير إسماعيل جعله الله فرطاً صالحاً لأبويه رحمه الله وإيانا وصليت عليه خارج باب النصر ودفنته تحت إخوته بمقبرة ابن زويزان المجاورة للصوفية وعمره يوم مات سنة واحدة وشهران ونصف شهر.

وفي ذلك اليوم توفي الخادم سابق الدين الأشرفي المجاور بالتربة الأشرفية وكان خادماً خيراً رحمه الله. وفي عاشر ربيع الآخر توفي التاج الساسي المغربي وكان شيخاً فيه خير وسكون وحياء مقرباً عند الحاكم بدمشق الصدر بن سني الدولة رحمه الله.

وفي الخامس والعشرين من ربيع الآخر توفي الشريف المخلص من بني أبي الحسن الحسيني التاجر بقيسارية الفرس وكان شيخاً كبيراً وأحد عدول القاضي بدمشق رحمه الله. وفي تاسع جمادى الأولى عقد مجلس العزاء بالجامع المعمور بدمشق للسلطان الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب(١) الذي كان له سلطان حلب ثم ملك دمشق وأعمالها وهرب من التاتار وسلم إليهم بلاده ثم سلم نفسه إليهم فأهانوه ومضى إلى ملكهم هولاكو فجاءنا خبره أنه ضرب رقبته مع جماعة لما بلغهم أن العسكر المصري كسر عسكر التاتار بعين جالوت وقتل ملكهم كتبغا فكأنهم اقتصوا منه رحمه الله. ومات قبل ذاك بيومين الشجاع بن سنقرشاه الذي كان يتناول وقف بيس بقرية داعية رحمه الله.

وفي هذه الشهور توفي شهاب الدين الرفيع الشاهد تحت الساعات. وذبح زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بالجبل، ثم ورد إلى دمشق أولاد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وهما صاحب الجزيرة يومئذ وصاحب الموصل بعيالهم وأموالهم ومعهم من أهل البلاد من كان له قدرة على السفر لخوف عرض لهم وساروا إلى مصر ثم رجعوا مع سلطانها في آخر السنة ومضوا إلى بلادهم ظاهرين على العدوان إن شاء الله.

[مبايعة الظاهر بيبرس الإمام الظاهر بالخلافة]

وفي تاسع عشر رجب قرئ بدمشق بالمدرسة العادلية كتاب ورد من مصر من السلطان الملك الظاهر بيبرس يتضمن أنه قدم عليهم مصر أبو القاسم أحمد بن الظاهر محمد بن الناصر لدين الله أحمد أمير المؤمنين وهو أخو المستنصر بالله الذي بنى المستنصرية ببغداد وأنه جمع له الناس من مدينتي مصر والقاهرة من العلماء والأمراء والتجار وأثبت نسبه عند قاضي القضاة بذلك المجلس فلما ثبت بشهادة جماعة من الحاضرين عرفوه أنه ولد الظاهر بن الناصر أسجل المحاكم عليه

(١) انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٣٤، مختصر أبي الفداء ٣/ ٢١١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٠٢، السلوك ١/ ٤٦٦، مرآة الجنان ٤/ ١٥١، فوات الوفيات ٤/ ٣٦١، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٣، الدارس في تاريخ المدارس ١/ ١١٥، ٤٥٩، شذرات الذهب ٥/ ٢٩٩، العبر للذهبي ٥/ ٢٥٩، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٢، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٤٠٨ ـ ٤٢١.

ثبوت ذلك ثم بايع له الناس بعد ما بدأ السلطان له بمبايعته ورضوا جميعاً بخلافته وأمر بنقش اسمه على الدينار والدرهم وأن يخطب له على المنابر وكان ذلك الإثبات والمبايعة في رابع ساعة من يوم الاثنين ثالث عشر رجب وسر الناس بذلك سروراً عظيماً وشكروا الله على عود الخلافة العباسية بعد ما كان الكفرة التاتار قطعوها بقتل الخليفة المستعصم بن الظاهر وهو ابن أخي هذا الذي بويع بمصر وبسبب تخريب بغداد وقتل أهلها وذلك سنة خمس وخمسين فبقي الناس بغير خليفة نحو أربع سنين ونصف.

وصورة الكتاب الوارد إلى قاضي دمشق هذه المكاتبة إلى القاضي نجم الدين يعلمه بما تجدد من أمر يهيج الأمة ويستدعي الرحمة ويأخذ الثأر ممن هتك للإسلام حرمه وهو أنه ورد علينا الإمام أبو القاسم أحمد ابن الإمام الظاهر ابن الإمام الناصر سلام الله عليه في أمر نسبه وأخذ البيعة له فحضر جماعة شهدوا بالاستفاضة أنه ولد الإمام الظاهر وثبت ذلك عند قاضي القضاة لدينا ثبوتاً شرعياً وأسجل عليه بحضور العالم وعند ذلك بسطنا لمبايعته راحتنا واقتفى أثرنا الأمراء والحلقة والناس كافة في مبايعته والرضى بخلافته وذلك في رابعة يوم الاثنين ثالث عشر رجب وتقدمنا بأن يخطب له ويتوج مفرق الدينار والدرهم باسمه الشريف ونحن بصدد اهتمام نصرة الإسلام على يديه، وإهداء كرائم الأموال والذخائر إليه فليستند من منصبه الشريف إلى إمام صحيح النسب شريف الحسب ويجعل استناد أحكامه إلى ولايته الصحيحة ومبايعته الصريحة وليعلن هذا الخبر السار في البادين والحضار.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي سابع عشر شعبان توفي بحماة الشيخ شرف الدين محمد بن. . .[1] الجوبراني كان مشهوراً بالعلم. وفي خامس رمضان توفي الشهاب بن خواجا أخو الضياء المعروف بالجوبراني أحد فقهاء المدرسة الحسامية وكان رجلاً صالحاً سليم الصدر به نوع اختلال يسكن في تربة مثقال الجمدار قبالة تربة سركس بجبل قاسيون في قبالة تربة خاتون رحمهم الله تعالى.

وفي شوال قتل قطب العالم أخو العز الخلاطي الذي شنق نفسه بالمدرسة العادلية. وفي يوم الاثنين سادس ذي القعدة وصل إلى دمشق العساكر المصرية مع السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي المعروف بالبندقداري ومعهم الخليفة

---

(١) بياض بالأصل، وهو محمد بن عبد الله بن موسى، أبو عبد الله شرف الدين الحوراني المثاني، الشيخ الفاضل العارف الزاهد، انظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٣٤.

المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بن الناصر واحتفل الناس للقائهما وكان يوماً مشهوداً ونزل الظاهر بالقلعة ونزل الخليفة بالتربة الناصرية بجبل قاسيون.

ثم يوم الجمعة عاشر ذي القعدة دخل الخليفة إلى جامع دمشق من باب البريد وجاء السلطان من باب الزيارة ودخلا مقصورة الخطيب سبق الخليفة وبعده جاء السلطان وحضرا الخطبة والصلاة ثم خرجا بعد الصلاة والناس يدعون لهما بالنصر والإعانة على قمع الكفرة أعداء الدين.

وفي ثاني عشر ذي القعدة توفي الزين عمر بن عقيل التنوخي وكان قليل الدين مخلطاً اللهم استرنا واغفر لنا. وجاءنا الخبر في ذي القعدة من الديار المصرية بوفاة الصفي إبراهيم بن مرزوق التاجر المحظوظ في التجارة وكان في زمن الملك الأشرف موسى يدعى بالصاحب وبقي بالشام مدة يتصدق عنه كل يوم بجملة من الخبز.

[سفر الخليفة إلى العراق في طريق البرية]

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي القعدة سافر الخليفة بمن صحبه من العساكر إلى نحو العراق في طريق البرية، وسافرت قطعة من العساكر إلى أرض حلب وحران وطائفة ساروا إلى بلاد الفرنج نصر الله المسلمين فأغاروا ثم عادوا ووقع الصلح بينهم.

وفي يوم الخميس ثامن ذي الحجة عزل عن قضاء دمشق النجم بن الصدر بن سني الدولة وتولى القاضي شمس الدين أحمد بن بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الذي كان نائباً في الحكم بالقاهرة سنين كثيرة وجلس مكان النجم وأبيه بالمدرسة العادلية ثم وكل على النجم وأمره بالسفر إلى الديار المصرية وكان حاكماً جائراً، فاجراً ظالماً متعدياً فاستراح منه العباد والبلاد وهو الذي شاع عنه أنه أودع كيساً فيه ألف دينار فرد بدله كيساً فيه فلوس وذكر ذلك في القصيدة التي هجي بها لما تولى الحكم ورفعت إلى الملك المظفر، والمولى الأمير المجير، وابن وداعة، وفي الجملة تولى الحكم في زماننا ثلاثة مشهورون بالفسق هذا الظالم، والرفيع الجيلي، وابن الجمال المصري، كان نائباً لأبيه وقلت في حصر القضاة ونوابهم: [البسيط]

دمشق في عصرنا مع فضلها بليت ... من القضاء بجهال وأوقاح
بأعجمين ومصري وصائغهم ... والأربلي وخياط وفلاح
هم ضعف ستة والنواب كلهم ... ضعفان أحزانهم أضعاف أفراح

أي هم اثنا عشر: الزكي. وأخوه؛ وابن الحرستاني؛ وابنه. والجمال

المصري، والخويي، والرفيع والتفليسي، وبنو سني الدولة ثلاثة، وابن خلكان، والبواب شرف الدين بن زين القضاة، وابن الشيرازي؛ والسراج مدرس القيمازية؛ وابن الموصلي، والشرف الحوراني، والنجم الحنبلي، وابن المصري، والسنجاري، وملكشاه، وعبد الله والبكري، وقاضي العسكر، وابن عبد الكافي، وابن العجمي، وإسحاق، والبدر بن خلكان، وأخوه المحيي. وابنه. وقلت في نظم الاثني عشر: [البسيط]

هم الزكي والحرستاني معاً ... وجمال مصر ثم الخويي ثم ذو الراح
رفيعهم وبنو السني ومحييهم ... وخلكان مع التفليس يا صاح

ثم سافر الحاكم المعزول إلى مصر تحت الحوطة يوم الخميس خامس عشر ذي الحجة، والدعاء عليه كثير، والتظلم منه شائع والدعاوى عليه كثيرة.

وفي الغد يوم الجمعة قرئ بالشباك الكمالي بجامع دمشق وأنا حاضر فيه تقليد القضاء للقاضي شمس الدين بن خلكان الأربلي ويتضمن أنه فوض إليه الحكم في جميع بلاد الشام من العريش إلى سلمية يستنيب فيها من يريده وفوض إليه النظر في أوقاف الجامع والمصالح، والبيمارستان والمدارس وغيرهما مما كان تحت يد الحاكم المعزول وفوض إليه تدريس سبع مدرس كانت تحت يد المعزول وهي: العزراوية، والعادلية، والناصرية، والفلكية، والركنية، والإقبالية، والبهنسية، وأنشدني العماد داود بن الحموي لنفسه في ذلك القاضي المعزول: [البسيط]

نجم أتاه ضياء الشمس فاحترقا ... وراح في لجج الإدبار قد غرقا
ناحت عليه الليالي وهي شامتة ... وعرفته صروف الدهر ما اختلقا
وحدثته الأماني وهي كاذبة ... بأنه لا يرى بعد النعيم شقا
وجاد بالمال كي تبقى رياسته ... وفتق الشرع والتقوى وما رتقا
فجاءه سهم غرب جل مرسله ... فمات معنى وما أخطاه من رشقا
وألقيت في قلوب الناس بغضته ... لكنهم قد غدو في ذمه فرقا
ففرقة بقبيح الظلم تذكره ... وفرقة حلفت بالله قد فسقا
وفرقة سلبته ثوب عصمته ... بأنه من رباط الدين قد مرقا
وراح قسراً إلى مصر على عجل ... موافقاً للذي من قبله سبقا
مفارقاً لنعيم كان منغمساً ... فيه ولذة يوم بدلت أرقا

وزدت أنا:

وفرقة وصفته بالخلاعة مع ... خبث وكبر وكل منهم صدقا

[عودة الظاهر بيبرس إلى مصر مع عساكره]

وفي يوم السبت سارت العساكر مع سلطانها الظاهر راجعة إلى مصر، وجاءنا الخبر من عانة بوصول الخليفة إليها وأنه اتفق مع الخليفة الآخر الذي كان أقامه برلو بمدينة حلب ويلقب بالحاكم ونقش اسمه على الدراهم وخطب له على المنابر فلما قدم صاحب مصر والشام بالعساكر وتوجه الخليفة إلى العراق تزلزل أمره ووفق بينهما فانصاع الحاكم المستنصر بسبب أنه الأصغر وذاك الأكبر ووقع الاتفاق وزال الشقاق ولله الحمد، ثم جاءنا الخبر في آخر السنة خرج عليهم طائفة من التاتار وأصحابهم قبل وصولهم بغداد فقتلوا الخليفة وأكثر من كان معه وجاء الخليفة الأصغر هارباً إلى العراق وقدم جماعة منهم دمشق هاربين وأخبروا بما جرى عليهم وممن كان معهم وفقد الكمال بن السنجاري، وابن العمري، وعبد العزيز بن عبد الملك بن عساكر وغيرهم.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة ستين وستمائة(١)

ففي يوم الأربعاء ثاني عشر المحرم ذكرت الدرس بالمدرسة الركنية الملاصقة للمدرسة الفلكية، وابتدأت بها درساً من مختصر المزني رحمه الله بحضرة قاضي القضاة وغيره. وفيها: في أوائل صفر توفي البرهان إبراهيم الصرخدي.

وفيها: في ثاني عشر صفر قتل الزين مظفر بن إسماعيل التاجر المعروف بالزين الصانع صاحب الأملاك بقريتي داعية وحمورية وغيرهما قتل بعد صلاة الجمعة وهو داخل من جبل قاسيون قبل أن يصل إلى مقبرة ابن صاحب قرقيسيا على حافة الساقية المقابلة للمزرعة المعروفة بالسميرية. قتله شخص من أهل قرية تل منين متبعه من الجبل وقد عاينه باع شيئاً واستوفى ثمنه ولم تمكنه الفرصة إلا هناك، ثم مسك القاتل فأقر فشنق بعد يومين بين الميدانين يوم الاثنين ودفن الزين من الغد بجبل قاسيون رحمه الله يوم السبت ثالث عشر صفر.

وفيها: يوم الأحد الثاني والعشرين من صفر. دخل الخليفة الحاكم الذي كان بايعه برلو بحلب وأنزل في قلعة دمشق مكرماً وذلك بعد الوقعة التي قتل فيها الخليفة المستنصر وكان معه فهرب وسلم ثم سافر إلى مصر يوم الخميس السادس والعشرين من صفر. وفي ذلك اليوم توفي عثمان الكيال الأحول الساكن بحضرة حمام الحين ودفن بباب الصغير.

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٣٠٠ ـ ٣٠٤، البداية والنهاية ١٣/ ١٩٣ ـ ١٩٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٨، وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٥١ ـ ١٨٦.

وفيها: في أواخر ربيع الآخر توفي العز الضرير الأربلي[١] الذي كان يقرئ علوم الأوائل في بيته لمن يتردد إليه من أهل الملك مسلمها، وكافرها؛ ومبتدعها، من الرافضة، واليهود، والنصارى، والسامرة وكان قليل الدين لكنه كان ذكياً فصيحاً حسن المحاضرة والله تعالى يختم لنا بخير آمين.

وفي أول جمادى الأولى توفي بمكة التاج أبو الحسن بن زين الأمناء[٢] وصلى عليه بجامع دمشق يوم الجمعة رابع عشر ربيع الخطيب عماد الدين بن الحرستاني عندما صح خبر موته رحمه الله.

وفيها: جاءنا الخبر من مصر بوفاة الشيخ عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام[٣] رحمه الله وعمل عزاؤه بجامع العقيبة يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة؛ ثم جاء من حضر جنازته وأخبر أن وفاته كانت يوم الأحد عاشر جمادى الأولى أو حادي عشره وكان يوماً مشهوداً حضر جنازته الخاص والعام، ونزل السلطان ظاهر بيبرس وصلى عليه مع الناس بالقرافة ودفن في آخر القرافة مما يلي الجبل من ناحية البركة، وصلي عليه في جامع دمشق وغيره من الجوامع بالشام يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى رحمه الله، ونادى النصير المؤذن بعد الفراغ من صلاة الجمعة: الصلاة على الفقيه الإمام شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام.

---

(١) هو العز الضرير الفيلسوف حسين بن محمد بن أحمد بن نجا الأربلي، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣٠١، وفي البداية والنهاية ١٣/ ١٩٥: العز الضرير النحوي اللغوي واسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا.

(٢) لعله أبو الحسن كمال الدين العباسي علي بن شجاع بن سالم. انظر ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٠.

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، الشيخ عز الدين بن عبد السلام، أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي شيخ المذهب، له من المصنفات: «الإشارة والإيجاز في بعض أنواع المجاز في القرآن»، «أمالي في تفسير القرآن»، «الإمام في أدلة الأحكام»، «بحار القرآن»، «بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ»، «بيان أحوال الناس يوم القيامة»، «ترغيب أهل الإسلام في سكن الشام»، «شجرة المعارف»، «شرح منتهى السؤل والأمل لابن الحاجب»، «العقائد»، «الغاية في اختصار النهاية»، «القواعد الصغرى» في الفروع، «القواعد الكبرى» في الفروع، «كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار»، «المسائل الموصلية»، «مفاتيح الكنوز»، «مقاصد الرعاية»، «نخبة العربية في ألفاظ الأجرومية» في النحو، «فرائد الفوائد وتعارض القولين لمجتهد واحد»، «الفوائد في اختصار المقاصد»، «فوائد البلوى والمحن»، «الفتاوى الموصلية»، «الفرق بين الإسلام والإيمان»، «الفتاوى المصرية». (انظر: كشف الظنون ٥/ ٥٨٠، شذرات الذهب ٥/ ٣٠١ ـ ٣٠٢، البداية والنهاية ١٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦، ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٥).

وفيها: في حادي عشر جمادى الأولى توفي الجمال عبد الوهاب بن المصري الأعور وكان قديماً بالمدرسة الجاروخية في حياة شيخنا فخر الدين بن عساكر ثم صحب بني سني الدولة وانتفع بهم وكف بصره في آخر عمره ودفن.

وفيها: في رجب من هذه السنة جرى على الشمس محمد بن مؤمن الحنبلي أمر بتعصب أهل الجبل عليه بأن حمل والي دمشق على صفعه وتجريصه على حمار بدمشق وبالجبل.

وجاءنا الخبر من مصر بوفاة الصاحب كمال الدين عمر بن أبي جراد الحنفي المعروف بابن العديم(١) في العشرين من جمادى الأولى وصلي عليه بجامع دمشق صلاة الغائب رحمه الله. وكان فاضلاً متواضعاً، حسن المحاضرة، كثير الإفادة. وسود تاريخاً بحلب، وبيض بعضه.

وفي تاسع عشر جمادى الأولى توفي الجمال عبد الله بن عبد الملك الحنبلي المعروف بعفلق. وفي السادس العشرين من جمادى الأولى توفي التاج عبد الرحمن بن عبد الباقي بن الخضر الحنفي المعروف بابن النجار، وكان أحد شهود باب الجامع، ومدرساً في بعض مناصب الحنفية رحمه الله، وهو الذي كان عقد نكاحاً على مذهبه بإذن الصدر بن سني الدولة الحاكم الشافعي ثم أذن الصدر لنائبه الكمال التفليسي في نقضه فنقضه وجرى في ذلك إنكار عظيم على الناقض والآذن وصنف في ذلك تصنيفاً فانتصر التفليسي لما حكم به بجمع جزء فنقضه عليه بتصنيف آخر. صليت عليه إماماً ظاهر باب الفراديس، واتفق حينئذ عبور نائب السلطنة بدمشق وأعمالها الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري فترجل وصلى معنا عليه ثم مضى به إلى جبل قاسيون.

وفيها: في ثاني عشر جمادى الآخرة توفي البدر المراغي الخلافي المعروف بالطويل(٢) وكان قليل الدين تاركاً للصلاة مغتبطاً بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين رحمنا الله وجميع المسلمين.

---

(١) هو كمال الدين ابن العديم الحنفي، عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل الحلبي الحنفي، أبو القاسم، له من المصنفات: «الأخبار المستفادة في ذكر بني جرادة»، «بغية الطلب في تاريخ حلب»، «تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد»، «الدواري في ذكر الذراري»، «رفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري»، «ضوء المصباح في الحث على السماح»، (انظر: كشف الظنون ٥/ ٧٨٧، شذرات الذهب ٥/ ٣٠٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٩٦، ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧٧ ـ ١٧٩).

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ١٩٧.

وفيها: في السادس والعشرين من جمادى الآخرة توفي صاحبنا ناصر الدين محمد بن داود بن ياقوت الصارحي[1] ودفن بمقبرة الباب الصغير حضرت دفنه والصلاة عليه، وكان رجلاً صالحاً، عالماً مفيداً لطلبة الحديث باذلاً كتبه وخطه في ذلك، اشتغل بسماع الحديث كثيراً، وكتب مجلدات وأجزاء كثيرة، وطباق السماعات المكتوبة بخطه من أحسن الطباق وأنورها وأصحها رحمه الله.

وفي ذلك اليوم توفي جمال الدين محمد بن عبد الحق بن خلف الحنبلي بجبل قاسيون فلم أحضر جنازته لاشتغالي بجنازة ناصر الدين المذكور رحمهما الله، وكان حسن الأخلاق ظريفاً يتولى التوريق بالجبل وورخ الوقائع في أيامه.

وفي ليلة الأحد سلخ جمادى الآخرة ولد ابن ابنتي حسن بن عبد الرحمن بن محمد البكري جعله الله مباركاً وجاءنا الخبر من مصر في رجب بأنه شنق قاضي المقيس بها. كان ذلك في عشية الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة وهو: الكمال خضر بن أبي بكر بن أحمد الكردي أحد أقارب قاضي سنجار وذلك لأنه تعرض لإقامة دولة باجتماعه مع جماعة من الأكراد والشهرزورية فقبض عليه وعلق وفي رقبته تواقيع كان كتبها. وبنود من شعار الدولة التي كان قد رام إقامتها، وكان قبل ذلك قد صنع خاتماً وذكر أنه وجده وجعل تحت فصه ورقة أسماء جماعة من أولي الثروة بما عندهم مودع ورام استئصال أموالهم والتقرب بها إلى ولاة الأمر فاطلع على محاله فأهين وصفع فقيل فيه: [الرجز]

ما وفق الكمال في أفعاله ... كلا ولا صدق في أقواله
يقول من أبصره يصر ... نادماً على ما كان من محاله
قد كان مكتوباً على جبينه ... فقلت لا بل كان في قذاله

وسألت الحاكم شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر عن هذه القضية فأخبرني أن هذا الكمال خضراً كان قد علق به حب التقدم عند الملوك بسبب أنه كان قد تقدم عند عز الدين أيبك التركماني وهو الملك المعز ثم أبعد، واتفق أنه لما صنع الخاتم المذكور وحبس كان في الحبس شخص آخر يدعي أنه من بني العباس، وكانت الشهرزورية أرادت مبايعته بالخلافة وهيأوا الأمر لها بعده فلما تبدد شملهم أخذ هذا وحبس واتفق خضر معه في الحبس على أنه يسعى له في ذلك الأمر ويكون هو وزيره فاتفق موت العباسي فلما خرج خضر سعى في

(١) في البداية والنهاية ١٣/ ١٩٧: محمد بن داود بن ياقوت الصارمي «بدل الصارحي»، وكذلك في ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧٧.

إتمام الأمر لابنه فتم ما تم. قال: وكان من زمن الإمام الناصر أحمد قد ورد إلى إربل شخص يسمى الأمير الغريب كان يدعي أنه ولد الناصر ثم توفي سنة أربع عشرة وستمائة فادعى هذا الشخص أنه ابنه عند الشهرزورية فقدموه فحبس ومات وخلف ولداً صغيراً فسعى الكمال في المبايعة له فجرى ما جرى، وقد خاب من افترى.

وفي ثامن رجب توفي الشرف عبد الرحمن بن صدقة وكان من أترابي ورفقائي في تلقن القرآن العظيم عند العفيف الضرير محمود شيخ القاضي الخويي. وفي المدرسة الأمينية أيام الجمال المصري رحمه الله وفي ثالث عشر رجب توفي البرهان الخلخالي وكان فقيهاً مناظراً مقبول الشهادة رحمه الله. وفي رابع عشر رجب توفي الشمس الكردي الأعرج الذي كان يصحب الأمير حسام الدين بن علي وكان مدرساً بالكلاسة وغيرها ودفنه حموه تقي الدين بن أبي اليسر بالجبل عند قرابته وجده رحمهم الله.

وجاء الخبر إلى دمشق بالتقاء التتار لعنهم الله المقيمين على بلاد الموصل بعسكر الأمير برلو من المسلمين وجرت بينهم مقتلة عظيمة قتل فيها من أعيان فرسان المسلمين سنجرجكم الأشرفي وابنه، وبكتوت الحراني وغيرهم.

وفيها: يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب توفي نقيب الأشراف الطالبيين بدمشق وهو: بهاء الدين علي من بني أبي الجن، وتولى بعده النقابة الفخر بن النظام البعلبكي، وفيها: يوم الخميس خامس وعشرين رجب توفي الشيخ عبد الرحمن بن خطيب إربل الذي كان ساكناً بمنارة جامع دمشق الشرقية رحمه الله.

وجاءنا الخبر من مصر بوفاة القاضي المكين بن كامل في نصف رجب، ومن تل السلطان بحلب بوفاة عز الدين أيبك المحيوي عتيق محيي الدين بن المدرس وزير الجزيرة. وكان شاباً ذكياً فاضلاً حسن الخط وكان يقرأ علي في صغره بمصر شيئاً من العربية رحمه الله.

وفي هذه السنة نظر في أمر أئمة المساجد بدمشق فمنعوا من الاستنابة ورجع على بعضهم بما كان تناوله إذ لم يقم بالوظيفة. منهم التاج الشحرور، والجمال الموقاني، وابن بنت غانم، وابن عبد السلام وغيرهم ونقص كثيراً من جامكياتهم المقررة وكان المتولي لذلك والي الشرطة بدمشق وهو الافتخار إياز، وكان شيخاً كبيراً ولي دمشق في أول هذه السنة ومكن من النظر في المساجد فجرى ما جرى، وأمر أهل الأسواق بالصلاة وعاقب من تخلف عنها، وكان يخدمه شخص من أبناء الحنابلة يعرف بالفخر بن الصيرفي وله مسجد بقبة اللحم له فيه كل شهر ستون

درهماً وتركه بحاله لم ينقصه من جامكيته مع نقص غيره فقال فيه بعض أئمة المساجد: [مجزوء الكامل]

يا والياً متزهداً ... متحنبلاً بتصلف
لم لا تساوي بالمساجد ... مسجد ابن الصيرفي

فأجابه آخر على لسان الوالي لما كان مهتماً بمراعاة الحنابلة فقال: [مجزوء الكامل]

قال الأمير الحنبلي ... جواب من لم ينصف
أنا مبغض للشافعي ... والمالكي والحنفي
فلذاك أقصدهم ... وأرعى جانب ابن الصيرفي

وفي شعبان توفي الحاج أبو بكر بن بطيخ التاجر برحبة دمشق.

وفي هذه السنة سار عسكر الشام مع من قدم عليهم من عسكر مصر ونزلوا على مدينة أنطاكية فشعثوا منها، ثم جاءهم أمر من مصر بالرحيل عنها فرحلوا ودخلوا دمشق في سلخ شعبان.

وفي التاسع والعشرين من شعبان توفي النجم إبراهيم بن الضياء يوسف بن خطيب بيت الأبار وكان من الشهود المتصرفين بديوان السبع رحمه الله.

[نزول التتار على مدينة الموصل وحصارها]

وفي أول هذه السنة نزل التتار لعنهم الله الذين كانوا هربوا من الشام مع من انضوى إليهم من المفسدين على مدينة الموصل فحصروها إلى شعبان؛ ثم جاءنا الخبر بأنهم دخلوا وفتكوا فيها على عادتهم وملكوها وقتلوا وأسروا صاحبها ابن لؤلؤ. وجاءنا الخبر بأن الخلف وقع بين التتار ببلاد العجم وموت ملكهم الأكبر، وانتصار بركة على هولاكو لعنه الله.

وفي النصف من رمضان وقع بدمشق إرجاف عظيم من جهة التتار وتجهز الناس منها للهرب إلى الديار المصرية وباع الأمراء حواصلهم حتى حواصل القلعة وتهيؤوا للهرب. والزم ولاة الأمر كبراء دمشق بالرحيل بأهاليهم إلى مصر ورسموا عليهم بذلك، وضيقوا عليهم بسببه، وألزموا أرباب الدواوين المتصرفين لهم بإرسال نسائهم إلى مصر وبقائهم في خدمتهم في دمشق سواء في ذلك القادر والعاجز، وألزموا جمعاً كبيراً بذلك من أهل الأسواق الذين بالقيسارية الفخرية والخواصين وغيرهما من جماعة من صناع القواسين وغيرهم. وأطلقوا أصحاب الفراسين وكل من كان بينه وبين التتار تعلق وخرجوهم إلى مصر كرهاً. منهم: القاضي التفليسي، وابن عنتر، وقيدوا جماعة

منهم مثل: ابن اللبودي، وابن المسلم، وابن الأردني وجفل الناس من حمص وحماة وغيرهما إلى دمشق، ورحل من دمشق في نصف شوال فما بعده قفل كبير إلى مصر بعد قفل وأخذ بعضهم في الطريق وجرح بعض، وكان الماء عليهم في الطريق قليلاً والحر شديداً، وبلغنا أن مثل هذه الإرجاف وقع أيضاً في بلاد العدو من التتار، وفي بلاد الفرنج أيضاً، وفي الديار المصرية.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: توفي جمال الدين الواسطي الساكن بالعزيزية وكان يصلي بها التراويح رحمه الله، وفي أوائل شوال قتل الشيخ اسكندر الواسطي بقرية زملكا من حرامية نزلوا عليه رحمه الله. وفي شوال أيضاً توفي حميد الأخرس بن أبي الفتح، وتوفي فيه خميس الخفير الذي كان بمقبرة باب الفراديس.

وفي سلخ شوال توفي عز الدين عبد العزيز ابن الشيخ شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزي الواعظ الحنفي[1] وكان قد درس مكان أبيه بعده بالمدرسة العزيزية التي فوق الميدان الكبير رحمه الله ودفن في مقبرة أبويه بجبل قاسيون، وفي أوائل ذي القعدة توفي العفيف بن الوزار.

[وصول عز الدين الدمياطي إلى دمشق]

وفيها: في ثالث ذي القعدة وصل من مصر إلى دمشق عسكر مقدمه الأمير عز الدين الدمياطي وبكر للدخول إلى دمشق فخرج الناس يتلقونه وفيهم الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري نائب السلطنة بدمشق فلما وصل إليه وأهوى أن يكارشه على ما جرت به عادة الملتقين قبض الدمياطي بيده الواحدة عضد طيبرس وبيده الأخرى سيفه وأنزله عن فرسه وأركبه بغلاً وشده عليه وقيده ثم تركه بمصلى العيد فلما دخل الليل وكل به وسيره إلى مصر وكان القبض عليه عند ذيل عقبة شحورا وهرب من خرج معه من أصحابه، ثم استخرجت أمواله التي تبقت بعد ما سير منها ما كان سير مع العرب وقبضت حواصله. وكان طيبرس المذكور قد أهلك أهل دمشق بإخراجهم من بلدهم والترسيم على الأكابر بإخراج عيالهم وبأنفسهم وإهانتهم وضيق على الناس بتمكين العرب من شراء الغلال من دمشق وتخويف الناس من التتار، وكان البدوي يجلب الجمل ويبيعه بأضعاف قيمته ويشتري به الغلة رخيصة لأن الناس بين خائف يبيع حاصله ليتجهز به ومحتاج إلى الجمال لسفره وبين من هو موكل عليه

---

(١) هو عز الدين شيخ الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن يوسف بن قزأوغلي. انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٧٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠١.

ليسافر ولا بد فهو مضطر إلى كل ذلك وبلغ كراء الحمل بالمحارة من دمشق إلى مصر نحو مائتي درهم والحمد لله على كشف تلك الشدة.

وفي الخامس من ذي القعدة مات الأمير المعروف بالأصبهاني مخموراً.

[الحرب بين هولاكو وبركة]

وفيها يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة وصل إلى دمشق من عسكر التتار لعنهم الله نحو مائتين ما بين فارس وراجل بنسائهم وصغارهم هاربين إلى المسلمين. وذكر أن سببه أن عسكر هولاكو كسره عسكر ابن عمه بركة[1] فهرب جماعة هولاكو وتشتتوا في البلاد فقصد كل طائفة جهة وتوجهت هذه الطائفة إلى بلاد الشام ففرح المسلمون لهذا الخبر وزال عنهم ما كانوا فيه من الغم بسبب الأخبار السابقة التي أوجبت إن جفلوا إلى مصر، وأخبر بعض هؤلاء المنهزمين أن ملك التتار الأعظم منكوخان توفي وقام بالملك بعده أخوه الأصغر غزي بكو وكان الأخ الأكبر قبلاي غائباً بالهند فأنف وقصد أخاه بعسكره فتقابلا ونصر بركة لغزي بكو فكسروا عسكر قبلاي فلما سمع هولاكو عز عليه وكره تملك غزي بكو وجمع العساكر وقصد بركة وسار بركة إليه ونزل في أرض الكرج ونزل هولاكو بصحراء سلماس وخوي.

وأخبرني من أثق به عن من يثق به أنه اجتمع ببعض غلمان من كان في أسر التتار من الأمراء أنه أخبر بحضرة الأشرف صاحب حمص أنه حضر كسرة بركة لهولاكو وقال: كان جيش بركة قد كسر عسكر هولاكو الذي سيره مع ابنه وقتل ابنه فجمع هولاكو بقية من قدر عليه من عساكر وسار إلى بركة فلقيه بناحية شروان فقتل من الفريقين خلق عظيم ووقعت الكسرة على عسكر هولاكو فبقي السيف يعمل فيهم أياماً وهرب هولاكو إلى قلعة بلا وهي في وسط بحيرة بأذربيجان فدخلها وقطع الطريق إليها فبقي كالمحبوس فيها.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: في ثامن ذي الحجة توفي الأمير سيف الدين بلبان المعروف بالزردكاش[2] الذي كان استنابه طيبرس موضعه بدار العدل وعلى دمشق لما سافر إلى حصار أنطاكية وكان ديناً خيراً يحب العدل والصلاح رحمه الله.

وفيها: جاء يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة جماعة من المسلمين أعرف بعضهم معهم شيخ زعموا أنه نصراني معروف ببيع اللحم بدمشق وأنه رأى رؤيا وقد جاء

---

(١) بركة الملك المغولي المسلم حاكم ما وراء القوقاس وصديق الظاهر بيبرس.

(٢) هو بلبان بن عبد الله سيف الدين الزردكاش. انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ١٦٥.

مسلماً فأخبرني أنه رأى النبي ﷺ ليلة الجمعة جاءه وكان مضطجعاً من أثر مرض فقال له: قم واخرج من الضلالة إلى الهدى ومر إلى أبي شامة واسلم على يده وأخبره أن الملك الأشرف يعني صاحب حمص يملك بلاد سيس ويهلك العدو بها، وإن صاحب مصر في السنة الآتية يهدم عكا ويملكها وتكون أنت تخدم مسجد صالح بها، ثم ارتفع ﷺ إلى نحو السمّاء وهو في صورة لا أقدر أصفها ولا أشبهها بالقمر ولا الشمس هي أكمل من ذلك وأتم. فقلت إلى أين يا رسول الله؟ قال: أسأل ربي في الناس نصرهم على الكفرة أو كما قال. قال: فانتبهت وبقيت في حيرة من أمري فلما كان ليلة السبت رأيت مثل ذلك المنام، ثم ليلة الأحد كذلك ثلاث ليال متوالية ثم صممت على الدخول في الإسلام فسألت عن من يقال له أبو شامة من المشايخ فدلوني عليك. فأمرته، بالإسلام فأسلم والحمد لله رب العالمين.

وفيها: توفي البدر أحمد بن شرف الدين عمر بن السابق بأرض نابلس رحمه الله. وفي أواخر ذي الحجة توفي العز التاجر المعروف بابن مشرف ويلقب بابن الجرذان. ووجد النظام قيس بن العربيني مقتولاً بالصالحية وكان هذا المذكور ذكر عنه أنه قتل زوجة له وغيرها. وهو: أبو سعيد قيس بن عثمان بن عمرو بن كامل هبة بن علي الأنصاري وعربين قرية بغوطة دمشق. وقدم إلى دمشق والياً عليها من جهة مصر الأمير جمال الدين آقوش المعروف بالنجيبي ورحل علاء الدين التركي إلى مصر، وتولى عز الدين بن وداعة الوزارة على الدواوين وما يتعلق بها، وتولى نظر الدواوين شمس الدين بن علان وانعزل عنه شرف الدين بن الوزان وتحرك سعر الغلة في أواخر هذه السنة، وطابت الأخبار من جهة التاتار والحمد لله.

[الخطبة باسم الخليفة الحاكم]

ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمائة[1]

وسلطان الديار المصرية والشامية الملك الظاهر بيبرس الصالحي المعروف بالبندقداري ولا خليفة للناس يذكر بل السكة تضرب باسم المستنصر بالله على ما كان الأمر عليه. والنائب بدمشق عن السلطنة جمال الدين آقوش النجيبي وقاضيها شمس الدين بن خلكان.

وفي خامس المحرم توفي الزين بن أبي طالب الفراش صهر المجد بن سني الدولة وكان يتولى الدواوين مع الأمراء وغيرهم.

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧، والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٧ ـ ٢٠١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩، وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٨٦ ـ ٢٢٩.

وفيها: يوم الجمعة سادس عشر المحرم خطب بجامع دمشق وسائر الجوامع للخليفة الحاكم أبي العباس أحمد بن الحسين بن الحسن من أولاد المسترشد بتوقيع بقلعة القاهرة ومصر في ثامن المحرم من السنة التي كان سافر إلى مصر.

وفيها: جاءنا الخبر بأن صاحب مصر بايع له وأمر بالخطبة له في البلاد. وفي ليلة الأحد ثالث صفر سمر شاب ذكر أنه كان يرسل زوجته وتدخل في بيوت النساء فتحسن للمرأة الخروج معها لابسة أفخر ثيابها وحليها وتشوقها بأن تقول لها ههنا عرس أو وليمة وقد اجتمع فيه جماعة من النساء الأكابر فلا تتركن من الزينة شيئاً ليحصل لك التجمل بينهن فتفعل تلك المغرورة أقصى ما تقدر عليه وتخرج معها فتجيء بها إلى بيت زوجها فيأخذ جميع ما عليها ثم يخنقها ويرميها في بئر في داره فعل ذلك بجماعة من النساء، وهو نظير ما فعله شخص يعرف بالمكحلة في سنة ثمان وعشرين وستمائة وسمر وبقي أياماً ومات. ثم هتكه الله تعالى فأخذ هو وامرأته فضربا فاعترفا، فأما المرأة فخنقت وجعلت في جولق وعلق الجولق تحت الخشب الذي سمر عليها. فأصبح الناس يوم الأحد فوجدوا الجولق المعلق والرجل المسمر خارج باب الفرج على يسار الخارج من الباب وكان الزمان في سابع عشر كانون الأول وسمر وهو في ثوب واحد خلق مكشوف الرأس فبقي ليلتين ويوماً.

وفي اليوم الثاني خنق بطرف الحبل وربط في الخشبة التي سمر عليها وكان أبوه حياً وهو رجل حسن يعرف بعلي الصانع له ثروة وقدر بين الناس وجده أيضاً حي. وتوفي ذلك اليوم نصر الفراش بالتربة العادلية سقط من سطح فمات رحمه الله. وفي العشرين من صفر توفي أبو الحرم العطار بباب البريد وهو ابن البدر بن مسلم العطار باللبادين.

[قصيدة للمؤلف في شرح الحال]

تمام حوادث سنة إحدى وستين وستمائة فيها نظمت قصيدة في شرح الحال وكنت قد اشتغلت بزراعة ملك لي وعمارته فانقطعت عن المدرسة فعوتبت فقلت: [الخفيف]

أيها العاذل الذي إن تحرى	قال خيراً ونال بالنصح أجرا
لا تلمني على الفلاحة واعلم	أنها من أحل كسب وأثرى
كيف لا ألزم الفلاحة باقي	عمري لا زال حصداً وبذرا
وبها صنت ماء وجهي عن الناس	جميعاً وعشت في القوم حرا
إذ بها صار منزلي ذا غلال	مع عيال من بعد ما كان قفرا

مشبع الأهل والأقارب والالـ ـزام منها فليس يشكون فقرا
ولكم واقف ببابي يعطي صدقات من الغل وبرا
كم فقير وكم يتيم وكم أرملة نال من نصيبي وفرا
وكذا الطير والبهائم ترعى من زروع ومن ثمار تترى
كل ذا فيه الأجر جاء أحاديث بهذا الذي الأئمة تقرا
اتخذ حرفة تعيش بها يا طالب العلم إن للعلم ذكرا
لا تهنه بالاتكال على الوقـ ـف فيمضي الزمان ذلاً وعسرا
إنما تحصل الوقوف لشريـ ـر ونذل من العلوم مبرا
أو لمن يلزم الأكابر لا يـ ـبرح في خدمة لهم ومدح وإطرا
طالباً جاههم مجيباً إلى كـ ـل أمور لهم عكوفا مصرا
فترى قاضي القضاة ومن يذ كر درساً يرعاه سراً وجهرا
قاصداً قربه فيصغي إليه فاعلاً ما يريد نفعاً وضرا
والضعيف المشغول بالعلم يلقى من ولاة الوقوف هجراً وهجرا
وهو المستحق لو أبصروا الحـ ـق ولكن غموا فيا رب غفرا
إنما كانت المدارس عوناً لأولي العلم حسب في الناس طرا
درست في زماننا إذ تولا ها أولو الجهل والحماقة قهرا
قربوا شبههم وأقصوا وآذوا حامل العلم أسكنوه قبرا
وتراهم لا يحزنون لهذا أنهم في الضلال والغي سكرا
يا له منصباً تداوله من ليس أهلاً له دهاء ومكرا
جعلوا موضع المفقه والمر شد من لا يدري وفي الشر يدرى
وأولوا الأمر المالكون يظنو ن صواباً فيهم وخيراً وطهرا
فإذا ما رأوهم هكذا كا ن لهم فعلهم على الظلم إغرا
ويظنون كل صاحب علم هكذا فعله فيجعل جسرا
فعليك المعاش يا طالب العلم ولا تترك المعيشة كبرا
واقتنع بالذي تسهل واشكر تجد الرزق فاض فيضاً ودرا
واترك الوقف إذ جرت صورة الأمـ ـر كذا بينهم فبئس المجرا
اجتنب فعلهم توكل على الحـ ـي الذي لا يموت واسأله سترا
كن أبياً لما يشين أما تأ نف من أن يكون عيشك يزرى

إذ يـقـال الأوقـاف أوسـاخ الأمـوا ... ل كـوقـف الـزمـنـى ووقـف الأضـرا
والـمـسـاكـيـن والـيـتـامـى فـكـل ... صـدقـات مـنـهـا الـلـبـيـب تـبـرا
لا يـرى أنـه يـشـارك ذي الأصـ ... ـنـاف فـيـهـا يـعـيـش عـيـشـاً مـرا
فـجـفـاهـا مـع أنـه مـسـتـحـق الـ ... ـوقـف مـا يـسـتـغـل مـنـه ويـكـرى
فـدع الـعـجـز يـا أبـي إذا أنـ ... ـصـفـت في الفكر لم تجد لك عذرا
لا تـزاحـم ولا تـكـاثـر بـمـا تـأخـذ ... مـنـه فـقـد عـرفـت الأمـرا
وإن احـتـجـت خـذ كـفـافـاً يـكـره ... وبـعـزم أن لا يـدوم الـعـمـرا
كـان مـن قـبـلـنـا أئـمـة هـذا الـد ... يـن والـوقـف بـعـد ذاك اسـتـقـرا
لـم يـكـن ذاك مـانـعـاً طـالـب الـعـلـم ... مـن الـعـلـم فـاقـف ذاك الأثـرا
مـعـطـيـاً كـن ودع مـن الـوقـف أخـذا ... إن يـد الإعـطـاء أعـلـى وأرفـع قـدرا
صـدقـات الـوقـوف يـنـفـر مـنـهـا ... كـل حـر تـأتـيـه صـفـواً ويـسـرا
كـيـف حـال الـذي يـذل لـهـا ... بـالـقـول والـفـعـل كـي يـحـصـل نـزرا
دائـبـاً فـي الـتـردد آت صـفـيـق الـ ... ـوجـه عـنـد الـلـقـاء شـيـئـاً أمـرا
ذاهـب الـعـمـر في الـنـفـاق وفـي الـ ... ـخـدمـة لا يـألـى ذهـابـاً ومـرا
بـائـعـاً ديـنـه بـدنـيـا غـيـره ... لـقـد خـاب بـائـع الـديـن خـسـرا
لا حـيـاء لـه ويـطـلـب مـا لـيـس ... بـحـق لـه لـقـد جـاء نـكـرا
فـلـهـذا اعـتـزلـت يـا رب تـمـم ... مـا بـه قـد مـنـنـت أنـك أدرى
ثـم لـو لـم يـكـن تـصـدق بـالـوقـ ... ـف لـقـد كـان الـبـعـد عـنـه أحـرى
حـيـن قـد صـار الأخـذ مـنـه يـسـمـى ... مـنـصـبـاً فـيـهـم يـبـاع ويـشـرى
فـتـعـاطـاه صـاحـب الـمـال والـجـاه ... فـزال الـمـقـصـود مـنـه وضـرا
وأقـامـوه فـي الـمـواريـث حـتـى ... أخـذوه إرثـاً صـغـاراً وكـبـرا
وغـدا الـمـسـتـحـق حـيـران نـدمـا ... ن مـن الـغـبـن يـنـظـر الـعـيـش شـزرا
ثـبـت الله بـعـضـهـم بـغـنـى الـنـفـ ... ـس فـلـم يـكـتـرث وقـد عـاش دهـرا
حـب هـذه الـدنـيـا أصـم وأعـمـى ... أخـذ الـوقـف أغـنـيـاء وأغـرى
وأولـو الـلـب والـعـقـول يـرون الـ ... أخـذ مـنـه مـع الـغـنـى عـيـن إزرا
والـفـقـيـر الـحـريـص مـنـهـم مـكـد ... وكـذا مـن يـسـألـهـا مـع الإثـرا
غـيـر أن الـفـقـيـر يـعـذر فـيـهـا ... والـغـنـي الـغـبـي يـرمـى ويـذرى
عـجـبـاً مـن مـدرسـيـن قـضـاة ... يـتـبـارون فـي الـلـبـاس بـطـرا

وهم في نفوسهم في عظيم يركبون البغال عزاً وزهرا
حق كل منهم يكون حزيناً إن أجاد المعنى وأحسن فكرا
أبدا ذا يعيش بصدقات الـ ـناس باسم الوقف لا يتبرا
وعليه من الشروط تكاليف فإن لم يقم بها فهو أدرى
كم رأينا مدرساً ومولى حقه أن يكون منه معرا
ضحكة للورى المدرس والحا كم تلقى وليس يحسن يقرا
يا لها وصمة على أهل ذا الـ ـعصر يكفيك ما رأيناه خبرا
إن منهم من كان يلثغ بالقاف ومنهم من كان يلثغ بالرا
وهما من أماثل القوم فاعجب واعتبر وانشر الغرائب نشرا
والذي ألبس القباء ذا الكـ ـنة والظالم المردي المهرا
والذي كاتب التاتار ومن سار إليهم قصداً فأثنى وأطرا
والذي قد أتى الفواحش واستكبر فاسأل ماذا جرى إذا تجرى
والذي ميله إلى نظم دو بيت وتقريب من يذاكر شعرا
وله في أكل الحشيشة رأي وافق الفرع فيه ليلاً وفجرا
ولديه أبو الفوارس مهتر بما رمى الشباب عجباً وسكرا
فتولى المناصب والأشياخ قـ ـد عطلوا فيشكون صغرا
ورعاه العدل الرضي حاضراً مجلس الإثبات شاهداً مستمرا
قائلاً ذا أثنى عليه بنو علـ ـان والأقربون أولاد صصرا
قيل لا تعتمد عليهم لهم أغـ ـراض سوء زوراً وبهتاً ووزرا
عد واسأل سواهم تعرف الحـ ـق فإذ أعذرتني نلت إصرا
أنت في حق غيره واقف إن كنت بالشام أو تفارق مصرا
عجباً ما نراك به توقف لقد بث أمره منك سرا
كلما قلت دولة الحاكم الجابر زالت قامت علينا أخرى
وتصدوا لأكل الأوقاف حتى ذمهم عارفوه نظماً ونثرا
فلذا صارت المعيشة أولى بأولي العلم والصلاح وأحرى
ولقد كنت قبلها من غنى النفس ملياً فالحمد لله شكرا
بيد أني أنفت من صدقات الفقه شبهتها بوقف الأسرى
وتأنفت من مزاحمة النذ ل عليها يرى الوقاحة فخرا

فتمنيت مذ زمان أرى رزقي عنها بمعزل فاستدرا
بارك الله في المعاش كما شاء له الحمد إذ بدا واستمرا
فأنا اليوم أنزه القوم نفساً بخلاصي منهم وأروح سرا
حسدتني جماعة قال منهم قائل ذا ومن أين أثرى
ويحهم ربنا هو الرزاق يعطي قلا ويعطي كثرا
عنده الملتقى فيا خجلة الـ ـمغتاب والمفتري الذي هو أجرى
ما يبالي ماذا يقول سنجزي في غد حين يحشر الناس حشرا
ولئن قلت الأصل كان من الوقـ ـف فما ضر ذا ولا بي أزرى
سبباً كان إنما اتجه اللوم على من على الوقوف أصرى
كسلاً غير عاجز عن معاش فهو كل على الورى ليس يبرى
صانني الله عن مزاحمة القوم على منصب فيا رب صبرا
يا رب سلم فيما تبقى ولا تحوج إلى من يستعبد الناس قسرا
فتراهم لأجل حاجتهم بين يديه في قضية الذل اسرا
أقرب الناس عنده ذو نفاق حين يسقيه من محال الاطرا
من يخالف يقضي ومن وافق القوم يكن مثلهم فحسبك شرا
جملة الأمر ذا فكم قد سررنا وشرحنا بما ذكرناه صدرا
كل من كان منصفاً عرف الحـ ـق فقد شاع الأمر براً وبحرا
عد أبياتها هنيدة عمرة بأعدادها وطولت عمرا
وأرى أنها ستزاد عشرا في أمور جرت وعشراً وعشرا

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي أول صفر من سنة إحدى وستين وستمائة توفي بديار مصر شرف الدين محمد بن أحمد بن عنتر الدمشقي[1] الذي كان محتسباً بدمشق في أيام التاتار، وهو وأبوه من أولي الثروة بدمشق ومن المعدلين فيها رحمه الله.

وفي ثاني ربيع الآخر توفي البرهان الطويل المتصرف في الدواوين كان عاملاً بديوان الجامع تارة، وبالحشرية أخرى، وبديوان المدارس المحدث في الأيام المعظمية وبعدها رحمه الله.

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٠، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١.

وفي الرابع والعشرين منه توفي النجم الكحال بن الصفي العبادي فجأة، كان أبوه مقرئاً حسناً ضريراً وتعلم هو وأخوه قبله صناعة الكحالة فبرعا فيها وتوفي أخوه قديماً فبقي هو كحالاً باللبادين، ثم بالبيمارستان.

وفي رابع جمادى الأولى توفي عبد العزيز المغربي إمام مسجد الجورة بالعقيبة رحمه الله. وفي الرابع والعشرين منه توفي العدل جمال الدين بن القلانسي ابن أخي المؤيد رحمه الله. وقبله توفي الجمال الأنباري الساكن بالجامع بالمنارة الغربية الحنبلي له سماعات كثيرة من عبد القادر الرهاوي وغيره، وهو الذي كان يصلي بالمتأخرين صلاة الصبح بالجامع فيطيل بهم إطالة مفرطة خارجة عن المعتاد بكثير إلى أن تكاد تطلع الشمس وهو في تطويله لا يتركه كل يوم رحمه الله.

وفي سابع رجب توفي العالم المغربي النحوي وكان معمراً مشتغلاً بأنواع العلوم على خلل في ذهنه، واسمه: أبو محمد القاسم بن أحمد بن السداد اللورقي[1] هكذا رأيت نسبه بخط مشايخه الذين قرأ عليهم بالمغرب ابن الحصار وغيره، وكان هو لا يكتب ابن أبي السداد ويجعل مكانه الموفق وكان أبا السداد كنيته الموفق ولورقة بليدة من أعمال مرسية ودفن من الغد في مقابر باب توما قريباً من قبر الشيخ رسلان رحمه الله.

وفي سادس عشر رجب توفي العماد مظفر بن البهاء علي بن الحسن من بني سني الدولة وهو ابن عم الصدر أحمد بن يحيى القاضي وكان من عدوله رحمه الله.

وفي السابع والعشرين من رجب توفي الشهاب بن الضياء[2] الكاتب للشروط بباب الجامع الشرقي ويعرف بأجير البهاء لأنه كان يخرج في كتابة الشروط بالشريف بهاء الدين عبد القادر بن عقيل العباسي كاتب الحكم للزكي الطاهر وبعده إلى أن مات وكان فريد وقته في ذلك فبرع هذا الأجير حتى كان الفقيه عز الدين بن عبد السلام يفضله على كتاب عصره فنفقت سوقه رحمه الله.

وفي ثالث عشر شعبان توفي الشيخ الياس الأربلي[3] الذي كان يكون مقيماً

---

(١) هو أبو محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بن جعفر المرسي اليورقي اللغوي النحوي، كذا في البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٠، وفي شذرات الذهب ٥/ ٣٠٧: العلم أبو القاسم والأصح أبو محمد القاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرسي اللورقي، نسبة إلى لورقة بلدة بالأندلس، وانظر أيضاً ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢١، وكشف الظنون ٥/ ٨٢٩.

(٢) في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢١: محمد بن عبد الرحيم أبو عبد الله، شهاب الدين المعروف بابن الضياء، ويعرف بأجير البهاء.

(٣) هو إلياس بن عيسى بن محمد الأربلي، انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٢.

بالجامع في رواق الحنابلة، ثم سكن جبل قاسيون وبه توفي ودفن رحمه الله.

وفي تاسع عشرين شعبان توفي الأمير مجير الدين خوشترين الكردي[١] وكان من أمراء مصر وحضر كسرة التاتار لعنهم الله بعين جالوت مع المظفر قطز رحمه الله وغزا يومئذٍ حتى فتح الله على المسلمين ودفن بالجبل وأبوه مات محبوساً مع عماد الدين بن المشطوب في بلاد الأشرف الشرقية.

وفي خامس عشر رمضان توفي العفيف الحنفي زوج الذهبية بنت الدميري جارتنا رحمه الله وتزوجت بعده علاء الدين أحمد ابن القاضي محيي الدين بن الزكي.

وفي السابع والعشرين من شهر رمضان ولد لي مولود ذكر سميته محمود، وكنيته أبا القاسم بكنية نور الدين بن زنكي الملك العادل رحمه الله وباسمه ولقبه جعله الله مباركاً صالحاً عفيفاً تقياً كما كان سميه رحمه الله، وكانت ولادته في الساعة السادسة من يوم السبت السابع والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وستين وستمائة بدار العطافية غربي المدرسة العادلية وذلك اليوم كان في شهر آب نحو أربعة أيام وهو زمان البطيخ الأصفر، وكسفت الشمس في غد ذلك اليوم بعد العصر من يوم الأحد الثامن والعشرين من رمضان.

وفي خامس شوال توفي الفخر أحمد بن إبراهيم الحنفي أحد مدرسي الحنفية من الشيوخ وكان أحد الشهود تحت الساعات ودفن من الغد رحمه الله.

وفي سابع شوال توفي الشرف يحيى بن المغربي الحاج الدقاق في الحنطة خال أخي محمد رحمه الله مات فجأة وكان قد عزم على وقف أملاكه على زاوية المغاربة ففاجأه الموت بغتة. ومن العجائب أن بعض معارفه مات قبله فجأة فجاءني وقال أريد تعجيل وقفي لملكي خوفاً من أن أموت فجأة كما مات فلان ثم أخر فمات فجأة كما ظنه وبالله التوفيق وفي سادس عشر شوال نظمت هذه الأبيات: [الطويل]

أيا لائمي ما لي سوى البيت موضع ... أرى فيه عزاً أنه لي أنفع

فراشي ونطعي فروتي فرجيتي ... لحافي وأكلي ما يسد ويشبع

ومركوبي الآن الأتان ونجلها ... لأخلاق أهل الدين والعلم أتبع

وقد يسر الله الكريم بفضله ... غنى النفس مع شيء به أتقنع

أوفره للأهل خوفاً يراهم ... عدو بعيش ضيق فيشنع

---

(١) هو أبو الهيجاء بن عيسى بن خشترين الأمير مجير الدين الأزكشي الكردي الأموي. انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٢.

واصبر في نفسي على ما ينوبني ... واطلب عفو الله فالعفو أوسع
وما دمت أرضى باليسير فإنني ... غني لغير الله ما كنت أخضع
وربي قد آتاني الصبر والغنى ... عن الناس في هذا إلى العز أجمع
وقد مر من عمري ثلاث أعدها ... وستون في روض من اللطف أرتع
ووجهي من ذل التبذل مقتر ... مقل ومن عز القناعة موسع
ومن حسن ظني أن ذا يستمر لي ... إلى الموت إن الله يعطي ويمنع
وإني لا ألجأ إلى غير بابه ... فأبقى كما قد قيل والقول يسمع
(نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع)
فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

وفي ذي القعدة توفي الشيخ الصالح صلاح الدين أبو زيد الدينوري[1] صاحب الشيخ عز الدين الدينوري وهو الذي بنى له زاوية بسفح جبل قاسيون غربي الجامع المظفري وصار لجماعة يذكرون الله عقيب صلاة الصبح بأصوات حسنة. ثم مات عز الدين وبقي الشيخ الصلاح يقوم بهذه الوظيفة بت عنده ليلة في الزاوية المذكورة رحمه الله. وكنت قد نظمت قبل ذلك أبياتاً في هذا المعنى وهي: [الخفيف]

صان ربي عن التبذل علمي ... فله الحمد بكرة وأصيلا
لم يشن بالسؤال وجهي بل ... بارك فيما أعطى فكان جزيلا
وغنى النفس والقناعة كنـ ... ـزان فكانا لما ذكرت دليلا
كم رأينا من عالم عز بالعلم ... وأضحى بالحرص منه ذليلا
أحفظ الله وابذل الفضل ... تغنم من غنى النفس عزة وقبولا
وتعرف إليه يعرفك في الشدة ... فاتبع فيما يقول الرسولا
يفعل الله ما يشاء فلا تسخط ... وكن راضياً زمناً قليلا
كل ما قد قضاه خير لمن ... آمن فاصبر عليه صبراً جميلا
وعد الصابرين خيراً فأيقن ... أنه كان وعده مفعولا

وفيها: في ثاني عشرين ذي الحجة توفي العز بن النشو الشاهد تحت الساعات، وفي الغد الثالث والعشرين توفي الشهاب تمام بن الحبوبي التاجر بالخواصين رحمهما الله. وجاءنا الخبر من ديار مصر بأنه مات في هذه السنة

---

(١) في البداية والنهاية ١٣/ ٢٠١: الشيخ أبو بكر الدينوري، وهو باني الزاوية بالصالحية.

بهاء الدين الضرير صهر الشيخ الشاطبي رحمهما الله. وشرف الدين بن السيسي يحيى بن فضل إمام المدرسة الصالحية رحمه الله وكان من أصحاب شيخنا أبي الحسن السخاوي رحمه الله بدمشق، وهو أول من أم بدار الحديث الأشرفية في زماننا ثم انتقل إلى القاهرة فأقام بالمدرسة الصالحية النجمية وكان عنده تعصب وكرم وله قراءة حسنة.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وستمائة[١]

ففي سابع المحرم توفي التقي أبو بكر البغدادي المقرئ الساكن بالمدرسة العادلية رحمه الله.

وفي تاسع عشره توفي الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي[٢] من غلمان العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين، وكان له أثر مذكور في كسرة التاتار خذلهم الله تعالى على أرض حمص المقدم ذكرها.

وفي عاشر صفر توفي بحمص الملك الأشرف بن المنصور ابن المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي[٣] وهم ملوك حمص وأعمالها كابراً عن كابر رحمه الله. وكان شاباً عفيفاً عما يقع فيه غيره من الشراب وله في كسرة التاتار الثانية على حمص أثر جليل.

وقبله بقليل توفي الزين خضر المعروف بالمسخرة كان من ندماء الأشرف موسى بن العادل وجاءنا الخبر بوفاة الكمال عريف الصاغة، والضياء النابلسي بمصر. وكان مولد النبي ﷺ ليلة الاثنين ثاني عشر ربيع الأول على قول الأكثرين فاتفق في هذه السنة أن كانت ليلة الثاني عشر من ربيع الأول هي ليلة الاثنين. وفي ذلك اليوم توفي النجم أحد القراءين بزي الجنائز وكان يؤذن بالمئذنة الغربية من جامع دمشق وهو شيخ كبير رحمه الله.

وفي يوم الجمعة سابع ربيع الآخر صلي بالجامع عقيب صلاة الجمعة صلاة

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٩ ـ ٣١٧.

(٢) هو الجوكندار العزيزي حسام الدين لاجين بن عبد الله، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١١، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠٤.

(٣) انظر ترجمته في شفاء القلوب ص٣٩٤، ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٠، السلوك ١/ ٥٢٢، تاريخ أبي الفداء ٣/ ٢٦٨، النجوم الزاهرة ٧/ ٢١٧، شذرات الذهب ٥/ ٣١١.

الميت الغائب بالنية على ضياء الدين علي بن محمد المعروف بابن البالسي[١] أحد كتاب الحكم المعدلين تحت الساعات وكان له اشتغال باستماع الحديث وكتابته، ثم سافر إلى مصر متحملاً لشهادة فتوفي بها رحمه الله تعالى ليلة السبت رابع صفر ودفن خارج باب النصر شرقي القاهرة.

وفي هذه الأشهر توفي بصرخد سيف الدين الروسي الذي ملكه بقرية بقربه رحمه الله. وكان شاباً حسناً شجاعاً. وفي حادي عشر ربيع الآخر توفي الشريف بن الطيوري الملقب بالجمال الذي كان نقيب القاضي الخويي، وفي ثاني جمادى الأولى توفي بمصر الرشيد العطار[٢] المحدث رحمه الله. وفي عاشر جمادى الأولى توفي الحاج نصر بن بردس[٣] التاجر بقيسارية الفرش وكان رجلاً موسراً ملازماً للصلاة بالجامع من أهل الخير رحمه الله ودفن بالجبل. وفي ثالث عشر جمادى الأولى توفيت الشيخة الصالحة عابدة[٤] المقيمة برباط زهرا خاتون وكانت امرأة عذراء مقعدة عمياء مشهورة بالخير والصلاح رحمها الله. وفي خامس عشر توفي الحاج محمد بن الحاج مسعود الذهبي رحمه الله.

وفيها: بعد صلاة الصبح من يوم الأحد التاسع والعشرين من جمادى الأولى توفي القاضي الخطيب عماد الدين عبد الكريم ابن القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد المعروف بابن الحرستاني[٥] رحمه الله وكان من أهل بيت قضاء، وعلم، وصلاح تولى قاضي القضاة في الأيام الأشرفية، وناب في القضاء عن أبيه في الأيام العادلية، وعن شمس الدين أحمد بن الخليل الخويي عام حجه، ثم تولى الخطابة بجامع دمشق، وتدريس الزاوية الغربية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية، واستمر ذلك له من الأيام الصالحية النجمية وقبلها إلى أن توفي بدار الخطابة ودفن في مقابر الجبل قريباً من أبيه وأهله وصلى عليه بجامع دمشق قاضي

(١) هو علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي، أبو الحسن ضياء الدين، ابن البانسي (كذا في شذرات الذهب) انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/٢٩٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣١٠.

(٢) هو الرشيد العطار الحافظ أبو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج القرشي الأموي النابلسي ثم المصري المالكي. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١١ ـ ٣١٢. ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٤.

(٣) في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٤: نصر بن تروس (بدل بردس) بن قسطة بن عبد الله الإفرنجي، أبو محمد العطوي الزكوي.

(٤) هي عابدة بنت الشيخة الصالحة. انظر ترجمتها في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٣٩.

(٥) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠٩ ـ ٣١٠، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٩٦.

القضاة بدمشق ابن خلكان وصليت أنا عليه إماماً ظاهر البلد تحت القلعة خارج باب الفرج، وكان يوماً مشهوداً حضر جنازته خلق كثير وانتشروا في تلك الصحراء الواسعة رحمه الله. وتوليت مكانه بدار الحديث الأشرفية وحضر عندي فيها أول يوم ذكرت الدرس فيها قاضي القضاة وأعيان البلد من المدرسين والمحدثين وغيرهم. وذكرت من أول تصنيفي في كتاب «المبعث» الخطبة والحديث، والكلام على سنده وفنه مع زيادات على ذلك من مكان آخر، وكان بحمد الله تعالى وحوله وقوته مجلساً جليلاً عليه سكون وإخبات وجلالة وإنصات من الحاضرين. ووقار من المستمعين، وعمل في ذلك بعض الأدباء أبياتاً منها: [الكامل]

العلم والمعلوم قد أدركته ... وسماعك البحر المحيط فحدث
وبعثت في دار الحديث بمعجز ... وابان له عنك افتتاح المبعث
مكثت به الألباب طائعة الندا ... والحسن من طرب به لم يمكث

وفي رجب توفي نور الدولة بن دحيرجان المنادي على الأشياء الضائعة، وكان قصيراً ظريفاً هو وأبوه من قبله ودارهم بالمطرزين خارج حصن جيرون معروفة بهم رحمه الله.

وفي ثاني عشر رجب توفي العفيف بن أبي الفوارس وكان شاباً حسناً تولى عمالة الجامع، وعمالة مخزن الإمام جمعاً له لحذقه بهذه الصناعة كما قيل رحمه الله. ودفن بالتربة التي أنشأها والده جوار الخانقاه الشبلية بسفح جبل قاسيون وكان أبوه قد أعد القبر لنفسه فدفنه فيه وهو المذكور في قصيدة الفلاحة الرائية.

وقبله بيوم في حادي عشر رجب توفي الأثير عبد الكريم بن ضياء الدين الحسين ابن القاضي الأشرف أحمد ابن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي رحمه الله بقرية البلاط ملك جده وأهله وحمل منها فدفن بجبل قاسيون وصلي عليه بعد صلاة الجمعة بجامع العقيبة المعروف بجامع التوبة، وهو أصغر أولاد الضياء وهم أربعة عريون عن الفضل خلاف ما كان عليه سلفهم. ثم توفي أخوه صدر الدين عبد الله في سلخ ذي القعدة من سنة اثنتين وستين وستمائة.

وفي الخامس والعشرين من رجب توفي الحكيم شمس الدين المعروف بطراز الشام الطبيب رحمه الله وفي حادي عشر شعبان توفي الزين يحيى بن بكران الجزري أحد المعدلين بدمشق وكان قبل ذلك تاجراً وتولى ديوان الحشر وغيره، وكان طلق المحيا، ظريف الحركات ودوداً رحمه الله ودفن بباب الصغير وعمه هو المعلم الجزري وكان شيخاً يسكن برأس درب التمارين في الصف الشامي من سوق العطارين الذي يلي قنطرة الحبالين. وكان يعلق الرماح وغيرها من آلات

الحرب بعرقه فوق رأس الدرب المذكور وكان إذا قدمت العساكر مع السلطان في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ومن بعده، أو قدمت الرسل من بغداد يتلقاهم مع الناس فوق رأسه مصحف كريم في كيسه يحمله وهو راكب ومات سنة[١].

وفي العشرين من شعبان توفي المحيي بن سراقة[٢] مغربي؛ عالم، دين، متواضع، كريم، حسن المحاضرة، كان نزل بحلب ثم عبر علينا بدمشق إلى مصر فتولى دار الحديث الكاملية بالقاهرة مع الزكي عبد العظيم وماتا رحمهما الله بعد ابن دحية.

وفيها: في التاسع والعشرين من شعبان توفي تاج الدين أيوب بن فخر الدين محمود بن عبد اللطيف بن سيما وكان أحد الشيوخ المعدلين بدمشق من أهل البيوتات بها وأبوه كان محتسب دمشق مدة ودفن على والده بالجبل وكان موته ببستانه عند طاحونة مقرى رحمه الله.

وفي ثاني شهر رمضان توفي بقرية كفر بطنا الشرف النميري المقيم بتربة قاضي كفر بطنا وكان يلقب نفسه زعيم غير، كان يكون عندنا بالمدرسة الأمينية ثم بالمدرسة الحسامية، وكان ينظم الشعر على طريقة المغرب رحمه الله.

وفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان صلى خطيب جامع دمشق بالناس عقيب صلاة الجمعة صلاة الجنازة على الشيخ محمد المعروف بالقباري شيخ مشهور بالزهد والورع بالإسكندرية كان يكون في غيط له وهو البستان وهو فلاحه يخدمه بنفسه ويأكل من ثماره وزرعه ويتورع في تحصيل بذره حتى بلغني أنه كان إذا رأى ثمرة ساقطة فيه تحت أشجاره ولا يشاهد سقوطها من شجره يتورع من أكلها خوفاً من أن تكون من شجر غيره قد حملها طائر فسقطت منه في غيطه رحمه الله. كنت اجتمعت به في آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة مع جماعة صادفناه وهو يسقي في جرار ماء من الخليج على حمار له يسقي به غيطه، وكان الماء في الخليج حينئذٍ قليلاً فأجلسنا إلى أن تم عمله ثم قدم لنا من ثمر غيطه وكذا كانت عادته مع كل من يزوره من الملوك وغيرهم. وأخبرني القاضي عبد المجيد بن الخليل أن موته كان في سادس شعبان وأن الأثاث المخلف عنه لو كان لغيره قيمته نحو خمسين درهماً فبيع بنحو عشرين ألف درهم تزايد الناس فيه رجاء البركة حتى في الإبريق الذي كان يتوضأ فيه.

---

(١) بياض بالأصل.

(٢) هو الإمام محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الشاطبي، المعروف بابن سراقة. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٠٢، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٤.

وفي يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان صلى خطيب جامع دمشق عقيب صلاة الجمعة صلاة الجنازة على الشيخ شرف الدين عبد العزيز ابن شيخ الشيوخ(١) بحماة ومات بها رحمه الله. وكان شيخاً فاضلاً حسن الصورة والمحاضرة وله نظم حسن في مدح النبي ﷺ وغيره. وقرأ على الشيخ أبي اليمن الكندي وسمع عليه وعلى ابن كليب سمع عليه جزء ابن عرفة مراراً وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان من سنة اثنتين وستين وستمائة رحمه الله.

وفي الثامن والعشرين من شهر رمضان توفي محيي الدين عبد الله بن صفي الدين إبراهيم بن مرزوق(٢) بداره بدمشق المجاورة للمدرسة النورية رحمه الله.

وفي ثالث شوال توفي النظام النصيبي وكان من أهل القرآن والفقه ومن المعدلين بدمشق وهو ابن أخت الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة رحمهما الله.

وفي أواخر رمضان ظهر في الشرق كوكب ذو ذنب في الأفق نحو الغرب في منزلة الهنعة وكان الفجر يومئذٍ يطلع في الدراع والنثرة وبقي يطلع كل يوم قبل الفجر خلف النجم المعروف بكوكب الصبح ثم صار يتقدم كل يوم قليلاً إلى أن صار يبدو مرتفعاً عن كوكب الصبح وبقي ضوء ذنبه ظاهراً ولم يتغير موضعه من منزلة الهنعة بعده منها إلى جهة المشرق نحو رمح طويل ويبقى ظاهراً ثم يرتفع بارتفاعها، ويسري لسيرها ثم يقرب من منزلة الهنعة ثم بقي في أوائل ذي القعدة إلى أن يغلب عليه ضوء الصباح فيغيب. وكان يظهر له قبل بروزه شعاع كثير في جو السماء، وظهر أيضاً من قبل المغرب بشمال بعد العشاء الآخرة من ليال عدة في أواخر رمضان وأوائل شوال خطوط مضيئة كهيئة الأصابع مرتفعة في جو السماء واحمرت الشمس في آخر الرابع من شوال قريب مغيبها وذهب ضوؤها بحيث توهم كثير من الناس أنها كسفت وغربت وهي كذلك، ولما كان عند العشاء الآخرة أصاب القمر مثل ذلك ليلة الخامس من شوال بحيث توهم أنه كسف.

وجاءنا الخبر من مصر بموت العز السركسي رحمه الله، والفخر المصري في يوم واحد، وتوفي في الحادي والعشرين من شوال الشمس النابلسي جابي المدرسة الحسامية والشامية، وجاءنا الخبر من حلب بموت قاضيها كمال الدين أحمد ابن القاضي زين الدين ابن الأستاذ وكان تولى قضاءها بعد أبيه فبقي على ذلك إلى أن

---

(١) هو شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري الدمشقي ثم الحموي الشافعي الأديب. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣٠٩، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٣٩.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٣.

أخذ التاتار حلب فنكب مع من نكب وجاء بأهله إلى دمشق وخرج إلى مصر فبقي فيها إلى هذه السنة فرجع إلى حلب فتوفي بها رحمه الله في خامس عشر شوال وكان فاضلاً وابن فاضل وجده من الصالحين وجمع كتاباً في شرح الوسيط كان تعب فيه أبوه من قبل.

وجاءنا الخبر أنه وصل إلى ديار مصر رسل الملك بركة يوم الأحد سادس ذي القعدة ومعهم الأشرف ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن العادل صاحب ميافارقين بما يسر الإسلام وأهله.

وفي رابع عشر ذي القعدة توفي بدمشق الشيخ أبو الخير صاحب الشيخ طي رحمه الله. والشيخ شعيب الساكن بالجبل معرفة بني سني الدولة رحمه الله. وجاءنا الخبر من مصر بوفاة الفخر المصري عثمان المعروف بعين عين رحمنا الله وإياه، ثم توفي بدمشق الجمال بن بدر بن نحلة.

وفي السابع والعشرين من ذي القعدة توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي البكري المراكشي والد علي وعبد الرحمن جد حسن رحمه الله ودفن بالصوفية، وجاءنا الخبر بوفاة جمال الدين هلال بن حجاج وكان ينوب في الحكم مدة سنين بالأعمال الحلبية وغيرها رحمه الله.

وفي يوم السبت ثالث ذي الحجة توفي من أهل دار الحديث الأشرفية شيخان أحدهما: جمال الدين يوسف بن يعقوب الأربلي الذهبي ابن أخي العز الأربلي وكان له سماعات كثيرة من حنبل، وابن طبرزد، والكندي، والقاضي الحرستاني وغيرهم: والأخير جمال الدين الغماري المالكي رحمهما الله. وفي ثامن عشر ذي الحجة توفي الشمس الوتار الموصلي وكان قد حصل شيئاً من علم الأدب وخطب بجامع المزة مدة رحمه الله وأنشدني لنفسه في الشيب وخضابه: [الطويل]

وكنت وإياها مذ اختط عارضي كزوجين في جسم وما نقضت عهدا
فلما أتاني الشيب يقطع بيننا توهمته سيفاً فألبسته غمدا

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة[1]

ففي العشرين من المحرم توفي علاء الدين قرابة صاحب حماة والعفيف بن

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٣١٢ ـ ٣١٤، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣١٠ ـ ٣١١، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٧ ـ ٣٦٠.

السعردي ضمير التاج الإسكندري. وفي سادس عشرين منه توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن[١] العراقي وكان صالحاً ديناً منقطعاً بجامع دمشق يقرئ القرآن ويجتمع به أهل العلم قبالة اللازوردة على يمين باب دار الخطابة مستنداً إلى سارية الرواق الأوسط صليت عليه إماماً خارج باب الفرج ومضي به إلى جبل قاسيون فدفن هناك رحمة الله عليه.

وفي ثامن صفر توفي النظام عبد الله بن البانياسي[٢] ببستانه بكفر سوسة وحمل إلى الجبل رحمه الله وكان قد طال مرضه بالفالج وسمع ببغداد من جماعة.

وفي ثامن شهر ربيع الأول توفي فجأة معين الدين إبراهيم بن مجد الدين القرشي ابن بنت القاضي محيي الدين محمد بن علي بن يحيى القرشي[٣] رحمه الله، وكان له سماعات كثيرة وبخطه توجد أكثر الطباق في زمانه وكان يكتبها كتابة حسنة صحيحة وهو أحد المعدلين بدمشق من أكبر البيوت الدمشقيين ودفن بالجبل صليت عليه إماماً خارج باب الفراديس بمصلى ابن مرزوق وذهب به إلى الجبل.

وفي تاسع ربيع الأول توفي الشهاب محمد المعروف بالقليجي بخدمة سيف الدين بن قليج. وفي الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول توفي الشيخ محمد المعروف بابن امرأة الشيخ علي القزويني الزاهد الساكن بجبل قاسيون رحمه الله.

[توجه العساكر المصرية إلى الفرات]

وفيها: خرجت العساكر من مصر وتوجه بعضها إلى الفرات فانهزم من كان ثم من جموع التاتار لعنهم الله الذين كانوا قد حاصروا قلعة البيرة وأفسدوا في تلك الديار وتعطلت السكنى بتلك البلاد لسببهم فخربت، ثم خرج السلطان بيبرس من مصر بعساكره فنزل ببلاد الساحل ونازل قلاع الفرنج لعنهم الله واستدعى بالرجال والآلات من دمشق وغيرها.

وجاءنا الخبر لدمشق بأنه دخل مدينة قيسارية ثالث ساعة من يوم الخميس ثامن جمادى الأولى وهو يوم نزوله عليها، ثم تسلم القلعة يوم الخميس خامس عشر وهدمها وانتقل إلى غيرها. وبلغنا أن في رابع جمادى الأولى توفي النجم

---

(١) بياض بالأصل.

(٢) هو النظام بن البانياسي، عبد الله بن يحيى بن الفضل بن الحسين. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١٣، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٧.

(٣) هو المعين القرشي المحدث المتقن أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز بن الحسن بن القاضي الزكي علي بن محمد بن يحيى، انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٦، وشذرات الذهب ٥/ ٣١٢.

المغربي القصري الأكتع وكان متفنناً في علوم شتى وهو الذي كان نظم المفصل مات بأسيوط من أعمال مصر رحمه الله.

وفي الثامن والعشرين من جمادى الأولى توفي الشيخ سعيد المغربي التلمساني الذي كان مقيماً بمسجد في محلة طواحين الأشنان خارج باب توما وكان رجلاً صالحاً خيراً منقطعاً زاهداً رحمه الله صلينا عليه بجامع التوبة الذي في العقيبة وحمل إلى الجبل فدفن به.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفيها: يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى توفي الشيخ زين الدين خالد بن يوسف بن سعد النابلسي المحدث[1] وكان حافظاً لأسماء الرواة ولكثير من الألفاظ اللغوية رحمه الله صليت عليه إماماً خارج باب الصغير قبالة مسجد جراح وكانت له جنازة حفلة ودفن في مقابر الباب الصغير.

وفي أول جمادى الآخرة توفي العز أيبك عتيق القاضي جمال الدين المصري وكان وكيلاً بمجالس الحكام من بعد وفاة معتقه إلى الآن رحمه الله.

وفي تاسع جمادى الآخرة ونحن بدار الحديث الأشرفية والجماعة يجتمعون لسماع سنن النسائي على تقي الدين إسماعيل بن أبي اليسر أيده الله، فأخذ بعض الجماعة النعاس ولج به فدافعه فلم يندفع فأشير عليه بأنه يصنع على جبهته ماء ففعل فمال رأسه إلى ورائه فأنشد ابن أبي اليسر متمثلاً بقول سحيم وقد تمثل به الحجاج في خطبته: [الوافر]

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

فعاد ذاك الخجل منه تهللاً واستحسنته أنا والحاضرون وذكرت لهم الحكاية المذكورة في تاريخ دمشق في ترجمة إبراهيم بن هشام المخزومي حين خطب على منبر المدينة وكان أميرها ومعه عصا فوقعت منه فاشتد ذلك عليه فأخذها بعض حرسه فناوله إياها وأنشد: [الطويل]

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالأياب المسافر

فسرى عن إبراهيم ما كان فيه.

وفي سادس عشر جمادى الآخرة توفي العز أبو العز بن صالح بن وهيب الحنفي المدرس بالمدرسة الشبلية بسفح قاسيون وهو ابن أخي الصدر سليمان بن

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٠٤، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٦.

وهيب نائب الحكم بمصر يومئذٍ؛ وكان فقيهاً، ديناً، مشكوراً رحمه الله.

وفي سحر يوم الاثنين ثاني رجب ولد سبطي الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البكري جعله الله مولوداً مباركاً. وفي ذلك اليوم توفي النجم البغدادي المتصرف وكان قد صار في آخره مستوفياً على جباة الأوقاف التي تحت يد القاضي، كالترب وديوان السبع؛ والمدارس ونحوها. وفي ثالث عشر رجب توفي التقي أخو التاج عبد الرحمن ببستانه بجوبر فجأة رحمه الله.

وفيه جاءنا الخبر باستيلاء المسلمين على مدينة أرسوف عنوة وقتل من كان بها من الفرنج وأسرهم واغتنام أموالهم وضرب البشائر بذلك. وفي رابع عشر رجب توفي بالقاهرة قاضي سنجار بدر الدين الكردي[١] الذي تولى قضاة القضاة بالديار المصرية مراراً، وكانت له سيرة معروفة من أخذ الرشا من قضاء الأطراف والشهود، والمتحاكمين إلا أنه كان كريماً جواداً وحصل له ولأتباعه بأخرة تشتت ومصادرات.

وفي رجب أيضاً توفي بالقاهرة الشرف محاسن بن الصوري عريف سوق الكتب بها وعمره مائة واثنتا عشرة سنة وأنشدني عنه سعد الدين بن مسعود ابن شيخ الشيوخ ابن حمويه قال: أنشدني الحافظ السلفي: [المتقارب]

إذا عزل المرء وافيته وعند الولاية استكبر

لأن المولى له صولة ونفسي على الذل لا تصبر

ومولده سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. حكى لي عنه القاضي أحمد بن خلكان قال: اجتمعت به في الإيوان الكبير بدار الوزارة عند البادرائي رسول الديوان فقال لي: دخلت هذه الدار في أيام شاور ورأيته جالساً في صدر هذا الإيوان. قال: قلت ما كان عمرك يومئذٍ؟ قال: اثنتي عشرة سنة.

وفي يوم الاثنين أول يوم في شعبان توفي الأمير جمال الدين موسى بن يغمور[٢]. وفي ثالث شهر شعبان توفي بدمشق شرف الدين عثمان بن السابق[٣] الكاتب بباب الجامع، وكان أحد كتاب الحكم وله خط حلو وصدقات ومعروف ملازم للصلوات في الجماعات بالجامع من العدول المبرزين رحمه الله تعالى

---

(١) هو بدر الدين السنجاري الشافعي قاضي القضاة أبو المحاسن يوسف بن الحسن الزراري. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٠٥، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣٢.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/٣١٣، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣٠.

(٣) في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٧: عثمان بن عبد الوهاب بن يوسف بن معالي، أبو عمرو شرف الدين التغلبي المعروف بابن السائق.

صليت عليه إماماً بمصلى ابن مرزوق خارج باب الفراديس وحمل إلى الجبل ودفن فيه وكانت له جنازة حسنة حفلة.

وفي ثامن عشر شعبان توفي جمال الدين المصري الذي كان مشارفاً بالبيمارستان النوري وهو صهر تقي الدين بن أبي اليسر على ابنته فاطمة بعد كمال الدين الزملكاني رحمه الله، وكان رجلاً خيراً منقطعاً مقتنعاً صليت عليه إماماً خارج باب النصر ثم شيعته مع الجماعة إلى مقابر الصوفية فدفن بها وكان أبوه وزيراً لأمير الجناح (؟)

[نصر المسلمين على النصارى في بر الأندلس]

وفيها: ورد إلى دمشق كتاب يتضمن أنه ورد إلى القاهرة في جمادى الآخرة من هذه السنة كتاب من المغرب يتضمن نصر المسلمين على النصارى في بر الأندلس ومقدم المسلمين سلطانهم أبو عبد الله بن الأحمر أيده الله وكان الفنس ملك النصارى قد طلب منه الساحل من طريف إلى الجزيرة ومارقة إلى المرية فاجتمع المسلمون ولقوهم فكسروهم مراراً وأخذ أخو الفنس أسيراً ثم اجتمع العدو في جمع كثير ونزل على غرناطة فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة فجمع من رؤوسهم نحو خمسة وأربعين ألف رأس فعملوها كوماً وطلع المسلمون عليها وأذنوا وأخذوا منهم عشرة آلاف أسير وكان ذلك يوم الخميس رابع عشر رمضان من سنة اثنتين وستين وستمائة وراح الفنس إلى إشبيلية منهزماً وكان قد دفن أباه بجامع إشبيلية فأخرجه من قبره خوفاً من استيلاء المسلمين عليها وحمله إلى طليطلة ورجع إلى المسلمين اثنان وثلاثون بلداً من جملتها إشبيلية، وقرطبة؛ ومرسية، والرقة، وشريش وجمع عساكر المسلمين على شاطبة وبلنسية والله ينصرهم برحمته.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان توفي الحاج أحمد المعروف بالسلامي الزملكاني الخشاب. ونجيب الدين فراس العسقلاني. وكان أحد العدول ذوي الثروة وله سماع حديث من الخشوعي وغيره، ودفنا بباب الصغير رحمهما الله، وفي يوم الثلاثاء سلخ شعبان توفي النجم مظفر بن عبد الصمد رحمه الله، وفي يوم الجمعة ثالث رمضان صلي بالجامع صلاة الغائب على الأمير جمال الدين موسى بن يغمور[١] رحمه الله وكانت وفاته مستهل شعبان عند توجهه إلى ديار مصر من الساحل لما كان مع السلطان الظاهر بيبرس في محاصرة الفرنج وفتح

(١) تقدم ذكر وفاته قبل قليل.

قيسارية وأرسوف ثم عمل له العزاء بجامع دمشق يوم الجمعة عاشر شهر رمضان.

وفي سادس رمضان نعت حسبة الجبل لبدر الدين علي بن عمر بن أحمد بن عمر ابن الشيخ أبي عمر بن محمد بن قدامة. وفي سابع عشر رمضان توفي الأمير عز الدين عثمان بن تميرك وكان ثقيل السمع كثير الوسواس في أمر الطهارة رحمه الله. وفي السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر توفي الفخر بن أبي الفوارس والد العفيف ودفن بمكانه بالجبل رحمه الله.

وفي أول جمادى الأولى توفي الناهض معالي بن أبي الزهر المعروف بابن الحبشي ودفن بالجبل رحمه الله. وفي ثالث جمادى الأولى توفي الحاج علي المغسل المعروف بالقباقبي ودفن بباب الصغير رحمه الله وكان حج في سنة اثنتين وعشرين وستمائة معنا وكان مواظباً على الصلوات في الجماعات كثير الصدقات والإحسان إلى الفقراء واليتامى وكان إذا صلى الصبح مع الإمام بالجامع يخرج فيقف بالباب الأوسط من أبوابه بباب البريد فيكبر ويهلل بصوت عالي ويدعو بصلاح المسلمين ونحو ذلك لا يكاد يقطع هذه العادة، صليت عليه إماماً عند مسجد جراح خارج باب الصغير. ودفن في مقابره حذاء تربة ابن الشيرجي، وكانت له جنازة حفلة جامعة لأصناف الخلق من الخاصة والعامة وكنت ترى اليتامى وغيرهم يقرؤون ويترحمون ويبكون رحمه الله وذلك يوم الخميس ثالث جمادى الأولى.

وفي عشية ذلك اليوم توفي الجمال أحمد بن عبد الله بن شعيب الذهبي الكتبي رفيقنا في القراءة على شيخنا علم الدين السخاوي رحمه الله. وكان تزوج ابنته فولدت له وماتت هي وولدها قديماً، ثم بقي عندنا مدة عمره وخلف كتباً كثيرة وثروة ووقف داره على فقهاء المالكية وأوصى لهم بثلث ماله وحرضته أن يقف شيئاً من أصول كتبه فلم يفعل. صليت عليه إماماً بمصلى ابن مرزوق ودفن بالجبل يوم الجمعة رابع جمادى الأولى.

وفي سادس جمادى الأولى جاء من مصر من السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحي ثلاثة تقاليد للقضاة شمس الدين محمد بن عطاء الحنفي، والزين عبد السلام بن الزواوي المالكي، وشمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي وجعل كل واحد منهم قاضي القضاة من المذاهب الأربعة ولكل منهم نائب وهذا شيء ما أظنه جرى في زمان سابق فلما وصلت العهود الثلاثة لم يقبل المالكي فوافق الحنبلي واعتذر بالعجز، وقبل الحنفي فإنه كان نائباً للشافعية فاستمر على الحكم والله يسدد الجميع بفضله ورحمته، ثم ورد كتاب من مصر بإلزامهما

بذلك وأخذ ما بأيديهما من الأوقاف إن لم يفعلا فأجابا ثم أصبح المالكي فأشهد على نفسه بأنه عزل نفسه عن القضاء وعن الأوقاف فترك واستمر الحنبلي ثم ورد الأمر بإلزامه فقبل واستمر الجميع لكن امتنع المالكي والحنبلي من أخذ الجامكية على القضاء وقالا: نحن في كفاية. فاعفيا منها. ومن العجب اجتماع ثلاثة على ولاية قضاء القضاء في زمن واحد وكل منهم لقبه شمس الدين واتفق أن الشافعي منهم استناب من لقبه شمس الدين فقال بعض الظرفاء: [المجتث]

أهل دمشق استرابوا ... من كثرة الحكام
وهم جميعاً شموس ... وحالهم في ظلام

وقيل أيضاً: [مجزوء الرمل]

بدمشق آية قد ... ظهرت للناس عاما
كلما ولى شمس قاضـ ... ـياً زاد ظلاما

وقيل أيضاً: [مخلع البسيط]

قضاتنا كلهم شموس ... ونحن في أكشف الظلام

وقيل أيضاً: [مجزوء الرمل]

أظلم الشام وقد ... ولي الحكم شموس
ليس فيهم من يبت ... الحكم علماً أو يسوس

وفي سابع شعبان يوم الجمعة صلي بالجامع صلاة الغائب على الرضي بن الدهان الواسطي التاجر وفي حادي عشر شعبان توفي شرف الدين عبد الرحمن بن بهاء الدين سالم ابن الحسن بن صصري وكان من أكابر أهل دمشق جاهاً وثروة وبيتاً. صليت عليه إماماً خارج باب الفرج ودفن بالجبل بعد موت أخيه البهاء بستة أشهر وسبعة أيام. وفي ثالث عشر شعبان توفي الكمال بن الكمال إمام المدرسة الشامية ابن أخي الزين خالد رحمنا الله وإياه بمنه وكرمه ورحمته وعفا عنا وعنه وعن جميع المسلمين والمسلمات وفي شهر رمضان من سنة ثلاث وستين وستمائة شرع في تبليط ما بين الجامع الغربي الذي عند القناة المعروفة بباب البريد وجدد في الصف القبلي من ذلك بركة وشادروان[1] وكان موضعهما قناة جددت قبل ذلك

(١) قال شمس الدين بن الفخر رحمه الله ولم تزل تلك البركة والشادروان إلى سنة اثنتين وسبعين وستمائة ثم ولي شهاب الدين بن السلعوس نظر الجامع فأزال البركة والشادروان وعمل موضعهما حانوت سماع وهي الحانوت الخامس الغربي من الصف القبلي وكان الغرض =

يجري إليها الماء من نهر القنوات وكان الناس ينتفعون به زمان انقطاع نهر بانياس الذي منه ماء الجامع بدمشق. وفي ذي القعدة سافر الأمير جمال الدين آقوش النجيبي نائب السلطنة بدمشق إلى مصر لاستدعاء السلطان له ثم قدم دمشق.

وفيها: توفي المجد بن حرب الحلبي كان شاهداً بباب الجامع. وفي ثامن ذي الحجة توفي تاج الدين بن الحموي أخو الزين والعز وكان شيخاً متودداً وتولى ديوان الجامع والمواريث الحشرية. ودار الضرب وغير ذلك ودفن بباب الصغير رحمنا الله وإياه. وتوفي قبله النجيب بن الوزان الذي كان ساكناً بالمدرسة العزيزية في البيت الكبير الأسفل.

وفيها: يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة أخبرني أخي برهان الدين إبراهيم وفقه الله تعالى أنه رأى في المنام بكرة ذلك اليوم كأنه جالس إلى جانبي وأنا أكتب شيئاً وأقرؤه فكان ما كتبته قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

وفيها: في رابع عشر ذي الحجة توفي الشمس بن السني الحركاوي (؟) رحمه الله تعالى، وجاءنا من زار بيت المقدس في وقفة هذا العام وأخبر أنه صلي يوم عيد النحر ببيت المقدس على الشيخ أبي القاسم الذي كان بقرية حوارى وهو شيخ مشهور له أتباع وثروة، ثم صلي عليه بدمشق يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة. وصلي يوم العيد أيضاً ببيت المقدس على ضياء الدين علي ابن خطيب نابلس، وكان شيخاً، بهياً، فقيهاً، ديناً وتولى قضاء الكرك مدة رحمه الله وفي سابع عشر ذي الحجة توفي التاج الإسكندري المعروف بالشحرور ودفن بالجبل صليت عليه إماماً بمصلى ابن مرزوق بالعقيبة رحمه الله وإيانا. وفي هذه السنة توفي شمس الدين بن الحباب رحمه الله.

= بذلك محو الآثار التي جددت في زمن الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى فإن الشادروان والبركة كانا في غاية اللطافة والحسن وفوق الشادروان اسم الملك الظاهر ونائب السلطنة اقوش النجيبي والمتولي فخر الدين الحراني فازيل ذلك جميعه مع حاجة الناس إليه زمن انقطاع الماء. وخرب الحمام الذي بناه الملك السعيد ولد الظاهر على باب السر تحت القلعة ولم يبن حمام مثله كل ذلك لمحو آثار الظاهر وكذلك أمر بمحو السباع التي كانت رنك الملك الظاهر على القلعة حتى عمل بعض الظرفاء في ذلك أبياتاً: [السريع]

ما للسباع الظاهرية قد ... مالت عليها دولة الأشرف

تروم محو الرسم من رنكه الظـ ... ـاهر والظاهر لا يختفي

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة(١)

ففي أوائلها يوم الثلاثاء جدد الحوض الذي هو في شرقي القناة الشامية بباب البريد يجري إليه الماء من القناة المذكورة في أنابيب وشادروان في حائط القناة.

وفي سابع المحرم توفيت تاج خاتون ابنة الأمير فخر الدين إيازسركس صاحب قرية بيت سوا رحمهما الله. وفي ثامن عشر المحرم توفي عبد الله بن أيبك بن عبد الله عتيق ناصر بن القواص ويعرف بالقاضي رحمه الله. وفي العشرين من المحرم توفي العلاء علي بن البدر عبد المولى الوكيل بمجلس الحكم رحمه الله. وفي الحادي والعشرين منه توفي الشرف بن الصيرفي الساكن بدرب الأسديين رحمه الله. وفي الخامس منه توفي عبد الله بن عثمان الوكيل بمجلس الحكم ويعرف بالمؤذن كان أبوه مؤذناً بالكلاسة رحمهما الله.

وفي رابع صفر توفي بهاء الدين الحسن بن سالم بن الحسن بن صصري(٢) أحد المعدلين بدمشق من بيت مشهور بالثروة وجده الحسن كان من أهل الحديث من أصحاب الحافظ أبي القاسم وله رحلة إلى العراق رحمه الله ودفن بالجبل.

وفي ذلك اليوم توفي الشمس محمد بن أحمد الحنفي الأشقر خال ولد الصدر سليمان رحمه الله، وفي السادس والعشرين من شهر ربيع الأول توفي الصفي إسماعيل بن إبراهيم بن الزرعي الحنفي(٣) رحمه الله ودفن بباب الفراديس وعمره اثنتان وتسعون سنة ومولده سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. سمع على الخرقي وغيره. وفي خامس ربيع الآخر توفي الشرف يعيش المقرئ وكان شيخاً مسناً وعهدي به شيخاً ونحن صبيان نقرأ عليه بالسبع الكبير ثم بقي إلى هذه الغاية وقل ما بيده فكان كل ليلة بعد العشاء يخرج ويدور في الدروب والحارات وهو يتلو القرآن العزيز فمن وضع في يده شيئاً أخذه وكنت آنس بقراءته إذا عبر على باب مسكننا رحمه الله.

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٣١٤ ـ ٣١٧، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣١١ ـ ٣١٢، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٣٦ ـ ٣٦٠.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١٦، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٥٤.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١٥.

[عدد من الوفيات هذه السنة]

ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة[١]

أولها يوم الأحد. ففي ثاني محرم الحرام خرج السلطان الظاهر من دمشق إلى مصر رحمه الله تعالى.

وفيها: توفي بمصر الشرف محمد بن البكري أخو الصدر بن البكري رحمه الله في رابع المحرم. وفي سادس صفر توفي شمس الدين ملكشاه الحنفي مدرس المدرسة المعينية بعد الرشيد النيسابوري وكان يعرف بقاضي بيسان. وتولى نيابة الحكم بدمشق في أول ولاية الصدر أحمد بن سني الدولة ودفن في مقابر باب الصغير رحمهما الله.

وفي الثاني والعشرين من صفر توفي أحمد بن رضوان ومولده سنة ستمائة، وكان صحب شيخنا تقي الدين بن الصلاح في صغره بالمدرسة الرواحية ثم صار يشهد بمسجد سوق القمح رحمه الله صليت عليه إماماً خارج باب النصر ودفن بمقابر الصوفية قريباً من قبر ابن الصلاح رحمهما الله. وفي ذلك اليوم توفي الحاج عسكر بن طاهر شيخ كبير من فلاحي قرية بيت سوا، وداعية. وخلف أولاداً كثيرة وملكاً بداعية رحمه الله.

وفي سادس ربيع الأول توفي الضياء بن خواجا أمام والد الشريف وكان إماماً بمسجد مثقال الجمدار على حافة نهر يزيد بجبل قاسيون وكان رجلاً صالحاً منقطعاً رحمه الله.

وفي ليلة السابع توفيت جدة ابني أحمد ومحمود أم أمهما خالة إبراهيم رحمهما الله تعالى. وفي سابع ربيع الأول توفي الشيخ علي الواسطي إمام المدرسة الفلكية وكان مقرئاً عندنا بالتربة الأشرفية وكان كثير الذكر والصلاة رجلاً صالحاً خيراً رحمه الله صليت عليه إماماً قبالة مسجد جراح ودفن في أول مقابر الباب الصغير خلف مسجد جراح. وفي حادي عشر ربيع الأول توفي الشمس يوسف بن مكتوم وكان شيخاً كبيراً له سماعات كثيرة على الخشوعي، والدولعي وغيرهما رحمه الله.

وجاءنا الخبر بموت الأمير ناصر الدين القيمري[٢] بالساحل رحمه الله وعمل

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٣١٧ ـ ٣٢١، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣١٢، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٠ ـ ٣٧٣.

(٢) هو الأمير مقدم الجيوش ناصر الدين حسين بن عزيز، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١٧ ـ ٣١٨. وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٦.

عزاؤه بالجامع يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الأول وهو الذي بنى مدرسة الشافعية بناحية مئذنة فيروز في سوق الحرميين بدمشق وكان موته يوم الأحد ثالث ربيع الأول.

وفي العشرين منه توفي الشيخ مؤمن الضرير الخلاطي المقرئ وكان أحد السبعة عندنا بدار الحديث الأشرفية رحمه الله. وأخبرني الضياء عبد الرحمن بن الجمال عبد الكافي في رابع عشر ربيع الآخر أنه رأى ليلة هذا اليوم كأن شخصاً معروفاً يقرأ في إيوان شيئاً من التصريف وحوله جماعة، ثم جاء آخر فقعد يقرئ جماعة بحذائه وانصرف من عند الأول بعض جماعته إلى الثاني فبينا هم كذلك إذ أشرفت عليهم من طاقة في أعلا حائط الإيوان وعلى ثياب بيض من صوف والعمامة كذلك وفوقها شيء مسبل عليها وقاية لها كصورة ما يفعله من يجعل على عمامته منديلاً أو نحوه لأجل مطر وحر فلما أشرفت عليهم بهيئة من حيث لم يكونوا يتوقعون ذلك قلت قال رسول الله ﷺ: فذكرت حديثاً في السنّة والرأي قال: فبكى القوم وبكيت أنا ـ أعني الذي قال قال رسول الله ﷺ ـ فقال قائل من الجماعة في فضائل رجب أي أسمعنا في فضائل رجب ثم انتبهت. قلت له: هو شيء يحدث من الخير إن شاء الله تعالى في رجب هذه السنة بقرينة فضل رجب وذكر النبي ﷺ واتعاظ الجماعة والبكاء بورك بالفرح والسرور من ذلك الأمر بتوفيق الله تعالى. ورأت امرأة كأن لنا داراً واسعة كبيرة مبيضة وزواياها ملأى من الخبز المثلث الأبيض بعضه فوق بعض. ثم رأى أخي كأن لي بستاناً كبيراً وبها عيناً فيه وفي وسطه بركة مد البصر وقال ليوسف: افتح الماء ففتح فجرى فيها أنابيب.

وفي الحادي والعشرين توفي الجمال علي بن عثمان الرسعني أحد الشهود بمسجد سوق القمح رحمه الله وكان بيني وبينه معرفة واجتماع بالمدرسة العزيزية في مجلس عز الدين بن عبد السلام أيام كان المدرس بها شيخنا السيف الآمدي رحمهم الله. أنشدني شرف الدين المغربل قال: أنشدنا قاضي حماة ابن البارزي لنفسه: [المتقارب]

دمشق لها منظر رائق ... وكل إلى حسنها شائق
وأنى يقاس بها بلدة ... أبى الله والجامع الفارق

وفيها: في الحادي والعشرين من شعبان توفي الفخر يحيى بن الجمال علي بن التاج عبد الواحد بن الفخر بن أبي الخوف رحمه الله ودفن بالجبل عند أبيه وجده وجد أبيه الفخر رحمهم الله. وفيها: آخر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان توفي الفقيه شرف الدين القزويني الشافعي وكان رجلاً صالحاً فقيهاً متواضعاً خيراً وكان أبداً معيداً بحلب ثم بدمشق في المدرسة العادلية والشامية المجاورة للبيمارستان وكان

ساكناً بأهله بالمدرسة وبها توفي ودفن يوم الأربعاء بكرة بمقابر الصوفية بالشرف القبلي رحمه الله. ولم أشهد جنازته كنت غائباً ببيت لهيا وخلف ولدين صغيرين عبد الرحيم وعبد المجير جبرهم الله تعالى. وفي ثامن رمضان توفي ابن عمتي العز عبد الغفار بن علي الكناني ودفن بمقابر الصحابة بباب الصغير رحمه الله.

[وصول السلطان الظاهر بيبرس من الديار المصرية بعساكره إلى الشام]

وفي هذا الشهر وصل السلطان الظاهر بيبرس من الديار المصرية بعساكره ونازل حصون الفرنج وبلادها وشن الغارة عليها من جميع نواحيها واستدعى بالمجانيق من دمشق. وجاءنا كتاب بعض أولاد الملوك تاريخه يوم الجمعة خامس شهر رمضان من جهة المنازلين لهم من ساحل حمص وأعمالها من ناحية حصن الأكراد وأعمال طرابلس بأنهم قد استولوا على ستمائة أسير من الرجال وما يقارب الألف من النساء والصبيان من ثلاثة حصون وستة عشر برجاً والله تعالى يديم نصر الإسلام بمنه وفضله.

وفي ثامن عشري شهر رمضان وصل إلى دمشق (علي ولد) الخليفة المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر (ينزل) بالمنازل وهو شاب كان التاتار استولوا عليه لما قتلوا أباه المستعصم وملكوا البلاد وبقي عندهم إلى أن كسر بركة هولاكو فاتصل ولحق بعرب خفاجة فبقي عندهم إلى أن جاء جماعة معه منهم إلى دمشق في التاريخ المذكور فتلقى وأنزل على الدار الأسدية مقابل المدرسة العزيزية.

[الاعتداء على مؤلف هذا الكتاب بداره بطواحين الأشنان]

وفي سابع جمادى الآخرة جرت لي محنة بداري بطواحين الأشنان فألهم الله الصبر وفعل الله تعالى فيها من اللطف ما لا نقدر على التعبير عنه بوصف، وكان قيل لي قم واجتمع بولاة الأمر فقلت: قد فوضت أمري إلى الله فما أغير ما عقدته مع الله وهو يكفينا سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ونظمت في ذلك ثلاث أبيات: [السريع]

قلت لمن قال أما تشتكي ... ما قدر جرى فهو عظيم جليل
يقيض الله تعالى لنا ... من يأخذ الحق ويشفي الغليل
إذا توكلنا عليه كفى ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

[عدد من الوفيات هذه السنة]

وجاءنا الخبر بأنه توفي بالقاهرة الضياء صالح ابن الشيخ إبراهيم الفارقي، والقاضي صدر الدين موهوب الجزري[١] وكان رفيقنا في الاجتماع عند الشيخ علم الدين السخاوي، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم ناب عنه بالقاهرة في الحكم بها رحمه الله ومات في تاسع رجب في هذه السنة.

وفي العشرين من رجب توفي الكمال إسحاق بن خليل السقطي المعروف بقاضي رزا[٢] رحمه الله صليت عليه إماماً بمصلى ابن مرزوق ودفن بالجبل وكان ممن اشتغل على شيخنا فخر الدين ابن عساكر.

وفي شهر رجب حفر السلطان الظاهر بيبرس خندقاً لقلعة صفد وعمل فيه بنفسه وعسكره وفي بعض تلك الأيام بلغه أن جماعة من الفرنج بعكا تخرج منها غدوة وتبقى ظاهرها إلى ضحوة فسرى ليلة ببعض عسكره وكمن لهم في تلك الأودية فلما أبعدوا عن عكا خرج عليهم من ورائهم فقتل وأسر وضربت البشائر بدمشق بذلك.

وجاء الخبر من مصر بموت قاضيها تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعز[٣] في السابع والعشرين من رجب ومولده في سنة أربع وستمائة مستهل رجب وهو: تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامي ومولده بالقاهرة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى. وفي يوم الأحد ثامن عشر شعبان توفي الجمال محمد بن نعمة النابلسي وكان رجلاً صالحاً رحمه الله توفي ببستانه ودفن بمقابر باب كيسان عند أبيه.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل
وافق الفراغ من نسخه بكرة يوم الثلاثاء رابع عشري
شهر جمادى الأولى من شهور سنة ٩٦٧هـ
على يد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو اللطيف الخبير
محمد بن محمد بن علي عامله الله بلطفه الخفي بمنّه وكرمه

---

(١) هو صدر الدين موهوب بن عمر الجزري ثم المصري الشافعي. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣٢٠.

(٢) هو إسحاق بن خليل بن فارس أبو يعقوب كمال الدين الشافعي المعروف بالسقطي، انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٤.

(٣) هو تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي المصري الشافعي. المعروف بابن بنت الأعز. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣١٩، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٩.



فهرس المحتويات

طبع في مطابع دار الكتب العلمية
جسر المطار - سنتر الساحل التجاري
هاتف: ٨٤٨٤٨٧ - ٨٤٨٤٨٦ - ١ ٩٦١ +
بيروت - لبنان